

الطبعة  
3



# كاليا

رواية

سونيا بوماد

الرواق للنشر والتوزيع

كأيا

سونيا بوماد

■ الطبعة الثالثة..... نوفمبر 2014

الغلاف: أحمد مراد

التصحيح اللغوي: إيمان الدواخلي

رقم الإيداع: 2013 / 22691

الترقيم الدولي: 0 - 47 - 5153 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع محفوظة

3 شارع إدريس - أول شارع الوحدة - إمبابة - الجيزة

هاتف وفاكس: 33100951 (202)

محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/RewaQ.Publishing



للتشرد مهتلررر

# كاي

رواية

سونيا بوماد

الرواق للنشر والتوزيع



## إهداء

للك أوروبا التي تكن كل باحث لريدرك بعد حقيقة وسر وجوده



«أوروبا، أين أنتِ؟ أوروبا.. عودي! أنا لا أستطيع أنا أحيادونك.. سادّم  
هيرا من أجلك...».



فجرٌ جديدٌ غير اعتيادي يطل على تلك المدينة الأوروبية، أصوات سيارات  
الشرطة تعلو قرب مداخل الغابة. يترجّل قائد المجموعة من السيارة الأمامية،  
يقترّب من.. جسد امرأة شابة ملقّى على جذع شجرة!

أبقد بحذر خصلًا من شعرها عن وجهها، وجسّ نبضها.. جال بنظره على  
جسدها، ويتوتّر وقلبي صرخ يستعين بعناصر مجموعته قائلاً:  
- مازالت حيّة، ولكنها تنفس بصعوبة.. اطلبوا سيارة إسعاف فوراً، ..  
أنها قد تعرضت للاغتصاب.

- هنا وحدة شرطة المدينة؛ هل تسمعي؟

- نسمعك بوضوح...

- المطلوب: إرسال سيارة إسعاف مجهزة للحالات الطارئة مع طاقم طبي،  
إلى مدخل غابة المدينة الشرقي. الحالة حرجة للغاية، فقدان وعي وصعوبة  
قصوى في التنفس، كسور، جروح وكدمات.  
- عُلّم، السيارة في طريقها إليكم.

أفضل رجال الشرطة المكان بالأشرطة الصفراء، حفاظاً على أدلة من الممكن أن تساعد التحقيق في الكشف عن الجاني. جال قائد المجموعة بنظرة في موقع الحادث.. سكونٌ يعم المكان، وليس هناك من أثر لأحدٍ ما، باستثناء الضحية. أصدر أوامره لرجالهم موزعاً عليهم المهام:

- فتشوا الغابة جيداً، ابحثوا عن أي دليل يرشدنا إلى شخصية الفاعل، أو أي معلومة حول هوية الضحية، وأنت اتصل بالشرطة الجنائية لمسح موقع الحادث.

وصلت سيارة الإسعاف تسبقها صفاراتها، ترجل منها المسعفون يرافقه أحد الأطباء، فحملوا السرير النقال وحقية المعدات الطبية وتوجهوا إلى هناك. تقدّم الطبيب مُسرِع الخُطى.. وضع إصبعه على عنقها وركّز ساعته على قلبها وقال:

- الحمد لله ما زالت على قيد الحياة، لكنها تعاني من هبوط خطير في معدل ضربات القلب. سننقلها حالاً إلى المستشفى.

اتصل بقسم الطوارئ شارحاً حالة المصابة، ومعطياً توجيهاته بإعداد ما يلزم لحين وصولهم.

- سيدتي.. اطمئني، سوف تسير الأمور على أفضل حال.. الشرطة هنا ونحن أيضاً، هل تسمعي؟ سوف ننقلك الآن إلى مستشفى المدينة، هناك، سيحتنون بك إلى أن تشفي.

أعاد تكرار هذه العبارات وهم يعالجون الجسد لوضعه على السرير النقال. اهتزت جفونها.. حاولت أن تفتح عينيها، لكنها لم تستطع، فعادت واستلمت للنوم، وكأنها لا تريد الاستيقاظ من جديد.

- سيدتي، أنت بخير.. لا عليك، استرخي ولا تخافي.

سأل قائد المجموعة الطبيب:



- أعتقد أنها ستنجو؟

- أعتقد هذا، إنها تعاني من آثار صدمة نفسية واعتداء جسدي. سوف تشفى، ولكن هذا سيتطلب وقتاً طويلاً على ما أعتقد.

انطلقت سيارة الإسعاف بسرعة جنونية، فلكل دقيقة ثمنها، وها هي الضحية تتأرجح بين الموت والحياة، إنه سباقٌ مع الوقت. بينما كان مسرح الجريمة يفضّ رجال الشرطة الجنائية.

وبعد الحصول على بعض التقارير الأولية حول المكان، غاص قائد المجموعة في سيل من الأسئلة.. كيف وصلت الضحية إلى هذا المكان في غياب أي أثر لخطواتها أو خطوات الجناة، برغم الأرض الرطبة التي تحيط بمسرح الجريمة؟ من هي هذه المرأة؟ فلا أوراق ثبوتية ولا هاتف، أو أي دليل يكشف عن شخصيتها، وهذه الملابس الغريبة التي ترتديها؟! سيلٌ من الأسئلة لا جواب لها حتى الآن.

سيارة الإسعاف تخترق الشوارع، تسابق الموت، أما هي، فكانت روحها تعبر زمانها إلى مكانٍ ما.. إلى حيث يُهَسَّ جسدها وتقطعت أوصال ماضيها.. إلى حيث استيحت حرمة إنسانيتها وحيل بينها وبين حقها في تقرير مصيرها.



ها.. يجب أن أسرع، فقدري يطاردني، وإن قبض عليّ فسوف يقتلني ويمرني، يا أيها الإله الواحد، انقذني مما أنا فيه!!

كان الظلامُ حالكًا، وهدوء الليل لا يقطعه سوى أصوات الحشرات. في غفلة عن الحُرَّاس فتحت باب المشاة، الذي يتوسط سور الحصن الكبير. بعد أن نسلقت بقوة إلهية ذلك الحائط الذي يفصل البرج عن الحديقة. تأكدت

أن أحدًا لم يلحظ خروجها، مثل يهدوه كي لا تثير الشبهات. وحين غاب المكان عن ناظرها، أخذت تركض وتركض وتواصل الركض، دون أن تعرف وجهتها وإلى أين ستصل.. تريد الابتعاد، تريد أن تختفي، أن تقطع كل روابطها بهذا الماضي الأليم، ألا يكون بعد هذه اللحظات أكثر من ذكرى لأيام خلّت، لن تعود إليها مهما كان الثمن. محطمة القلب كانت، لكنها قوية ومتسامكة، عازمة وواثقة من أن ما تعانیه يجب أن ينتهي، وأنها منذ اللحظة يجب أن تصنع قدرها بنفسها مهما كانت الظروف. فما ينتظرها لن يكون أسوأ مما تركت وراءها.

استمرت بالجرى، حتى كادت قدماها تتعثران ببعضهما، والأرواح تطاردها كظلمها. كل تلك الأرواح المقيمة في المعابد والهياكل وكل الآلهة القديمة كانت تطوف من حولها، ودوي الرعد يزلزل من شدته أرجاء الأرض.. أنوار البرق تخترق السحاب الأسود المتلبد كيوف تتساقط من السماء، وأشجار الغابة قد انحنت فوقها، تكاد أن تنفض على جسدها، بأغصانها التي تحولت إلى أياد عملاقة تحاول إعاقة تقدمها، ملقبة حولها الجذوع المتعفنة الأشواك، والأغصان اليابسة. كانت تجتاز كل تلك العوائق بصعوبة، وجسدها الأبيض الناعم محمل ببعض من آثار جراح نازقة، على مرأى من آلاف العيون الكبيرة المفتوحة التي تراقبها، والأفواه الضاحكة الباكية، وصدئ صراخ سكان الجحيم الثائرون ينحمر مسمعا كالسهم القاتلة. غير أن صوت الإله كان الأقوى والأصخب.

ربُّ الأرباب.. إله السماء، الذي خطفها من مملكتها ومن أحلامها!

«أوروبا، أين أنت؟ أوروبا.. عودي! أنا لا أستطيع أنا أحياء دونك.. سادتر هيرامن أجلك.. سأكون لك وحدك، سوف أحملك.. لن يملكك سوء وأنت معي.. أوروبا، عودي..!» أين تهربين؟ سوف أجلك، وسوف أدترك كما دمرت حُبِّي لك.. سوف تندمين!

ذلك الصوت الذي أذاقها كل تلك العذابات يزيد من إصرارها على تحمل

ء والأكر، ويحشها على تحدي المخاطر. فلما الموت وإما الحياة بحُرْبَةٍ..  
.. لقد علمَ برحيلي.. أيها الإله الواحد انقذني، خذني من هنا، أنا أجلك  
فلا تخيب رجائي.. أرجوك!»

كان يلاحقها كظلمها، يدخل الخوف إلى قلبها مع أنفاسها المتسارعة، لم يكن أمامها سوى المرَب. رغم قواها التي بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً، عليها أن تصمد وأن تتعد أكثر، فكلما تلاشى الماضي خلفها كلما خفَّ من حولها الصخب وتبدد بعض من تلك الأشباح التي كانت تتعقبها. أدركت أنها سوف تنجو، وأن قيودها ستكسر.

أطلَّ الصباح ومن بعده الظهيرة التي ازدادت شمسها قسوة، حتى أحرقت جسدها.. ولا زالت تسير، وذلك اللهات الثائر مازال يتبعها.. يؤرِّق أذنيها، فترقف قليلاً.. تلتقط أنفاسها.. تتجمع قواها.. وتعود لتعدو هاربةً من قدرها، من زيوس الذي كان يتأبى وكأنه يتلبس جسدها ويطوِّق روحها بسلطانه ورهته..

«سأجديك يا أوروبا، ستدفعين ثمن هروبك مني»

ها هو الظلام يسدل أستاره على مساحات النور من جديد، تاركاً مكانه لعباءة الليل. رويداً رويداً وجدت نفسها وسط ذلك الجو الغامض الأسود.. هدوءٌ وصمتٌ تقطعه نفس أصوات الحشرات، وطيور الليل وانكار الأغصان تحت قدميها شبه الحافيتين. صوت زيوس وأنفاس الأرواح اللاهثة خلفها.. عليها أن تتوقف، فالظلام قد ابتلع المكان من حولها، وأي خطوة في ذلك المجهول رتباً ستقودها إلى الموت.

دارت حول نفسها، باحثة في ذلك الجو الغامض الأسود عن مطارد.

صارخةً بصوت ملا السماء:

ووس، ابتعد عني أنت وأرواحك، فانا لا أخافكم، لا أريدك..

لا أريدك، فوجودك يخنقني.. دعني وشأني.. ضاقت روحي بك.. هذه قلاذتك التي أهديتني إياها، سأنزعها عن عنقي، لن أكون أسيرتك بعد اليوم.. وذلك الساحر الذي جذب نفسي إليك، سأحاربه كما أحارب قدرتي.. أعدك...!



فجأة.. تبتد الصوت ولهات الأرواح.. تلك الأعين المخيفة التي كان يريقها يخترق الظلام انطفأت أيضًا.. وعاد السلام والصمت إلى الغابة.

«أيتها الإله، شكرًا.. لقد رحلوا بعيدًا، لن أتابع المسير، لا أستطيع أن أرى أطرافني من شدة الظلام، والغابة أصبحت خطيرة ومخيفة.. يا إلهي، ابق معي.. لا أريد أن أضعف.. أريد أن أصمد.. أن أتحمّل نتيجة قراري حتى النهاية، فين ذاتي وقدرتي وبين الحياة أخوض الآن أنسى حروبي. ولكن هل ظلمتني هذه الحياة لأني ضعيفة ولا أقدر؟ أم أنني قدت نفسي بنفسني إلى قدرتي؟ لقد باتت هذه الأسئلة سخيفة جدًا، وأنا هنا الآن أكثر حواجز الخوف، وأسدُّ سبل العودة إلى الماضي والذي أصبح بها فيه مجرد ذكرى، وما يتظرني هو مصيري الجديد الذي سأرسمه بيدي. سأنام ليلتي هنا، على جذع هذه الشجرة، وإذا ما حلّ الصباح وبقيتُ حيّة، سأكمل سيري ومسيري.. وإن مُت، فستحضن كايا الحية جسدي وتحمله وتبته في هذه الغابة زهورًا جميلة، كذلك التي نمت قرب جسد «أدونيس» معشوق إلهة الحب «اعتنار».

لفت جسدًا بما تبقى من ثوبها الزهري الممزق، وما كان للحرير الناعم أن يحمي الجسد الغض من الخوف وصقيع ليل الغابة المظلم، لكنه كان يشعرها بالاحتضان ويزودها ببعض الأمان. حاولت أن تكسر خوفها؛ مسترجمعة من صفحات الماضي صورًا من ذكرياتها في مملكتها الجميلة (صور)، وذلك البحر الأزرق الممتد إلى ما لا نهاية وصوت أمواجه المتكررة، وضحكات صديقاتها

هـ هنَ يركضن على رمال شطآنه، باحثات عن أهداف الميوركس كي تصبغن  
أثوابهن بلونها الأرجواني.. صور أخرى في الحقول، وهن تجمعن تلك الباقات  
الرائحة من الزهور، كي تقدمنها على مذبح الإله. رائحة زهر الليمون وحقول  
القمح وقطعان المواشي ومراكب البحارة وأبجدية شقيقها «قدموس»،  
وصورة أمها، وصوت مدرّسة الموسيقى، التي كانت تعلّمها دروس العزف  
والاناشيد...

«أوروبا، هيّا.. أعيدي هذه المقطوعة، يجب أن تقدميها في الهيكل يوم  
الاحتفال».

«لا تخافي.. مازال أمامي متسع من الوقت».

إلى الآن لم تنسَ رقصاتها مع البنات في الهيكل، ومراقبة عيون الشباب  
المتطفلة عليهن.

رسمت تلك الذكريات ابتسامة خفيفة على وجهها المتعب.. ابتسامة  
خففت من آلام جسدها، جوعها وعطشها، فلقد قطعت آلاف الأميال، حتى  
كادت أن تجتاز عتبة التاريخ..

«والدي، إخوتي، صور الحبيبة.. لقد أنبأني ذلك الخُلم بمصري، لكنني لم  
أصدق يوماً أنني سأبتعد عنكم، لماذا لم ألاحظ أن تلك الرؤيا كانت رسالة القدر  
لي؟! وربما عرفت ولم أثنأ أن أغيّر المكتوب، يوم شاهدت آسيا وقازة أخرى  
بمجهولة الاسم والهوية وقد تلبستا جددا امرأتين، وكنتُ أنا واقفة بينهما..

قالت آسيا وهي تمسك يديّ بإصرار:

- هيّا تعالي معي يا طفلي، فانتِ زهرة أرضي، ربيع بساتيني، ثلج جبالي،  
مياه ينابيعي ولحن جداولي، أنتِ يا أوروبا ابنة رحمي، جلبتِ ترابي، ملكتي  
ودماء شرايني. لقد رسمت على وجهك ملاعبي، لوّنتُ حدودك من وهج  
شمسي، من قمحي أطعمت جسديك، من ورودي استخلصت عطرك،

وَجِئْتُ أَتَوَابِكِ مِنْ حَرِيرِ فَرَأَشَاتِي، بِنَيْتِ بَيْتِكَ مِنْ أَغْصَانِ اشْجَارِي، وَمِنْ رَحِيقِ أَزْهَارِي عَصْرْتَ شَرَابِيكَ.

مَدَّتِ الْمَرْأَةُ الْأُخْرَى يَدَهَا لِي أوروْبَا، نَظَرْتُ فِي أَعْمَاقِ عَيْنَيْهَا.. قَالَتْ بِلُغَةِ أَمْرَةٍ وَبِابْتِسَامَةٍ لَطِيفَةٍ وَاثْقَةٍ:

- لَا يَا أوروْبَا.. لَا تَذْهَبِي مَعَهَا.. تَعَالِي مَعِي، فَأَنَا الْغَدُ، أَنَا مُسْتَقْبَلُكَ، وَأَرْضُ أَحْلَامِكَ فِي رُبُوعِي، حَيْثُ سَتَزْرَعِينَ أَنْتِ وَتَحْصِدِينَ وَتَحْكَمِينَ.. تَعَالِي مَعِي أَنَا، فَالْغَدُ هُوَ لَكَ حَيْثُ لَا قَبُودَ وَلَا حُدُودَ لِفِكْرٍ أَوْ طَمُوحٍ.. تَعَالِي مَعِي، فَأَنَا سَأَكُونُ أَمْلِكَ وَأَبْلَاكِ وَأُخُوتِكَ، سَأَحِيكُ نِيَابَتِكَ وَأَقْطُرُ عَطُورَكَ، سَأَحْتَلِكُ. أَنَا مِنْ سَأَكْتُبُ اسْمَكَ عَلَى الْكِرَاكِبِ وَالْمَجْرَاتِ وَأُرْسِمُ نَقْشَكَ عَلَى الْمَعَابِدِ وَأَجْعَلُكَ رَمَزًا لِلْحُبِّ وَالْعِظْمَةِ وَالْجَمَالِ.

وَقَفْتُ تَرَأَقُ مَا يَجْرِي بِعَيْنَيْهِ مَفْتُوحَتَيْنِ وَقَلْبٍ بَارِدٍ.

- لَا لَنْ تَذْهَبَ مَعَكَ..

قَالَتْهَا آسِيَا!.. أَكْمَلْتُ:

- فَجَذُورُهَا هُنَا، مَاضِيهَا وَطُفُولَتُهَا وَكُلُّ مَا هِيَ عَلَيْهِ هُنَا وَسَيَقِي هُنَا.

ضَمَّتِ الْمَرْأَةُ الثَّانِيَةَ يَدَهَا الضَّخْمَةَ حَوْلَ يَدِ أوروْبَا، وَاعْتَصَرَتْ أَصَابِعَهَا بِقُوَّةٍ. كَانَتْ تَظْهَرُ نَفْسَهَا وَكَأَنَّهَا أَمَّا الْحَقِيقِيَّةِ، أَجَابَتْ آسِيَا قَائِلَةً:

- كُلُّ مَا تَقُولِينَ لَنْ يَغَيِّرَ مَصِيرَهَا، فَهِيَ سَتَكُونُ عُرُوسَ الْإِلَهِ. لَقَدْ وَهَبْتُهَا الْحَيَاةَ لَهُ، وَسَتَذْهَبُ مَعِي حَيْثُ سَيَكُونُ غَدَهَا، وَسَتَكُونُ هِيَ الْجَذُورَ لِأَلْفِ الْأَشْجَارِ! لَا فَرْعَ فِي شَجَرَةٍ.. سَتَكُونُ سَيِّدَةَ الْإِلَهِ وَمَلِكَةَ الْأَهْةِ.

سَحَبَتْ الْمَرْأَةُ أوروْبَا إِلَى جَانِبِهَا، وَكَأَنَّهَا غَنِيمَةٌ ثَمِينَةٌ، فَسَقَطَتْ يَدَهَا الْأُخْرَى مِنْ يَدِ آسِيَا.. سَارَتْ مَعَهَا وَهِيَ تَلْفَتُ بِطَرَفِ عَيْنِهَا إِلَى الْوَرَاءِ، إِلَى آسِيَا الْحَزِينَةِ، الَّتِي كَانَتْ تَتَادَبَاهَا.. ثُمَّ إِلَى السَيِّدَةِ الْأُخْرَى، الَّتِي ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهَا عَلَامَاتُ النَّصْرِ وَهِيَ تَرَحَّلُ بِهَا إِلَى الْبَعِيدِ، دُونَ أَنْ تَتْرَكَ لَهَا أَيَّ فُرْصَةٍ

كبي تفرّص مصيرها، أو أن تختار بمن ستلحق وأين ستذهب، مسلوقة الإرادة، يشدّها غموض المستقبل، فتسعى بشغف لفتح أبوابه. لقد ساقتها آلهة السماء إلى قدرها، وهي لم تحرك ساكنًا!! كأنها تسمى إلى مصيرها دون أن يربك مشاعرها أحزان من تركتهم وراءها، ودون أن يخلق تعلقها بمن حوّلها.. أهلها، بلادها، ماضيها، أي تردد. سارت بقلب غلفه الجليد دون أن تنظر خلفها، قطعت كل جذور العودة، وكأنها تقول «أسير لك قدري وليذهب كل من ورائي إلى الجحيم».

ها أنا وحيدة في بطن غابة مظلمة، تنهشني مخاوفي وخجلي من ذاتي، يكسرنني ضعفي ويقويني.

لم أستطع سابقًا أن أقرأ تلك الرؤية، لكنني اليوم أعرف أن ما يصيبني هو ما أردته، هو قدري الذي أتبع خطاه، رسمته يومًا بنفسني.

سرق التعب والنعاس خوفها، ففقت.. غفت على ذلك الجذع في قلب الغابة المظلمة، لا تعرف أي غيد ينتظرها، وعلى أي صورة جديدة ستفتح عينيها؟

«ما زالت حيّة، ولكنها تنفس بصعوبة.. اطلبوا سيارة إسعاف فورًا،.. أنها قد تعرضت للاغتصاب».

دخلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى. في قسم الطوارئ، وقبل أن يأخذوا منها عيّنات الدم لتحليلها وإخضاعها للصور الصوتية والمغناطيسية، نزعوا عنها ملابسها الغربية التي كانت ترتديها. أخذوا من يدها تلك القلادة التي كانت تقبض عليها، وفكّوا سلسلتها الذهبية الملفوفة حول معصمها المُسَمَّن، وذلك السوار الذي حُفِرَت عليه رسوم ورموز مجهولة.. حذاءً جلدي من الطراز اليوناني القديم.. أشياء غريبة وكأنها خارجة من حفل تنكري، قد تحفّت فيه بزّي من أزياء تلك القرون. وضعوا كل هذه الأشياء في صندوق خاص وحفظوها في غرفة الأمانات.

بعد رحلتها بين تلك الآلات، قرروا نقلها إلى غرفة العناية الفائقة. لقد تحوّل الطبيب من دخولها في غيبوبة، فحالتها لم تكن مطمئنة. ولكن قبل نقلها إلى هناك، كان عليه أن يعاينها، كي يرسل تقريرًا مفصلاً إلى الشرطة، معتمداً على نتيجة الفحوصات، وعلن ما سيعثر عليه من أدلة.

بدأ جولته على جسدها العاري، بحضور فريق من المرضين..  
اكتب أرجوك ما أمله عليك:



- حول المعصمين الأيمن والأيسر، وكفلك على الكاحلين توجد آثار تهتك  
حلدي، وكان أطرافها قد رُبطت لمُدّة بحبال ليفية. كدمات على الذراعين،  
بدو من لونها أنها قديمة بعض الشيء. بالنسبة للأماكن المتضررة الأخرى،  
فبين هذه الكدمات وبين أحدث الجروح ما يقارب اليومان إلى ثلاثة أيام. على  
الظهر آثار جروح خفيفة. أسفل الصدر منطقة متورمة قليلاً، بسبب الكسور  
التي أصابت ضلوعها في أسفل القفص الصدري، كما أظهرت الأشعة. على  
كامل الجسد خدوش بدرجات متفاوتة، وعلى ما يبدو أنّ جسدها قد اصطدم  
خلال مرورها بالغابة ببعض أغصان الأشجار، والتي تسببت بهذه الجروح.  
اكتب أيضًا:

- وجدنا داخل بعض تلك الجروح بقايا من شظايا الأغصان، وبعضًا  
من أشواك الصبار. وجدنا بقعًا من الوحول الطينية على الملابس، وبعضًا  
منها على الجسد. أمّا خلال فحصنا للأعضاء التناسلية، تبين أنها قد تعرضت  
للإغتصاب منذ مدة ليست بقرية، وتهتك الطبقة الخارجية للمنطقة التناسلية  
لازال ظاهرًا. لم يثبت لنا وجود أي أثر لممارسة جنسية قريبة، أي أن الجسد لا  
يحمل أي آثارٍ لملاقة جنسية، على الأقل منذ الشامية والأربعين ساعة الفاتنة.  
على الأظافر توجد بقايا خلايا بشرية ودماء متجمدة، وسوف ندرج بالتقرير  
بعد صدور التحليل فته هذا الدم ونوعية الخلايا الموجودة.

هذا كل شيء.. وأرجو أن ترسلوا بعضًا من شظايا الأغصان والأشواك  
التي استخرجناها وبعضًا من هذه الوحول التي كانت تلتصق ملابسها إلى  
المختبر. أتمنى أن تتابعوا حالتها بدقة، يجب أن تنجوا!

- حاضر، سوف نهم بها إلى أن نستفيق.

- أوروبا، هيّا تعالي معنا، سنذهب إلى الشاطئ.

- لا أقدر، فأبي سيعود اليوم من رحلته التجارية.

- سوف نرى السفن عندما تأتي من هناك وستقبلهم معاً ونشاهد ماذا أحضروا معهم من سفرتهم.

مرّت هذه الصورة على الذاكرة، تبتعتها صوراً أخرى كثيرة. كان فكرها متآزراً هناك، أما جسدها فكان مستلقاً حيث هو.

أه ما أزكي رائحة البحر.. ما أجمل زرقته، وصوت أمواجه.. هناك تعودت أن تجلس، تتأمل ذلك التمرد الهادئ الغامض، وفوق رمال شطآنه الدافئة كانت تستمع بأجمل أوقاتها ذهاباً وإياباً، إلى أن يهدأ التعب. كانت تلك النزعات لحظاتها المفضلة، هناك حيث تداعب زرقة البحر خضرة السهول، كي تكمل جمال تلك اللوحة الرائعة، فصور الجميلة أميرة تضع أقدامها في الأزرق، وتلقي جسدها على المروج، وترخي شعرها على القمم والمضاب، وربما استمدت أوروبا جمالها من تلك الطبيعة الخلابية. بعد تلك الرحلة اليومية، كانت تعود إلى مملكتها نازعة عنها طفولتها، تاركة خلفها باطنها، كمحارٍ نادرٍ يحاول أن يعيش خارج الماء.. إنها ابنة ملك، يجب أن تبقى سجيناً هذا الإطار.



تسارعت نبضات قلبها.. انتفض جسدها.. اضطربت أنفاسها. وعلى صوت الآلات التي كانت تطوقها، تكبلها، تحرقها بالعديد من الأسلاك والأنابيب، أسرعت الممرضة والطبيب المناوب إلى غرفتها، حقناً أوردتها ببعض الأدوية المهدئة، رفعتاً من كمية الأوكسجين في جهاز التنفس خاصنها لدقائق قليلة. عاد الهدوء إلى جسدها من جديد؛ أما روحها، فلا زالت مسافرة في عالمها البعيد...



- أوروبا، سوف نجتمع الأزهار اليوم من البساتين، ونقدمها ذبيحة للإله  
في معبده

قلن صديقاتها..

- رائع، كم أحبُّ هذا، فأنا سأكون اليوم عروس الإله.

طافت الفتيات المرج، وجمعن من أنواع الزهور أجملها، وذهنن بها إلى  
المعبد. فرشنها هناك، وجلست أوروبا في وسط ذلك الإكليل المقدس، بذلك  
الثوب المطرّز بخيوط الذهب، والذي ورثته عن جدتها لييبا، ابنة ملك مصر  
كانت تلك الأزهار بملمسها المخملي تشبه ملمس ذلك الجسد، وعطرها قد  
اندمج بعبير أنفاسها، وريحها بمذاق الشفتين والنهدين. كانت أجمل فتيات  
فينيقيا وأرقهن وأذكاهن.

أما عيون الإله، فكانت تراقبها من عليائه، ويداه تطوفان فوق تلك الربوع  
والهضاب والينابيع. إنها تستشعر وجوده وكأنها ترقص له لتغريه، تظهر مفاتنها  
وتخفيها، تنظر إلى عينه اللتين لا تراهما، تبسم له بخجل مزوج بالرغبة، ثم  
تعود لتتحنى لسלטانه، تشعله وتطفئه، تثر أوراق الورود الحمراء في الفضاء،  
وكانها تفرشها فوق صدره الإلهي كسرير لها.

ذاب قلب زيوس.. شاحت عيناه.. ضاقت أنفاسه.. نبّص قلبه من جديد..  
عادت مياه الحياة لتدفق في شرايينه، بعد أن حولته هيرا زوجته إلى صنم عجوز  
دون مشاعر، كقطعة جليد باردة.. أوروبا، تذيب ذلك الجليد بدفء روحها  
وجمالها، لقد وقع إله السماء بغرامها، أصابه إله الحبُّ بسهمه، كي يسعد قلبه  
من جديد..

فجأة.. توقفت عن الرقص.. أحسّت أنّ هناك عيان تراقبها، وأنفاسا  
تلهت على جسدها.. نظرت حولها، كان المعبد فارغًا، ارتعشت روحها من  
الخوف ومن رهبة المكان، ضاقت أنفاسها، ثارت روح المرأة في داخلها، وكانها

ثمرة ناضجة تنتظر من يتلذذ بمذاقها، من ينزع عنها قشورها، من يتعصر  
جسدها ويرتشف عطره حتى الشبالة، حتى آخر قطرة.



شاهدت المرضة جسدها يتنفض وأنفاسها تنقطع لتخرج بصعوبة..

- سيدتي.. سيدتي، هل أنت بخير؟

ثبتت كمامة الأوكسجين على فمها، أمسكت يداها وأخذت تدعكها  
بلطف، وكأنها تحاول إعادة الحياة والدفء إلى الأطراف الباردة المتجمدة.

- اهدهني يا سيدتي، فكل شيء يسير على ما يرام.

سافرت الروح من جديد، كي تجمع ما تبقى لها من حقايب الماضي، قبل  
الرحيل إلى مجاهل عالمها المجهول غير المتظر، أما سفينة الجسد فعادت مرة  
ثانية لترسو في قلب المحيط الهادئ...



.. أوروبا.. هيّا اسرعي.. لقد ظهر ذلك الثور الأبيض بين أبقار

القطيع من جديد.

ذلك الثور الأبيض اكم كانت تتحرّق لرؤيته، إنه مخلوق غريب فعلاً..

- هيّا اسرعي قبل أن يختفي.

ركضت، والحادمة خلفها.. إلى أن وصلنا.

- أجل، أستطيع أن أراه! إنه ناصع البياض كقطعة نلج تزئّن خضرة المرج..

أرهما الألهة المرآة مثله في حياتي.

عندما أصبحت على مقربة منه، ملاً الفرح قلبها.. لقد ظهر في القطيع عدة مرات وكان يخفي فجأة، دون أن تتمكن من الاقتراب منه، وأخيراً وضعت يدها على جسده قائلة:

- مرحبا بك، لقد عدت، وأنا لا أعرف من أين أتيت ولا أعرف إلى أين تذهب.. يبدو أنك نورٌ مشاعبٌ..

تحسّنت وجهه بأناملها.. مرت على عضلات جسده البارزة وعلى قرنيه الذهبين، وعندما نظرت إلى عيني الساحرتين، أحسّت بشيء غريب يمتلكها.  
- هيا، قل لي الآن، من أنت، وأين تخفي؟ أتعرف.. عيناك رائعتا الجمال.

كانت تشعر أنه يفهم ما تقول.

- هل ستذهب من جديد؟

أخذت ينفث أنفاسه على عنقها، ويمرر لسانه على يديها اللتان كانتا تداعبانه بحنان. دون أن تشعر، اقتربت منه أكثر وأكثر، وأخذت تتلمّس براحة يدها جسده الدافئ، وخصل شعرها الطويل تختلط بشعره الأبيض، ثم تعود لتنظر إلى عيني، وكان هناك سحراً غريباً يشدها إلى ذلك المخلوق الأسطوري..

تشم أنفاسه، فتشعر بدوارٍ يسري في عروقها، ويحملها على الاستسلام، وكأنها عبءٌ نيزد معصور من آلاف السنين.

- ما أروع رائحة أنفاسك أيها الثور.. أتناكل الحبوب والخبز والبرسيم؟ هل أنت جائع؟ سأحضر لك بعض العُشب.. لا تذهب أرجوك.

جلست أمامه على الأرض، بثوبها الأبيض الحريري.. كانت نسائم الهواء العليل تلاعب بأطرافه، وكأنه جزء من زهور الحقل. أخذت تقطف العشب الأخضر وتضعه في فمه، وكلما لمس لسانه يدها، أحسّت بقشعريرةٍ لترتجفها من قبل، ولم تستطع أن تترجمها أو أن تسيطر عليها!

- هل أعجبك العشب؟ هل تريد المزيد؟

مررت بيدها من جديد على تفاصيل جسده..

- أتعرف أنك مخلوق غريب؟! لراشاهد من قبل ثورا أبيض.

كلما عبثت يدها بمساحات الجسد، كلما تصاعدت أنفاسه، وكلما اقتربت منه أكثر وأكثر، توترت حرته، وكأنه يحسُّ بلمساتها ويتوق إلى المزيد. لرتفهم ماذا يحدث، وأي انجذابٍ شدها لهذا المخلوق.

من جديد عاد صوت الخادمة ليوفظها من أحلامها:

- أيتها الأميرة.. والدك يريدك حالاً.

- حسناً، أنا آتية إلى اللقاء أيها الساحر، أبي بانتظاري، يجب أن أذهب،

أرجوك عُد ثانية ولا تختفي من جديد.

طبعت قُبلة ناعمة على جبينه، طافت حوله كفراشة تودع رحيق الزهور وذهبت. أخذت تراقبه بطرف عينها وهو يسير إلى الشاطئ، حتى اختفى بين الأمواج.

على ذلك الشاطئ، وفي نفس المكان، كانت تنتظره يومياً، كي يأتي من البعيد.. تحلم بالجهة الأخرى من الشمس، هاربة من قيود مجتمعه الخائفة، ومن عيون المتطفلين الذين يجعلون حياتها أشبه بسجنٍ مفتوح. وكان كل مشاغل مملكة والدها وأسفاره التي كانت تواجبها بكل تفاصيلها، وانغماسها بتعليمها وثقافتها، لرتعد قادرة على أخذها من ثورها الأبيض، الذي يجتاح تفكيرها وخيالها كالرؤيا التي لا تُسن.

على الجهة الأخرى، لريكن سهلاً على زيوس أن يقع في غرامها وهو إله الإغريق الأول، إله السماء وسيد الأرباب وملكهم.. رمز القوة المتحكمة بالفصول وبالطبيعة. لريكن سهلاً عليه أن يتلبس جسده ثورا أبيض من أجلها، من أجل أن يحظى ببعض اللمسات وبعض الثشوة.. إلا أن ذلك الانجذاب

ذإن أقوى من أن يقاوم. لحظاتها الحاملة جعلته يعود إلى مملكته حزينا متفكرا  
من ددا، بين مشاعر لا يستطيع قراءتها وبين الواقع.. هو بالنسبة لها «زيوس»،  
الإله الذي تخشاه وتجلّه، ربما سترفضه إذا ما عرفت حقيقته!. وهو كيف  
سيعلن حبه لبشرية، متحدّيا قوانين مجتمع الآلهة، وكل تلك القيود والأنظمة  
التي دشنتها بنفسه، فإذا بها تحاصره؟

ماذا عن «هيرا» زوجته، تلك المتسلطة، ربة الزواج وربة الأرباب وأم  
النار وإله الحرب، الغيورة التي دمرت حبيته «أيو» الرائعة التي عشقها  
بجنون؟

«لكنني أحبها.. وحبّي لها اجتاز حدود القوانين التي أنا واضعها.. عشقي  
أقوى من أن يقبل التراجع والانزمام.. أنا الإله الأعظم أريدها وسأحصل  
عليها مهما كان الثمن».



تصاعدت نبضات قلبها من جديد، اضطرب جسدها، لم تعد قادرة على  
التنفس، تعالّى صراخ الآلات، فأسرع الفريق الطبي إليها. لكن ككل مرة، لم  
تكن إلا دقائق من التوتر، ثم عادت إلى سفرها وعالمها مستكينة.

- انهضي يا أوروبا، سوف نأخذ الأبقار إلى مصبّ النهر كي تغسل هناك،  
لقد أبلغتني مدبرة القصر أنك تريدين الذهاب معنا.

- قالت الخادمة:

- أجل، سأذهب معكم وأساعدكم، آه كم أتمنّى أن يعود ذلك الثور  
الأبيض، يا للآلهة، كم هو جميل!

وبينا كان الجميع منهمكين في العمل، لمحت شالاً أبيض بلوّح في الأفق..

- آه، إنه هو!! لقد عاد...

ركضت بسرعة، احتوته وكأنه عزيز غائب. قالت له وهي تلهث:

- ها، هذا أنت.. لقد عدت.. كم أنا سعيدة بوجودك، أتعرف؟.. لقد كنت  
أتحرق شوقاً لرؤيتك، وكأنك تحس لهفتي عليك، إنني أشتاق إليك وأحلم  
بأن تحملني يوماً ما على ظهرك وتأخذني إلى ما وراء الشمس؟ فأنا أتوق إلى  
الرحيل.. كل ما يحيط بي يقيدني.. أريد أن أدرك أسرار الكون، أريد أن أعرف  
من أنا!!

كان يستمع إليها بشغف، إنه إله السماء ومن يجعل المستحيل ممكناً، كيف  
إذا كان من يجلّم بالمستحيل هو حلم مستحيل في الأصل؟! وكيف لن يحقق ما  
تريد وهو من يتحمل كل هذا العناء من أجلها ومن أجل أن يستمتع ببعض  
الوقت معها؟

- اليوم سأهتم بك بنفسي، اغسل جسدك، أطعمك العشب، أتكلم معك  
وأخبرك بما لا أجرؤ على البوح به لأحد.. رغم صخب العالم من حولي وكل  
ما يحيط بي، أنا وحيدة.. فهل تقبل أن تكون صديقي؟ ما رأيك؟ حسناً، دعنا  
ننهي ما علينا القيام به أولاً.

أخذت ثورها الأبيض إلى النهر، خلعت رداءها ووضعت جانبا. كان ثوبها  
الداخلي الشفاف يعكس مفاتها، كتلك السحابة التي تعبر أمام نور القمر  
فتزيد من جماله وسحره، عندما نزلت إلى الماء التصق بجسدها ليظهر تفاصيل  
ذلك الجمال المثير المليء بالأسرار. كانت عينا زيوس تلتهاها وهي تملأ القرب  
بالماء لتكبهم على وبره ببطء، ثم تفركه براحتيها برفق وحنان، تحضه حيناً  
وتداعبه أحياناً كطفل صغير، أما هو فكان يستدير حولها يحاول أن يأخذ يدها  
إلى كل مكان من جسده، ينفخ ثم ينفث كحبيب جائع متعطش إلى حضن من  
يجب.

ماذا تفعل أيها الثور المشاغب، لقد جعلتني أشعر للحظات بأنني مع رجل



لست مع ثور أبيض، هيّا سوف نذهب، لقد رحل الجميع ويجب أن نلحق

٣٣

وتحت نظراته الملتهبة المتلهفة خلعت ثوبها الداخلي المبلل وارتدت الأخر  
الجفاف، ثم مشت أمامه إلى المرعى.

-والآن، سوف أطعمك العشب بيدي وستكلم.



جلستُ أمامه، نظرت إلى عينيه، ذلك الشعور الغريب عاد من جديد  
أحسّت بأنها لم تعد تقوى على الحراك وباتها مسلوّبة، فعيّناه الجميلتان كانتا  
لمنحاحانها وتحاصرا كل جزء من أجزائها على جِدة.. مرّت لحظات وهي مسمرة  
أمامه غير قادرة على الابتعاد.

- أتعرف أيها الثور؟ لو كنت رجلاً لأحيتك.. فأنت تسحرنى.. هيّا تناول  
العشب، أعتقد أنك جائع.

أخذ يلتهم العشب من بين يديها ويلتهم أصابعها معه.

- انتبه ستبلع أصابعي.. إنك توقظ مشاعري بلسانك الجائع أيها الثور  
المشاعب، تروئى قليلاً ودعني أخبرك عني، أريد أن أطلعك على كل أسرارى.  
هذّا كلامها من اشتعاله، وأثار فضوله، وراح يُنصت..

- أتعرف أيها الثور.. أحياناً أشعر بأن شيئاً غريباً سوف يحدث معي وسيغير  
مجرى حياتي.. ذلك الحلم الذي يطاردني، والذي يبلغني بأنى سوف أشاهد  
عالمًا جديدًا، وأماكن لم أرها، وسأختبر مشاعر لم يختبرها غيري ولن تكون  
حياتي كحياة سائر النساء.. أتعرف.. إنني أتوق إلى لقاء أحد ما.. أتوق إلى  
الوقوع في الحب، أعرف أنى سأختبره، ولن يكون حبيي شخصًا أو محبوبًا

عاديًا، فأنا أبحث عن رجل لا يشبه الرجال.. أنتدُّ فيلوفًا، مفكرًا، عالمًا، كاهنًا ومغامرًا.. أريد رجلاً كله المشاعر، نظرتُه ناقبةً تحتاحني كالإعصار.. تعشقني، تفهمني، وتثيرني دون أن أبذل جهدًا.. أريده كما يشعل بي نيران الحب والشوق والرغبة، أن يُشبع عقلي بالعلم ويطلقني توفيق نفسي إلى المعرفة. أريد أحدًا يشبه الإله.. أتعرف؟.. كل رجال المملكة مشابهون، فربما لن أعشق أبدًا.. أعتقد أنني لن أجد ما أبحث عنه.

قالت هذا، ولاح في عينيها مزيج غريب من المرارة والرضا في آنٍ واحد.  
- آه.. إنني سعيدة لأنك تسمعني وتمس بي، ما أروعك أيها الثور.. تصغي دون أن تلموني أو تتخف بمشاعري.. إنني لن أجرو على البوح بها لأحد، لكنك تصغي بصمتٍ دون أن تدبتي، وهذا يسعدني.

جثي على الأرض أمامها، غمرت رأسه بين يديها، أخذ ينفث أنفاسه المتصاعدة على عنقها وخصل شعرها المتطايرة، يلمس نظراته ما استطاع ويلعق بلسانه ما استطاع، بينما هي كانت تجول بيديها أبعده، إلى ما أمكنها الوصول.

- آه أيها الجميل.. أريد أن أرحل إلى البعيد، أحلم بأن أخوض عباب البحر، كي أشاهد ماذا يجيئ ذلك الغامض خلف أمواجه.. خلف هدوته وغضبه. لقد رفض أبي أن يصحبني معه، يعتقد أنني لن أتحمل عناء السفر.. إنه لا يعرفني، وكأنه ليربطني على يديه، لقد أحزنتني هذا.

لا زال يستمع إليها بشغفٍ، يلتصق بجسدها بشغفٍ، يلهث بأنفاسه على كل جزء منها بشغفٍ. وهي ملوثة الإرادة أمام حرارة مشاعره. عليه أن يختار.. أن يأخذ قراره، إما أن يأخذها معه ويفرض عليها شروط حياته، وإما أن يرحل ويقتن سجين جسد ذلك الثور الأبيض، ويرضى بما هو متاح له معها بغير مشاكل.

- أتعرف؟ لن أدعك ترحل من جديد.. ساربطك هنا كي تبقى معي.

مسكتُ ثوبها، وشقته لئن نصفين، وجذلته كالحرير.. غرست فيه الزهور،  
ثم لفته على عنقه وقرنيه، فبدأ كإكليل يتوج رأس الملك.  
.. أنت الآن لي...

فالتها وهي تنظر إلى عينيه.

إصرارها سحر.. ورغبته تعويذة الانعتاق.. ثنى ركبته الأماميتين، أحنى  
أسه وكأنه يدعوها إلى امتطائه.. وهي - من دون إرادة - سحبت نفسها فوق  
سده، إلى أن استوت على ظهره.. لفّت يد حول عنقه، وبالأخرى أمسكت  
قرنيه الذهبين، وأغمضت عينها، هامة في أذنه:

- خذني معك، أريد الرحيل، أريد أن أذهب معك حيثما شئت.

رفع جسده برفق، لا يريد أن يوقظها من انشغالها.. سار يتهدى إلى أن  
وصل إلى الشاطئ.. هي لا تعي ما يجري، تدفع جسدها من حرارة جسده،  
وتمس شعره برفق، وتحلم.

ما هي إلا دقائق، حتى أصبح الأبيض في قلب الأزرق، حاملاً فوق ظهره  
معضوقته.. ستصبح بين يديه قريباً، وسي رسم على جسدها أحلامه.. ها هي  
تعبّر معه البحر - برغبتها - إلى عالمها الجديد.

صرخت الخادعات: أوروبا.. ساعدونا.. الثور الأبيض يخطف  
ملكتنا.. ساعدونا.



نمد جسدها فجأة على السرير، وغابت أنفاسها من جديد، لولا جهاز  
التنفس الصناعي.. الفريق الطبي يتجمع مجدداً حولها، ليعجب من مفاجأتها  
المبررة.. وككل مرة، عادت لتستقر، كأن لم يكن كل هذا القلق.

رَنُّ الهاتف في مركز استعلامات قسم العناية الفائقة..

- ألو، مركز الشرطة معكم، لو سمحتِ هل هناك أية معلومات جديدة حول السيدة التي أحضروها بالأمس إلى المستشفى، هل لازالت على قيد الحياة؟

- أجل سيدي.

- وكيف وضعها الآن؟

- مستقرًّا تقريبًا، يصيها ضيق في التنفس بين الحين والآخر، وبعض الاضطرابات في نبضات القلب، ولكن مع التدخل الطبي يعود وضعها الصحي ليستقر، وإن كانت لا تزال في شبه غيبوبة. لقد أجرينا لها كل التحاليل المطلوبة، والتقارير الطبية عن وضعها الصحي أصبحت جاهزة تستطيع الاطلاع عليها متى شئت.

- هذا جيد، أرجو منكم أن تبلغونا إذا ما حدث أي طارئ.

- حاضر سيدي، سوف أدون هذا على دفتر الملاحظات.

- شكرًا لك.

لا يكن وضع أوروبا مطمئنا، ربما من الأفضل لها أن تبقي كما هي وحيث هي، لأن قسوة هذا العالم الجديد تفوق ما عاشته من صعاب.. من قال أن هذه الحياة لن تمكّنها من ذلك السلام الذي تبغيه؟!...



- أبي.. خذني معك في رحلتك القادمة، أريد أن أسافر على متن سفيتك ملك. أريد أن أزور مستعمراتنا في كل أقطار كايا.

- لا يا أوروبا، أنتِ ابنتي الوحيدة وأنا أخاف عليك.

- لقد أخبرني أخي قدموس أن السفر يُنضج الفكر وينعش الروح، وأنّ الم حال ومخالطة الحضارات الأخرى قد أغنى شخصيته وساعده على كتابة إبدعيته الجديدة، تلك الحروف الرائعة.. أريد أن أكون مثله يا أبي، أريد أن اكتشف ذاتي وهويتي في هذا العالم.

- إنّ حياة الترحال وسفر البحار صعبٌ جدًّا، وأنتِ طفلي المدللة.. لن تستطيعي صبرًا على قسوة تلك الحياة. خارج صومعتك عالم آخر يا صغيرتي، لا يتحمّل مشقته سوى الرجال.

- ومن قال هذا؟ إن روحي توفى إلى قسوة اختباراتنا كنبّة بريّة تعشق سلق الصخور، وما ذنبني أبي وُلدت امرأة؟ هل قدرني أن أحميا أسيرة أنوثتي، أن أكون تابعة لرجل يسرق حلمي ليقبله بسّم التقاليد والمجتمع، ليعتصر أحر قطرات كينونتي على مذبح رجولته، ويعود ليعود إلى نساءٍ أخريات شرب من خم أجسادهن مما فرغت منه روحي وجسدي، معه؟!!

بابتسامة يخفي بها انبهاره، رد:

- عودي يا صغيرتي إلى عالمك الجميل، فواقع الحياة شاطن صخري مدبّب

الرفوس، تتحطم عليه سفن الأحلام الجميلة بين سطوة الموج وقسوة الصخر،  
تمزق أشرعتنا لتشرها الرياح إلى البعيد، اذهبي إلى المعبد وصلّي، فأنت لا  
تعرفين ماذا تخبي لك الحياة من مفاجآت.

، إن ذلك الحلم يطاردني، هناك قدرتي، أحد ما سوف يأتي يوماً  
ويأخذني إليه، خذني معك، احمني من نفسي التواقفة إلى ركوب المستحيل، دعني  
أكتشف الكون على يديك أنت، لا تدعني فريسة للآخرين، خذني معك، فك  
قيودي قبل أن يكرها أحد ما ليقيدني بأخرى، احمني من غدي أرجوك.



اضطربت أنفاسها تريد الانعتاق.. وعلى رنين تلك الآلات من جديد،  
ركض المرضى والأطباء إليها، وبعد دقائق حرجة وعناية إلهية سكن الجسد  
وعادت الروح إلى غياها، لكن إن متى؟ هل سموت مصطحبة أسرارها  
معها؟

بعد عدة أيام، خلت حالتها من الانتكاسات، فتحت عينيها أخيراً.. جالت  
بنظرها في أرجاء الغرفة، تراقب كل ما حولها من تفاصيل..  
إنها غرفة، ولكن ما كل هذه الأشياء؟ هذه الأشرطة وهذه الأنوار، هذه  
الأقمشة وهذه الأواني؟

«أيتها الإله.. أين أنا؟ وماذا يدخلون في جسدي؟ أريد أن أذهب من هنا..»  
انتزعت أحد الأسلاك، فعلا صوت الأجهزة، فهرع الفريق المكلف  
بمتابعتها إلى الغرفة.

- آه سيدتي.. هذه مفاجأة!

حاولوا تهدئتها وابتسامات الرضا والسرور على وجوههم، بينما هي بينهم

«المطلة المدعورة.. من هم؟ ملابسهم نظيفة، ملامحهم جميلة جدًا وبشرتهم  
الناعمة، ألوان شعرهم غريبة، هل أشاهد مسرحية ما؟ أم أنا بين حراس النعيم؟  
- سيدي اهدني.. أنت بخير وأمان.. أرجوك اهدني.

لمحدث إليها الطبيب مطمئنًا إياها، وهو يلاطفها مبتسمًا، مقدّرًا لحروفها  
ملغها.

«لا أفهم ما يقولون!! ما هذه اللغة الغريبة؟ أين أنا؟».

- سيدي، هل تسمعين؟ هل تستطيعين الكلام؟

استطرد الطبيب قائلًا لفريقه:

- يجب أن نُجري لها العديد من الاختبارات الجديدة لتتأكد من سلامة  
حواسها ومن قدرتها العقلية.

«إنني خائفة.. ماذا يحدث؟! الأفضل أن ألتزم الهدوء والصمت وأن  
أسلم لما يريدونه.. أنا متعبة جدًا».

بعد جولة طويلة لفحوصات كثيرة بعددٍ من أقسام المستشفى، أعادوها  
لكن الغرفة، ثم أرسلوا جميع التقارير الصادرة إلى الطبيب. وبعد اطلاعه على  
الملفات، اتصل بالشرطة..

- ألو، مرحبًا سيدي.. معك د. كونراد.. السيدة التي أحضرتموها إلينا منذ  
عدة أيام أفاقت من الغيبوبة، لكن وضعها لا يسمح بعد بإجراء أي تحقيق.

- حسنًا، أرجو منك أن تبلغني حالما تصبح جاهزة، لا أريد أن أعرضها  
للمزيد من الضغط، لقد كان وضعها مزرئيًا، ومن المؤكد أن شفاءها سيتطلب  
بعض الوقت.

- طبعًا سيدي، سوف أبلغك في حال حدوث أي جديد.

- جيد.. سأنتظر اتصالك إذا.

أنهى الطيب الاتصال..

وفتح الملف بدق في أوراقه.

سألت الممرضة المساعدة:

- ماذا تنوي أن تفعل يا سيدي؟

- سأطلب استشارة خبير نفسي ملمّ بأمور اللغات والفلسفة والمحاضرات،

ربما يستطيع أن يكشف لنا عن شخصية هذه المرأة، وربما يساعدها على النطق

والتعلم، أعتقد أنها قادمة من بلدٍ آخر، فملاحظها غريبة بعض الشيء، وذلك

السحر الذي يغلف شخصيتها كأنها خارجة من إحدى الأساطير، إنها فعلاً

محيّرة.

ضحكت في لطف..

- وأين ستجد لها هذا العالم الفيلسوف والمفكر الذي سبقوم بكل هذه

المهات؟

رد في جدية:

- أحد أصدقائي يدرّس الموسيقى والفلسفة في جامعة المدينة، يحمل العديد

من الشهادات في علم النفس والاجتماع والمحاضرات، ويتقن فن اليوغا

والتأمل، وخبير في مجال الروحانيات والماورائيات.

هتفت:

- رائع، أعتقد أنه الشخص المناسب.

التقط الهاتف وطلب رقمه:

- ألو.. «إدي» هذا أنا «كونراد»..

- أهلاً يا صديقي، كيف أنت؟ لم أسمع منك منذ زمن.

- أنا بخير، لكن أنت تعرف.. نحن في حرب ضروس مع الوقت.



- أظن أنك سعيد بهذا، فأنت رجل المهمات المتحيلة.
- ليس بعد الآن، فأنا فعلاً أمام معضلة وأريد مساعدتك.
- أنا جاهز.. أخبرني.

- منذ ما يقارب الأسبوع، أحضرت الشرطة امرأة غريبة إلى المستشفى، بعد أن وجدوها ملقاة في الغابة وآثار التعذيب ظاهرة على جسدها وكأنها حارجة من معتقل. أتت في غيوبة، استفاقت منها بالأمس فقط، حواسها سليمة، ولكن أعتقد أنها تعاني من صدمة عصبية أو فقدان كامل للذاكرة، ردة فعلها كانت وكأنها قد جاءت من مكان لا يستخدمون فيه لغتنا ولم تصلهم به أي من معالم الحضارة. امتلكها الخوف والدهشة وهي ترى ما يحيط بها، لا تتكلم.. لا تفهم.. تراقب وتتعامل مع الأشياء ومعنا باستغرابٍ وحذرٍ تام.

قال إدي بمازحاً:

- ربما هي فعلاً مخلوق فضائي.

- أتعرف؟ لو كنت أو من بهذه الخرافات لوافقتك القول، فهي ليست من سكان الأرض، امرأة في مقتبل العمر رائعة الجمال، ساحرة وكأنها ساحرة. حتى ملابسها التي كانت ترتديها عندما عثروا عليها كانت غريبة أيضاً، بعد البحث ثبت أنها تنتمي لعصور غابرة، ما يقارب ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، لا أعرف من أين حصلت على هذه الأشياء.

- ماذا؟! هذا فعلاً مثير.

- ليست فقط مثير، بل يكاد تقودني إلى الجنون، إن بعض شظايا الأغصان التي اخترقت جسدها وعلقت على ثيابها تنتمي إلى عصور متعددة المراحل والحقب - كما أوضح تقرير المختبر - وكان هذه المرأة قد اجتازت عتبة التاريخ وحدود الزمن.

قال «إدي» باستغراب وجدية:

- مشيرٌ فعلاً، هل أستطيع أن أراها؟

- طبعاً.. أنا بحاجة إلى مساعدتك، فالدكتوراه التي حصلت عليها تدور حول الفلسفة والمحاضرات، وتلك الدورات التدريبية لأصحاب الحاجات الخاصة التي تجربها، هذا ما أعتقد أنه سيفيدنا، أعتقد أنها بحاجة إلى تعلم النطق ولغة الجسد.. ربما يمكن لهذه السيدة أن تكون اختباراً حقيقياً لكل ما جاء في رسالتك ولكل ما كتبت عنه.

- لقد أثرت فضولي، سوف أنهي محاضرات الغد وآتي إليك.

- سوف انتظرك.



بعد ظهر اليوم التالي، وصل إدي إلى المستشفى.

- إدي هاتنفر.. أوه.. أهلاً بك يا صديقي.

- أهلاً بك كونراد، لقد شغلني ما قلت كثيراً، فهل نذهب؟ أنا متحمس جداً للقاء تلك السيدة.

- أعرف أن وقتك ثمين جداً، وروحك تواقفة إلى اكتشاف المجهول، تفضل.

سارا إلى غرفتها، دخلا إلى هناك، نظرت إليها باستغراب وفي عينيها ألف سؤال.

قال طيبها كونراد:

- سيدتي، كيف أنتِ اليوم؟ معي صديق بر.. أن يتعرف عليك، سأترككم وأعود بعد قليل.

شدت أوروباً غطاء السرير على جسدها، فتحت عينيها بقلق ونظرت إلى

إدي، وفي تلك الكرات الخضراء المتوجة بألوان رمال الشاطئ آلاف الأسئلة  
المخاترة.. من هو هذا الرجل وماذا يريد؟

نظر إليها بهدوء وهو يتسم، وجهه الطفولي أعاد الطمأنينة إلى نفسها،  
وضع يده على صدره وقال:

- إدي.. .. ي.. إدي.

قال اسمه مشددًا على مخارج الحروف وعلى حركة الفم والنفثات الصوتية.  
وضع يده على الباب وقال:

- باب.. باب.

ثم وضع يده على الطاولة، وكثر ما فعل، ثم على السرير، ثم على الحائط،  
ثم وضع يده على صدره من جديد وقال «إدي» ثم وضع يده على صدرها  
وابتم لها ابتسامة مشجعة، وكأنه يسمع اسمها.

«يا إلهي! ماذا أفعل؟ يريد أن يعرف اسمي، يجب أن أتكلم».

قالت بصوت متقطع، بمخارج حروف غريبة:

- رائع.. (أشار بيده) إدي.. أوروبا.. هيأ قولي معي.. إدي.. أوروبا.

وضع يدها على صدره ولفظ اسمه، ثم وضع يدها على صدرها فقالت  
بشفة أكبر:

- رائعة يا أوروبا، اعتقد أنني ألفظ اسمك بشكلٍ صحيح.

كانت تراقبه بحذرٍ وتخوفٍ من ردة فعله على ما تقول.

قال ضاحكا:

- أوروبا.. مثل قارتنا، إنك جميلة مثلها، ربما استوحى أهلك الاسم منها،

وربما العكس.. هل أنت من هنا يا أوروبا؟

عادت لتنظر إليه باستغراب، ثم قالت في سرها:

«أنا لا أفهم ماذا تقول».

- آه أعتذر، أعتقد أنك لا تفهمين ما أقول، جيد سأذهب الآن وأعود غداً.

أشار لك نفسه وإلى الباب، وهو يتسم بفرح لما أنجز. كان يقرأها دون أن

تتكلم، وكأنه يعرف ما يدور في تفكيرها.

- إدي ذاهب...

أنفجرت شفتاها أخيراً عن ابتسامة جميلة ساحرة.

- يا إلهي! كم أنت جميلة، بل رائعة الجمال!

لوح لها يده وخرج.

«إلى اللقاء أيها الوسيم الغريب»...

ذهب مسرعاً إلى مكتب كونراد صديقه، ليخبره عن إنجاز العظیم.

سأله كونراد متلهفًا:

- ها، كيف جرت الأمور؟

- إنها حقًا حالة غريبة يا صديقي.. إنها فعلاً قادمة من زمنٍ آخر، بكل ما

فيها.. ملاحظها استغرابها، صمتها وصوتها.

- ماذا؟ هل تكلمت؟

- كلمة واحدة، أوروبا، اسمها أوروبا.

- ماذا؟ اسمها أوروبا؟!

- أجل اسمها أوروبا، تخيل حتى اسمها غريب.

- هل أنت واثق؟

- حتى الآن أنا إيدي وهي أوروبا.

- وماذا بعد؟

- لا شيء، أنا بحاجة إلى بعض الوقت، والمواد المساعدة.. كتب، خرائط، مراجع تاريخية، ألوان مكعبات، كل ما يحتاجه الطفل كي يتعلم النطق، المرأة والكتابة. سأزورها من ثلاث إلى أربع مرّات في الأسبوع، وإذا ..حتّ الظروف سأتّ أيضًا في العُطلة، فأنا متحمّس جدًّا كي أكتشف هذا المحيط المليء بالأسرار الذي اسمه.. السيدة أوروبا..

فال اسمها وعيناه تبسمان بقلبي واستغراب.

- هذا جيّد، إذا سأكلّم المرضين كي يتعاونوا معك.

- لقد أدمنى قلبي ما رأيتُ على جسدها من كدمات، إنها فعلاً بحاجة إلى المساعدة، لهذا علينا أن نكتفّ الجهود كي نصل إلى ذلك الفاعل المجرم.

- سوف أبذل قصارى جهدي، لا تقلق.



أما في تلك الغرفة، فكانت أوروبا غارقة في بحر أفكارها..

من هؤلاء؟ ماذا يريدون مني؟ أشعر بالغربة عن نفسي وعن المكان وعن هذه الأشياء التي تحيط بي.. لازلْتُ أشعر بالوهن يكبّل جسدي، تلك الألام لازالت تذكّرني بتلك الليلة المريعة. ليست ليلة واحدة، بل كانت دهرًا من الظلم.. تُرى ماذا يفعل زيوس الآن؟ هل عرف أين أنا؟ هل سيطاردني هنا أيضًا؟ آه يا أمي وإخوتي كم أنا مشتاقة إليكم.. روحي معكم.. فليحرسكم الإله.

لقد أقبل الغد.. أصبح للسيدة المجهولة اسمٌ في ملفات المستشفى. حين حضرتِ الممرضة إلى غرفتها، أزاحت الستائر، دخلَ نور الشمس ليملأ المكان بالدفء والحياة، واستيقظت على مفاجأة..

- صباح الخير سيدة أوروبا.

أشرقت على وجهها ضحكة جميلة تضاهي جمال نور الشمس..

«آه إنها تناديني باسمي، عليّ أن أتعلّم المزيد.. عليّ أن أجتهد».

عادت الممرضة تقول:

- لقد أحضرتُ لك وجبة الإفطار..

نظرتُ إلى الصينية وأخذت تفحص بعينها ما وُضِعَ عليها.

- أولاً، يجب أن تذهبي معي إلى الحمام، سأساعدك اليوم كي تأخذي حمامك

بنفك، فصحتك قد تحسنت ويجب أن تعتمدني على نفسك.

«ماذا تقول؟ أعتقد أنها تريدني أن أذهب معها.. حناً سأفعل»...

أسكت يدها وهي تبسم، فساعدتها على النهوض وسارتنا إلى الحمام..

عدلت حرارة الماء ونزعت عنها رداؤها، وضعت الكريم المنظف على شعرها

الطويل ثم غسلته جيداً، نظفت جسدها بحذرٍ كي لا تؤلمها تلك الكدمات،

رست جسدها بالماء الدافئ.. كانت أوروبا مندهشة...

«يا إلهي!.. من أين تأتي هذه المياه معتلة الحرارة؟ وأين تذهب مع كل هذه

العطور؟».

لقت جسدها بمنشفة قطنية ناعمة، تحست أوروبا ملمها محدثة نفسها:

«غريبة هذه الأقمشة!! لم أر مثلها في حياتي، رغم أنّ أبي قد جاب العالم ولم

يترك شيئاً إلا واحضره إلى فينيقيا. ربما لم نكتشف بعد.. على ما أعتقد».

جفت جسدها، عادت وألبستها روباً نظيفاً من القطن الأزرق. نظرت

« لها وهي تفحص تفاصيل المكان، لمست المرأة:

«مرأة!! كم هي صافية!.. وكم أنا جميلة.. وما هذا الكرسي هناك؟»

استدارت وأخذت تفحص المرحاض محاولةً الجلوس عليه، فهمت المرأة أنها لترتّز مرحاضاً من قبل، فقالت لها وهي تحاول أن تخفي دهشتها:

«سيدة أوروبا، إنه مرحاض.. سأريك كيف تستعملينه.. آه، من أين أتيت إنها الجميلة المكيّنة؟

شرحت لها بالإشارة كيف ولماذا تستعمله وتنظفه وكل تلك التفاصيل، ثم أعادتها إلى السرير، بعد أن بدلت العاملات الأغطية. جلست هناك أخيراً «ملكة بكل أنوثتها ورقتها، وضعت الممرضة الفطور أمامها وأرعتها كيفيت استخدام الأواني وكيف تأكل وتشرب ما يقدّم لها..

«هذا اسمه حليب، هذا شاي، عسل، زبدة مستخرجة من الحليب، سُكَّر، وهذه ملعقة نحرك ونشرب بها، هذا سكين، وهذه شوكة نحمل بها الطعام إلى أفواهنا.

«أريد أن أشكرك أيتها السيدة.. لقد وفّرت عليّ الكثير من المرحج.. شكراً لك.»

حملت أوروبا يدها وقبلتها.

«آه يا حبيبي كم أنت لطيفة وطيبة. إنك رائعة، مكيّنة أنت، كيف استطاع ذلك المجرم أن يؤذيك هكذا؟

أحست في عطفها بحنان أمها، فسقطت دموعها.. حضنتها الممرضة بلطف:

«لا تخافي يا حبيبي أنت بأمان.

«أيها الإله، أريد أن أبقي هنا.. أرجوك ساعديني.»

أخذت الممرضة جهاز التحكم المعلق بالسرير، وشرحت لها كيف تناديه  
عبره إذا ما احتاجت إليها.

لريكن صعباً عليها أن تفهم وتستوعب ما يقال، فهي الأميرة الذكية التي  
أتقنت كل العلوم من أدب وشعر وموسيقى وفلسفة وروحانيات. كل ما  
تحتاجه الآن هو أن تعرف أين هي، أين زيوس من حياتها الجديدة، أين موطنها  
وأهلها، وما تلك اللغة الغريبة التي يخاطبونها بها.

بعد الظهر، وصل البروفيسور هاتنغر إدي إلى المستشفى، وقد أحضر معه  
كتباً، أوراقاً وأقلاماً، وحاسوبه الخاص. توجه فوراً إلى غرفتها، طرق الباب،  
فتحه بحذر، أدخل رأسه قليلاً، قال وهو يتيم:

- مرحباً أوروبا.. هل أستطيع الدخول؟

ابتسمت له بلطف، فدخل. وضع ما يحمل على الطاولة، ثم وضع يده على  
صدره وقال: إدي.

فابتسم وقالت بصوت واضح:

.. ثم أشارت إليه وقالت: إدي.

ضحك بصوت عالٍ...

- جميلة، ساحرة وذكية.. سوف لن نحتاج إلى الكثير من الوقت كي  
تفصحني عن نفسك، أراهن على هذا.

رتب أغراضه على الطاولة، فتح حاسوبه وأحضر كرسيًا آخر ووضع أمام  
الطاولة، نظر إليها، وأزاح الكرسي إلى الورا قائلاً:

- هيا، تعالي واجلسي هنا.. لن تبقي بالسرير، أنتِ بخير.

أخذ يدها وساعدها على النهوض، أجلسها على الكرسي.

«كم هو لطيف.. تلك الملابس التي يرتديها جميلة ومنتقة، وهذا الشيء  
الذي يتعله في قدميه؟ إنه غريب.. حقاً غريب!



أخذت تراقبه باستغرابٍ واستحسانٍ في آنٍ واحد. إدي شخصية مميزة  
معللاً.. أربعيني، يقتحم بعض الشيب حصل شعره الكستاني الطويل  
المربوط، طويل القامة، نحيل، عيناه كعيون الأطفال، وما أعجبها كثيراً أنه  
لم يطلق العنان لشاربه ولحيته كما كان يفعل أهل مدينتها، يتكلم بهدوء، لا  
يظهر عن ملامحه أي مظاهر للعنف والسلطة.. وكأنه ملاكٌ يسير بسلام على  
الأرض.

- هيّا فلنبداً، انظري.. لقد أحضرتُ لك بعض الرسوم، هذه أنتِ أوروبا،  
وهذا أنا إدي. هذا قلم، حاولي أن تكتبي اسمك تحت صورتك.

عرضَ عليها الصور المرسومة لامرأة ورجل. كتبتَ اسمه تحت صورته  
الافتراضية وأعطاهما القلم. حملته بحذرٍ وأخذت تنفحسه.

قال:

- أظن أنكِ لم تشاهدي مثله من قبل، آه.. من أي كوكبٍ أنتِ؟

أخذهُ منها وراح يرسم الخطوط على الورق الأبيض أمامها...

قلمٌ.. هذا قلم.. هيّا ارسمي هنا ما تريدن.

أعطاهما إياه من جديد، ووضع الورقة أمامها.

قالت في سرها: «هيّا أوروبا تشجعي.. افعلي مثلها فعل، لا تتصرفي

كالمغفلة».

أخذتَ القلم بين أناملها المرتجفة وقلدته. أثار فضولها من جديد، نظرت  
إلى رأسه الأسود بتعجبٍ... ما هذا الاختراع؟! اسمه قلم!! وهذه الصفحة  
البيضاء ما هي؟! آه أين أنت يا قدموس وأين ألواحك الطينية وورق البردي  
الذي كنت تنقش عليه أبجديتك.

- أوروبا.. هذه ممحاة.. انظري..

بعد أن أخفت الممحاة كل الخطوط التي على الورق.. وضعت أوروبا يدها

على فمها، كانت تريد أن تصرخ، فضحك إدي عاليًا:

- لا، إنها ليست سحرًا، اسكيتها هيًا، وافعلي كما فعلت.

أخذتها منه، محت بخوف ما تبقى من الخطوط. أخذت القلم ورسمت خطوطًا أخرى ثم محتها وهي تضحك..

«قدموس يجب أن ترى هذا».

ضحك هو أيضًا من ردة فعلها، فهي أمامه كطفل صغير يتعلم كل شيء من جديد، أو أنه يتعلم كل شيء للمرة الأولى.. هذا السؤال الذي كان يجيره.. هل تعاني من فقدان كامل للذاكرة؟! أم أنها تزور بالصدفة هذه الحياة؟!!

- أوروبا، اكتب اسمك هنا، أو.. وهنا اكتب اسمي أنا..  
...ي.

وضع أمامها صورة السيدة ثم صورة الرجل.

«لستُ غبية.. يري. أن أكب اسمي بلفتي أنا، ولكن هل سيفهمها؟ لا يسم يجب أن يدرك أنني أفهمه»...

أخذت القلم، وكتبت بحروفها الفينيقية اسمها فوق صورة السيدة، واسمه فوق صورة الرجل. نظرت باستغراب.. الحروف غريبة ولم يشاهد مثلها من قبل، إنها تشبه الأبجدية الأولى، ولكن أين تعلمت هذا؟! أربكه ما رأي، ولكنه امتص الصلصة هدوء.

- عظيم، رائع يا أور

قال هذا بفرح، محاولاً تحفيزها كي تفصح أكثر عما عندها.

«أعتقد أن باستطاعته قراءة ما كتبت، إنه يعرف لغتي، هذا جيد»...

ابتسمت هي أيضًا والأمل يملأ قلبها.. تلك الأزمة لن تطول كثيرًا.

- سأكتب الآن على جد السيدة أسماء الأعضاء، وعليك أن تحفظهم.

سأكتب بلغتي وأنتِ بلغتكِ اتفقنا؟ يد.. قدم.. عينان..

وعندما انتهين، كتبت هي نفس الأسماء بلغتها.

- والآن.. حاولي أن تنطقي أسماء هذه الأعضاء.

بصعوبة أخذت تردّد وراءه ما كان يقوله. أعاد هذا عدة ، حتى  
لمكنت من نطقها بشكلٍ واضح.

- هذا جيّد، لقد انتهيتِ درس اليوم، سوف نكمل غداً.

ابتسمت بسرور، لقد كان راضيًا عما قامت به، وهذا ما أسعدها.

- سأترك لكِ هذه المجلات والأقلام والأوراق.

حملت تلك الأشياء ووضعها على صدره، ثم على صدرها: من إيدي لكِ  
أوروبا.

ضمتت تلك الأشياء إلى صدرها، ارتسمت على وجهها ضحكة جميلة،  
برزت أسنانها البيضاء الناصعة المنقفة، وكأنها عقدٌ جميل من اللؤلؤ.

- يا إلهي، كم أنتِ جميلة! هذه المهمة سوف تحطمني.

قال هذا وهو يضحك، أخذ الورق التي كتبت عليها الأسماء وقال:

- سأنسخ هذه الورقة وأعود بسرعة.

خرج وعاد بعد دقائق..

- تفضلي سيدتي، هذه ورقتكِ، وأنا سأحتفظ بالأخرى معي، في

القادمة سأسألكِ عن كل تلك الأسماء، ويجب أن تحفظيها.. اتفقنا؟

أخذت الورقة والإصرار يشع من عينيها.

- سوف تنهضين من جديد، ومن اعتدى عليكِ ورسّم وحشيتة على

جسدك سيدفع الثمن غالبًا.

ساعدها في الوصول إلى السرير، أعطاهها مفتاح النور، وشرح لها كيف تستعمله..

.. أدبريه هكذا، فتشعل الأنوار.. وهكذا تنطفئ.

وعندما أدار المفتاح وأنطفأ النور، خبات وجهها بغطاء السرير والخوف يمتلكها، ضحكك بتهديب كي لا يجرح مشاعرها.

«ها.. ماذا حدث؟ هذا غريب جدًا! لا يوجد زيت ولا نار ولا فتيل، فمن أين يأتي هذا النور؟ وكيف يطفئه ويشعله هكذا بيساطة وهو واقف أمامي؟ لم يتمكن زيوس يومًا - وهو إله - من فعل هذا!!».

- لا تخافي يا صغيرة، إنها كهرباء، سأخبرك عن أديسون في المرة القادمة. هيّا جربي، إنها آمنة.

استجمعت شجاعتها، وضغطت على زر التشغيل، ثم أقفله بسرعة، ثم أعادت التجربة، حتى تأكدت أن ما يحدث هو أمر طبيعي، وربما ستفهم هذه الأمور لاحقًا بشكل أفضل.

قال إدي: يجب أن أذهب، إلى اللقاء..

أشار إلى الباب.. لَوَّح لها بيده.. وخرج...

مدينة صور الحزينة انشحت بالسواد، جدادًا على غياب أميرتها. جلست «ناليفازا» وحيدة تنتظر زوجها وأولادها، تحمل أحد أثواب ابتها بين يدها، لمحتضه وتقبله.. ذلك الرداء الذي غُيِّلَ وجفَّ من دموعها عدَّة مرات منذ رحيلها.

رست السفينة على مرفأ المدينة، وترجل الملك «أخينور» وأولاده.. فدموس، سليكس، فينكس وفينوس، وأثر التعب باد على وجوههم جميعاً. لقد غادروا صور منذ مدة طويلة، فركوب البحر ليس بالأمر السهل، وعجور مجاهله لا يخلو من المتاعب.

- زوجتي الحبيبة، سعيداً أنا برؤيتك من جديد؟ أين أوروبا؟ لم تتخلف يوماً عن استقبالنا.. ولماذا تبكين؟ هل حصل لها مكروه؟

قالت بحزين:

- لقد اختطفتم، اختطفها ثورٌ أبيض وغاص بها في البحر

وهن صوتها من شدة البكاء، وصُعِقُوا من الخبر.

- أمي ماذا تقولين؟ أوروبا اختار تعد موجودة؟

- ابتي اختطفت؟ يا إلهي متى حدث هذا وأين؟.. أفي مملكتي الآمنة؟  
- لقد روت الجارية أن ثورًا أبيض ظهرَ بالقطيع منذ مدة، وكانت تهتم به  
مفرمة لشدة جماله. وفي ذلك اليوم، وبينما كانت تنظف شعره، انحنى أمامها  
فصعدت على ظهره، وبغفلة منها سار بها إلى البحر، ودخل بها إلى أعماقه.  
أخذ الملك أخينور الثوب من يدها، حضه ومسح به دموعه التي كانت  
تساقط بصمتٍ وكبرياء..

ابتي ساحيني، لقد أردتِ الذهاب معي، يوم أخبرتني عن ذلك  
الحلم الغريب الذي يخيفك، وتلك المرأة التي أخذتك بعيدًا، لرأفهم إنها رسالة  
السماء.. اعتقدت أنكِ تخطقين الأعذار كي ترافقيني. لرأشعر بخوفك ولم  
أخذك معي كي أميك.. آه ساحيني يا حبيتي.  
ردُّ قدموس:

- أبي إننا جميعًا مشولون عنها، إنها شقيقتنا الوحيدة، لقد تهاوننا نحن أيضًا  
في حمايتها.  
- لا يا قدموس، أنا الملك أخينور.. أنا سيد البحار، ملك صُور وحفيد  
الفراعة.. كيف يجرؤ على خطف ابتي؟ كيف أتحمُّ له هذه الفرصة.  
حاولت الملكة موازرتة..

- يا زوجي الحبيب، إننا لنتوان يومًا عن حمايتها، ولكن هذه مشيئة الإله.  
- يجب أن نجدها، يجب أن نجد أوروبا.  
- أنت محق يا أبي، يجب أن نبحث عنها وأن نعيدها.  
في قاعة الاجتماعات في القصر، وأمام خارطة محفورة على الحائط.. هناك  
جلس أخينور وأولاده وزوجته، يرسمون خططهم للبحث عنها.  
قال أخينور وهو يشير بيده:

- إذا اجتاز ذلك الثور البحر، فمن المُحتمَل أن يكون قد اصطحبها غربًا  
أو شمالًا أو جنوبًا. إذًا.. أنت يا كيليس ستذهب شمالًا إلى آسيا الصغرى،  
سنبحث عن شقيقتك هناك.

- مستعد يا أبي.. علاقتي بأمرء بيبيلوس، أوغاريت، أرواد، وحكّام  
الساحل الشرقي جيدة، ومن المؤكد أنهم سيساعدونني في البحث عنها.  
- سأعدّ لك إحدى سفني الخاصة، وستنطلق غدًا برعاية الإله.  
- وأنا يا أبي..

قال فينكس

- أنت يا فنكيس ستجه جنوبًا إلى مدن الساحل الجنوبي في بلاد كنعان حتى  
أمريquia. سأرسل معك رسالة إلى الفرعون الحاكم، وإلى أقارب جدتك لييا،  
في يواكبوك بمهمتك، فأوروبا ابتهم أيضًا ولن يتوانوا عن تقديم المساعدة.  
- آه يا زوجي أخينور، دعني أذهب معهم.. لن أستطيع البقاء هنا،  
فالانتظار سيلمر قلبي.. أرجوك.

تجاهل أخينور ما قالت وأكمل:

- أمّا أنت يا قلموس، فسوف تذهب غربًا إلى إقليم تراقيا (يضم شمال  
شرق اليونان، وجنوب بلغاريا، وتركيا على حدود مقدونية) والجزر المحيطة  
، وسوف تبحث عنها هناك حتى تجدها.

- مستعد أيها الملك، سوف أبذل ما بوسعي، أعدك.

- أيها الملك لمرّد على سؤالي!

«قالت تاليفازا»

- هل سأبقى وحيدة؟ هل هانت عليك دموعي على رحيل أولادي  
ورحيلك عني؟ كيف ستكونني وحيدة بين أنياب وبراثن الانتظار

قال وهو ينظر إليها بحنان:

- لن تقوي على السفر يا تاليفازا، ركوب البحر مخوف بالمخاطر.

- ولن أقوى أيضًا على الانتظار.. أرجوك.

كان ابناؤهما يراقبون، دون أن يجرؤ أحد منهم على الكلام، فالملك أخينور وحده صاحب القرار؛ ولكن دموع تليفازا أخرجت قدموس عن صمته:

- عذرا أيها الملك، لو سمحت لي أن اصطحب أمي معي في رحلتي هذه، فتكون عونًا وأنيسًا لي. فوزراؤك وفونكس هم من يديرون الحكم في غيابك، وأنت ستتابع شئون مستعمراتك وتجاركتك، وأمي سوف تموت هنا وحيدة من الحزن واليأس. وهي معي سأعتني بها وسترشدني بحكمتها، إن أن نجد أوروبا ونعود سويًا.

جلس أخينور على عرشه حزينًا متفكرًا.. ها هي عائلته تشتت، كلٌّ ذاهب إلى مصيره، لا يعرف إذا ما كانوا سيجمعوا مجددًا أم لا، وإن كانوا سيجدونها أم لا.. إنها طفلة الصغيرة التي ما زال رنين صوتها في أذنيه لريفارقه. هز رأسه مبعثًا حزنه قليلًا، تاركًا فرصة للمنطق ولصوت الضمير، بعد عدة دقائق قال:

- حنًا اذهبي مع قدموس، ربما حكمة الأخوة وعاطفة الأمومة ستقودانكما إلى مكانها.

- شكرًا لك أيها الملك، يا زوجي الحبيب لقد أنقذت حياتي من موت محتم. وأنا أشكرك أيضًا يا أبي على هذه الثقة وعلى الرعاية التي أحطت بنا بها، أمي في عهدي وفي قلبي، سأعتني بها وأصونها طوال رحلتي حتى نعود سويًا إلى هنا أنا وإخوتي، ونحتفل بلم شملنا من جديد.

- يا أولادي ويا زوجتي الحبيبة، اذهبوا في رعاية الإله.

ذهب الأمراء كي يستعدوا للرحلة الغد، أما أخينور فجلس مع زوجته يتفاسان أحزانها تلك.. سوف يمزق القدر أوصال عائلتها التي شقت ظلمات



المحيطات وغزت أقطار الأرض.. بنت المستعمرات، أرسلت واستقدمت كل ما أنبته الحقول من خيرات.. ها هم ينكرون سائر كل في اتجاه بسبب ذلك الثور اللعين..

تنهّد الملك، وأمسك يد تاليفازا فائلاً بهدوء يشبه الهزيمة:

- لا أعرف يا تاليفازا كيف أواسيك وأنا أحترق باللف نار ونار؟ إنها فرحة حياتي والروح التي أنتفس من خلالها. لا أقوى على النظر إلى أي مكان في المملكة دون أن أرى وجهها وأسمع صدى ضحكاتها، صوتها وغنائها.. دون أن أشم عطرها، إنها ليست روحي فقط بل هي روح مدبتنا أيضاً. كيف سأعتاد غيابها وأنا الذي أعود من أسفاري لأراها.

بكت بحرقه وهي ترى دموع الملك العظيم تتساقط كحبات ثلج على قمم الجبال الشاخنة:

- وأنا أيضاً لا أعرف كيف أواسيك. أنا من حملتها في أحشائي ورعيت طفولتها، لم تغب يوماً عن ناظري. لا أستطيع أن أتصور أنها وحيدة في مكان ما في هذا العالم، تحتاجني، وأنا أعيش هنا بسلام دون أن أحتضنها وأخفف عنها، إن رحيلها يدميني.

ألقت برأسها على ركبتيه واستغرقت سوياً في البكاء...

- لا تخافي، إنها أوروبا.. تلك الأميرة العظيمة، سوف تكافح وتصر إلى أن جددها ونعيدها إلى مملكتها وإلى قلوب من تحب، إلى فينقيا مدينتها.

دخل إدي إلى مكتبه.. أخرج بعض المراجع التاريخية وبدأ يحثه. رغم قدرته الفائقة على فصل الأمور بشكل رائع دون أي تشويش، لكن بعد أن عايش تلك القصة الغريبة، أصبحت هذه التفاصيل الغامضة تطارده كحلم غريب يحاول جاهداً أن يجلّ لغزها، ربما لأنه يواجه ولأول مرّة واقعاً كان لا يعترف بوجوده إلا في كتب التاريخ وبعض الأساطير. هل ما قرأه عن سفر الروح والتقمص صحيح؟ من خلال التأمل والصلاة تستطيع الأرواح أن تطوف خارج الجسد للمحطات، ولكن هل يستطيع أن يخرج الإنسان بجسده أيضاً من عالم إلى عالم آخر؟

فتح كتاباً ضخماً، فيه رسوم للأبجديات منذ بداية التاريخ إلى عصرنا الحالي، وأخذ يقارنها بما كتبت..

مثيرٌ جداً، كيف تطورت هذه الأشكال والرسوم لتصبح همزة وصل بين البشر؟! عظيم هذا الإنسان، يحب نفسه مخلداً.. يعمل ويكافح ويطور، معتقداً أنه سيحصد يوماً ما قد زرع، فيحصده الموت ويصبح ذكرى، ولا ييقن من سوى ما صنعت يده، رَيا كان أم شراً.. لا بد لي أن أشكر ك يا أوروبا.. لقد مررتُ على هذا الموضوع في دراستي للحضارات مرور الكرام، لا بد أن

أمد النظر فيها قرأت. يجب أن أكشف ذلك السر الكامن وراءك أيتها الغربية  
ساحرة.

ثان البحث في تلك المعاجم صعباً جداً، فليس لديه أي دليل تاريخي يأخذه  
إن حفة ما.. لا، هذا مضيعة للوقت، يجب أن أصل أولاً لك تاريخ هذه اللغة  
سائها، ثم أعود لأبحث في جذورها.

عاد وفتح حاسوبه. كتب: صور للأبجديات منذ بدء التاريخ.  
دخل إلى الموسوعة العلمية، ظهرت أمامه جداول تلك الأبجديات  
اله نيب وكل منها مع تاريخ ومكان نشأتها.

عظيم، هذه هي الأبجدية الأولى التي تمكّن العلماء من حل شفرتها (الكتابة  
المسارية ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد)، ظهرت في بلاد ما بين النهرين.. لا ليست  
به أكيد، إنها مجرد رموز مسارية حُفرت على الواح من الطين.

فتح الجدول الثاني..

(الكتابة الميروغليفية المصرية القديمة، وقد تزامنت مع ظهور الكتابة  
المسارية، واستعملها سكان وادي النيل)، هذه اللغة بعيدة أيضاً عما كتبه،  
بهذه تعتمد في تعبيرها على الصور.

فتح صفحة جديدة.. (أبجدية أوغاريت استعملت منذ حوالي ١٥٠٠ سنة  
قبل الميلاد، اكتشفت في الساحل السوري في أرواد..) رتبها هذه هي الأقرب،  
لكن نقوشها غير واضحة، سادخل هذه الأخيرة، الأبجدية الفينيقية  
، أنفحصها.

وبعد أن قرأ ما قرأ، وصل إلى جدول الحروف، صُعب من قول المفاجأة..  
ماذا؟ ما كتبه أوروبا كان باللغة الفينيقية القديمة؟! لا.. لا أصدق، من أين  
أنت بهذه اللغة؟ وهل مازالت تستخدم حتى عصرنا هذا؟ لا أعتقد، فاللغة  
الفينيقية هي أساس كل لغات العالم الحديث، لم تنقرض بل تطورت. ومن

يستعملها يجب أن يكون قد طورها أسوةً بباقي الحضارات التي تبنتها.. لا، أوروبا هذه ستقودني إلى الجنون.. لن أدخل مراجعي، لن أقرأ أي شيء، سأتصل بصديقي «البروفيسور» كوينز أستاذ التاريخ والتقيب في جامعة المدينة. فهذا اللغز بحاجة إلى مجموعة خبراء كي يتمكنوا من حل أسرارهم.. كم الساعة الآن؟ أوه الوقت متأخر، لكن لا يهم..

راح يستجمع أفكاره بانتظار أن يرفع صديقه كوينز سماعة الهاتف:

- ألو.. صديقي العزيز، أنا إدي هاتنغر، كيف حالك؟

- أهلاً.. أنا بخير، سررتُ بسماع صوتك، أخبرني عنك؟

- ترددت كثيراً قبل أن أتصل، خاصةً الآن، فالوقت متأخر ولا أريد أن أسبب لك إزعاجاً.

- لا عليك، ففي ظل مشاغل النهار بات الليل خليلي الوحيد الذي أهرب إليه من رتابة العمل، ويسعدني أن أحظى فيه برفقتك.

- شكراً لك، وهذا يسعدني أيضاً، لقد خفف إطراؤك هذا من إحراجي. فإنا أبحث عن مساعدة ضمن مجال تخصصك، فهل لديك الوقت الكافي؟ أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة!

- بكل سرور، فلا يأخذنا من واقع العمل إلا العمل، هيّا قل لي ما المعقد لديك؟

- سؤالي بالتحديد حول الأبجديات القديمة. لقد وصل ليدي نص حديث الكتابة، مدون باللغة الفينيقية، فهل يُعقل أن يكون هناك شعوب على الكرة الأرضية ما زالت تستخدم هذه الأبجدية؟

- لا أعتقد يا صديقي، فالأبجدية الفينيقية ليست وليدة عصرها؛ لقد أخذت من سلسلة لغات أخرى.. جزء منها طور من الكتابة المسارية وأبجدية أوغاريت، وجزء آخر من الهيروغليفية المصرية التي انشقت منها الكتابة

الامية الخطية التي استعملوها بالمراسلات، والريموطيقية وهي اللغة  
الامة التي استعملها عامة الشعب هناك. من هذا الخليط وضع الفنيقيون  
لغتهم الجديدة لكي تكتمل ونصل إلى ما وصلت إليه الآن. هل الوثيقة  
في معك تحتوي على أي رسوم؟

- بالحقيقة، إنها ليست رسوم، إنها تشبه أبجديتنا الحالية إلى حد بعيد.

- لا أستطيع أن أجزم، لكن أعتقد أنها فينيقية كما تقول.

- ولكن السؤال من بين الشعوب الحديثة ما زال يستعمل هذه الأبجدية

أه هذه اللغة؟

- ربما هناك خطأ ما بتقدير عُمر المخطوطة أو في تحديد تاريخ كتابتها؟

الامة الفينيقية مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً، والحرفين الأخيرين أضافهما  
الها الإغريق بعد أن بنوها كلفة لهم.

- إن تاريخها سليم، لقد كُتبت ألمي منذ ساعات، ولكن من كتبها ربما هو

التر لعالمنا من تلك العصور.

قال هذا وهو يضحك.

- ما الأمر إدي؟ هل هناك لغزٌ ما تخفيه عني؟

- لن أطيل عليك الحديث الآن. دعنا نلتقي وسأخبرك بأغرب قصة

سمعتها في حياتك.

- أثرت فضولي يا صديقي.

- أثرتُ فضولك!! أما فضولي أنا فسيقتلني.. إدي الذي لا يعكّر صفوه أي

من أمور الدنيا، يقف الآن مُرتبكاً أمام قضية لا يعرف كيف بمسك بخيوطها.

- إذاً، دعنا نلتقي بأقرب وقت ممكن، عادةً بعد الساعة السادسة مساءً أكون

أه بيتي الصغير على مدخل المدينة الغربي. أنت تعرف المكان أليس كذلك؟

- أجل، سوف أتصل بك قبل حضوري.

- يسعدني أن ألتقي بك إيدي، تصبح على خير.

أغلق الهاتف، أطفأ الحاسوب، رتب أوراقه وأعاد المراجع إلى المكتبة.

لا، لن أفكر في هذا الموضوع أكثر، سأستحم وأستريح قليلاً في غرفة اليوغا، فأنا بحاجة إلى بعض السلام والاسترخاء كي أواجه مفاجآت السيدة أوروبا بهدوء وتأن.

مرّت الممرضة بأناملها على جبينها وشعرها برفق..  
 - أوروبا، استيقظي أيتها الأميرة الجميلة، فشمس الربيع تملأ المكان.  
 فتحت عينيها وهي تبسم:  
 «وأخيراً أشعر بالاستقرار والأمان».

جلست في السرير ونظرت حولها، لقد اعتادت هذا المحيط الجديد، رغم  
 وجود العديد من الأشياء الغريبة التي تثير دهشتها، لكن الوقت سوف يبذّر  
 كل تلك الشاؤلات.

- صغيرتي، لقد أحضرتُ لك بعض الأشياء التي ستحتاجين إليها في  
 مبانك الجديدة.. أووه نسيت، فأنت لا تفهمين ما أقول، حسناً سأشرح لك.  
 حملت الحقيبة وأفرغت محتواها على السرير..

- انظري.. هذه الأشياء لك، هذه ملابس داخلية ملونة من القطن، هذه  
 بحامة وجوارب، حذاء رياضي، وآخر ترنديته في الغرفة، سروال، قميص،  
 معطف وفرشاة للشعر تسرحين بها شعرك الجميل، فرشاة أسنان ومعجون  
 دمي لتنظفي أسنانك به.

شرحت لها بالتفصيل وبالإشارة كيفية ولزوم استعمالها، كي تتأقلم مع متطلبات حياتها الجديدة، بينما تنظر أوروبا إلى تلك الأشياء بدهشة، وتفحصها. ضمتها إلى صدرها، ونظرت إلى الممرضة نظرة تامل وهي تشير إلى تلك الأشياء ثم إلى نفسها.

- نعم إننا لك، هذه أشياءك أوروبا، وسأعلمك كيف تستعملينها.

نظرت إلى الممرضة والدموع تملأ عينيها.

- صغيرتي لا تتأثري، فابتي قد رحلت، سافرت بعيدًا وانقطعت أخبارها وأنا أفتقدتها. عندما أراك أشعر أنها أمامي، ربما هي في مكان ما بحاجة لمساعدة، عسى الله يعتني بها ويرافقها.

أحسّت أنها تفهمها..

«سكينة هذه المرأة، يبدو أن ظروفها صعبة. كم أتمنى لو أستطيع أن أخفف عنها».

- أنا اسمي إيفا، هيّا قولي معي...

أعادت اسمها ببطء وهي تضع يدها على صدرها، فهمت أوروبا أن هذا اسمها، وأنها تريد أن تسمعه منها، استجمعت قواها وقالت:

- إيفا..

ضحكت برورٍ قائلة:

- أووه.. عظيم أنتِ تتعلمين بسرعة، هيّا تعالي معي كي تستحمي، وأريك كيف تستعملين هذه الأشياء.

بعد ما يقارب الساعة، خرجت من الحمام بزّيها الجديد، إنسانة جديدة.. تلك البيجامة المخملية البنفسجية اللون، وذلك الحذاء الزهري سكبًا على جمالها سحرًا جديدًا، وأبرزًا جمال قوامها. قادتها إيفا إلى المرأة، كي تشاهد نفسها وتحكم على هذا التغيير.



.انظري، تبدين رائعة.

«من هذه؟ هذه أنا.. أكيد هذه أنا.. وهذه الأشياء التي أرتديها.. كم أبدو جميلة! إنها تلتصق بجسدي كجلدي.. غريبة، لكنها جميلة.. أبدو كمن وصل لده من عالم الغيب».

ذهبت إيفال لتكمل عملها، أما هي فشدها نور الشمس الذي يفتح الغرفة . . . بل لك النافذة. وقفت هناك تنظر وتأمل تلك الطبيعة الرائعة الخلابة.

«ياها الإله أين أنا؟ ما اسم هذه الأرض؟ وأين تقع؟ هل هذه هي مساكن الأرواح الطاهرة التي تحدثت عنها الأساطير؟ أريد أن أتألف مع هذا العالم الجديد.. أريد أن أبقى هنا، ولكن هل ستركني الماضي أقرر مصري، أم طاردني حتى أعود؟!».

أبفظها طرقت خفيف على الباب من أحلام بفظتها. التفتت للخلف، وإذا إيدي يدخل عليها.

نظر إليها بتعجب، فهي تبدو غريبة بتلك الملابس..

- مرحباً أوروبا، اليوم عطلة، وليس هناك ما أفعله، فقررت أن أمضيه هك. لقد أحضرت الأوراق، وسوف نستفيد من كل دقيقة كي نتعلم المزيد.  
«رائع.. أحضرت تلك الأوراق معه، سوف نتعلم شيئاً من جديد، كم أنا مبهدة!».

ابسمت له وعلامات الرضا والحماسة تدعوه إلى بذل قصارى جهده من أجلها.

- تبدين رائعة! جميل جداً. أنك لا تفهمين ما أقول، سأغزل بجمالك كما يد ويدون إحراج.

لكنها كانت تحس ما يقول بمشاعر المرأة المرهفة وبذكااتها الفائق..  
- لن ندرس بالغرفة، سوف نذهب إلى الحديقة.

أشار بيده إلى الخارج، فهمت ما يريد، هي أيضا تتوق إلى اكتشاف العاء خلف تلك الجدران.

كانت حالتها الصحية تسير في تحسّن دائم، باستثناء تلك الكدمات التي ما زالت ظاهرة وتُسبب لها الألم بين الحين والآخر. ما تعانیه جعله يبذل قصارى جهده كي تستعيد قواها وتخرج إلى المجتمع إنسانة جديدة، قوية لا يستطيع أحد إذانها من جديد.

البها معطفا، راقبه وهو يغلق السحاب والأزرار وشريط الخذاء، بعدها حمل الأوراق، وخرجا إلى مقهى المستشفى. على طاولة تحت ظل شجرة كانت تحضر للاحتفال بفصل الربيع، وقد تحدّثت زهورها البيضاء صقيع الشتاء، لتكتمل ما كُتِب لها في دورة الحياة، جلسا يدرسان.

أحضر النادل لها عصير البرتقال، بعد أن طلب منه إدي هذا.

- هذا عصير برتقال .. ل ..

«إنه عصير البرتقال، من أين حصلوا عليه؟ من صور أم من صيدون؟  
بلادي مليئة بساتين البرتقال.»

حملت الكوب، رشفت قليلاً منه، تذوّقت بحذر، ثم عادت وشربت حتى ارتوت. نظرت إليه بسروير، لكن بعدم رضا، فبرتقال صور مذاقه أفضل بكثير.  
ابتسم قائلاً:

- حسناً، دعينا نبدأ حيث توقعنا.

فتح الورقة ووضعها أمامها، فأخذت تعيد تلك الأسماء عن ظهر قلب وبلغظ واضح، لقد أذهله كيف استطاعت أن تتعلم كل هذا من المرّة الأولى.  
أنت القراءة وقالت وهي تشير إلى الكوب:

- كوب .. عصير برتقال .. شكراً إدي.

- إنك تشيرين جنوني .. كم أنت رائعة! هيّا ذاً لناخذ درساً جديداً.

أخرج مكعباتٍ ملونة مرقمة، ذات أشكال وألوان مختلفة، فأخذت تكتب  
ساعاتها بلفتها وتسجلها في ذاكرتها، وكأنها حاسوب آلي، ثم تعيدها بإتقان  
!! ملل، تسأل، تحفظها وتتعلمها، إنها ابنة فينقيا بلاد الحرف والحضارة!!  
- أنتِ فائقة الذكاء، من أين أتيتِ؟ سوف أعرف قريبًا، سوف لن أياس،  
- أصل إلى تاريخك.

بعد عدة ساعات جمَعَ الأوراق، بينما كانت نظراتها ترجوه أن يكمل.  
- لا، هذا يكفي لليوم، أنتِ ما زلتِ متعبة، ويجب أن تُكْملي فترة نقاهتكِ.  
المكان هنا أصبح باردًا، وأنا أخافُ عليكِ.

«أنا لا أفهمك!! أريد أن أتعلم لغتك هذه، أريد أن أتحدّث إليك».  
كما التعامل مع الأطفال، نحدثهم رغم جهلهم لما نقول، لكن مع الوقت  
، اعم قد أتقنوا فن الكلام، أسلوبه هذا كان يشجعها ويحثها على تحدي قدراتها  
، خرجها من صمتها. أعادها إلى الغرفة، ودّعها وذهبَ إلى كونراد.

- أهلاً بك صديقي، أخبرني كيف تسير الأمور؟  
- بشكلٍ مدهش، أريد التأكد من بعض المعلومات، بعدها أضع بين يديك  
ال التفاصيل التي حصلت عليها.  
- جيد، وكيف أساعدك.

- أريد نسخة من التقارير، وأريد أن ألتقط بعض الصور للأشياء والملابس  
نبي وُجِدت مع أوروبا.  
- بكل سرور تفضّل معي.

في غرفة الأمانات.. صُغق إيدي مما رأيت عندما فتح الصندوق..  
- يا إلهي! ما هذه الأشياء، إنها ملابس ملكية، وهذه القلادة والحذاء.. شيء  
لا يُصدّق.

- أرقأقل لك يا صديقي، نحن أمام لغز محير؟ وتلك المرأة أغرب من هذه الأشياء.

- سألتقط بعض الصور وأعرضها على بروفيسور متخصص بعلوم التاريخ والأثار.

- كما تريد، أنا أثق بك، لكن كُن حذرًا، فتلك المرأة مسئولتي ولا أريد أن يصيبها أذى.

- لا تقلق، أنا أحرص كل الحرص على سلامتها.

بعد أن انتهت، ذهب مسرعًا والفضول يقتله، يريد أن يكتشف الحقيقة. وصل إلى منزل كوينز، حيث جلسا بالبهو بعد تبادل التحية.

- شكرًا لك بروفيسور على هذا الموعد السريع.

- لا عليك، فأنا متفرغ لك تمامًا، وقد أحضرتُ بعض المراجع التي من الممكن أن تفيدنا في بحثنا هذا، وفي جذور تلك القصة التي لم تجربني عنها سوى القليل.

قصّ عليه قصتها الغريبة، وأكمل وهو يقدم له الملف:

- هذه تقارير المختبر، وصور الموجودات بين يديك.

- غريب فعلاً!

- سأكمل لك أغرب ما في القصة.. بعد أن تعرّفت على الأقلام والأوراق استطعتُ أن أجعلها تكتب بعض الكلمات، كانت المفاجأة.. أن ما كتبه كان باللغة الفينيقية.

حمل كوينز الصور والأوراق ونظرها إليها مليًا..

- إنه فعلاً الطراز اليوناني القديم، غريب جدًا، ومن أين حصلت على هذه الأشياء؟ أيعقل أن تكون قد سرقتهم من أحد المتاحف؟

- لو سلّمنا جدلاً بهذا، فإن أين أنت بهذه اللغة وأين تعلّمتها؟

نظر من جديد إلى الورقة التي كتبت عليها..

- إنها فعلاً أحرف فينيقية بالتأكيد، وأنا متأكد أنه ليس هناك أحد على الكرة

الأرضية يستعمل هذه اللغة في أيامنا هذه.

ثم قال باستغراب:

- هل تظن أن هذه السيدة تعيش حالة تناسخ أو تقمص روحي؟

- أنت تعرف سيد كونز أنني أنتمي إلى معتقد ديني روحي يؤمن بالتقمص

، التناسخ، وانتقال الأرواح، ولنا الوحيدين، فمعظم الحضارات القديمة

الحضارة الفرعونية واليونانية والهندوسية جزء من عبادتهم مبني على فكرة

القمص. لقد كتب أرسطو عن التناسخ وأفلوطين المصري مؤسس مذهب

مادة العقل والنفس الكلّين. بالإضافة إلى ديانات أخرى تنفرع من الإسلام،

أماهم هذا أساس في عبادتهم، حتى بعض الاختبارات التي تقصّي عمل

الروح في العصر الحديث رصدت بعض الوقائع لبعض الحالات عندما دخلوا

أسماء الروح وأسفارها من خلال التأمل والتنويم المغناطيسي.. فربما يكون

الاحتمال وارد بين عدّة احتمالات.

- أنتستطيع أن تتأكد ببعض الاختبارات عن طريق التأمل؟

- مشكلتي الآن في تعليمها اللغة، فبعد أن أجد سيلاً للتواصل معها،

وف أجد أجوبة على أسئلتى الكثيرة.

- السؤال الأهم.. من أين حصلت هذه السيدة على هذه الآثار النادرة، لقد

أُتب في التقرير أنها تعود إلى حقبة القرن الثاني عشر ق.م.

- ربما اختطفت كي تقدّم ضحية لإله ما، نحن نسمع كل يوم العديد من

القصص عن تلك العبادات الخرافية للشيطان والآلهة المجهولة.

- احتمال آخر.. فأنا لا أستطيع أن أسبعد أي فكرة، لكن عندما ستعرف

على هذه السيدة ربّما ستغير رأيك، هي شخصية خرافية فعلاً وكانها قد خرجت من كُتب الأساطير، حتى اسمها غريب «أوروبا».

- ماذا؟ اسمها أوروبا؟! وتكتب اللغة الفينيقية؟

حمل الصور من جديد، تفحص التقارير، تغيرت ملامحه وبدا عليه الارتباك.

- ماذا؟ هل اكتفت شيئاً ما؟

- لستُ واثقاً، ولكن أعتقد أنها تحمل شيئاً ما من قصة أوروبا ابنة أخينور ملك صور. تلك الأميرة التي اختطفها زيوس إله السماء وأعطى اسمها بعد أن أصبحت ملكة لهذه القارة التي نعيش عليها الآن.

ساد الصمتُ قليلاً.. ثم ضحك إدي مستبعداً هذه الفكرة من مخيلته:

- تخيل أنها قد دخلت الأسطورة وتعمقت بها إلى أن تلبست شخصية الملكة أوروبا.

- أنا لا أتخيل، إن الصورة التي على الفلادة هي صورة زيوس.. انظر..

حدّق إدي بصورة الفلادة ملياً وقال بقلق:

- إضافة جديدة في أبحاثي، ودخول جديد إلى متاهة جديدة.

- أنت تملك الآن مفتاحاً جديداً، بين التناسخ واقتباس الشخصية والبحر والأسطورة، عليك أن تختار الباب الصحيح الذي ستدخل منه إلى المجد والشهرة والأسرار.

- أنت مُحق. أملك مفتاحاً جديداً وسأحاول أن أخترق به باب الحقيقة.



في المستشفى، في تلك الغرفة.. جلست أوروبا في سريرها تفحص  
الأميلات التي تركها لها إدي..

«هذا العالم يشبه حلم لا يتمي لك الواقع، ربما هو سحر ما من أفعال  
م..، أو أنه النعيم مسكن الأرواح المقدسة! رجال وُسَمَاء، ونساء جميلات،  
الاطفال يشبهون حُرَّاس إله النعيم.. كم أحتاجك يا أمي، أريد أن أرتقي على  
صدرك كي أنعم ببعض الدفاء وأغلق باب أفكارني كي تسكن روحي من  
١٠.بد. أريد أن أمسك يدك وأسير حيث تريدني، دون أن أفكر أين سأضع  
١١.مي.. وأنت معي، لا يوجد مكان للخوف.. أشتاق إليك، فهذه الجنة دونك  
١٢.شي.. أنا أشعر بقلقك وخوفك عليّ، وأشعر بقوتك تزيدني قوّة، فهل  
١٣.يت قدرني أم أن القدر قد اختارني لصير ما؟».

نفلرت إلى السماء من خلال النافذة، وصرخت بصوت عال:

«أمي... أنا هنا.. ساعيني أنت وأبي.. ساعوني على رحيلي، ولا تقلقوا  
هل.. لا تلعنوني، فوف أعود.»

فتحت ناليفازا عينيها ونضت من السرير مذعورة...

- ما بك يا أمي؟ هل أنت بخير؟

- أجل يا قدموس أنا بخير، لا تقلق يا ولدي.

- منذ أن أبحرنا وأنا أشعر أنك لست على ما يرام.

- آه يا ولدي، إنها رحلتي الأولى خارج مملكتي.

- أجل، أفهمك، فركوب البحر ليس بالأمر السهل، ولكنك سوف

تعتادين.

- سأعتاد على الترحال؟ ربما.. ولكنني لن أعتاد على غياب أختك، سمعتُ

صوتها يناديني.

- خففي عنك يا أمّاه.. ها نحنُ قد انطلقنا في رحلتنا للبحث عنها،

وسنجدها.. سيأخذنا الإله إليها.. ثقي بقدرته ومحبه لك ولنا جميعًا.

- وهذا الدوار الذي يعتريني يشعرني بالإعياء، أخاف أن أمرض، أن أكون

عبثًا عليك. أريد أن أساعدك لا أن أعيقك.

.. إنه دوار البحر، وسوف يزول تدريجيًا.



- لا اعتقد اني سأناقلهم مع هذا الخوف، فعندما تتأرجح السفينة يميناً  
وساراً، أشعر ان قلبي قد غاص في أعماق المحيط، وعندما أنظر حولنا ولا  
ارئي سوى الظلام الحالك، أحسُّ نفسي في سراديب الموت، وأتساءل في سري  
كيف استطاع والدك أن يكتشف كل هذه البحار وأن يمضي سنينه متنقلاً بين  
صخب الأمواج وهدوئها! كيف وجدَّ الطريق إلى مستعمراته وسط العواصف  
وغيض الطبيعة؟ إنكم فعلاً أحفاد الإله، لا أعرف إذا ما كنت قادرة على  
الصمود، فأنا لست مثلكم.

- أمّا إله، أنتي تاليفازا ابنة نيلون إله النيل، من أعطانا الحياة والقوة.

- حَرَ سَكَ الإله، فأنت ستبني مجد مملكتنا، تلك الأبجدية التي صاغها  
وطورها ففكرك بفيض من الإله، أنا فخورة بك حقاً.

- أشعر بأنني مطالب ولست مبتكراً. هناك مسئولية تقع على عاتقي،  
مسئولية نشر العلم، فما وهبني إياه الإله ليس ملكي وحدي، وكل هذه  
الحضارات، تاريخنا وأجدادنا سيموتون معنا إن لم نجد سيلاً لحمله لأجيالنا  
القادمة.. بدون كلمة، كيف ستفتخر تلك الأجيال بإنجازاتنا؟ إننا نزور بلاداً  
كثيرة، أراضٍ شاسعة.. يوماً ما ستعمر سلاله البشر كل تلك الأماكن.. بدون  
حرف، لن يتعلموا فلسفة وعلوم من سبقهم ولن يتطوروا، وسيستمر  
بعضهم البعض ويعودون مع مرور الزمن إلى بدائيتهم، معرضين للزوال  
والانقراض. أتعرفين يا أمي، تلك القدرة التي مكنتني من اكتشاف أسرار  
ورموز الأبجديات السابقة، وقدرة الإنسان على نطقها، جعلتني أنكبُّ على  
حثي في هذه المجاهل، إلى أن وصلت إلى أفضل وأسهل أسلوب للتعبير يقربنا  
لبعضنا البعض كبشر أنعم الإله عليهم بهذه الميزة عن سائر المخلوقات.

ابتسمت الأم في حنوٍ وفخر، وربت على كتفه القوي بكفها الصغير..

- حماك الإله يا حفيد الإله.

حسه تفاعلها، فأكمل:

- سوف لن أبحث فقط عن أوروبا، بل سأعلم الحرف أيضاً، هذه الألفاظ الموسيقية الجميلة سأنشرها بين كل شعوب المعمورة.. سأحو ظلام الجهل، وسأكتب تاريخ العالم الجديد. سأكتب تاريخ كايا لتبقى حية إلى الأبد.

اسم أوروبا أعادها إلى حزنها، فسألته في وهن:

- وابن ستكون محطتنا الأولى؟

- ستجبه إلى جزيرة كريت أولاً، ثم إلى رودوس، وبعدها إلى إقليم تراقيا.

أتمنى أن نجدها على الجزيرة، فأبي يعتقد أن الثور قد اصطحبها إلى هناك.

- ستكون رحلة طويلة.

- أجل يا أمي، ولكن لا تقلقي، فمعنا في هذا الأسطول الكثير من المؤن،

ملا والذي سفتنا بالضائع التي تاجر فيها سابقاً في بلاد الإغريق، كالبهارات

والعطور والصيغ الأرجواني والزجاج والأواني الفخارية، فهو يريدنا أن

نوطد علاقتنا بشعوب المنطقة، وأن نكتشف أسواقاً جديدة، فهذا سيأعدنا

في البحث عنها.. بفضل هذه التجارة سنجد بينهم من يسهل علينا مهمتنا.

- أتمنى أن يرافقنا الإله، وأن يسكن هذا الأزرق العملاق المتمرد رحمة بنا

وبفتنا.

- لا تخافي يا ابنة النيل، فبحارة فينيقيا رجال أشداء، شربوا ماء البحر منذ

طفولتهم، وأنقوا فنون الإبحار، ورفعوا أشرعتهم في كل محيطات الكون.

- لقد أشعرتني كلامك هذا بالاطمئنان، سأحاول أن أنام قليلاً قبل بزوغ

الفجر، علّ هذا يسرق مني قلقي على والدك وإخوتك وعلى أوروبا الغالية.

جلس قدموس حتى غفت ناليفازا، ثم خرج إلى سطح السفينة يتفقد

أشرعها وساريها، يراقب النجوم ويدير دفته حيث تأمره، ويصدر أوامره إلى

بحارته أبناء فينيقيا الأشداء.

«باقي أماننا يومان ونصل إلى كريت، قبل أن نقرب من هناك سنرسل  
بعثة الاستكشاف كي نطمئن أن تلك الشواطئ آمنة، ولكي يجدوا لنا مرسى  
مناسباً لفتنا هذه».

وجوده كان يحفزها ويجعلها تبذل قصارى جهدها كي تتعلم تلك اللغة..  
 لربكن أمامها وقتٌ للاستراحة والتخلص من تلك المسؤوليات، فلن تعيش  
 صمًا بكفاء في عالم ناطق متطور، لرتولد لهذا.

كانت إيفا تواكبها دائنًا وتمضي معها كل أوقات فراغها، تساعدها في تعلم  
 اللغة، تدرّبها على كل ما تحتاج إليه من مهارات للتعامل مع محيطها الجديد،  
 إتها الآن صديقتان. أما باقي العاملين هناك فكانوا يرعونها بحُبِّ وكأنها فردٌ  
 من أسرهم؛ يحضرون لها الهدايا، يصطحبونها إلى الحديقة ومقهى المستشفى.  
 تلك الأجواء المفعمة بالمحبة كالأرض العذراء التي زرعت فيها بذرة غريبة،  
 جعلتها تقبل محيطها، تكسر قشورها وتنمو نحو نور الشمس دون خوف أو  
 تردد، فهذه الربوع ستكون موطنها الجديد.

وصل إدي.. كل يوم يأتي باكراً عن اليوم الذي سبقه، كم هو رائع!!

- مرحبًا جميلتي، كيف أنتِ اليوم يا تلميذتي المجتهدة؟

- بخير.. شكرًا.

- لقد أحضرت لك بعض الصور الجميلة من حول العالم.

فتح حاسوبه، ثم فتح ملفاً خاصاً جمع فيه العديد من الصور عن مدينة صور، وصورًا أخرى من فينيقيا التي هي جزء من دولة لبنان في عصرنا هذا. إنه أن يتأكد من بعض الأمور التي تقلقه، لقد انتظر طويلاً حتى تمكنت نوعاً ما من الكلام، وتبلور وضعها الصحي والنفسي.

- انظري هذه الصور، إنها من بلد اسمه لبنان. من هنا، من هذا المفتاح -..طيعين أن تتقلي من صورة إلى أخرى.

الصورة الأولى: شاطئ صور.

حدثت فيها جيداً، انتقلت إلى الثانية، صورة أخرى للشاطئ.. وضعت «ها على شاشة الحاسوب وأخذت تحس السماء والرمال الذهبية والأمواج. مغطت إيدي على التالية، زادت تلك الدهشة في عينيها عندما رأت بعض الآثار القديمة هناك. صورة أخرى لشبه جزيرة المدينة، تجمّد الدم في عروقها.. إنها أرض جذورها، ملاعب طفولتها، ربوع شبابها، موطن أحلامها.. حاولت أن تضبط نفسها، وأخذت تجول على ما تبقى بسرعة، وكأنها تنتظر أن ترى نفسها في مكان ما في تلك الصور.. عليها شاهد أمها، أباه، قطع الماشية أو باب غرفتها.. وقفت أمام أطلال مدينتها المهتمة، انهمرت الدموع من عينيها المفتوحتين، تسارعت الأنفاس مزاحمة بعضها البعض باحثة عن طريق لها.

- أوروبا.. ماذا حدث؟ هل تعرفين هذا المكان؟

التقطت أنفاسها محاولة الإجابة..

- إنه.. .. يشبه بلدي.. كثيراً.

أوشكت على الاختناق، انهمرت دموعها كأقطار تشرين.

- اهدني.. خذي نفساً عميقاً.. اهدني عزيزتي.

كالبركان الذي انتظر أعواماً قبل أن يفرغ حممه، أخذت تبكي وتصرخ

كطفلٍ صغير تائه.

انتاب إيدي القلق عليها.. رنّ جرسُ الطوارئ، فأسرع الطبيب والممرضون إلى غرفتها.

جاء كونراد مهرولاً متائلاً:

- إدي، ماذا حدث؟

- سأخبرك لاحقاً، أرجوك حاول تهدئتها، فسوف ستؤذي نفسها.

- لا عليك سأتصرف.

حضر الدواء المهدئ وحقنها به، ما هي إلا دقائق حتى عادت تدريجياً إلى هدوئها. استغرقت بالنوم وهي تنهت من شدة البكاء.

عمّ السكون الغرفة من جديد، أغلق الممرض الستائر ووقف قرب سريرها.

- دكتور كونراد، سابقن هنا قليلاً كي أطمئن عليها.

- جيد.. أخبرني إذا ما حدث أي طارئ، وأنت يا إدي تعال معي إلى مكثبي.

ذهبا سوياً، وكانت عيناها تراقبها بحزن، إلى أن أغلقت الباب.

- حسناً.. أخبرني يا إدي ماذا حدث لها؟

- أردت أن أتأكد من بعض الشكوك التي تراودني قبل أن أطلعك على ما توصلت إليه، فبعد أن عرضتُ قصتها على أستاذ التاريخ الذي أخبرتك عنه، تبأحنا القضية من كل جوانبها وتأكدنا من هوية تلك الأشياء التي كانت معها واللغة التي تستعملها، وتبلورت في ذهننا عدة صُور حول أصلها ومن أين أتت، فالبروفيسور كوينز يعتقد أن أوروبا قادمة من فينيقيا بشكل ما، ويمكن أن تكون هي نفسها أوروبا الأميرة، التي أعطت اسمها لقارتنا. ما وثق رأيه تلك القلادة التي كانت معها، فقد نُقش عليها صورة زيوس إله السماء عند الإغريق، وهو الذي خطف أوروبا إلى اليونان قبل ما يقارب ١٢٠٠ سنة ق.م، ولربيقٌ أسامي سوي أن أربها بعض الصُور لتأكد من معرفتها للمكان،

ال: هل عاشت هناك أم أنها تنقص شخصية الملكة إلى حد التلبس  
وحمي؟  
اعترض كونراد:

- إنها أسطورة.. قصة خرافية.. فكيف يعقل هذا؟

- لقد أثبتت الحفريات حقيقة بعض أجزاء هذه الأسطورة، قل لي إذا.. هل  
.. لك تفسير آخر؟ قال بروفيسور كوينز أنه من الممكن أن تكون هذه الأشياء  
سُرقت من أحد المتاحف أو من حفريات الآثار، وأن من وجدنا أو سرقها  
.. سيقدم أوروبا كضحية للآلهة، كما يفعل عبّاد بعض المعتقدات المشبوهة،  
التي تعرفت على المكان!

- هذا غريب، ويثبت أنها أصلاً من هناك، أفله لها علاقة مع تلك المدينة  
التي جعلتها تنهار هكذا.

- سوف أطلع المحقق على ما وصلنا إليه من تخيلات، أفصد من احتمالات  
حول هذه القضية. ولكن ألا تعتقد أن هذا سيؤذيها؟

- لا، لا أعتقد، فهي مازالت حتى الآن مريضة وتحت العلاج، ولا يستطيع  
أحد أن يتخذ بحقها أي إجراء.

- أرجوك، لا أريد أن يمسيها أذى.

- الشرطة سوف تساعدنا بالوصول إلى وقائع عقلانية، يستطيعون أن  
يؤكدوا عبر البوليس ومكتب الآثار الدولي إذا ما كانت هناك آثار مسروقة  
.. أي بلاغ اختطاف، فنلك الشبكات قابضة تحت مراقبتهم رغم غموض  
محرقاتها.

- إذا، دعنا نتكلم معه سوياً، أريد أن أتأكد أنها ستبقى بمانس، بالأخص  
بعد ما شهدت اليوم، إنها تعاني من وجع كبير وجرح أكبر ودموع كثيرة تخفيها

وراء ابتسامتها. أنا مسئول عنها إنسانياً وشخصياً، وسوف أحميها مهما كلفني الأمر.. يجب أن يفهموا هذا.

- ما هذا يا صديقي؟! أعتقد أن عواطفك قد استعادت نشاطها، فلم أرك بهذه الحالة منذ زمن.

ارتبك قليلاً إدي:

- لا كونراد، إن القضية تثيرني كعالم وباحث وإنسان قبل أن تحرك مشاعري كرجل، رغم أنها امرأة جميلة، بل رائعة، وصعبٌ جداً على أي كان تجاهلها، إن لرؤيتهم بها أو بيجتها.

- معك حق، حتى أنا أشعر أحياناً أن هناك شيء ما يشدني إليها، أقاوم رغبتني جاهداً طول الوقت بأن أذهب إلى غرفتها وأستمع بالنظر إليها ومراقبة ردود فعلها الطفولية على كل ما يدور حولها.. إنها حقاً رائعة، ولولا وجود "سارة" في حياتي، لكنتُ الآن أقبل يديها وأجس قرب سريرها.

أفلق هذا الكلام إدي وأثار غيرته، فعلق ضاحكاً:

- شكرًا لك سارة، لقد أنقذت كونراد من قصة حب مؤكدة.

- قلتُ لك إنني أقاوم، وربما سأضعف يوماً وأفعل ما تأمرني به مشاعري.

لرؤيتهم إدي ما سمع، ولكنه تخطاه ببرود كالعادة.

- هيا أيتها الشاعر، اتصل بمكتب المحقق وأبلغه بأننا نرغب في التحدث

إليه. إن استطاع أن يأتي إلينا الآن، سيكون هذا رائعاً.

بعد أن سمع المحقق ما سمع من أخبار ونحمنيات، قرر الحضور شخصياً

كي يتطلع على كامل التفاصيل. فهو أيضاً كان متحمساً لمعرفة ما حدث مع

تلك المرأة الغريبة. وبعد أن أطلعاه على القصة وعن تلك المعلومات، والتي

من الممكن أن تكون حقيقة، ضحك بصوت عالٍ والدهشة تأكل ملامحه!!



- لا لا يعقل.. إنها قصة خرافية لفيلم هوليودي، أنا لستُ مخرجًا، أنا  
محقق ولا أرتكز إلا على الدلائل المادية.

ردّ عليه كونراد:

- حسنًا سيدي المحقق، فلتأكد من بعض الشكوك... فلنبدأ من احتمال  
الأثار المروقة، ثم من جماعات العبادات المشبوهة، ثم دعنا نكمل مع إدي  
اختباراته العلمية ونظرياته في علم النفس ومجاهلها.

- جيد، سأرسل كتابًا إلى البوليس الدولي حول تلك النقاط التي من  
الممكن أن تضعنا على الطريق الصحيح، الذي سيوصلنا بالمنطق إلى حل لهذه  
المشكلات، بعيدًا عن دهاليز الأساطير، وسأرسل صورة القلادة والملابس  
إلى مكتب الأثار الدولية، كي نتأكد ما إذا كانت مدرجة بلوائح الموجودات  
الأثرية المكتشفة أم لا

أضاف إدي:

- وأنا سأتابع حالتها النفسية ودروس اللغة، كي تتمكن من التواصل  
معها، وربما ستخبرنا بنفسها ما حصل وكيف وصلت إلى هنا.

عاد إدي إلى غرفتها فوجد المرض ما زال في الغرفة، فشكره وطلب منه أن  
يعود لعمله على أن يبقى هو معها.

ذهب المرض وجلس إدي يراقبها وهي نائمة... أين أنتِ الآن يا أوروبا؟  
في أي عالمٍ تطوفين؟

بحرٌ فينيقيا.. وأوروبا على ظهر ذلك الأبيض، الذي سلبها ذاتها قلبٌ  
وجسداً.. تمسك أحد قرنيه بيد، وتطوق عنقه بالأخرى.. أما هو، فكان يقفز  
فوق الأمواج بكل قوته، كي يحميها من مياه البحر ومن قطراته المالحة، حتى لا  
تبلل جسدها. تحتضه مسلوبة الإرادة، وكل ما يشغلها أنها معه، وأنه يعبرُ بها  
إلى عالم آخر تنوق إلى معرفته مها كان الثمن.

- أعرفُ أنك ستحميني، أشعر بخوفك وحرصك عليّ يا ثوري الأبيض  
الإلهي.

غابت الشمس خلف الأفق، حلَّ الظلام وسطع نور القمر.. لم تعد تشاهد  
سوى انعكاس صورته على سطح المحيط، وكأنه سفينة فضية تطفو أمامها،  
تقودها خلف نورها إلى سفرٍ بلا نهاية. كانت مستلجمة ومستمتعة برائحة  
المحيط، وحرارة جسديهما المتلاصقين. لم تشعر بالخوف، قوته تزيد نقتها من  
أنه لن يتخلن عنها وسيحميها بروحه. بعد مرور نهار كامل، وصلا أخيراً إلى  
شاطئٍ إحدى الجزر، حيث استلقى هناك وقد أنهكت هذه الرحلة قواه. أخذ  
يتعرج بالرمال الدافئة، محاولاً اقتلاع ملوحة ورطوبة الماء التي غطت شعره  
الأبيض.. أما هي، فألقت بنفسها على جذعٍ كانت الأمواج قد قذفته خارج

١٠. شأنها، كما أخرجتها هي أيضًا من عالم إلى آخر. ما هي إلا لحظات، حتى  
مهل ذلك الثور إلى رجل، إله جميل الملامح، ذو عيين ساحرتين كعيني ذلك  
ثور، وجسد يحمل في كل تفاصيله عبق الرجولة وسحرها. قال:

- أنا ملك هذه الجزيرة، إله السماء وملكك أيضًا، فهل تكونين ملكتي؟  
نظر إليها بأمل ورجاء، وكان كل أعجاب الإله قد انحنت أمامها، وقد خلغ  
صولجان حكمه وملكته ورماتها أمام قدميها.

- أحبيني يا أوروبا، سوف أكون حارسك.. سوف أتوجك ملكة على كل  
أرضي وعلى قلبي.. أحبيني، فأنا أحبك كما لم يحبك أحد قبل ولن يحبك أحد  
إلا.. ساكون لك أبًا وأخًا، إلهًا ورفيقًا وزوجًا محبًا.

كانت تنظر إليه بتعجب ورهبة غير مصدقة.. قالت في سرها: زيوس الإله  
نسي أنا؟ زيوس هو ذلك الثور الأبيض الجميل، الذي كنت أسكب الماء على  
سنته، وأداعبه وأطعمه العشب؟!!

- أنا الإله الذي حول نفسه لحيوان أسطوري من أجلك. لقد كنت أرقبك  
.. سبائي، أرقبُ جسدك وأنت ترقصين لي في المعبد، أشم عطرك من بين  
عطور كل تلك الورود التي كانت تطوقك، أحتضن جسدك وأعتصره والعقه  
حتى الشئلة. كان قلبي يذوب من رنين ضحكك التي تشبه أنغام قيثارتك  
التي عليها تعزفين، فأذيب جسدي حتى يصبح أوتارًا بها، كي تمرّني بأناملك  
مليًا وتُخْرِجني منّي تلك الأنغام الباردة، لتعيدي الدفء إلى مشاعري وروحي  
المتة.. أسمع همساتك وصلاتك وأنت تظلين حبيًا قوتًا بحميك، حبيًا لا  
يشبه الرجال، لأنه سيدهم ولا يقارن بأحد، لأنه يتعالى عن أوصافهم. كنت  
أعرف أنك تبخثن عني.. ومن سأرسل لك، من يستحقك وأنت حبيتي؟

سكتا وعيناهما تتحدثان لبرهة، ثم أكمل زيوس:

بعد أن أصاب إله الحب قلبي بهممه، خفتُ عليك من هيرا زوجتي،

خفتُ أن تقلبكِ كما فعلتِ بالأخريات، فبموتك سيموت آخر حلم جميل في حياتي، وإلى الأبد. أبلغني الإله أن أتلبس جسد ثور جميل وأتقرب منك، أجعلك تحييني، عندها لن تركبيني، وستحاربين هيرا من أجلي.. نعم.. هذا كان أنا.. إلهك العاشق، أنا هو.. انظري إلى عيني.. تنسقي أنفاسي، تحسي تفاصيل جسدي من جديد، ضعي أناملك على وجعتي كما كنتِ تفعلين.

سلبَ إرادتها من جديد، شدها ذلك السحر من جديد، اقتربت منه وكأنها تريد أن تتأكد أنه هو فعلاً، مرّت أناملها بحذر على عنقه، على شفتيه، على عينيه، غرست أصابعها بشعره الطويل الإلهي، اقتربت بأنفها من صدره، تشممت عطره وتسلفت صعودًا، طبعت قبلتها على جبينه..

«إنه هو.. إنه جسده وأنفاسه وعطره الذي يفوح منه عبق البحر.. إنه هو وهائه الذي يشبه عزف نايات المعابد، وأصوات دوران الكواكب.. إنه هو، وهو هنا، وأنا هنا.. أحبيته ثورًا، وكنت أريده رجلاً ليس مثله أحد، ولا يُشبهه أحد، وها هو أمامي.. إنه الإله، ماذا أريد بعد؟ هيا يا أوروبا.. لا تترددِي.. دعي قلبك يذهب إليه.. اطلقي العنان لنفسك المشتاقة إلى ذلك الحبيب».

استجمعت ما تشكّنت منها، حاولتُ جاهدة أن تستوعب ما يدور حولها، أن تُطفئ تلك الثورة المستعرة بين العقل والقلب.. كانت متعبة، ريشة طائر تتأرجح بين الحلم والواقع، حورية جفف جسدها ملح المحيط وأحرقته خيوط الشمس الملتهية.. هناك سقطتُ على تلك الرمال مستلّمة لمشاعرها المتأججة كالجمر الحارق تحت الرماد، لقد قادتها أقدارها إليه دون تردد. أما هو فقد طاف معها أخيرًا في ذلك البحر، بحر الشوق والرغبة، الذي كان يصبو إليه، وكأنه يعلن في معبد الجسد سقوط إلهيته وصيرورته إنسانًا دون سلطان إلا سلطان الحبِّ والعشق الجارفين.

بعد ساعات، صحتُ من نومها العميق.. حاولتُ جفناها أن يقاوما نور الشمس، وبعد جهدٍ تمكّنتُ من فتحهما، لترى واقعها الجديد. نظرت حولها

هلقي وحيرة، نظرت إلى البحر تبحث عن بيتها على ضفة ما، تريد العودة..  
أما؟ ما الذي أتى بي إلى هنا؟ أي أين أنت؟!

صرخت بصوت عال، فلم يجيبها أحد سوى صدى الأمواج المتكسرة  
ه صمت الطبيعة.. أنا طفلة متفية، كيف يحق لي أن أنادي أي؟ ماذا سيفيد  
هذا الآن وأنا التي تناسيتُ حُبَّ لي، تركتهم خلفي ورحلت.. أبي، أمي،  
إحوتي.. أرجوكم سامحوني، لقد كسرت طوق هذه العائلة الجميلة بيدي، لقد  
عدعني نداء قلبي.. سامحوني، لقد ختكم مرتين.. في تلك الرؤية، يوم تركتُ  
أسياء خلفي مكسورة القلب، وعندما مضيت مع ذلك الغريب دون تردد،  
والآن.. أبي، هل يكون الموت عقاب الخائنين؟ هل يدفع الموت ثمن هذا الدّين  
وهذا الحزن وهذا الإثم الذي أحمله في جسدي وروحي؟ لقد صعدتُ على  
ملهم ذلك الثور لوحدي وبلادتي. كنت أعلم أنه سيأخذني إلى البعيد، كنت  
أعلم أنه سيأخذني منكم؟ ومع هذا ذهبت، بكل جحود الأبناء ذهبت، فهل  
هل حبّ الأباء سسامحوني؟

مسحتُ عينيها بيديها من جديد، تريد أن تمحو هذا الحلم المزعج، لكن  
عد أن فتحتها ثانية، لم يتغير شيء من حولها، نفس الشاطئ، نفس الصخور  
والأشجار ونفس الأمواج المتكسرة.. وهي أيضاً ما زالت هناك وحيدة. لقد  
أدركت أنها تعيش واقعاً لن يتغير. عندها، أحست بمشاعر الكراهية تجتاحها،  
عصف في قلبها.

هل سيكفر الموت ذنبي؟ هل سيظفي ناري؟ لقد رحلتُ مع هذا الغريب  
ونركتُ خلفي قلوباً تنبض باسمي وحيي، فهل سسامحوني؟.. ذلك الإله  
الثور لقد أغواني، أوقعني بحبه، لن أسامحه.. لكن أنا من طلبت منه أن يأخذني  
إلى المجهول الذي كنت أتوق إليه، لكنني لم أكن أعرف أنه الإله. ماذا سيفيدني  
دمي هذا الآن، وماذا تبقى لي غير الموت؟.

نظرت إلى السماء وصرخت:

.. يا إله الموت ارحمني.. أرسل لي وحشًا أسطوريًا جائعًا يلتهمني، قبل أن أموت جوعًا لعائلتي وعطشًا لمحبتهم، فليتهمني قبل أن أحترق بمراره غربتي هذه.

صرخت من جديد: أنا الحقيرة الضعيفة، أسمع صوت أبي يناديني، وكل ما حولي رماد.. أوروبا يا ابتي أين مستنقن نفسك؟ انظري إلى ضخور البحر المدية، على أي منها سترمين جسدك؟ أم تفضلين أن يخطفك بربري آخر، ويجعلك خادمته، وأنتِ ابنة أختينور ملك صور العظيم؟ كيف سلمت نفسك لقدرك دون مقاومة؟!

استجمعت رباطها، وهي تثبت نظرها على الأفق البعيد:

- يجب أن أموت، ربما يجعلني هذا أسمع صوتك وأشاهد وجهك من جديد.

أرادت أن تنهي حياتها وأن تختفي داخل البحر كما خرجت منه، تقدمت خطوات، وتراجعت خطوات.. شجاعته خانتها، فأنتها عن ذلك، فأخذت تناجي إله الموت علنًا يشفق على ضعفها هذا بسطوته.

أحسّت أن أحدًا ما كان يسمعها.. خافت كثيرًا، نظرت إلى الورااء فرأت أفروديت إلهة الحبّ تقف هناك، ومن الجهة الأخرى وقف "إيروس"، مع قوسه النشاب ووجهه المتسم.. تكلم معها بهدوء:

- دعي هاديس إله الغضب والجحيم يرتاح يا جميلتي، الثور الذي تكرهين سوف يعود، وسوف يقدم لك قرنيه الذهبيين كي تكسريهما بنفسك، وسيكون لك إلهًا وحيبًا بصورته الناسوتية، لن تكوني وحيدة بعد اليوم. أضاف وهو ينسم وعينه تمدقان في وجهها الجميل الشاحب وجسدها المرتعش وعينها المفتوحتين الدامعتين:

- اعلمي يا أوروبا أنني أنا من أرسل إليك ذلك الحلم، واعلمي أيضًا أن

الخن هو الذي خطفك إلى هنا، لهذا السبب يجب أن تطمئن نفسك. زيوس  
الإله الذي أحبك، هو الذي قمت له يدك بعد أن عرفت من يكون، وهذا  
مسي أنك قد وافقت على أن تكوني حبيته. اعلمي أنك ستكونين ملكة، وأن  
ملك لن يموت، وسيعطى إلى ذلك الجزء المجهول من الأرض المتلبنة  
امرأة.

استلمي يا أوروبا لقدرك، وسلمي نفسك لخدك، كما سلمتها لذلك  
العريب. أنت لا تشبهين أي واحدة من النساء، أنت ابنة كايا وستحمل أرضها  
اسمك فمستقبلك مرسوم على سحب السماء.

مرّر أنامله على وجهها، فتحت عينيها بصعوبة. قال لها بصوتٍ منخفض هادئاً:

- هل أنت بخير؟ لقد أمضيتُ ليلتي هنا قرب سريرك.

قالت وهي تبسم:

- شكرًا للإله أني هنا وأنتك هنا، فقدرتي مرسومٌ على سُحب السماء.

- لن أسالك عمًا حدث، سنكمل دروسنا كالمعتاد لكن أن تمتلكي حرية التعبير، ومتى أردتِ أن تخبريني بما تخشين الجوح به، سأكون جاهزًا كي أسمعك.

- أعدك أنا ستكلم عندما أشعر بالقدرة على ذلك. إنني متعبة من نفسي ومن أفكارِي، فلماذا لا تخبرني عن نفسك؟ أريد أن أرقب هذه الحياة عن كثب، وأعرف في أي مجتمع أعيش.

- ماذا تريد أن تعرفي؟

- كل شيء، لكن تكلم ببطء ووضوح كي أفهمك، فأنت تدرك مشكلتي.

- حسناً، ستأولين الفطور وأنا سأتكلم. إن لم تتمكني من فهم ما أقول



اهدني وسأشرح لك، هكذا تتعلم وتحدث.

فالت بفرح متناهي أسها:

- ممتاز، ابدأ إذا.

- أنا اسمي إدي هانتغر، عمري خمسة وأربعون عامًا. لدي أخت واحدة. ومنت طفولتي في إحدى القرى البعيدة بعض الشيء عن المدينة. أراد أبي أن أدرس الموسيقى، اختار لي الآلة التي يحبها هو وأدخلني إلى المعهد الموسيقي. ما هذا يزعجني، ليس لأنني لا أحب الموسيقى، بل لأنه قدّر وقرر كل شيء مني دون استشارتي. أحببت الموسيقى كثيرًا، ولكن عزفي في الحانة أمام أصدقائه كان يزعجني. عندما بلغت سن الرشد، تركت القرية وذهبت إلى الجامعة، كي أكمل دراستي في إدارة الأعمال. كان ثمن استقلالتي باهظًا جدًا، سب اختياري لهذا الاختصاص الذي لم يعجب والدي، تركت وحيدًا. .. نطقت عني رعاية أهلي. استأجرت غرفة صغيرة في مخزن أحد المباني.. مكان طيب، بارد وموحد. أردت أن أثبت للجميع ولنفسي أنني إنسان مستقل قادر على شق طريقي دون مساعدة. أخذت أقتسم وقتي بين الدرس وبعض الأعمال التي كنت أقوم بها، كي أدفع الإيجار وأؤمن مصاريف احتياجاتي الخاصة، من طعام وشراب وثمان كتب وغيره.

- وماذا كنت تعمل؟

- كل شيء، نادل في مقهى، مدرس للدروس الخصوصية، حتى أنني عملت كنموذج.. أجلس أمام تلاميذ صف الرسم لساعات، كي يرسموا حدي العاري..

أضف وهو يتسم بمرارة:

- لقد زادني هذا تحررًا من نفسي وعقلي، وزادني إصرارًا كي أجتهد في إيجاد حل يُخرجني من هذه المهزلة. مرّت سنوات على هذا الحال حتى التفت

صديقتي وحبي الأول، فارق السن بيتنا - العشر سنوات - لم تكن لتقف عائناً أمام حُبنا.. صحيح أن بيني وبين ابنها البكر بضعة أعوام، ولكننا عشنا سوياً كعائلة واحدة، لقد تبيت أولادها الثلاثة، وسهرت على دراستهم كما لو لن يفعل أحد سواي.

- وهي هل أحبّك؟

- أجل أحبّني كثيراً، لم أكن أدرك في الحقيقة ماهية حُبها لي.. ربما كان شعوراً باحضان الأم. لقد كنت أعطي أولادها الدروس الخصوصية عندما تعرفنا، لأتحوّل بعدها إلى صديق، ثم إلى أب لهم، وأصبحت هي حُب حياتي.. ربما حاجتي لاحضان العائلة شدني إلى تلك الأسرة.

وبعد سنوات، تخرجت من جامعتي في تخصصي الأول. أما الموسيقى فكنت أتابع دراستها مع أساتذة خصوصيين. تركت «الكلايرينات» وتدرّبت على البيانو ثم الغيتار، كان عندي شغف باكتشاف كل ما يحمله هذا العالم الساحر من أسرار. لاحقاً أخبرتني حبيتي بأنها على علاقة مع رجل آخر من سنها، ولن تستطع أن تكمل معي.

- ماذا؟! وكيف حدث هذا؟ ألم تكن تحبّك؟

- كانت تحبّني، ولكن الظاهر أنها وجدت اسماً آخر لعلاقتنا غير المنطقية. ربما شعورها معي كأم فاق شعورها كامراًة.. أحترم هذا، فهي إنسانة، ومن حقها أن تختار من تجدّ عنده ما لم أستطع أن أوفّره لها. كان بُعدي عنها وعن الأولاد أشبه بصدمة قاسية، أعادتني إلى الدراسة، فأخترتُ هذه الفلسفة، ثم علم الاجتماع، وقضيت بعض السنوات في دراسة الفلسفة الموسيقية، إلى أن أصبحتُ مدرّساً في الجامعة للموسيقى النظرية، فلسفتها وتاريخها.

- ألم تحبّ ثانية؟

- رغم كوني إنساناً مثابراً، لم يمنعني هذا من الوقوع بالحُب. بعد سنتين

عرفت على زوجتي التي كانت تُدرّس الطبّ. عندما التقينا أوّل مرة، كان أمننا الكثير لتجزئه.. بيننا بيتنا سوياً، وضعنا أسساً لحياتنا ومشينا مشوارنا معاً، وبعد مدة أخبرتني أنها حامل، لقد أسعدني هذا الخبر فعلاً رغم إحساسي المشولية، فنحن قد اجتزنا مرحلتنا الأولى منذ مدّة قصيرة، وكنا بحاجة إلى هص الراحة ولكن! هذا ما حدث...

- لديك أطفال؟

- «كائي».. لم تعد طفلة، فهي الآن في الرابعة عشرة من عمرها، تعيش بسى وبين زوجتي بعد طلاقنا.

- طلاق؟ ولماذا هناك طلاق؟

- عندما يكون هناك شخصٌ ثانٍ، يجب أن نترك الأول. لولا ضعف العلاقة الأولى، لما ذهب أحد إلى علاقة ثانية، فللاثنين حق الاختيار، ويرسم كلا منهما حياته كما يريد. وبعد أن دخل صديقها الحالي إلى حياتها، زادت خلافاتنا التي ثانت قائمة أصلاً، ولم نعد نجد لها حلول، بينما كائي المسكينة كانت تمحصد ثمرة تلك النزاعات التي كانت تنذر بالانفجار الكبير. كانت في التاسعة، وقد بدأت.. تدبر أمورها بنفسها، ولم يكن هناك جدوى من الانتظار والاستمرار في هذا القلق. رفعت زوجتي عليّ قضية طلاق، وأخذت متزلي الذي بنته ووضعت فيه كل أحلامي.. باعت جميع ممتلكاتي، وعدتُ كما بدأت.. من الصفر، ليس لديّ سوى عملي، وكائي حبيبي الصغيرة. اشترتُ بعدها منزلاً آخر خارج المدينة، أما ابنتي فقد أقرت المحكمة أن تعيش بيننا نحن الاثنين، وأن أدفع جزءاً من راتبتي لطليقتي ولها. طبعاً ما كان لكائي لريشعري بالأسنى، فحياتي ملكها، أما ما تأخذهُ زوجتي السابقة كان يشعري بالفراغ الداخلي والحسارة المادية والروحية معاً.

- وكيف هي كائي الآن؟ هل هي سعيدة؟

- كنا نختلف على أسلوب تربيتها، أردتها أن تكون هي، لم أرد أن أكرّر

ما فعله أبي معي، لكن والدتها كانت تتصرف كما دون أن تراعي تطور الحياة،  
لرئع أنه على الأهل أن يجاروا الزمن، كي لا يقع أطفالهم في هوة عميقة بين  
الماضي والمستقبل. لقد كان انفصالنا حلاً جيداً يبعدها عن هذه الأجواء  
المشحونة.. هذا هو الانفصال: عندما تبعد الأرواح والأهداف وتقتصر  
الأحلام على كلمة أنا. عندما ينام اثنان على سرير واحد، وكل يرسم عالمه  
الخاص، متناسياً ذلك الراقد إلى جانبه. عندها لا يعود لتلاقي الأجساد معنى.  
فبدون مشاعر تصبح العلاقة الجسدية عمل كباقي الأعمال الأخرى، كتظف  
المنزل وغسل الصحون وترتيب الأسرة.. تنكسر كل الروابط، تفقد تلك  
الورقة قيمتها، ويصبح عقد الزواج كأي عقد آخر، عقداً مادياً لا حياة فيه  
يصبح الانفصال المادي والاقتصادي ضرورة لا بد منها، كي لا تستمر الكذبة  
وتولد الخطيئة والحيانة والحقد، فكل زواج لا يربطه الحب والمشاعر المشتركة  
هو زنا ومحرّم أمام شريعة السماء، وسيولد تلك المآسي التي يتوارثها الأولاد  
عن تلك العلاقات المشوهة.. هل فهمت الآن لماذا هناك انفصال؟ بل هل  
فهمت كل ما قلت؟

- تقريباً.. أدركت ما حصل، وإن لم تكن كل الكلمات واضحة فهذا لن  
يعيقني عن فهمك، فأنا أستمع إليك بإحساسي، وبشعوري أخترق حدود  
الكلمات.

- أنت ذكية ومرهفة الجسّ جميلتي، ولا شك في ذلك.

- حدّثني أكثر عن كائني؟

- إنها فتاةٌ مميّزة، اعتادت هذا الوضع الجديد. لقد أدركت أن هناك واقعاً  
يجب أن نرضخ لسلطته، وها نحن نجتاز العقبات لأجلها، نلتقي أنا ووالدتها  
ونذهب في رحلاتنا المعتادة رغم الانفصال، كي تستمتع برفقتنا معاً، حتى لا  
تسعر بأننا من أجل أنفسنا وراحتنا تناسينا حقوقها علينا. أعتقد أنها سعيدة. لا  
أستطيع أن أجزم، لكنها ناجحة في دراستها وشخصيتها منطلقة. لقد قرنا لها

١٠٠٠. كل ما تمنى مع أب وأم سعادة كل في حياته وكل يعمل من أجل  
١٠٠١. بالأكيد حياتها ليست كلها بهجة وفرح، إنها تعاني أحياناً من الانقسام  
١٠٠٢. لكن أنا وأمتها تدارك الأمور، فنحن نتواصل دائماً ونتناقش حول  
١٠٠٣. فاتها ونجد الحلول، نحاول أن نجعلها تتجاوز أزماتها لتخرج منها أقوى  
١٠٠٤. هذا يعني أن ما تمر به هو أمر طبيعي، فكل المراهقين خلال عبورهم  
١٠٠٥. الطفولة إلى مرحلة الشباب وخلال بحثهم عن هويتهم وعن أنفسهم  
١٠٠٦. بظروف صعبة، حتى لو كانت ظروفهم العائلية لا تشوبها المشاكل.  
إدي... أنت إنسان رائع.

١٠٠٧. أنا إنسان عادي، أحاول أن أشغل أيامي.. أن أعيش مشاغلي بسعادة..  
١٠٠٨. الموسيقى عندما تزيد عليّ ضغوط الحياة. أمارس رياضة اليوغا والتأمل،  
١٠٠٩. خلالها أجد التوازن والاستقرار بين الجسد والروح.

١٠١٠. ما هي اليوغا؟ وما هي علاقة الجسد بالروح؟

١٠١١. انبسم وهو ينظر إلى السماء:

١٠١٢. إنها قصة أخرى.. سوف أخبرك بها لاحقاً، عندما تتمكنين من اللغة.

١٠١٣. سافهم، أرجوك أخبرني أنا متأكدة منها و...

١٠١٤. لا، ليس الآن، يجب أن أذهب، وأنتِ عودي للنوم كي تسترخي، فأمسك

١٠١٥. دان عصياً ومقلقاً.

١٠١٦. أنت محق، ما زلت أشعر بالتوعك والنعاس.. ستاتي غداً؟

١٠١٧. بالتأكيد، وسأكمل دروسنا. يجب أن تتعلمي أيضاً القراءة والكتابة،

١٠١٨. هذا يحتاج إلى مجهود أكبر، وإلى الكثير من الإصرار. تذكرت.. لقد نسبتُ

١٠١٩. شيئاً سهلاً، أحضرتُ لك بعض المجلات والكتيبات عن المتاحف والسياحة

١٠٢٠. وبعض الكتب التاريخية المبسطة، تستطيعين أن تتفرجي على الصور، وأي

١٠٢١. سأسألك عليه لاحقاً.

أعطائها هانم، ودعها وذهب

جلست بعد ذهابه تتفحص تلك الكتب والمجلات، وتطالع صور المتاحف. وقفت عند بعضها مندهشة.. إنه يشبه جبل الأوليمب!! بل هذا هو الأوليمب، هذه هي تماثيل الآلهة أسياده، إنها أفروديت، هذه كايا الحية رب الأرض وهذا زيوس الإله جوبيتر!

انتابها مزيج من القلق والخوف، أغلقت الكتاب وأغمضت عينيها. «اهدني يا أوروبا.. إنها مجرد صور، لقد أغلقت الكتاب ولم يحدث شيء».

لممت ما تبقى من شجاعتها، وفتحته مجددًا.. عادت لتحقق في الصورة، في ذلك التمثال الرائع لزيوس.. جسده المتناسق، عضلاته البارزة، ليكمل هيئته ذلك الشعر الكثيف الطويل وتلك اللحية المنسقة والعينان الثابتان اللتان تثيران الذعر والرهبة في قلب كل من يمدق فيها.. لقد كنتُ زوجة هذا الإله الجبار!

أغلقت الكتاب في توتر.. «يجب أن أعرف كيف وصلت إلى هذه الأرض، وأين هو زيوس الآن؟.. كيف وصلت صورُهُ إلى هنا؟ هل هذا مقصود؟.. أله جوايسه هنا؟».

ضغطت على لوحة المفاتيح، وما هي إلا دقائق حتى كانت إيفامعها.  
- ماذا تريد أميري الصغيرة، هل أنيبت جففت الكلمات التي أعطيتك إياها؟  
- أجل، ولكنني أريدك في أمرٍ آخر، أريد أن أسالك بعض الأسئلة عن صاحب هذه الصور.

فتحت الكتاب، وأشارت إلى صورة زيوس، نظرت إيفامعها قائلة:  
- وماذا تريد من أن تعرفي تحديداً؟ أعني لرساليني مسبقاً عن أحد، ولرؤيتي أحد اهتمامك؟

- لا شيء.. مجرد فضول.

- حنا، سأخبرك قصته باختصار، إنه الإله جوبيتر أو زيوس. لقد كان  
اعظم الآلهة عند الإغريق،

وعنده قصة مميزة، يوماً ما سأسردها لك بالتفصيل.

- أين هو الآن؟

- بعض تماثيله ما زالت في الأولياد في اليونان، وعدد آخر موزع على  
ساحف العالم، فقد كانت الحضارة الإغريقية حضارة عريقة وغنية بالفنون  
والنحت والزخرفة، وتماثيل الإله زيوس كانت الأجل، لما حملت شخصيته  
من هبة ورجولة.

- وأين يمكن أن يكون الآن؟

قالت إيفاً مبتسمة:

- عزيزتي، إننا نتحدث عن أسطورة إله، وقعت أحداثها منذ قرون قبل  
الميلاد.

- ماذا يعني قبل الميلاد؟

- حقاً لا تعرفين ماذا يعني قبل الميلاد؟! قصدتُ قبل ميلاد السيد المسيح.  
تداركت الأمر، وأحسّيت أنه من الأفضل أن تتوقف عند هذا الحد في  
الوقت الحاضر.

- أعرف إيفاً، لكن النسب عليّ بعض الأمور، لكن أعني هذا أنه لا وجود  
لزيوس الآن؟

- لا يا حبيبتي، إلا إذا قرّر أن يخرج من الأسطورة ويعيد إجماده الغابرة..  
لقد كان زير نساء.

قالت وهي تضحك وتمرر يدها على شعر أوروبيا:

- ماذا؟ هل أعجبك زيوس؟ أنا أراهن أنه لو رأيك سوف يترك سماءه من  
أجلك.

- كفى إيفا.. أنا لن أتزوج إله من السماء.

- أنتِ تستحقين رجلاً مميّزاً أيتها الأميرة. هيّا استريحي الآن وساعود أنا إلى العمل، نكمل حديثنا لاحقاً.

- حسناً.. شكراً إيفا، أتبعك معي دائماً.

- أنتِ ابنتي الحبيبة، وكل ما أقدّمه لك يُشعّرني بالسعادة، أرجوكِ دعيني سعيدة.

قالت أوروبا مداعبة:

- سوف تنمين.. لن أرحمكِ.

- اختبريني...

غمزتها بحنان وصدئ سعادة فليهما بتلك المشاعر الرائعة يملأ المكان بهجة.

غادرت إيفا وعادت وأوروبا إلى حيرتها.. أين اختفى زيوس خلف هذه السنين؟ من هو المسيح الذي أتى بعد زيوس، أهو إله جديد؟ ومن هو الله الذي يذكر الجميع اسمه؟ أين ذهبوا جميعاً؟

وضعت أصابعها على الصورة، تحسست وجه زيوس وجسده، انهمرت دموعها على وجهها الحزين. «اعتقدتُ أنني لن أراك ثانية، ولن أسمع عنك، وربما ساناك.. ها أنت تعود لتفتح جراح قلبي من جديد. سامحني على ما فعلت، لقد عرفت أنك ستهجرني وسأبكي كثيراً، لقد حاولت أن أغلب القدر دون أن أبكي، وها أنا أبكي رغم أنني قد غلبت القدر.. رغم رحيلي، رغم أنني تركتك بإرادتي قبل أن تتركني وراعك مجبراً، ما زال حُبك يسكنني ويجول بيني وبين مشاعري كسور عال أجلس أمامه منهكةً، بعد أن تعبت من تسلقه، ويستُ من اجتيازه».

أغلقتُ الكتاب ووضعتُه جانباً، أرخت رأسها على الوسادة، وعادت



الذاكرة إلى هناك، علّما تصل إلى دليل يجمع بين ما كان وما يحدث. عادت  
إلى ذلك الشاطئ، حيث تركها زيوس وتحدثت إلى الألهة، حيث تصارعت مع  
الموت وأوشكت أن ترمي بنفسها إلى المجهول.. مزلزلاً حقاً ذلك الشعور القاتل  
بالدنب، وذاك الحنين والشوق إلى المغفرة والاحتضان.

لن أبقى هنا وحيدة، فالأيام القادمة ستبني حبي له وجه لي، سأغسل  
أقدام والدي بدموعي كي يساعاني، أكرّس نفسي لخدمة المعبد وأعيش  
وحيدة..

من البعيد لمَحَنَة قادمًا، يمتزج رمل الشاطئ بلون جسده الذهبي، ويتلاعب  
نسيم البحر بخصل شعره الطويلة، ينثر الموج رذاذه على جسده، فيزداد بر.  
تلك القطرات تحت أشعة الشمس كحَبَّات المولز.

- أوروبا، لماذا أنتِ قلقة؟ لماذا ناديتِ إله الموت وأيقظتِه من ثباته؟ أم  
تسمعي ما قاله لك إله الحياة؟ لماذا تريدان الرحيل؟

- كأشجار الجُرُزُ تُرْكُتُ وحيدة، حملتني إِنْ هنا ورحلت، كما تحمل الأمواج  
أسرار المحيطات لتبوح بها للشيطان. قل لي.. هل يعيش من حُبِّ ألام حبيبه؟  
- لا تقسي على من يخافُ عليكِ من نسيم السماء.. أنتِ حُلْمِي الجميل الذي  
لا ينتهي حتى بعد أن تفتح الأعين. لم أستطع أن أبقى معكِ أكثر، فزوجني  
تطاردني.. لقد وعدتُ أن أحملك، فأنتِ وردتي البشرية التي مددت يدي من  
سائي وقطفتها، وسأزرعها بحديقتي لتكون لي لوحدتي.

نظرت إليه بحذر وتردد... هل تصدّقه؟ وإن لم تصدّقه، ماذا ستفعل؟ ليس  
لديها خيار آخر.

- لماذا أحيتني أنا وأنت الإله وأمامك كل نساء الأرض؟ لماذا جعلتني  
أمشقك وأنت تعلم أن هيرا تملك مصيرك، فأنت أمامها بشريّ ضعيف، لم  
..معت صلاتي؟ لم سارعتَ لتحقيق رغباتي؟ لماذا لم تتركني أصلي وأصلي حتى  
البأس والرضا بما قسمه القدر؟.. هل تصبح الصلاة خطيئة؟

- لأن روعي التي تسكن في عالم الجسد قد تغلبت على إلهوتي، ذلك المارد  
النائم الذي قيده هيرا.

ابتلت قشوره بباء الحباة، فشق الصخر وخرج ليحتضن نور الشمس..  
هيرا التي أرسلتها الطبيعة كي تقتل ذلك الجزء الذي يجمعني بالبشر، كي  
لحم وتكبح مشاعري، كانت هي سبب خروجي من هناك إن هنا لأجثو عند  
دميك. نصارعتُ مع نفسي طويلا، أغمضتُ عيني عنك عندما كنتَ تنظرين  
للي وتكلميني، حاولتُ ألا أسمعك ولا أراك، لكنني فشلت.. أنا، إله السماء،  
صعقتُ أمامك، ضعفت بين امرأتين، واحدة تقيّد روعي بوحيتها، وأخرى  
خلّقت روعي بسحرها.. امرأة تجلّدي بغيرتها وسلطانها وجبروتها الذي فاق  
لوتي، وامرأة تسيرُ أصابعها على صحراء جسدي وروحي فترويبها وتدب فيها  
بض الحياة. جعلتني أقف على باب الموت وأطرقه وأحاول كرهه والدخول إلى  
ملامه الهادي.. ألا تشعرين بحبي؟ ألا تدركين ماذا تركتُ ورائي لأجلك..  
انغمضي عينيك، ألا تذكرين.. أنا الذي حولت ذاتي لثور أبيض، أحرقت  
أناملك وذاب بأريج عطرك وهو مقيد بذلك الجسد، لا يستطيع لمك ولا  
احتضانك، أم تعانقيني؟ أم تعانق عيناك جسدي؟ أم ترفصي لي في معبدي؟  
لم اعتصر الخمر وأسكبه على روحك المتقدة؟ أم تشعرني بأنفاسي وأنا أكر  
حواجزي وأرندي حواسي من أجلك؟

- لقد أحسستك وأحبتك دون أن أراك، تركتُ أنا أيضا عالمي الطفولي

من أجلك.. وصُوري الملونة، أزهارى، وشاطئ مدينتى، ومملكتى من أجلك،  
تركت ورائى أبى وأمى بيكيان، لا يزور النوم جفونهما.. من أجلك حطمت  
قيود خوفى، أحببتُ ثورًا دون أن أعرف من يكون، أطلقتُ العنان لفسى النى  
قادتنى إى هنا، ركبْتُ الموج معكَ ولك، الآن قلبى يؤمنى وأنا أقف بين حدود  
الأمس واليوم.

- أعطني يلك من جديد يا أوروبا، كما فعلتِ بالأمس.. ثقى بى واستلمى،  
كما استلمت يوم ذهبت معى.

- لكنى ضعيفة ووحيدة.. كيف سأواجه زوجتك هيرا ومجتمع الآلهة الذى  
لا أنمى إله؟ هل سأمضى سنينى سجينه هذه الجزيرة؟

- وحيدة؟! أنت وحيدة؟ وأنا؟! وروحي التى تحرسك كل دقيقة؟ وإله  
الحب والحياة وكل الآلهة الأخرى التى تطوف حولك؟  
ة إلهها وأعطاهها قلادة رائعة الجمال، قد نُقشت عليها صورته.

- ضعيها حول عنقك، ستجمعك بى، سأكون قرب قلبك.. أحس بفركك  
وحزنك، تكلمينى متى احتجتِ إى، أسمعُ نداء روحك عندما تشاقين  
لوجودى، أشعر بخوفك، فأرتدى جسدى وحواسى وأسرع لاحتضانك  
وحايتك.. ومتى افتقدتِ بلادك وأهلك، انظري إلهها قترين ما ومن تمنين  
رؤيته. لقد صاغها إله النار والحديد هيفامتوس من أجلك، وسكب عليها إله  
الحياة شيئًا من روحه كي تحرس روحك أينما كنت.

حملت القلادة بحذر، ترقبتها بدهشة. مدت جسدها بدفء غريب وطافة  
كتلك التى كانت تستمدها من شمس بلادها وتراب كايا وحضن أنىها وقوة  
أبىها وحكمة أخىها وسلطة زيوس!

قالت فى سرها: هل أرتديها وأمضى إى قدرى؟ أم أتركها خلفى مع تلك  
الذكريات وأرحل؟

- أرجوك لا ترحلي، أنا قدرك، لقد أوقفتُ المارد «طالوس» على شواطئ الجزيرة، سيكون خادمك من الآن فصاعداً.

نادى عليه بصوت عال، فخرج طالوس من خلف الجبال.. ماردٌ نحاسيُّ هُيِّئَ صنعه «هيفاستوس» كي يحرس جزيرتها. بدت أوروبا تُرب قدمه كمرة ربيع في ظل صخرة شاهقة.. كانت أركان الجزيرة ترتج تحت وطء أقدامه، اقترب منها وانحنى أمامها، فارتجفت قلبها خوفاً.. فترجع إلى الوراء.

قال زيوس:

- لا تخافي.. إنه حارسك، سيراقب المكان عن بُعد ولن يؤذيك، «ليولاب»، هذا الكلب الأليف سيكون صديقك ورفيقك أينما ذهبت.. طبع ووديع، قوي وعنيف، فلن يجروا أحد على الاقتراب منك.

لقد فاجأها ما رأت وكأنها تعيش في عالم من الأساطير، مع تلك الوحوش التي كانت تسمع قصصها من مسني المدينة. اقترب ليولاب منها وأخذ يلعب يديها وقلعها ويدور حولها. شعرت بالفرح والاطمئنان، إنها تحب الحيوانات، وليولاب سيكون أبنياً وصديقاً لها في غربتها هذه.

- قريباً من هنا يقع قصر «الملك أستيروس» ملك كريت، ستقيمين هناك، سوف يسهر كل الخدم والجواري في ذلك المكان على راحتك. هناك مكتبة العصر، حديقة وقطيع مواشي، وأنت السيدة الأمرة الناهية في هذه المملكة الصغيرة.

بعد ما سمعت، لم يعد هناك ما يقال. لقد تمحدد مصيرها معه، ليس أمامها حبار آخر. سارت إلى ذلك القصر، يواكبها زيوس عاشقها الإله، وكلبها ليولاب، وخلفها يقف ذلك المارد النحاسي طالوس بزي المقاتل الحارس، مراقب الجزيرة من شواطئها إلى قمم جبالها الشاهقة.. إنها رهينة الواقع.

- ألو إدي.. كيف حالك يا صديقي؟

- أهلا كونراد أنا بخير، أوروبا بخير؟

- أوروبا بخير؟! وأنا!.. لا تريد أن تطمئن علي؟

- أعرف أنك بخير وتستطيع أن تدبر أمورك، ولا يقلقني أبداً مصيرك.

قال وهو يضحك:

- محظوظة أوروبا، اطمئن إنها بخير. أردت أن أخبرك أن إدارة المستشفى

بعد أن اطمأنت عليها طلبت مني أن أعد الأوراق والتقارير اللازمة لخروجها

من هنا، فبقاؤها أكثر سيؤثر سلباً على حالتها النفسية، والأفضل لها أن تكمل

حياتها بشكل طبيعي في مكان ما، ما رأيك بالموضوع؟

- تغادر المستشفى! ولكن لك أين؟

- لا أعرف، يجب أن أخبر الشرطة وأبلغهم بهذا.

- أعطني بعض الوقت، سوف أبحث لها عن سكن، فربما قرروا وضعها

بالسجن، فهي لا تملك أي أوراق ثبوتية ووجودها هنا غير شرعي ومخالف

للقانون. لن نستطيع أن نخرجها قبل أن نثبت هويتها.

لا اعتقد، فهناك العديد من المؤسسات الحكومية المختصة برعاية

.. لا، لن أَدْعُهُمْ يأخذونها إلى أي مكان لا يليق بها، فهذا سيؤثر على تقديمها،  
من نريد أن نساعدنا كي نصل إلى حلّ لنلك اللغز الذي يقلقنا.

.. يجب أن نعلمهم، نحن لا نستطيع أن نخرجها من هنا بدون موافقتهم.  
- كما تريد، ولكن حاول تمديد إقامتها إلى أن أجد لها المكان المناسب،  
أعدك بأنني لن أتاخر.. غداً أو بعد غد سأكون قد دبرت الأمر.  
- أنا أيضاً سأساعدك بالبحث، ستبقى هنا إلى أن نجد حلاً مناسباً.  
- شكراً صديقي.

.. لا يجب أن تشكروني، فهي تعني لي الكثير وأخاف عليها. إنها مريضتي  
.. سلامتها مسؤوليتي.

.. دعنا الآن من الكلام الذي لا ينفع، ولنتحرك.  
أنهى الاتصال وذهب إلى غرفتها، ولا زال فكره تائه يبحث عن طريقة  
.. لم يجبرها بقرار المستشفى. يجب أن تكون مستعدة، لن تقف الحياة عند هذه  
المرحلة، فغدها ينتظرها.

.. صباح الخير أيتها الأميرة.

أشرق وجهها بابتسامة:

.. صباح الخير أيها الطبيب.

.. لا أرجوك، إنك تخترقين حواجزى بابتسامتك هذه، أنا ضعيف، ربّما  
.. سأتهار.

قال هذا وهو يخفي وجهه بيديه، أما هي فقد لَوَّنَ الحجل وجتيتها ببعض  
من حمة الورود، فأحنت رأسها وغرقت في الضحك. كانت شخصية كونراد

المرحة تضخ الحياة في عروقها، فخلال جولته الصباحية اليومية وأثناء معاينتها يمازحها ويلاعبها ويضحك معها. كانت تلاحظ إعجابه بها، لكنها كانت تتجاهل هذا براءة، محاولة جره إلى نوع آخر من العاطفة الصادقة، كي لا تخسره. فوجوده معها مهم جدًا وساعدها معنويًا كي تقف على قدميها من جديد، فما يشغلها الآن أكثر بكثير من إيجاد شريك.

- دعك من هذا الخجل واستمعي إليّ، فأنا أحمل لك أخبارًا جميلة.

- هيّا أخبرني.

- هل تعرفين أنك ستغادرين المستشفى قريبًا؟ فالمكان هنا لا يناسب الأميرات.

شحبَ وجهها، ذبّلت ابتسامتها وتقرّرت عيناها الجميلتان.. قالت بصوتٍ خافتٍ مرتجف:

- ولكن.. أين ساذهب؟ فليس لي أحد هنا سواكم...

قطع كلامها دموعًا غزيرة سالت على خديها دون توقف.

- لا يا عزيزتي لا تيكي أرجوك، نحن نتدبر الأمر، سنجد لك مكانًا جميلًا يليق بك، لن تكوني وحيدة أبدًا.

- سأبتعد عنكم وعن إيفاء، كيف سأندبر أموري؟ لقد ولدتُ هنا.. أنتم عالمي، من علمني واحتضني.

- لن تتعدي عنّا، فنحن سنبقى إلى جانبك إلى أن تصبحي قوية وقادرة على المضي وحدك.

- حقًا؟ أرجوكم لا تتركوني، فأنتم هدية الإله. أنتم من يقتل إحاسي بالغبرة، بدونكم سأضيع من جديد قبل أن أجد نفسي.

حضنها بحنان، فأغرقت دموعها قميصه.

- لا يا أميري لا تقولي هذا الكلام من جديد، لا تدرني دموعك، هذه



أرضك ونحن هنا عائلتك، ولن نتخلى عنك. أنت أوروبا الملكة الجميلة، هيّا  
عديني ألا تبكي من جديد!

أخذ مندبلا ومسح به دموعها..

- هيّا عديني، ولألا لن ترييني هنا من جديد.

- أعدك، سأحاول، يجب أن أكون قوية وأن أواجه قدرتي بشجاعة.

- هذا جيّد وأفضل من التخاذل والنحيب. سأذهب الآن وأرسل لك إي..

في تبقى معك.. اتفقنا.

خرج من الغرفة إلى غرفة المرضات، وقال لإيفا:

- إيفا، اذهبي إلى أوروبا أرجوك. لقد أخبرتها أنها ستغادر المستشفى

مريئاً، وقد أثر فيها هذا جدّاً. أرجو أن تبقي معها حتى تتأكدي أنها قد تقبّلت  
الموضوع بوجهه الإيجابي.

قالت إيفا وهي حزينة:

- آه يا صغيرتي كم سأفتقدك.

- أرجوك تمالكي مشاعرك، فهي بحاجة إلى تشجيعك ودعمك أكثر من

ماجتها إلى العواطف المربكة.

- أنت محق، ولكنني اعتدت على وجودها هنا. لا تقلق سأعالج الموضوع،

وستعود كما كانت.

- جيّد، فهي تحبّك كثيراً ويسعدّها بفاؤك بقربها.

أسند جسده على الحائط وتنفس بعمق، ثم تحمس بيده دموعها التي كادت

أن تجف من على قميصه..

«لا تخافي يا أوروبا.. يا الله ساعدنا كي نقدم لها الأفضل.. أووه نيت،

يجب أن أكلّم المحقق، فربما استطاع هو أيضاً مساعدتنا».

ذهب إلى الهاتف سريعاً:

- هالو صباح الخير سيدي.. أنا كونراد طيب أوروبا السيدة الغربية  
أكلمك من المستشفى.

- آه، أهلاً دكتور، أخبرني هل من جديد؟

- أردت أن أسألك حول التحقيق، هل وصلكم ردٌ حول تلك الأسئلة؟

- رَدّوا علينا، حتى الآن لم يبلغهم أحد عن أي حادث سرقة في أي من  
مناخ العالم، وحتى في مواقع الآثار، فهي مراقبة، ولم تشهد هذه الأماكن  
منذ زمن أي حالات سطو أو تخريب، ولم يُبلغوا أيضاً عن أي حالة اختطاف  
أو ما شابه. أما مكتب الآثار، فقال إن هذه الموجودة - التي استلم صورتها  
غير مدرجة في سجلات الآثار الموجودة في البلدة المعنية. ولقد أثبتوا أن تلك  
الأشياء التي في الصورة تعود إلى الحضارة الإغريقية، وتلك القلادة لم يتركّر  
وجودها بين ما تحتويه إحصائياتهم الأثرية؛ أي أن هذه القلادة لم تكن موجودة  
ولم يسجل وجودها سابقاً. إنه فعلاً أمرٌ محيّرٌ، ولن يجعل هذا السر سؤي هذه  
السيدة نفسها.. طمئني، كيف أصبحت؟

- وضعها الصحي يتحسن دائم وإدارة المستشفى وجدت أنه من الأفضل  
أن تغادر المكان، كي لا يؤثر وجودها هنا لفترة طويلة على صحتها النفسية.  
- طبعاً هذا أفضل.

- إننا نحاول أنا والبروفيسور هاتنغر أن نجد لها مكاناً مناسباً نبقها فيه  
تحت مراقبتنا، كي تكمل ما بدأناه، ربما وصلنا إلى حلٍ منطقيٍّ لهذه القضية؛  
فارجو أن تسمحوا لنا أن نتصرف بهذا الموضوع، وأن تتحمّل مسئوليتها إلى أن  
تظهر أدلة جديدة تُحدّد مصيرها.

- من الممكن أن ندخلها مركز رعاية المشردين، كما الحال عادةً مع من  
يدخل البلد بدون أوراق ثبوتية.

أرجوك، سوف نجد لها مكانًا مناسبًا يمكنها فيه متابعة دراستها للغة،  
وهكذا نُحل القضية دون تعقيد.

- هذا ممكن، وأنا سأساعدكم كي نصدر لها أوراق شخصية مؤقتة، نستطيع  
من خلالها أن نحصل على مساعدة مادية واجتماعية وطبية، مثلها مثل أي  
مواطن، إلّا أن نتمكن من إثبات شخصيتها الحقيقية.

قال كونراد بحماس وسعادة:

- هذا رائع سيدي، أشكرك من كل قلبي على تعاونك، بغض النظر عن  
ساجتنا لحل هذه الأحجية، فإننا نقف أمام حالة إنسانية بحته.

- سوف أنتظر قراركم، وأنا جاهز لمساعدتكم. لكن أخبروني عندما تجدون  
السكن، كي نتمكن من إنهاء الإجراءات اللازمة.

- بالتأكيد سيدي، سنبقى على اتصال.

أنهى المكالمة وعيناه تلمعان من السعادة.. شكر الله.. كم أنا سعيد.. سوف  
أجد المكان المناسب ولن تكوني يا أوروبا وحيدة بعد اليوم.

عن تلك الجزيرة، وفي ذلك القصر مكنها الجديد.. جلست أوروبا تأمل  
تلك القلادة..

«أصبح أني أستطيع أن أرى من خلالها ما أريد؟»

نظرت بشوق.. تلك الوجوه التي تفتقدها.. أمااه أين أنت، اشتقتُ إليك  
كثيرًا.. ثم فجأة تحول سطح القلادة إلى صفحة شفافة كزجاج المرأة، وبدأت  
تلك الصورة المتلاشية تظهر بوضوح.. بحرٌ ومركب.. تاليفازا تجلس هناك،  
وقدموس واقفًا بقربها..

«إنه أخي وأمي معه، إنهما على متن سفينة ترسو قرب الجزيرة.. آه أيها الإله  
ماذا سأفعل؟ فالعملاق طالوس يقف هناك، وسوف يدمر الأسطول بأكمله  
إذا ما اقتربوا من الجزيرة!»

سمعت صوتًا.. إنه صوت قدموس..

- ها قد أرسكننا على الوصول أيها الرجال، ارموا المراسي. سوف نتوقف  
هنا على التخوم، ونرسل قوارب الاستطلاع إلى شواطئ الجزيرة.

قالت تاليفازا بصوت ممزوج بالفرح والقلق في آن:

«آه قلموس.. أتمنى أن نجد هاهنا وأن نعيدها معنا.. لقد اشتقتُ إليها كثيرًا.  
- أتمنى هذا يا أمي، أنا أيضًا بؤرقني طيفها عندما يمر في خاطري، فهي لم  
تكن شقيقتي فحسب، بل شريكة طفولتي ومشجعتي الدائمة، مخزن أفكار  
وأحزاني وأسراري.»

سمعت وشاهدت ثمرة رحيلها، فساقت دموعها، محوِّلة غبار تلك  
الذكرى المؤلمة إلى وحول جارفة تحتاج حدائق ماضيها، تاركة خلفها أرضًا  
فاحلة، تحتاج ملايين السنين كي تستعيد صلاحيتها.

«يا أماه ويا أخي الغاليين، أنا أيضًا أحبكما وأفتقدكما كثيرًا. إحاسبي  
بالمذنب يكاد يقتلني، سأبحان أرجوكما..».

قالت تاليفًا لقلموس، وأوروبا تراقبها عبر القلادة:

- أعتقد يا ولدي أن هذه الجزيرة ستكون آمنة؟

- لا أعرف يا أماه.. لقد وصلنا إلى هنا سابقًا، ومليك هذه الجزيرة رجل  
حكيم، شعبه يحبه ويحترمه، لقد تبادلنا التجارة معهم، ورجوا بنا وبها نحمل  
معنا.

- إذا لماذا نقف هنا؟ لماذا لا ندخل؟

- لا يا أماه، لقد علمتنا حياة البحار والترحال أن نتصرف بحذر إذا ما أردنا  
أن نصل إلى أهدافنا سالمين. لكل يوم إله وتاريخ يحكمه، وصديق اليوم ربما  
عدو الغد، فعلم الغيب دائمًا في عالم الغيب.

- معك حق أيها القائد الشجاع الحكيم.. كم أنا فخورة بك حقًا!

لقد أخافها ما سمعت، فهي تعرف قلموس الشجاع، إذا قرر الدخول  
فيدخل، وربما سيهزم طالموس إذا ما أراد هذا..

«ماذا سأفعل؟ سيتوجهون إلى الجزيرة.. يجب أن أحميهم.. أن أمنع ذلك  
الصدام الوشيك مع العملاق.. ساعدني أيها الإله كي أجد حلًا لهذه المأساة.»

ركعت على الأرض وأخذت تصلي:

«أيها الإله ساعدني، دعني أقرب من قلب قدموس، أريد أن أكلمه أرجوك يا إلهي.. أرجوك».

أجاب صوت من البعيد، من هناك.. من قرب القلب حيث تقطن الأسرار - لماذا يا أوروبا؟ هل أنت خائفة على مصيره؟ أم أنك خائفة على مصيرك؟ من يتوجه بالصلاة إلى السماء ويتربص الإجابة يجب أن يكون صادقاً بمقصده أولاً، كي يُستجاب له.

- أنا خائفة عليهم وعلى نفسي في نفس الوقت.. لقد خرجت أخيراً من ضعفي وترددتي، وقررت البقاء.. الآن فُتحت أمامي أبواب العودة، بعد أن ظنت أنها مستحيلة. أجد نفسي غارقة من جديد بخوفي وخجلي وضعفي أخي وامي على بعد أميال، وأنا أصلي كي لا يقتربا.. كي يعودا من حيث أتيا، رغم حُبي وشوقي لهما.

- هل قررت البقاء لأنك تحبينه؟ أم لأنه إله؟ أم لأنك تبحين عن مصير جديد؟ عن المجد والاستقلالية؟

هزت رأسها نافية، أو حائرة، أو ربما بلا إدراك لما تريد..

- في البدء اختلطت على الأمور، لم أستطع قراءة مشاعري، لكنني أدرك شيئاً واحداً.. لقد انجذبت إليه قبل أن أعرف حقيقته، وركبت معه البحر متحذية المخاطر مستلمة لإرادته. لقد تعلقت به دون أن أدرك ما ينتظرني، ها أنا أحياء على هذه الجزيرة وحيدة محاصرة بمخاوفي من زوجته وأولاده.. ماضيه ومستقبله، مراقبةً ومطوّقةً، وربما سابقين هكذا ما حيت، ولازلت أحبه. لولا هذا الحُبّ لما رضيت بمصيري وسجني هذا. ها أنا اليوم أرتعد أمام فكرة العودة، أرتعد أمام أهلي الذين أشاق إليهم.. وهم على مقربة مني، أصلي كي يرحلوا!

هذا يعني أنك لا تريد أن يجذوك، لأنك لا تريد العودة؟ أنت تخافين  
«سك، وليس عليهم؟»

أنا أخاف عليهم في كلتا الحالتين.. إن وجدوني وعرفوا أنني قد غادرت  
طوي بإرادتي وأنتي لن أعود فهذا سيترهم كما سيدمرني، لأن أستطيع أن  
اطردك وجوههم، لقد أصبحت غريبة عنهم، لم أعد كما كنت، أوشك أن  
لا أعرف نفسي، فكيف لهم أن يعرفوني! لقد رحلتُ وأغلقتُ خلفي أبواب  
المودة وأبواب الماضي.. بإرادتي ورغمتها عني!

تذكرني يا أوروبا أنك بقرارك هذا تصنعين قدرك بنفسك، وللمرة الثانية..  
هعب اليوم وكما وقفت بالأمس، وهكذا ستقفين غداً أيضاً بصدق وشجاعة.  
قلت «أنا أريد، وسأكون ما أريد»، وأمام هذه الإرادة ستفتح أمامك  
أبواب الحياة، وربما أبواب السماء وحدودها أيضاً، ستحني الصعاب أمامك  
«أمام إرادتك، ولكن لن يكون لك ما تريد باللهو واللعب، ستزقن دموعاً  
ثيرة، وستأنين تحت وطأة أحمالك، ستحصدن نجاحك بالعمل والكفاح..  
لا تطرفي باب السماء باكية، لن تشفع لك دموعك، بل سيشفع لك إصرارك  
«صبرك، وليكن لك ما تريد».

قالت باكية:

- إنني أحبهم، هم علة وجودي، ولا يبعدني عنهم سوى حبي لهم.

- أعرف يا أوروبا.. لكنك لن تستطيعي ركوب الغيم وغزو السماء  
وجذورك مربوطة بالأرض، إنه ثمن ما ستحصدين. لن يغير رسمنا أو قبولنا  
لقدردنا حبنا لمن نحب، على العكس فربما هذا الحب هو ما يزيدنا إصراراً على  
تحقيق ذواتنا، حتى نثبت لهم أن رهانهم علينا لن يكون خاسراً.



- أيها القائد، لقد رجعت بعض مراكب الاستطلاع التي أرسلناها إلى هناك.

صاح قلموس في حماس:

- ساعدوهم على الوصول إلى السفينة.

رمن البحارة الحبال، وشدوا القارب إلى السفينة.. صعد الرجال إلى السطح والذعر قد عصّر ماء الحياة من وجوههم وأطرافهم المرتجفة، فرموا القلق في قلب قلموس..

- ماذا هناك يا تيفوس، ماذا حدث؟

- يا سيدي، هناك عملاق ضخم مصنوع من النحاس والحديد يربض على شاطئ الجزيرة. لقد حطّم أحد مراكب الاستطلاع وأغرق رجالنا وطاردنا حتى ابتعدنا، ولولا رحمة الإله لما نجا أحد منا.

- يا إلهي!.. ما هذه الأخبار؟ لقد فقدنا الرجال والمركب، هذا مؤسف، ويله منّي ذلك العملاق.

- سيدي.. الأفضل أن نغادر المكان قبل أن نخسر أسطولنا وتجارتنا بسبه.

- لال ن أتراجع، سأذهب إلى هناك، وسأنازله، وسأدخل الجزيرة.

قالت تاليفازا والخوف يملكها:

- لا يا قلموس يا ولدي، لن نجازف بأروحتنا.. أمامنا رحلة طويلة، هل نسيت؟ يجب أن نجد شقيقتك أولاً



نظرت أوروبا إلى القلادة، فشاهدت قلموس يحدّق في السماء.. تلك



الطرات تعرفها، ليس هناك قوة تقف أمامها.. إنه فاتح البحار، وحكيم  
الأمم، ورمح الحق والعدل.

- أخي قلموس، هل تسمعي؟

دخل صوتها من أعماقها إلى أعماق روجه:

- أجل يا أميري، أسمعك يا حورية بحاري.

- أشعر ان هناك خطرًا يداهمك ويحيطك من كل اتجاه، ابتعد يا أخي عن

المكان الذي أنت فيه.. أرجوك.

- أين أنت يا جيبتي؟ أنا مستعدٌ لمحاربة كل عمالقة كايا من أجلك.

- أنا بخير، أعدك أننا سنلتقي يومًا ما، وسأخبرك بما جرى.

- لكنني عاهدت أبي ألا أعود بدونك.

- لن تعود بدوني، وستجدي عندما أجد نفسي. أنا لا أملك قدرتي الآن،

سأنتلكه متى وجدت أنت ما تسعى إليه. أنت أيضًا قدرك يقودك، ورسالتك

بهودك. اذهب يا أخي واكمل ما بدأت به. اذهب وعلم هذه الشعوب الكلام،

اطلق حناجرهم بحروفك، فإنك رسول الحرف والكلمة. فقد ولد كلانا

لصبره.

- سأبحثُ عنك يا أختي إلى أن أجديك

- أنا أيضًا سأجديك بعد حين.. أعدك.. اعطني بأمنا أرجوك، وقل لها إنني

أحبها، فلتصلي لي إلى أن نلتقي.

هربت من عينيته دمة، وهو القائد الذي لا يهزه خوف، فسألته أمه مرتعشة:

- قلموس يا ولدي، ما بك؟

- لا شيء يا أمي.. لقد سمعتُ صوت أوروبا يناديني من السماء.

- ماذا؟ أوروبا؟ وماذا قالت لك؟

- طلبت مني أن أذهب من هنا، ووعدتني بأننا لن نعود إلى فينيقيا إلا وهي معنا، وأنا سنلتقي. كما طلبت أن تصلي لأجلها.

أسدت تاليفازا جسدها المتلاشي على ساري السفينة كي لا تسقط أرضًا.  
- إنها رسالة الآلهة، فلنذهب من هنا أرجوك.. إنها تنتظرنا في مكان ما، وهي بحاجة إلينا وإلى صلاتنا.

بعد أن طاف قدموس بنظره إلى البعيد، فوق صفحات ذلك المحيط وسماؤه، تنفس بعمق، عاد إليه هدوئه وحكمته، صاح بصوت عال:

- أيها الرجال، ارفعوا المرسى وافتحوا الأشرعة، سبحر إلى رودوس، ونكمل من هناك إلى تراقيا.

جلس إدي وكونراد في مكتب الأخير في المستشفى.

- قل لي يا إدي.. إلى أين وصلت في بحثك؟

- إنه مشر لتنتج جيدة، وأنت؟

- وأنا أيضاً عندي أخبار جديدة وسارة، ولكن أنت من سيدأ يا صديقي.

- حسناً، بعد السؤال في المؤسسات الاجتماعية، قالوا لي إما أن تدخل

مخيمات المشردين وهناك ستحصل على كل الخدمة الاجتماعية والصحية ولكن

لفترة محددة، خلالها يجب أن تثبت هويتها وإلا سوف تفقد تلك الحماية وتعود

إلى الشارع ويكون وجودها غير شرعي، وربما ستدخل السجن. أما الحل

الأخر فهو مؤسسات رعاية المرأة، هناك أيضاً تستطيع أن تجد كل ما تحتاجه

من مساعدات قانونية واجتماعية تعليم وتدريب على الانخراط في المجتمع،

لكنهم لا يقبلون أحداً دون أوراق ثبوتية.

- هنا تبدأ أخباري السارة، لقد تكلمت مع المحقق.. أخبرته عن الوضع

الجديد وطلبت منه أن ناخذ ولاية أمرها على عاتقنا، إذا ما سمح لنا بهذا.

وقد وافق على طلبي، وقال لي أيضاً إنهم سيصدرون لها بطاقة تعريف شخصية

تجيز لها الإقامة بشكل شرعي إلى أن تتنازل للشفاء أو إلى أن تثبت هويتها، وقد طلب أن نحضر له أمر وصاية مُرفَق بالمعلومات التي حصلنا عليها، مع تقارير المستشفى الطبية، وهو سيقدم هذه الأوراق إلى الدوائر المختصة ويرسل لنا بطاقتها الجديدة متى أصبحت جاهزة.

كاد ان يصرخ من هول المفاجئة..

- أووووه، كم جميل هذا! لقد سُويَ الأمر، إلى أن تجهز أوراقها سأختار لها المركز المناسب، أو بالأحرى قد وجدت لها واحداً، مديرته من معارفي وقد التقيتها اليوم خلال جولتي. إنه بيتٌ صغير نسبياً بالنسبة للبيوت الأخرى، يقع في منطقة هادئة وراقية قرب حديقة المدينة. تكلمت مع السيدة برجيتاً مديرة المنزل، وشرحتُ لها ظروفها. لقد رحبتُ بقدومها، لكن المشكلة كانت فقط إثبات هويتها، فبدون هذا دخولها مستحيل، فالجميع هناك متعب ويبحث عن السلام والأمان، والآن ها قد سويَّ كل شيء بأفضل طريقة، والشرطة ستكون مسئولة عنها بضمانتنا نحن، سأنصل بالمحقق كي أخبره بشأن المركز.

هانف مكتب الشرطة، وفتح ساعة التلفون كي يتمكن إدي من متابعة الاتصال..

- ألو.. مرحباً سيدي أنا دكتور كونراد من جديد.

- أهلاً دكتور تفضل.

- لقد وجدنا سكن لأوروبا، وسنحضر كل الأوراق المطلوبة ونرسلها لكم، هل هناك إجراء - أخرى علينا اتخاذها؟

- لا اعتقد، بوجود هذه التقارير الطبية نستطيع أن نؤمن لها إقامة مؤقتة، ولكن عندما تشفى تماماً يجب أن نجد عملاً، فبضمان مكان العمل والسكن نستطيع أن نتخرج ترخيص إقامة دائمة بدوام هذا العمل..

أضاف:

- وبما أن التقارير تثبت أنها لازالت تعاني من مشاكل نفسية بسبب العنف الذي تعرضت له، فهذا يعني أنه سيكون أمامها وأماننا مشع من الوقت كي حصل إلى حلول لكل هذه الألفاظ التي تحيط بها.  
- هذا جيد، لن يكون هناك مشكلة.

- لا تنسى أن ترفق الأوراق بعنوان إقامتها الجديد، ووكالة ولاية أمر موقعة ، ومن السيد هاتنغر ورقم حساب أحدكم، كي نحول المبلغ الشهري الذي حصل عليه، بما أنكم ستكونان ولاية أمرها. سيحضر أحد موظفي كي يأخذ صهات أصابعها وصورا شمسية لها مع الملف.

- شكرًا لك سيدي سنحضر الملف حالاً.

أهني الاتصال، وقال بسرور:

- ها أخبرني.. هل أعجبك ما سمعت؟

- يا إلهي هذه الـ أوروبا كم هي محظوظة، فالجميع يساعد ويتعاون ، الأمور تسير أفضل بكثير مما توقعت. في بعض الأحيان أشعر أن هناك مسافات شاسعة بين القانون والإنسانية، مع أن القانون قد نُصَّ وطُبِّقَ كي يحمي الإنسانية، لكن في قضية أوروبا يتحد الاثنان معًا. سأذهب الآن لأزف لها الخبر.

خرجَ سريعًا.. ذهب إلى غرفة أوروبا، طرق الباب بفرح ثم دخل وهو

سم ..

- كيف هي أميرتي اليوم؟

صاحت:

- إدي.. لقد افتقدتك.

- أنا أيضًا، هيّا أخبريني ماذا حدث، كونراد قال لي إنك ستغادرين المكان.

سكنَ الحزنُ عينيها، وغرقت تلك الكرات الملونة بالدموع.

- ما هذا؟ أنتِ فعلاً حزينة! لا.. ليس بعد اليوم، فأنا أحمل لك أخباراً رائعة.

- سأخرج من هنا إدي، من رحم أُمي. لكن.. كيف لي أن الأمس التراء بجسدي العاري وأقدامي الحافية؟ كيف أخرج وأنا جنين لا يربط الحجاب السري مصيره بأحد! كيف أعزف وأنا نعمة منفردة لم تتعلم فن الرقص مع ما يحيطها من نغمات؟! كيف أجتاز أسواري وأنا لم أنعلم قراءة رموز الأبواب المغفلة؟ كيف لي وأنا لا أشبه زماناً ومكاناً؟! قال:

- لقد قطعيت حبلك السري بيديك الناعمتين، يوم قررتِ خوَضَ معركتك وحيدة. غداً ستعلمين فن الرقص بين أنغام الصمت. راقص منفرد تراقبه آلاف العيون، وتكتشفين رموز الأبواب المغلفة عندما تُجيدين قراءة نفسك، وتكسين جسدك العاري برداءً عُزِلَ بخبرة من صيرٍ وأملٍ وحُبِّ. أقدامك الحافية ستعشقُ تسلقَ القِمَم، لتصنع لها هناك مكاناً وزماناً جديدين. أنتِ سرٌّ، وما كان للأسرار أن تنمر من غموضها، فيوم تفقد سريتها تصبح لا شيء.. سوف تمشين وحدك مرفوعة الهامة، وسيكون وراءك الكثير ممن يتابعون خطاك. وكلما رحل أحد سيحل مكانه آخرون.

شردت مع كلماته، التي كأنها تقرأ حكايتها.. همست:

- أعرف أنه قدري.. لقد حاورته وحاوري، نازلته ونازلني، وخرجنا متعادلين.. ها نحن من جديد يتظر كل منا الآخر، من سينحني أولاً؟.. لكنني الآن أحتاج إلى بعض الوقت كي أجمع عتادي.. رماحي وزادي، لأبازره جديد.

- أمامك كل الوقت، ليس هناك التزامات ولا معاهدات ولا حتى حروب. اختاري شعاراً جديداً للمرحلة الجديدة اسمه «السلام»، منطلقاً من داخلك إلى كل ما تحبّه، تربيه وتلمينه. معركتك الوحيدة كيف تتكيفين مع قوة

الهاء، وكيف تفرضين سلامك عليها.. تعلمي، تعلمي وعوضي كل ما قد  
فانك من علم، لن تسبقك أقدارك ولن تنازلك ما دمتِ تسيرين إلى الأمام  
أو ببطء، فالأقدار تحارب من لريثخذ العقل والعلم والإرادة سلاحاً له، فهي  
.هذه أن نرمي عليها فقلنا ونحملها ثمرة أفعالنا، لهذا فقط تحاربنا. وعندما  
لهي بأنفسنا، تسيرُ معنا، لأنها ستدرك هزيمتها أمام إصرارنا وإرادتنا، إذا ما  
مرات وفتحت حربها علينا يوماً.

- وأين ساعيش؟

ضحك عاليًا وقال:

- هذا رائع.. سؤال جيد يدل على تجاوزك أزمة المكان. أبتها المقاومة،  
سأخبرك.. هنا في هذا البلد الجميل الذين تقيمين فيه هناك قانون.. نظام  
، إنسانية؛ القوانين تُسنّ لتحمي الأرض والأرواح الحية التي تسكنها من كل  
أنواع الشرور التي تهددها، والنظام يساعد على تطبيق القوانين والالتزام بها.  
أما الإنسانية فهي روح هذه الأرض الضابطة بين القانون وتطبيقه، لحماية من  
لا يستطيع أن يخضع للنظام بسبب الفقر، الجهل، المرض، العجز، الإعاقة  
والضعف. همزة الوصل هذه يُخلَق لأجلها قوانين أخرى، قد شُرعت خصيصًا  
لاحترام هذه الإنسانية المغتصبة من تلك العوامل، لهذا أوجدت المؤسسات  
الاجتماعية كي تلعب دور الوسيط بين القانون وتطبيقه، ترعى هذه المؤسسات  
هؤلاء، احترامًا للإنسان ولوجوده على الأرض ودوره في بناء المجتمع، مهما  
كانت مهمته، مكانته، وظروفه. يتبع هذه المؤسسات منازل خاصة للنساء  
المواتي يمررن بظروفٍ خاصة ولا يجدن المساعدة هن ولأولادهن لحمايتهن من  
الشر، الانحراف والانتحار. تقدّم هذه البيوت كل ما يحتاجونه من خدمات  
طبية وقانونية وتعليم أيضًا، إلى أن يصبحوا أقوياء أصحاء، يمكنهم الاعتماد  
على أنفسهم.

- سأذهب إلى هناك؟

- أجل، سيكون لكِ غرفتكِ وكل ما تحتاجين، ستكونين حرة دون قيود،  
الآن تلك التي سُنتِ كي تحمي حياتكِ من المخاطر وحياة الآخرين.

- وأنتِ؟ هل ستزورني؟ دكتور كونرا وإيفا وعدائِي بأنهما سيكونان معي  
دائماً.

- بالتأكيد، سنكمل دروسنا، حتى تتمكني من الاعتماد على نفسك، كأبي  
سيدة في هذا المجتمع.

عادت الالبسة الحذرة تملأ وجهها من جديد.

- قبل أن نبدأ الدرس، أريدكِ أن تعطيني بعض المعلومات كي نملأ هذا  
الطلب مثلاً: اسمُ والدكِ ووالدتكِ. سوف تصدر لكِ الشرطة بطاقة تعريف،  
كي تسهل دخولكِ إلى هذا المجتمع، وستحصلين من خلالها على النقود كي  
تشتري بنفسكِ كل ما تحتاجين إليه.

- ما هي النقود؟

أخرج محفظته وعرض عليها بعضها.

- هذه أوراق نقدية، وهذه نقود معدنية.

أخذت بعض القطع وراحت تتفحصها.. فجأة، سمّرت عند إحدا

- من هي صاحبة هذا النقش؟

تقصدين هذه السيدة التي تمتطي الثور؟ إنها أوروبا، ملكة هذه القارة،  
الأميرة التي أعطت اسمها لكل هذه الأراضي الخضراء الشاسعة.

كان يراقب ردود فعلها باهتمام وكأنه أصبح واثقاً من شخصيتها.. أضاف  
قائلاً:

- إنها أوروبا.. اسمها أوروبا مثلكِ.

- كيف وصلت صورتها إلى هنا؟.. كيف أصبحت ملكة؟



- إنها قصّة طويلة، سأسردها لك في بيتك الجديد، دعينا الآن نملا هذه الأوراق.

«هل أعطيه الأسماء؟ ربما عرف من أكون!! أريد أن أخبره، لكنني لست استعدة. يجب أن أعرف بدايةً كيف وصلتُ إلى هنا.. ربما لن يصدقني، وسبعنقد أني مجنونة.. يجب أن أقرر».

- هلا صديقتي، أين ذهبت؟ تبدين مشوشة الفِكر اليوم. هل نبدا؟

- ماذا تريد أن تعرف إدي؟

- اسم والدك؟

- أخينور.

- والدتك؟

- تاليفازا.

- مكان ولادتك؟

- صور.

- تاريخ ميلادك؟

- لا أعرف، لا أذكر التاريخ.

- هل يُعقل؟!.. حنا سأكتب تاريخ دخولك إلى المستشفى كيوم ميلادك،

و أزيد عليه ما أتوقعه لك من سنين. أهذا جيد؟ هل ارحب سيدة أخينور؟ لا تخافي وثقي بي.. سأفعل المستحيل كي أحميك.

- أنا أثق بك، لكن عدني الا تغير إذا ما عرفتَ حقيقتي، ولر تعجبك!

- إطلاقاً، وهذا لا يهمني، لا من أنتِ ولا من أين أتيتِ.. بالحقيقة يهمني

هليلأ، ولكن أنا أتعامل معك كإنسان بحاجة إلى مساعدتي، ولن أخذلك.

أشرق وجهها من جديد بتلك الابتسامة الساحرة، فقال إدي:

- رائع.. أشرقت الشمس من جديد، والآن لنبدأ درس اليوم، الذي سيكون عن الأرقام والنقود والحسابات، وغداً سنزور البيت الجديد، سنذهب إلى المتجر لنأخذ بعض الدروس التطبيقية هناك.

وصل زيوس إلى القصر، فوجدها تعني بزهور الحديقة.

- أوروبا، هل أنت بخير؟

أجابت بصوت خافت:

- بخير، لقد كان أسطول قدموس على تخوم الجزيرة.

- سمعتُ صلاتك، وقرار رحيلك كان صائبًا، فطولوس قد حطّم أحد

مراكب الاستكشاف، لقد نجا الآخرون بأعجوبة.

- لقد خاطبته ورَجَّوته ليرحل.

قال وهو يرمقها بنظرات تفيضُ حُبًا وحنانًا:

- عندما سمعتك لِرَأْصَدَق، ظننتك ستذهبن معهم.

- أنتَ قدرتي، وأنا اخترتك بنفسِي.

- بعد موت آيو حبيتي، لِرَأْصَدَق أنني سأعيشُ هذه المشاعر مرّةً أخرى،

وها أنا أحمِلُ سراجَ حبي لها، كي أشعِله من جديد معك، وكأنك بلسمُ الإله

العاشقِ ووجعه.

- يُعِدُّني أنني قد ملأتُ مكانَ آيو في قلبك، تلكَ البشريةَ الرائعة. لقد  
بَكَتَ السماءُ يومَ موتها.

- وأنا أيضًا بكيتُ لرحيلها، بكيتُ قدرتي الذي جمعني بهجرا، تلكَ الإلهة  
التي دمرت حياتي بغيرتها وكل ما تحمله من شرور، ولهذا أخافُ عليك،  
وأخافُ أن يفيدَ بُعدي عنكِ حبكِ لي.

- لا تخف، فلقد أرسلني إله الحبِّ إليك بعد رحلتك الطويلةَ الموحمة  
لقد سمعتُ من كاهن الهبكلِ قِصَّتِكَ، تلكَ المَلْحَمَةُ المَبْكِيَّةُ، حيثُ ملكتني  
الدهشة من أفعال والدك، وكيف استطعتُ أن تنجو وأن تصيحَ إلهًا، رغم  
تلك الظروف والمؤامرات.

- كان "كورانس" والذي الإله المطلق في الأومبيوس، فهو سليل أورانوس  
إله النعيم و"كايانا" إلهة الأرض. وكان ذا سُلْطَةٍ لا تحدّها حدود، لكن جيا  
حدّرتة بعد تلك الرؤية الغريبة التي أنبأتها بأن أحد أبنائه سوف يرث أمجاده؛  
عرشهُ وسلطانه، وسيكون أكثر منه حكمةً وذكاءً وفورة. لقد أفرعه هذا الأمر.  
ولم تستطع أُمِّي ربا أن تعارضه عندما قرّر أن يتلع كل مولود تضعه، هكذا كان  
يأخذ أولادها بعد الولادة واحداً تلو الآخر، يتلعهم ويسجنهم في أحشائه.

- إذا القصة صحيحة!! فالعديد لم يصدقوا أنّ هناك أباً يستطيع أن يفعل  
هذا، كيف إذا كان إلهاً!

- بعد ولادة إخوتي الخمسة، قام كورونس بابتلاعهم، ظناً منه أن أجسادهم  
المقدسة ستمد جسده بالمزيد من القوة، وأنهم سيكونون وقوداً للوجه الإلهية،  
فهو يعتبر أن كل ما خرج من نسله وجسده يجب أن يعود إليه، كي تبقى دورة  
الحياة الإلهية متكاملة.

- كيف نجوت أنت؟ هل صحيحٌ ما تقولهُ المزامير المقدسة عن طفولتك؟  
بعد ولادتي، أحثت أُمِّي بأن طفلها الأخير هو من سيكر سطورة ذلك

المتنرد. قبل أن يحين موعد ابتلاعي - كما حدث مع الآخرين - حملتني إلى  
ه كريت، حيث تركتني على هذه الجزيرة برعاية حورياتها، وشاة اسمها  
اه ساء، والتي أرضعتني الحليب والعسل من ثديها كي لا أموت جوعاً.  
ه كورانس أين كان من هذا؟

له يعرف بغيابها.. فمن شدة غروره كان يعتقد أن لا أحد على وجه هذا  
وال يتجرأ على خداعه. لكن هذه المرة لم يحالفه الحظ، عادت أمي ولقت  
ه ه بحجم جسدي بأغظيتي، ووضعتها على مذبح المعبد في دلفي، فابتلعها  
اله دون أن يشعر. لقد حنتي حوريات الجزيرة أيضاً، فكنّ بضرين على  
اه ج حين بكائي كي لا يسمع الصوت ويعرف بوجودي، وهكذا اعتقد  
النوءة لن تتحقق بغياب الوريث، وسيبقى هو على عرشه صاحب السلطة  
طالفة.

ه يالها من قصة محزنة! قل لي.. كيف كانت طفولتك على تلك الجزيرة؟  
ه استطعت النجاة؟

ه صعب على المرء أن يحيا ويكبر وحيداً. لن تستطيعي، مهما تحملت،  
سمي صورة كاملة للمشهد، لكنني رغم هذه العزلة لم أشعر بالوحدة.  
حدة تنبع من الفراغ، والذي لم أعرفه. لقد علمتني الطبيعة لغتها،  
ه علمت مع أحيائها، وناجيت السماء وزرت طبقاتها، لمست زرقتها، نجومها  
ه تواجبها، خاطبت البحر، علمني أسراره، ذلك الحليب الذي رضعت زرع  
ه فلي الرحمة، لأنه ثمرة ثدي رحيم. علمني ذلك الخوف الذي كان يدامني  
ه اختبئ في داخلي، أدخل هناك، إلى كهفي وصومعتي، أكلت تلك الروح  
المظلمة التي تمدنا بأرواحنا، وترعى كل ما انبتت عنها من مخلوقات، كما تمد  
اله الحية كايا أجادنا بالحياة.

ه زيوس.. هل تؤمن بالإله الواحد؟

- لكل مصنوع صانع، كما لكل طفل أمٌ ولدته، فلا ينبثق عن الفراغ صوت الفراغ، أما تلك الآلهة والمبشرين الذين يخاطبون البشر، فقد خاطبهم على قدر فهمهم للأمور، من يسمي إلى المعرفة وتوق روحه إلى حقائقها، سيخاض حدود البشر والأصنام والأسماء والأشياء، وصولاً إلى النور ومصدره. لولا تلك القوة التي تحرك الكون، لما كنتُ أنا إلهًا، فتلك الطاقة التي عُصتُ في أغوارها اجتازت بي حدود الأجساد البشرية المحدودة، فطُقتُ هناك ارتشفت العلوم من منابعها دون مُعلّم. ذلك النور اللامتناهي هو لامتناهي، وبإمكانك أن تاخذي منه قدر المستطاع. في ذلك الفضاء شاهدت صور كل الموجودات، ما وُجد وما سيوجد، سمعتُ أصوات الكواكب تعزف ألحانًا غريبة لم تُعزف بعد، من هناك استمدت قوتي.

تنهّد بعمق ونظرَ إلى السماء.. وتابع:

- هناك تلك العوالم التي تشابه وتختلف عن عالمنا. عرفتُ حدود الأرض، قاراتها ومحيطاتها. كنتُ أخاف مرور الوقت، أخاف من عودتي إلى عالمي الذي ولدتُ فيه كي أحكمه، تلك السعادة التي كنتُ أعيش لا يضاهاها سعادة ذلك الانصهار والاتحام بنور الكون، إلى أن نصبح جزءاً منه، سوف يملأ شخصك شوقاً للعودة إليه والتنعم فيه، كما يتنعم الرضيعُ بحضن أمه.

- لقد أخبرني قديموس شيئاً من هذا القبيل، فهو يجوب البحار قبل أن يبحر، دون سفن ولا دليل. يرسم حدود البحر ويسير القوافل إلى عالمه، الذي كان يزوره قبل أن يزوره.

- إنَّه طاقةٌ كونية تكُنُّها الحركةُ والتفاعلُ والانقسامُ رغم توحيدها في واحدٍ، فهي في ذاتها منقسمة، ينبثق عنها كل ما كان أدنى منها طاقة، لتنبثق منها أرواحنا وأرواح أخرى تنقل في الجوهر، من أرواحنا وانعكاسها نرى كل ما نرى.. طاقة كونية لا يحدّها اسم ولا مكان ولا شكل. إنها ذلك الصمتُ الساكن في الصوت، والسكينة القابعة في داخلنا وفي أعماق الحياة!

- ولماذا لا ندرکها؟

- لأن الروح البشرية غير متكاملة المعرفة، بسبب تقيدها بالجسد وقدراته، وانباطها بالأرض كأيها، مسرح اختبارها من خلال ذلك الجسد، الذي له أيضا طبيعتها؛ كالنمو والفتاء، التكاثر، الحياة والموت، وتبدل الفصول.. ملك الأجسامسكن الروح هي خليط لعناصر أربعة دائمة التحول؛ أما تلك الطاقة الكونية، مصدر الأنا الصغرى التي تربط الجسد بالروح، فهي طاقة روحانية ثابتة واحدة لا متناهية. كل روح بشرية تتوق إلى التواصل بمصدرها وتسمى إليه، تسعى إلى التحرر والانعقاد من قيود الجسد واللحاق بقافلة النور التي أتت منها، ولو للحظات. إنه حين العودة إلى منبعنا، فكل مادة تعود إلى مصدرها كما تعود الأجسام إلى التراب، ومن تاهت روحه بين أصلها وقوة الأنا، الذات الصغرى، أصبح التحامه بالنور غير ممكن، لأن قيود ورغبة المادة مازالت تطوقها وتمنعها من الانعتاق، فيفرقها هذا الصراع في بحور تيتانوس، عالم الأرواح السفلي، حيث يقيم كل من تاه عن النور وأدرك الظلام.

- ولماذا تركت هذا العالم الجميل؟

- زاد طغيان أبي وعاث بالأرض فسادا، فتلك السلطة المطلقة قد جردته من ألوهيته وعدله، من ضميره ومسئوليته تجاه شعبه الذي يعبد، فداس على كل من دونه. سطوة الحكم سُم قاتل يطفى نور أعماقنا ليحولنا إلى ظلام. كان يجب أن أعود كي أحقق عدالة السماء على الأرض، وأسير إلى قدرتي الذي ولدت من أجله، أحرز إخوتي من قبضته، ومنتقاسم زمام الحكم ليسكن العدل الأرض من جديد.

- لكن كيف فعلتها؟

- لقد حكمت والدي تيتانوس مسكن وحوش الظلام وأرض المجيم السفلي وجميع آلهة الإغريق القديمة، وكان علي أن أتغلب عليهم جميعا، كي أصبح الإله الأول وسيد البشر، مهمة شبه مستحيلة وأنا وحيد. في يوم مظلم،

تسللتُ إلى معبديه، ووضعتُ المخدّر في طعامه، فراح يتقيأ حتى خرجت تلة الصخرة التي ابتلعها يوم ولادتي من جوفه. عندها تحرّر إخوتي من داخله، أن سقط أرضاً غير قادر على المقاومة.

- ماذا حصل بعدها؟

- اجتمعنا سوياً، نحنُ العائلة المقدسة أسياد الأولمبوس الحقيقيين، الذين خنقَ حرّيتهمُ وحكمهمُ ذلك الأبُّ المتسلطُ الجبار. قررنا الاستعانة بقوة خارقة كي تساعدنا على التخلص منه ومن أعوانه، قبل أن نظهر كايا الحية من فساد ساكنيها الذين أفدهم حكم حكّامهم، فلم يبق أمامي سوى أن أحرّر باقي الآلهة المقدسة الذين سجنهم في العالم السفلي غياهب الجحيم، وكان أولهم "سايكلويس" ملك قوة الطبيعة ابن أورانوس، والربة كايا "هكاتوتشر" رجل المثة ذراع، و"جينت" المارد الجبار.

- هل ذهبت إلى ترناروس؟ ذلك الجحيم المخيف؟!

- أجل.. أثار من نار، شياطين ووحوش تلتهم البشر تحرقهم وتطفنهم لتحرقهم من جديد، دخان ورماد ورائحة قاتلة. لقد تحرّد أبي وألته من الخير. ولن يصارعه إلا من كان بمنزلة من القوة. تركنا الشر يصارع نفسه بنفسه. على قمة أحد جبال الأولياد كانت المعركة الحاسمة.. حرب طاحنة، أقطار الأرض، أنا وإخوتي الخمسة والعمالقة سجناء العالم الأسفل، نواجه قوة وجبروت أبي، أرواح الظلام والآلهة القديمة.. حتى أطلس عملاق أولياد الجبار، حارب معهم وساندهم.

أخذ نفساً عميقاً، وعيناه تلمعان بوجع الذكرى..

- لقد مدّني سيكلوبس بقوة البرق، التي ساعدتنا على الانتصار عليهم وبعد عدّة أيام انتهت المعركة، وكان مصيرهم أحد فوهات براكين الجبّور المشتعلة، كي يُسجنوا هناك في جحيم تارناروس إلى الأبد؛ أما أطلس فقد كان عقابه أن يرفع السماء عن الأرض على أكتافه مدّنى العمر.



- ماذا حدث بعدها؟

- اجتمعنا أنا وإخوتي وتقاسمنا الحكم فيما بيننا، كلُّ أخذ سلطته على أساس ما كان يميّزه من قوّة، وأصبحتُ أنا إله السماء وربّ الآلهة وسيد البشر المحكّم بقوى الطبيعة.

- وهل صلّح وضع البشر بعد ذلك؟

- للأسف كثُر التمرد والانحطاط والإجرام، ساد قانون الغابة، قتلّ القويّ الضعيف وسرق غلاله، صنع كلُّ لنفسه إله وعبده وحارب من يخالفه العقيدة الموت. لقد أساءوا استعمال تلك الحرية التي عادت إليهم بعد رحيل اورانوس، وكان هذا الظلم الذي عاشوه كل تلك القرون قد حولهم جميعاً إلى وحوش. ثارت الطبيعة وكفرت الأرض بساكنيها، وعجزنا نحنُ الآلهة بكلّ اطماننا عن ضبط هذا الاستيلاء من أشباح الظلم على عقول الناس وأفئدتهم، احتلقتنا فُلكتاً سكن فيه زوج من البشر وأنواع الحيوانات والطيور وكان اليوم العظيم... أمطرت السماء دون انقطاع، وفاضت الأنهار وتفجّرت الينابيع وثارَت البراكين. كان غضباً من الطبيعة ومن الإله الأوحَد على الجميع. تسعة أيام على هذه الحال، حتى أصبحت أرضنا كايا الحية بحراً كبيراً أخال من وجود الشر، عدا من سكنَ ذلك القللك.

أخذها التشويق، فاستحته:

- وبعد ذلك؟

- توقف المطر وسطعت الشمس وجفّ الماء، ورسا القللك من جديد.. مرج من فيه كي يبدأوا دورة حياة جديدة.

- لقد كانت حياتك مليئة بالصعاب، مسكينٌ أنت أيها الإله.

- ليس بعد اليوم، فانا معك الآن هنا، أودعت عرشي والوهيتي في مكانٍ آمن، أرندي ثوبٍ بشري من أجلك، من أجل أن أسعد معك، وإن خيّرْتُ ارتكُ كل ما ورائي وبقيتُ معك.

- هل أنتِ جاهزة أوروبا؟ لقد تكلمتُ مع السيدة برجيتا وهي بانتظار ما  
 - قلقة بعض الشيء، لكن أتمنى أن تسير الأمور على ما يرام.  
 - لا داعي للقلق، ستصبح هذه المخاوف جزءاً من الماضي. مهلاً، أراؤا  
 لكِ إنكِ تدين رائعة؟

- كفى مزاحاً، لن يغيّر هذا شيئاً من الموضوع.  
 قال وهو يتسم:

- هيا، دعينا نذهب... لا أعرف كيف وصلتِ إل هنا بأطرافكِ المرتجفة هذه  
 توجهها عبرَ الممر إلى مدخلِ المستشفى ثم إلى الباب الخارجى. لقد كانت  
 رحلتها الأولى خارج ذلك الرحم الذي وُلِدَت فيه، وخطوتها الحذرة المرتجفة  
 إلى عالمها الجديد.

أمام المبنى على رصيف الشارع.. وَقَفَتْ وكأنها قد عُرِست في الأرض، لم  
 تقوَ على الحراك، كل شيء من حولها غريب، ضخّم، قاسٍ وصاحب، حتى  
 الأشجار التي زُرِعَتْ هناك لا تتراقص كالأشجار.. أي الأماكن هذا؟ رائحة  
 الهواء، ضوضاء المدينة تحدش الروح في الأعماق، إلى أين حملها قدرها؟ أهو

ت آخر؟ هناك ما يشبه زمانها، تلك العيون التي تحذق، ملامح البشر وإن  
-ها الحضارة لكنها ما زالت كما هي، هل الإنسان الحقيقة الوحيدة على هذه  
الأ. ص؟ أم أنه قابل أيضاً للاندثار؟

سُئِلت العيان اللتان تجوبان المكان كعصفورٍ يبحث بين قضبان قفصه  
من فسحة للنجاة، وتجمدت الأطراف التي حضنها بين يديه محاولاً إ  
الدفء إليها.. قال مبتسماً:

- ما بك؟ هيأ يا صغيري إنَّه عالمك الجديد ويجب أن تعتادي عليه.

- إنِّي مشوشة ويكاد أن يُغمي عليّ، لن أستطيع أن أتحمّل هذا الكمّ الهائل  
الأسئلة التي تجول في خاطري وأولها: كيف أتيت أنا إلى هنا؟ ماذا سيكون  
حبري؟

- سنجد الأجوبة، لكن الآن أنتِ هنا، فلا تخافي.. سوف تعتادين هذه  
الحياة قريباً، وستجولين في هذه الأماكن مراراً، وستضحكين من مشاعرك  
هذه. أنتِ قويّة وستواجهين كل ما يتطرّق بشجاعة.

- أشكّ، ففي داخلي إنسان، وأنا امرأة ولستُ إله. إنِّي اتخبّط بمستنقع رمال  
وحركة يشدني إلى الأسفل رغم مقاومتي له. لا أعرف أسماء الأشياء، كلُّ ما  
نحطُّ به مجهول الانتهاء والمصدر مثلي تماماً، وهؤلاء البشر الذين يسرون كلُّ في  
انماهم، لا أنتهي لهم ولا أعرف كيف أسير معهم ومتى يصبح طريقهم طريقي.  
حتى ما تعلمته وكنْتُ أعتبره بداية رائعة، لم يكن سوى رقم وحيد في ملايين  
العمليات الحسابية.. أنا أشعر بالفربة كقطرة ماء عالقة بين الأرض والسماء،  
لولا وجودك لتبخرت.

- قطرة الماء هذه تحتضن المحيط، منها ستطلقين وتصبحين بين هؤلاء  
أرة، تسيرين إلى هدفك مثلهم، ستمحو ابتسامتك دموعك. هيأ فلتنطلق  
ولندع الغد يُثبت صحة أقوالنا، إذا وقفنا طويلاً أمام مخاوفنا سوف تنتصر  
ملينا ونشلنا، ومن يخاف من الظلام فليدخل فيه.

صَمَّتْ قَلِيلاً وتذكرت تلك الليلة.. ليلة هروبها، تلك اللحظات تشبه..  
تشعر به الآن، وكما فعلت حينها ستفعل اليوم. شدت أطرافها وكأنها تذبذب  
نفسها لتقفز من جديد.

- هذه أوروبا، هذه أنتِ الحقيقية. ثقي بنفسك ولا تدعي الخوف يوقفها  
عندها فقط ستحني الحياةً أمامك يا صغيرتي.

- هل يمكن أن تشرح لي ونحن نسير كأنه هذه الأشياء التي حولنا؟

- طبعاً بكل سرور، إنَّ المكان ليس بعيد من هنا. لذا سوف نذهب سيراً  
الأقدام، وسأخبرك بكل ما تريد من معرفته.

- هذا أفضل.. لرأب منذ زمن، أتعبني رقاد السرير.

- أيتها المتكشفة القادمة من الفضاء، سأشرح لك ما أمكن، و١٤٠  
سأحضر لك كتاباً يروي تاريخ الحضارات والتطور.

أمسك يدها وسارا في الشوارع، أخذت بأسلوبه الرائع يسطر لها ما يدور  
حولها.. تلك الأشياء محور حياة الإنسان، كالمساكن والمتاجر ووسائل النقل  
أسانئها، أهميتها، كيفية ودواعي استعمالها. كان بشرح وهي تجول بعينها  
تلك المباني الشاهقة والشوارع العريضة، وتلك المستطيلات الملونة المتحركة  
التي تملأ المكان، ذلك الاختراع الذي اسمه سيارة أصابها بالجنون. كانت  
تأبط ذراعاه وكأنه خشبة الخلاص في هذا المحيط الغامض الكبير.. تراقب،  
تسمع، تحلل وتطرح الأسئلة، محاولةً بين الحين والآخر البحث عن السماء من  
بين قباب تلك المباني، كما تتأكد أنها فعلاً لازالت على الأرض. كل شيء جديد  
وغريب، المتاجر بواجهاتها الزجاجية الضخمة على جانبي الشوارع، الأديرة  
التي فيها، وجوه الناس وما يلبسون.. كيف يلبون شعرهم ويقصونه. تحببها  
أن تمتص وتستوعب كل هذا، وكأنها فراشة حية في كوكب التكنولوجيا.  
- ها قد وصلنا أخيراً، هذا هو منزلك الجديد.

بيت جميل وهادئ رغم قربه لوسط المدينة. يفصل بينه وبين بابه الرئيسي  
مادة جميلة، فيها العديد من الأشجار وبحيرة صغيرة.. لقد رُتّب المكان  
مداية ليكون متزها مريحاً لسكانه الباحثين عن السلام والهدوء.

- سأقيم هنا إدي؟ جميل جداً هذا المكان!

- بعيدني هذا، كنتُ خائفاً ألا يعجبك، فالمكان قريب جداً من وسط  
المدينة.

- على العكس، هذا أفضل. يجب أن أعتاد هذه الحياة الجديدة بسرعة، أنا  
أراه العزلة.

بداية مشجعة، سوف نجد هنا العديد من الأصدقاء وتستمعين  
لفنهم.

ضغط على جرس الباب، كلمه الحارس عبر جهاز معلق هناك، عرف عن  
مه ففتح له. اختبات وراهه وأخذت تراقب بحذر..

- أيتها الهرة الصغيرة، اخرجي من مخبئك، إنها التكنولوجيا ويجب أن  
منادي عليها وتضبطي انفعالاتك، كي لا تواجهي مواقف محرجة.

- سأحاول قدر الإمكان.

التقطت أنفاسها وسارت قربه بهدوء. دخلا إلى مكتب السيدة برجيتا التي  
انت بانتظارهم.

- نهارك سعيد سيدة برجيتا، هذه أورو.

- أهلاً بك في بيتك الجديد، تفضلوا بالجلوس.. أخبرني إدي الكثير عنك،  
أنته لريقل لي أنك رائعة الجمال.

ابتسمت بأدب الملوك..

- شكراً سيدتي، أنا أيضاً سررتُ بالتعرف عليك.

- حسنا، أتمنى أن يعجبك المكان وتصبحين فردًا من أفراد أسرتنا الكبيرة  
هذه.

- هذا يُسعدني أيضًا، وأعتذر منك فأنا لا أتكلم اللغة بطلاقة، لكنني أسعى  
بجهد كي أتعلمها.

- لا تقلقي، سنساعدك، هناك دورات خاصة لهذا الغرض وأخصائيه  
اجتماعية ستهتم بكل ما تحتاجين، ستوجهك إلى ما هو أفضل وما يجب فعله،  
ستكونين بين أيدي أمينة، وركّزي جهودك على مستقبلك، مستقبلك فقط.  
- إنني معظوظة فعلا.

قال إدي:

- يبدو أنكما ستصبحان صديقتين، وسأخرج أنا من المعادلة.

- لا بروفيسور، أنت لست فقط صديقًا عزيزًا، بل مساعد ومرشد، أنت  
روحي لكل محتاج، ولولا توجّهاتك في بعض الحالات لما استطعتُ أن أخرج  
بهؤلاء من الجهول إلى مستقبل أفضل.

- رغم ضيق وقتي، إلا أن العمل الاجتماعي ومساعدة الآخرين شيء مهم  
هو أيا تي المتعة.

- قبل أن نقوم بجولة في المكان، سأزود أوروبا ببعض المعلومات..

المنزل مخصّص لاستضافة النساء اللواتي يعانين من المشاكل: العنف، التشرد،  
الفقر وغيره. خلال النهار تستطيع المقييات التحرك بحرية، وأي تأخير بعد  
الساعة الثامنة يجب أن تُعطى الإدارة علمًا مسبقًا بذلك: مكان التواجد، مع  
من، وموعد العودة؛ حرصًا على سلامتهن. من ترغب بالمبيت خارجًا، عليها  
أن تحصل على إذن مسبق. الزيارات مسموحة حتى العاشرة ليلاً، ولا يسمح  
للزوار بالمبيت. التدخين في الغرف ممنوع أيضًا الخمر. وأي إخلال بهذه  
الشروط يُفقد الساكن حق الإقامة، ويُرسَل إلى مكان آخر ذي أنظمة أكثر

امة. وكما رأيت، المكان هنا آمن جدًا ومراقب من الشرطة، لحماية المقيمين  
، وليس لتقيّد حريّتهم، كي نشعرهم بالأمان والهدوء، ليعيدوا بناء أنفسهم  
، أن ينطلقوا إلى المجتمع من جديد. تفضلوا...  
مشت أمامهم إلى الصالة..

هذه غرفة جلوس مشتركة، تستطيع المقيّيات هنا استقبال زوّارهم،  
:أهذه التلفزيون إن مللن البقاء بغرفهن.  
يرتجوا إلى الدّور الأول..

.. هذا هو المطبخ، أما هذه الغرفة فهي لك، وكلّ ما يوجد هنا هو مسئوليتك  
، عب أن تحافظي عليه.  
جالت بنظرها في الأرجاء.. كان كل شيء نظيفًا ومنظّمًا كما في المستشفى.  
اعت برجيتا:

.. هناك كل ما تحتاجين إليه.. ثلاثة صغيرة، خزانة، طاولة وكرسيين،  
أهاز، سرير جميل عليه أغطية، زهرية موردة وستائر أيضًا. وأجمل ما في المكان  
، لك الشرفة الصغيرة التي تُطلّ على الحديقة والبحيرة، وبها طاولة ومقعدين  
مشيّين مريحين.

.. جميلة هذه الشرفة.. قالت بفرح: سأدرس هنا، أحب تأمل الطبيعة، هذا  
، ساعدني على الحفظ.

كان إدي يراقبها بفرح، متأكدًا من نجاحها، قال لها بصوتٍ خافت:  
.. هل أعجبك المكان؟

.. إنه رائع.. شيء يشبه الحلم.

عادوا إلى المكتب من جديد. أخرجت السيدة برجيتا الأوراق من الدرج،  
راعطتها لأوروبا.

- أرجو منك أن تملئي هذه الأوراق كي تُنهي الإجراءات الرسمية ،  
انتقالك إلى هنا، سيساعدك السيد هاتنغر إذا كنت بحاجة إلى أي توضيح.  
سأهني بعض الأعمال وأعود سريعاً.  
خرجت السيدة، فألها بترقب:

- قولي لي ما هو انطباعك؟ وهل أنت مستعدة للعيش هنا؟

- إنه مكان رائع إدي، لم أتوقع أن أحظى بكل هذه الرعاية. السيدة بر -  
إنسانة لطيفة والرافة تنير عينيها بريق جميل أحبه في قلبي.

ابتسم إدي بفرح:

- أنا سعيد جداً، سعيد بخروجك من دائرة الفراغ واليأس إلى الأمل.  
نملأ الأوراق قبل عودتها، بعدها أعيدك إلى المستشفى. تمضين هناك ليلتين  
الأخيرة، وغداً يوم عطفتي آتي باكراً وأصحبك إلى هنا.



المكان: ساحة المدينة قرب المرفأ.

جلست الجموع تستمع إلى المعلم القادم من الشرق.

- يا شعبَ نيرا الطيبين، لقد وصلتُ بالأمس إلى جزيرتكم قادمًا من صُور، ملكة أخينور في بلاد كنعان. أحمل لكم في أسطولي البحري تجارتي: بهارات و عطور، زجاج وحرير. وسوف أشتري منكم ما تملكون، كي أحمله إلى بلادٍ أخرى في رحلتي هذه.

قالوا:

- أهلا بك أيها البحار المسافر.. نيرا ترحب بكل من يزورها بسلام ومحبة.

- شكرًا لكم يا إخوتي، جزيرتكم هذه ستكون بداية جولتي، وزيارتي هذه ليس فقط بهدف تعزيز صداقتنا وتجارتنا مع شعبكم الكريم، لكن أيضًا لنشر العلم والثقافة. لقد حملتُ لكم أبجديةً جديدة، لغة نتخاطب بها في تجارتنا وحياتنا اليومية. أحرف جَهدتُ طويلاً لجمعها من كل ما سبق من أبجديات و كل ما أورثتنا إياه الأجيال. حملتُ لكم حصاد أبحاثي و علمي، كي ترشد العقول إلى نور المعرفة.

- وما هي هذه الأبجدية أيها المعلم؟

- لقد اكتشفتُ أن لكل حرف مخرج صوتي يمثله، وهكذا يمكننا بجمع الأحرف مع مخرجها الصوتية، أن نشكل كلمة ناطقة تدل على الشيء المراد إليه، وهكذا نستطيع بأحرف معدة أن نعبر عما نريد، كتابةً ونطقًا بشكل سهل ومبتسط.

سأل أحدهم:

- هل ستقيم هنا بيتنا يا سيدي؟

- سأروى لكم قصتي.. لقد مررت على مدينتنا ثورًا أبيض، وخطفت شقيفتي أوروبا وعبرت بها البحر. حزنت سيد البحار والذي كثيرًا عندما عرف هذا، فأرسلني أنا وإخوتي كل إلى مدينة، كي نبحث عنها ونعيدها إلى موطنها.

صاح شاب منهم:

- هذا فظيخ، كيف تجرأ على هذا؟

- هذا ما حدث أيها السادة، وأنا وأمي تاليفازا ابنة نيلون هنا بينكم في ثيرا، هذه المدينة الرابضة على أمواج المحيط، وكلنا أمل أن تساعدونا في مهمتنا هذه، فأقامتي هنا مرتبطة ببحثي عنها.

قال حاكم المدينة:

- سنساعدك أيها المعلم، سأرسل رجالي في كل أنحاء الجزيرة، ربما قد أتى بها إلى هنا.

- هذا كرم منك، وامتنانًا مني لهذا الجميل، سأعلم كل الراغبين أسرار أبجديتي هذه.

- نشكرك أيها المعلم، ونطلب من الآلهة أن ترشدنا إلى مكانها كي تعودوا سويًا إلى بلادكم مع تجارتكم سالمين.

فَشم رجاله إلى مجموعات، وأرسلهم ليبحث كل منهم باتجاهه، بينما عاد  
دموس إلى والدته.

- أخبرني يا ولدي، هل كل شيء على ما يرام؟

- لا تقلقي يا أمّاه، لقد علّمتني هذه الحياة الكثير من الحنكة والسياسة. لقد  
طلّعتُ الأمور وجرى كل شيء إلى ما قُدّر له، وسَيَرَّ الحاكم رجاله لمساعدتنا  
في البحث.

- هذا يعني أننا سنبقى هنا إلى أن يعودوا؟

- أجل يا أمّاه... لكن كما تعرفين أنني لا أطيعُ الجلوس خاوي اليدين، لقد  
هرتُ أن أبنِي معبداً لنا على أرض هذه الجزيرة «ستورين» أو ثيرا. وسأعلم  
السبب فيه أبجديتي الجديدة.

- وكيف لي أن أساعدك؟

- أنتِ ستُعرفين على بناء المعبد، وسيحملُ لماتكِ الراقية وروحكِ المقدسة  
روح أجدادكِ.

- إنها المرة الأولى التي أخالط فيها حضارة غريبة. أجد هذا رائعاً أن نتبادل  
المحضارات، هم أيضاً شعبٌ منفتح يسأل عن كل شيء، عنده شغف لمعرفة كل  
مديد، تواقون للعلم، مرنون، يحبون الحياة.

- لكل أرض طبيعتها يا أمّاه، والإنسان ابن المكان الذي يعيش فيه وينمو  
جسده من خير ترابه، ويتغذى فكره من ثقافته وحضارته، عاداته وتقاليده.  
هذه الجزيرة مفتوحة على البحار، سقفها السماء وأفق أولادها لا تحته حدود.  
غير ذلك، فالأرض الحية كأيامنا مثلنا تتأثر حسب موقعها بما يربطها من كواكب  
ومسارات كما تؤثر تلك الافلاك على طبيعة سكان البلاد التي تقع في مدارها.  
رائع، أنا أعشق علم الفلك.

- إنه عالمٌ ساحرٌ، وعندما تتحرر الروح من ثقل الجسد، تطوف هناك

وتلتصق تلك العوالم، تدرك سعادة لا تعادها سعادة.. إنه حقاً عالمٌ رائعٌ.

- أتعرف يا ولدي كم أنا سعيدة؟ لقد قرَّبْتِني هذه الرحلة وهذه المحنة منك، كثيراً، وها أنا أكتشفُ فيكَ أشياءً لم أكن أعرفها.

- إنها مشاغل الحياة يا أمي، فأبي اصطحبني منذ نعومة أظفاري إلى عالمه. أما عواظي فقد ملأتها أوروبا بكل حُبها وحنانها، وشعرتُ بها أمّاً وأختاً وحيه وعائلة، فاكتفيت بها عن الجميع، وتراني اليوم أُلوم نفسي أيضاً لأنني كنتُ بعيداً عنكِ، ولم أقترب منك سابقاً كإنسانٍ وصديق. كنتُ دائماً أمي، تلك المدببة الفاضلة، الملكة الراقية الجميلة، لكنني الآن أراكِ إنساناً يشبهني من الداخل، ويبرّر شغفي بعالم المعرفة والغيب، فما أنا عليه قد ورثته منك، كما ورثتُ عن والدي قوته، حكمته وحبّه للمغامرة. أنا فعلاً وليدٌ رَحِمِكِ، من دمكِ وروحكِ انبعثتُ، ومن ثديكِ رضعتُ معرفتي وعلومِي هذه.

- آاه كم أنا فخورة بكِ أيها المُعلِّم، وكم أحبك وأحُبُّ إخوتك جميعاً لقد كنتُ أحدُ أخينور لأنه كان صديقكم ووالدكم، أنا الآن فأحسد نفسي عليكم، أبناء صور العظماء.

- الأبناء العظماء هم من أبوين عظيمين. لا تكمن عظمتكم بها فملاكون إطلاقاً، ولا يبا ورثتم أبداً، بل أنتم عظماء بنحضركم، بما تزيّنتم به من الصفات والقيَم، وتلك الروح النائرة والتواقة إلى المعرفة التي زرعتموها في أفئدتنا، عقولنا، وأروحنا...

قطَع حديثُ قدموس أنين تاليفازا.

- ما بكِ يا أمّاه؟

- ذلك الأكر، لقد عاد من جديد.

- استريحِي، سأحضر لكِ بعض الأعشاب، وسوف تشعرين بالتحسن

بسرعة.

- شكراً يا ولدي، أيها الإله ساعدني ولا تقرب الموت مني قبل أن أطمئن  
عن ابنتي، وأعود بها مع إخوتها إلى مملكتي الحبيبة، كي أدفن هناك.  
- أمي! لا تقولي هذا، أنتِ ما زلتِ رمزاً للشباب والحياة. إن توعككِ هذا  
امر طبيعي بسبب السفر وتغيير الأرض والمناخ. امترجحي قليلاً وستصيرين  
الفضل.

رتبت أغراضها، تلك الأشياء التي أحضرتها لها إيّفاً. أعادتها إلى الحقيبة التي أخرجتها منها، الكُتُب والمجلات وبعض أوراق كُتِبَ عليها كل ما تعلمت، ورُيِّمَ عليها مفتاح مستقبلها. ودعت النافذة والطاولة التي كانت تدرس عليها، مرّت بيدها على السرير الذي شَفِيَّتْ جراحها عليه، وعلى الوسادة التي امتصت دموعها وحزنها على فراق من تحب.

زيوس، لقد أحببتك كثيراً. هُنَالَعَقْتُ جراح حُبِّي، هنا بكيتك، وهنا بدأت رحلة الشفاء منك.. هل تسامحني لأنّي كسرتُ عهدي لك ورحلت؟ هل تسامحني إذا ما دخل حُبٌّ جديد إلى قلبي؟ إذا أسلمتُ الفؤاد لسواك؟ هل ستغفر إذا ما عرفت أنني أعيش بكوكبٍ آخر أنت لست فيه؟ أشتاقُ إليك كثيراً كما اشتقتُ إلى أهلي يوم رحيلي معك. لم أكن جاحدة في المرّتين، لرابع مشاعري. كلّ ذنبي أنني قد قرّرت أن أمتلك مصيري كحيوانات البرّ، كطيور السماء.. قرّرتُ أن أتفسر دون ألم ودون خوف.. قرّرتُ أن أكون نفسي، وأمتلك إيّافي، وأبني عقيدتي وأرسم إيّفي وأختار حبيبي، وألا أسمح لأحد بعد اليوم أن يكون أنا.. سواي.

أيقظها ذلك الطرُق الخفيف على الباب من شرود ذهنها..

صباح الخير، هل السيدة أخينور جاهزة؟

- أجل.. إني أودّع رجيم أمي، سأشعر بالبرد عندما أغادره، لكنني سأموت  
أيضاً إن بقيت هنا.. إن أكر المخاض هو ما يجرّر الأجساد والأشياء من بعضها  
لا مفر، وما أنا أهدم مراحل لأبني أخرى، أستقبل قادمًا.. تاركة خلفي ما قد  
حل وأخذ معه بعضاً مني، لأصنع «أنا» أخرى قابلة للنمو، كما تُغيّر الأفاعي  
جلودها، فالمستقبل لا يلبس غير الأجساد النامية والأرواح التواقفة إلى الخلود.  
مشتت مجتازة الباب برأس مرفوع وهامة لا تحنيها مصاعب الحياة.. نظرت  
إلى، أيضاً التي كانت تقف هناك وهي تبسم رغم دموعها.

- لن نودّع بعضنا، سأزورك هذا المساء مع الدكتور كونراد، الذي طلب أن  
المعلك أيضاً بأنه سيحضر لك مفاجأة جميلة هدية سكنك الجديد.

«أنا أيضاً سأحضر معي مفاجأة».. قالها إدي..

- آه إيفاء، إدي.. لن تدعاني أفقدكما، اليس كذلك؟

- طبعاً يا حبيبي، أنت طفلي الصغيرة التي أحبُّ.

- أنت أمي القريبة التي تحمل روح أمي إليّ، واحدة أعطني الحياة، والثانية  
أعطيتي الأمان. واحدة زرعت، والثانية علمتني فن الحصاد، لأحصد «أنا»  
الجديدة.

عمرتها كما لريغمرها أحد من قبل.. أمّ تكلها الحاضر بقلدة كبدها، حرمتها  
من رؤية ذاتها في مرآة المستقبل، وطفلة شابة سلبتها إرادتها وسماؤها البعيدة  
وساعداها اللذان يكرهان القيود متعة التنعم بكنف العائلة، فالأزهار التي  
نمو في ظلال الغابة تبقى سوقها ضعيفة وعطرها مفتقر لأشعة الشمس.

- كفى أيتها السيدتين، يجب أن نذهب الآن، يومنا سيكون طويلاً.

- إدي.. لن يعيدوا لي أشيائي؟

- صغيرتي، قررت الشرطة أن تحتفظ عليها، وكونراد وافق لكن بشرط أن

تبقى هذه الأغراض في مكتب أمانات المستشفى إلى حينه. القضية لم تنته به.  
فما زالوا يبحثون عن الجاني. عندما تُسجل القضية ضد مجهول، ربما سيعيدو ١٨  
إليك.

- كيف لهم أن يجدوه؟ هذا مستحيل.

- هيا، دعينا نذهب إذا.

حملَ الحقيبة، امسكَ يدها ورحلا، وسارت معها إيفا مودعةً إلى الباب.  
- يجب أن نمرَّ على المتجر قبل أن نذهب، كي نشترى ما نحتاجينه في سكتا  
الجديد.

مسحتَ دموعها بابتسامتها، مَسَّتْ تاركةً وراءها ذكريات لا تُنسى..  
خرجت لتواجه الحياة.

- لو تعرفين كم تبدين جميلة عندما تبسمين، أريد أن أراكِ هكذا دائماً.  
تذكرتُ، سأعطيك شيئاً مهماً كنت قد اشترته لك.. انظري.. هذه محفظة  
كذلك التي معي، وهذه النقود لك. مبلغٌ مدروسٌ تحصلين عليه بداية كل  
شهر، وسيكفيك لشراء حاجياتك وسدِّ مصاريفك الشخصية، إلى أن تجدي  
عملاً ويصبح لك دخل خاص. وهذه بطاقة صحية، إذا ما احتجت لأي  
علاج أو دواء، يكفي أن تبرزها كي تحسلي على كل المساعدات الطبية مجاناً،  
وهذه بطاقة هويتك الجديدة. انظري.. عليها صورتك وبياناتك الشخصية.

توقفتِ وأخذت البطاقة وراحت تأملها وهي تبسم.

- هذه أنا؟! إنها ليست مرآة، إنها تشبه الرسوم.

- إنها أيضاً تكنولوجيا جديدة، تذكرني دائماً، يجب أن تبقى هذه المحفظة  
معك أينما ذهبت، كي لا تعرضي لأي ملاحقة من الشرطة، وعليك أن  
تحافظي عليها جيداً.

- سأشترى من المتجر حفية مثل تلك التي مع إيفا، وأضع محفظتي فيها.



- تلميذة نجبية، لا أعتقد أن النساء بحاجة إلى معلّم كي يرشدهن إلى  
أهية تبيد النقود. ولكن انتهي، ما معك يجب أن يوازي مصاريفك، والآن  
مضطرين إلى اتباع نظام تقشف، ولن تكون بدايتك جيدة.

- أعرف هذا دكتور، فأبي كان تاجرًا كبيرًا، وكان يسافر ويحمل كنوز  
الأرض من مكان إلى آخر.

- حقا؟

تداركت الأمور، وغيّرت بسرعة الحديث.

- هل ما زال المتجر بعيدًا؟

- كدنا نصل، إنه قريب المنزل مباشرة.

فتح الباب الزجاجي الكهربائي أمامها. وبعد أن امتصت الصلعة، دخلت  
إلى هناك. متجر ضخم يحتوي على كل ما يتمناه المرء ويشتهي.

بدءًا جولتها بين الأرفف، بعد أن شرح لها كيف تُحضر عربة التسوق  
ومعظم تلك الأشياء التي تعرض هناك، كيفية استعمالها، كيف تراقب الأسعار  
وتحدد قيمة ما تريد مع ما تملك، كي لا تواجه أي مشكلة على صندوق  
المحاسبة. ابتاعها كل ما تحتاج، ولرئس الحقيبة التي ستضع فيها محفظتها.

- جيد ها قد انتهينا. أعتقد أنك لن تحتاجي إلى مساعدة في التبضع بعد  
اليوم.

- ستأتي إيفامعي غدًا كي تشتري الملابس.

- هذا جيد، لكن قولي لي، هل أنت راضية؟

- إنها رعاية الإله وأكثر مما أستحق.

- أعرف يا صديقتي أنك تُخفين في داخلك الكثير من الأسرار. لن أسالك  
عنها، لكن كوني على ثقة إذا ما قررت البوح ومشاركتي بها، سأكون لك عونًا  
وسندًا، ولن أخذلك.

- أعرف يا إدي، لكنني أبحث عن الوقت المناسب.

- سأنتظر الوقت المناسب.. وإن لم يأت، سبتقن أوروبا في قلبي كما هي. ولن يتغير شيء. إلى ذلك الحين أريد منك أن تتصرفي بشكل طبيعي أمام كل جديد بصادفك، ولا تدعي جهلك للأمور يعيق تقدمك. ما لا تعرفه اليوم، غداً ستعلمينه، لا تستعجلي ولا تسقي الأحداً، وكوني كما أنت.. متفائلة، مثابرة، ونحنُ سنكون دائماً إلى جانبك.

- أعدك، سأفعل المستحيل كي تكون فخورة .. أعدك.

- لا أريدك أن تفعلي أي شيء من أجل أحد، فقط مارسي قناعاتك من أ نفسك، فانتِ أول من يجب أن يكون فخورةً بما ستصليين إليه، ها قد وصلنا بسرعة، لقد قتل الكلام ضجر الطريق. سأحضر مفاتيح الغرفة، ثم أعطي السيدة بريجيتا الأوراق التي طلبتها وأذهب. وانتِ استرخي قليلاً حتى المساء، فالليلة سنحتفل جميعاً بنجاح خطوتنا الأولى هذه.

رتبت أغراضها، أخذت حماماً ساخناً أزال عنها كل ذلك التوتر والإرهاق، ثم ألقى بجسدها على السرير محدثةً نفسها:

«لا أصدق ما أشاهد، لقد اجتزت كل هذه العقبات وهذا العالم الصاحب الجديد، وتلك الشوارع.. تلك الآلات المتحركة التي تعبته.. كم بدوت ضئيلة قرب تلك الصروح الضخمة، كالنملة التي شاهدها يوماً تسلق جدار الهيكل. أما تلك المتاجر وما تحويه فانتها قصةً أخرى، لو رأى أخينور هذه التجارة العظيمة، لأحضر آلاف الأساطيل ونقلها حول العالم.. هذا المنزل وهذه الغرفة، مسكني الجديد، ليس مملكة أبي ولا جزء من ممالك زيوس، إنه موطني أنا. هذه الأشياء الجميلة سأشتري مثلها، سأتعلم وأعمل وأجني التقود، ربما سأعشق من جديد. هناك شعورٌ غريب ينمو في داخلي، شيء ما كبر عن بذرة صغيرة تشق التراب كي تتسلق خيوط الشمس.. إدي، هذا الرجل الرائع، وجوده يؤنسني في وحدتي بعينه الوداعيتين المسالمتين، وصوته الهادئ

كالتسليم يشد عزيمتي.. رغم خوفي من مشاعري، فأنا لا أستطيع أن أقمعها.  
حتى وجود زيوس في قلبي وقفَ عاجزًا، باتت حبي له مترنحا، وتلك الهالة  
التي رسمتها حوله باتت باهتة فارغة، رغم عظمته وألوهيته. لقد اختصر  
إدي كل الفلسفة والعلوم والمعارف بشخصه. لريشمخ ولرئدرك قيمة ذاته،  
علن العكس.. زاده هذا تواضعًا، إحسانًا وإنسانية.. لكن كيف لي أن أ  
حقيقة مشاعره تجاهي؟

لاحظتُ اهتمامه بي كأمرأة، لمحتُ في عينيه ذاك البريق أكثر من مرة، لكن  
مازلتُ لا أعرف رجال زمانه كيف يفكرون وكيف يحبون، ربما هذا جزء من  
طبيعتهم.. لا.. يجب أن أكون قوية وأن أردع نفسي، فمازلت أعيش حالة من  
البلبلة والضياح. حتى هو.. كل ما يشعره تجاهي لا يتعدى الشفقة والإحساس  
بالمشولية..»

تهددت، كأنها تطرد أفكارها خارج صدرها..

«سأحضر نفسي وأذهب إلى الصلاة».

سرحت شعرها، وارتدت فستانًا أصفر قطني، أرخت شعرها على كتفيها،  
لبات كشلال من العسل المنسكب من زهر الربيع، وجلست هناك تنتظر  
ضيوفها..

عدة أسابيع مرّت على دخوله إلى ثيرا، بعد أن انتهى من بناء المعبد ومن تدريس أبجديته، وتنظيم تجارته هناك. ضاق به الوقت، وبدأ القلق يتسرّب إلى أفكاره. على إحدى هضابها المرتفعة المطلّة على المحيط، جلس متأملاً تلك اللوحة المزوجة بين زُرقة المحيط والسماء، علّ هذا الأزرق الممتد يعيد إلى أفكاره الصفاء، ويبعد عنه ثقل همومه. جلس هناك منتظراً عودة الرجال، راجياً الألهة أن يحملوا له أخباراً جديدة، تفرّج قلبه وقلب أمه المريضة، والتي بدأ مرضها يقلقه، فالأمر لا يفارقها رغم محاولتها إخفاء هذا، غير أن قلبه كان يشعر بكل معاناتها.. وها هي وقد أحست بانشغاله عليها، قد ذهبت إليه كي تواسيه ويواسيها..

- أين أنت يا ولدي؟.. كنت أبحث عنك

- تعالي يا أمّاه واجلسي هنا قربي. المكان رائع، واهواء عليل ومنعش، زر البحر والسماء تغسل الأرواح.

- تُثَقِّلُكَ الهموم يا صغيري؟

- ليس تمامًا، فروحي تعشق السفر، هي المسافر الدائم، حتى عندما يتغمس الجسد والعقل بمشاغل ومشاكل الأرض، تكون هي سائحة في مكان ما.

مر أحياناً أنني، إن لم أكن ما أنا عليه، لشددتُ رحالي وهمتُ على وجهي في  
اطار الأرض، أختبر البشر وكنه خَلقهم وجبتهم، أكتشف أسرار الطبيعة؛  
سمنها، جمالها وخبايا كنوزها، ووجود الخالق المتجسد فيها.

- أنت رائع كما أنت، فجزء مما تمنى قدمه الإله لك، وها أنت تنشر العلم  
، المعرفة، تساعد البشر على تأريخ تاريخهم، تخرجهم من الظلام إلى النور،  
و روع شيئاً من روحك داخل كل منهم.

قال مبتسماً محدقاً إلى البعيد:

- أجل يا أماء هذا رائع، وكم كنتُ أتمنى أن أفعل هذا ولكن بظروف  
العسل، فغياب أختي بات يقلقني.  
- وهل وصلتكَ أي أخبار؟

- اليوم سيعود الرجال من جولاتهم، لكن حدسي ينبئني بأنهم لم يجدوها،  
و بأننا سنفادر المكان قريباً لنبحث عنها في مكان آخر.

- أتمنى أن يجدوها، وأن نسطحها معنا في رحلتنا، ونعود جميعاً إلى صُور.  
- جميلة تلك الأمنيات، إنها تنبئُ للحزن أجنحة ورقية، وتجعله يخلق  
مبدأ.. وعندما يتساقط مطر الواقع، تبطل تلك الأجنحة، يعود ليسكن الروح  
صمتٍ موجع، فقلب الإنسان قد فطّر على الشجن واستأنس أنغام قيثارته...  
قطع حديثهما وشروده صوت مليميروس.

- سيدي، أيها المعلم.. لقد عاد الرجال ويودون التحدُّث إليك.

- إنني ذاهب إليهم، تعالي معي يا أمي، عله خيراً.

ساروا جميعاً إلى ساحة المعبد.

- أهلاً بكم أيها الرجال، أخبروني، عسى أن تكون رحلتكم قد أثمرت.

نظروا إليه بصمتٍ، ومعالر الحزن والتعب بادية على وجوههم.

أحدهم:

- للأسف يا سيدي.. لقد طُفنا الجزيرة وبحثنا كل أرجائها، دون أن نستتر،  
أي مكان، حتى مغاور الجبال والغابات.. لكتار نجد لها أثرًا.

- هل سألتكم سكان المكان إن كانوا قد سمعوا بقصتها مع ذلك الثور،  
كان عندهم علمٌ بها حصل؟

- فعلنا هذا يا سيدي، وللأسف لم يسمع أحدٌ منهم إطلاقًا بالقيصة.

- حنًا يا رجال، أنا أشكركم على ما فعلتموه، وعلى هذه المساعدة العظيمة،  
تنهد ونظر بحزنٍ إلى أمه، التي أحنى ظهرها يأسها ومرضاها وقلقها  
وشوقها.

- أمّاها أرجوكِ تمسكي بالأمل وتمادسي، سوف نكمل بحثنا وسنجدها  
لقد وعدتِك بهذا، وسوف لن أراجع عن هدي في قبيل أن أفرّح قلبك من جديد.  
- إنني حزينة عليكِ بقدر حُزني عليها، وعلى نفسي وعائلتي التي شتتها  
القدر.

- نحن أسياة البحر، لقد شبتنا على الترحال وأمضينا سنينا نصارع  
الأمواج، فلا نخافي علينا. تشجعي وشدي من عزيمتك، سوف ننتقل من  
جديد.

- متى سنبحر أيها المعلم؟

- غدًا صباحًا.. سنتطلق عند الفجر إلى جزيرة ثاسوس. وأنت يا مملياروس  
ستبقى هنا، نعتني بالمعد وترقب الأخبار، ربما وصلت أوروبا إلى هنا بعد  
رحيلنا، وربما وصلت أخبار عن اختطافها، ستابع أيضًا ما تبقى من تجارتنا،  
تشتري ما نحتاج، وتسيّره إلى صور مع رسول يطمئن الملك عن أخبارنا.

- حاضر سيدي، سأعد السفن للرحلة.

- التفت إلى أمه..

- أمتي، احزمي أمتعتك ودعي الرجال يحملونها إلى السفينة، فلن يكون  
، يا وقتُ في الصباح للقيام بذلك.

- سأكون جاهزة، لا تقلق يا ولدي.

ساعات مضت، كسرَ نور الفجر سُحب الظلام، فسارت السفن تشق موج  
المحيط ونسيم الصباح المشبع برائحة البحر ورطوبة الملح والماء، إلى ثاسوس،  
جزيرة جديدة وأرض جديدة، يزرع فيها قلموس المعلم حروف روحه،  
، حلمه بعودة أميرته ولرّسمل عائلته من جديد.

لربطل انتظارها لضيوفها، وها هو كونراد يتادبها..

- إنك حقا أميرة المكان.

- دكتور كونراد، اشتقت إليك كثيرا.

قال إدي:

- حنا سأزورك مرة في الأسبوع كي تشاقي إلي.

- أنا بحالة شوق دائمة إليك إدي، أنت المعلم والصديق والعائلة.

ردت إيفا:

- وأنا؟ هل نيت إيفا امك الحبية؟

- أنت أمي، وهل تُنسى الأم؟ وهل ينسى أحد ملاكه الحارس؟!

تبادلوا الأحضان والقُبَل والتهاني على نجاح هذه الخطوة الجديدة. وضعوا ما كانوا يحملون على الطاولة وأخذوا يحضرون للاحتفال.. فتحت إيفا قالب الحلوى، أحضر إدي الأطباق والكؤوس من المطبخ، وفتح كونراد زجاجة النبيذ.



هيا نحتفل، فلنشرب نخب أميرتنا الجديدة في بيتها الجديد.

ما هذا الشراب إدي؟

عصير عنب مخمر، بالمناسبة لن أجب عن أسئلتك اليوم، فأنا أحتفل.  
اهي، سجلي وغداً أشرح لك.

. بصحتكم.. بصحة أوروبا ومستقبلها الجديد.

بعد أن قطعوا قالب الحلوى، قال كونراد:

. هيا.. الآن سنفتح علب الهدايا، أولاً هديتي أنا، تفضلي.

نقّت الورقة الملونة بلهفة.

. ماذا يوجد داخل العلبة؟ ما هذا؟

. إنه هاتف جوال، مثل هذا الجهاز الذي معي ومع إيفا وإدي، يمكنك أن  
واصل مع كل من حولك.

قالت إيفا:

. سنذهب غداً إلى السوق، وعند عودتنا أشرح لك كيفية استعماله.

قالت أوروبا:

. أشكرك دكتور كونراد من كل قلبي. ثم تابعت مداعبة:

سوف تندم على هذا، سوف لن أرحمك من سماع صوتي.

قال ضاحكاً:

. لا عليك يا حلوة.. أنا في خدمتك، أتصلي بي متى شئت، ولن أجب إلا  
مدماً أجد الوقت مناسباً.

وبعد أن رمقته بنظرة ماكرة قالت:

. الآن سأفتح هدية إدي.

أخذت العلبة وقلبها ينفض، ماذا عساه قد أحضر لها؟ فتحتها بسرعة.

إنه حاسوب مثل الذي معك، كنا نشاهد فيه الصور والأ-

والتمارين، هذا رائع.

- سأعلمك كيف تستخدمينه، هذا سيساعدك على التعلّم، وسأكلّم ال-

برجيتا كي تُلحقك بدورة تدريبية على الحاسوب إلى جانب دورة اللغة.

- كم هذا رائع، في داخلي جوعٌ وعطشٌ لمعرفة كل شيء، سأحاول أن أناه-

بسرعة.

قالت إيفا مقاطعة:

- دعك الآن من التكنولوجيا المعقّدة، وافتحي هديتي.

كانت تعرف أن إيفا قد أحضرت لها شيئاً عجّب.

- إيفا حبيتي، كم جميل هذا السوار والسلسلة، وهذا القلب الصغير المعاد-

فيها.

غرقتا الاثنتان بعناقٍ طويل، بعد أن طوّقت عنقها ويدها بعهد المحبة.

قال إدي:

- كونراد... نحن قليلا الحظ، إيفا وحدها من حصدت محبة أميرتنا واحضانها،

- لا، أنا أحبكم جميعاً كما لرجب أحداً في حياتي.

- ليس عندنا أدنى شك أيتها الجميلة، هيّا فلنشرب نخب صداقتنا ومحبتنا

بصحتك.

شربوا النبيذ وأكلوا الحلوى وهم يتبادلون الأحاديث. أخبرهم إدي

كيف تأبّطت ذراعه وهم يعبرون الشارع، فاحمّرت وجتاها خجلاً، ثم راحوا

بضحكون على قصص ماثلة حدثت معهم في الطفولة. كان إدي بين الحين

والآخر يراقبها ويغرق في ملاحظتها، أما كونراد فلم يخفّ عليه إعجابها بها.

، هاولاته للهَرَب من نظراته الماكرة وتعليقاته المبطنة.

مَر الوقتُ سريعًا، تعاونوا جميعًا على ترتيب المكان، ودَعُوا أوروبا وذهبوا.  
أدت إيفا إلى بيتها، بينما كونراد وإدي قرَّرَا أن يتناولا كأسًا آخر في أحد مقاهي  
الدينة.

كانت فكرتك جيِّدة كونراد، فأنا لا أشعر بالنعاس والمكان هنا جميلٌ  
، هادئ.

- في الحقيقة، أردت التحدُّث إليك.. أخبرني ما قصَّتكَ، لقد لاحظت  
أنه نامك بها، هل أنت عاشق يا صديقي؟

- لا أعرف، مشاعري غبر واضحة المعالم بعد، وأخافُ أن تكون ظروفيها،  
أمرارها وشخصيتها الملكية سبب انجذابي هذا.

- لا أعتقد، فرغم كل ما ذكرت هي ليست ضعيفة أو مسكينة، إنها رائعة  
الجمال والخلق.

- لراقل هذا، وأنا مُعجَب بها حقًّا؛ ذكاؤها بأسرني، طيبتها، رقتها وصدق  
مشاعرها وأشياء كثيرة نادرًا ما تجتمع بإنسان. لكنني أخاف أن تتعلق بي وتجنبي  
لفظ لأنني من يساعدها ويعلمها. أنا أصارع نفسي كي أقف محايدًا أمام  
مشاعري وأملها. يجب أن تتحرر من ضعفها أولاً كي تتمكن من الاختيار،  
والاستعذب سويًا، فأنا لستُ واثقًا من أنني الشخص المناسب لها بظروفي  
الحالية؛ وقتي يضيقُ بعلمي وابتتي، وبالكاد أجد بضع ساعات خلال نهاري  
لي أكون معها. ربما سيكون وجودي سيًّا لشقائها، بالإضافة إلى فارق السن  
وإختلاف البيئة التي تربيتُ فيها كلاً منَّا.

- لكن يبدو أنها معجبة بك أيضًا، وما أنت خائفٌ منه قد حصل.

- في جميع الأحوال لن أستطيع الآن أن أراجع، فهي بحاجة إلي ولن  
أخذها، سأحاول أن أعالج الموضوع بهدوء.

- معك حق، لا يجب أن تؤثر مشاعرنا على مسئولياتنا. اعتقد أن انخراطنا  
بالمجتمع الجديد سيجلب الخير للجميع.

نظرًا إيدي إليه باستغرابٍ موجه، قبل أن يستدرك الأمر..

- ريتا.. إن كل ما يعني أن أوصولها إلى بداية طريقها بأمان، هي شخص  
رائع وتستحق وقتي وتعبي.

أما هي، فعادت إلى غرفتها ونامت على سريرها للمرة الأولى، بعد أن  
وضعت الهدايا على المنضدة قريبا. كانت سعيدة بكل ما حصل، كطفل صغ.  
يحتفل بعيد ميلاده الأول..

كم أنا محظوظة، شكرًا أيها الإله.. شكرًا لأصدقائي، أمي، أبي، إخوتي  
شكرًا لصلواتكم رغم جحودي.

بعد جولتهم في ناسوس وبحثهم غير المُجدي، وبعد أن أودع عندهم أحدىته وقصة أخته أمانة لمن يسمع خبراً عنها؛ انطلقت السفن من جديد إلى سو عند شواطئ إقليم تراقيا «تراكين». هناك نزل قدموس والرجال والدته تاليفازا، حيث كان باستقبالهم كبار كهنة وحكام المدينة، بعد أن سمعوا بقدومهم، فقد ذاع صيته وانتشرت أخبار أبجديته المبثقة كالعطر الذي يجمله النسيم. قدموا لهم السكن وعرضوا عليهم المساعدة، على أن يدرّب أهل الإقليم على استعمالها. شكرهم، ووعدهم ببذل قصارى جهده لآخر علومه ومعارفه على المريدين. وبعد أن قُسم الرجال وسُيروا بمجموعات البحث عن شقيقته، ذهب وأمه، التي أنهكها السفر، إلى بيتها الجديد، حيث أمت جدها بصعوبة على الفراش وهي تتأوه.

- آتي، كيف أنتِ الآن؟ هل لازال ذلك الأكريزورك؟

- إنني بخير، لا تقلق سأشعر بالتحسن بعد قليل. ربما تجد لي هنا طبيباً يصف لي بعض الأعشاب.

- سأحضر لك الآن شراباً ساخناً، وغداً صباحاً نذهب إلى المعبد ونبحث

عن طبيب.

- كم أنا سعيدة يا ولدي، رغم أن بحثنا في جزيرة ثاسوس لربوصانا از  
نتيجة، لكن ذلك النجاح الذي حققته هناك كان رائعًا. لقد أدهشني أنه  
نظمت تلك الجماعات المنفرقة، وأتت مدينتهم الجديدة، وعلمتهم الحدا  
بإتقان وبسرعة، وتلك القوانين التي سنتها لهم بكل الميادين. أنت رائع  
وأنا أفخر بك.

- أشعر حقًا بالسعادة لأنني أقدم شيئًا للبشرية. نحن لن نولد من رحم نساء  
لنلهو ونعشب، ما نفعله الآن سيكتب عنه وسيكون منارة يُهتدى بها، فحب..  
لست ملكًا لنا، ويومًا ما سيصنفا التاريخ.. إما أن تُكتب أسماؤنا بنار أم بنور  
وأكثر ما يسعدني أنك معي وأنتي ابنك، هيا يا حبيبي وملكة قلبي، هيا لنحيا  
إلى النوم.

في تراقيا.. تلك الأرض الجديدة، وعلن ضوء سراج يمتد نوره من زيب  
صُور لينبر علمًا للعالم، غفا قدموس وأمه بضع ساعات، إلى أن استيقظ عن  
صوت أبنائها..

- ما بك يا أمي؟

- لقد اقترتت نهايتي يا ولدي.

- أرجوك لا تقولي هذا، سأبحث لك عن طيب عرّاف وتصبحين أفضل

- لا تتأخر، لا أريد أن أبقى وحيدة، أرجوك.

قال وهو يغادر المكان:

- سأحاول أن أجد طيبًا وأعود سريعًا.

«احفظه أيها الإله وأعدني إلى بسرعة، لا أريد أن أموت وحيدة، أوروبا.. إن  
أتحرق شوقًا إليك، أتوق إلى تلك اللحظة حين تتحرر روعي كي أبحث عنك  
وأكون معك. لقد تضرعتُ للإله ورجوته، والآن قد حان الوقت كي يُطلق  
سراحي ويرسلني إليك.»

انغمر الوجدُ جفنيها، وأسكتَ روحها بغفوة قصيرة، أيقظها منها صوتُ  
الموسى:

أمي استيقظي.. لقد وجدتُ لكِ طيبًا ممتازًا، ستعافين قريبًا وستعودين  
إلى الحياة مبهجة.

قالت منازعة الموت:

- لا عليكِ يا حبيبي، لقد انعبتُك معي كثيرًا، وبدأتُ أشعر بأنِّي أعيقُ  
سيرتك، وها هي نفسي تستعد لرحلتها الأخيرة بسلام. بارك رحلي يا  
الاهي، ولا تُثقلِ روحي المسافرة بأحزانك، الرحلة قد بدأت ولن يعيقها طَبُّ  
ولا حزنٌ. هيا أيها القائد الشجاع، ساعدني كي أرفع المرساة وأفتح أشرعتي،  
لا تدعني ألتفتُ إلى الوراء وأنا قلقَةٌ عليك. أريدك أن تودّعني باتسامتكِ  
المهيلة، كي تنطلقَ روحي مطمئنة راضية بمشيئة الإله وما خُطَّه القدر.

منهرا بقوة هذه المرأة حتى آخر لحظاتها، قال..

- أمي.. اذهبي يا أميرة قلبي مُطمئنة، ولا تخافي عليّ.. سأعود لأزور جسدكِ  
المقدس أنا وأختي. سوف تفرحين بأحفادنا حين يلعبون على ذلك العشبِ  
الذي ارتشفَ مياهه من ترابِ مرقدك ليصبح أكثر اخضراراً ونضارةً وعُطراً.  
سنقدمُ القرابين لجسدكِ المقدس، هذا الجسد الذي أنجب وربّى وأعطى  
التاريخ والأجيال من نبضه ولربّ يبخل. لم ولن ينُن عليّ فراقك يا أمي، لكن  
المك يعذبُني، أودُّ رؤيتك كما كنتِ دائماً، مبسمة قوية، كما كنتِ أراكِ وأنتِ  
ستقبليني وتودعينني هناك على شاطئِ صُور، تلوّحين لي بشاليك الحريريّ.  
سأصلي لكِ أيها الحبيبة.

- ها هي روحي تكلمتُك وهي تهجرُ آخر مَضاجعها، تصلي لكِ وترجو  
الإله أن يكون معك ورفيقك أينما ذهبت.. تحيّي لوالدك، قبّلاتي لأشقائك  
الرائعين ولأوروبا الحبيبة.. اجتمع شملهم من جديد لأجلي.

قطع الموت آخر خيوط الحياة.. لماذا نسميه موتاً؟ إنه رحيل وانعاش للروح، ها هي يدها ما زالت تنعم بدفء يديّ ابنها، أما روحها فتطوف .. في أرجاء المكان.

حَضَنَهَا بِقُوَّةٍ، كَأَنَّهُ يُعْتَصِرُ آخِرَ قَطْرَاتِ الْحَيَاةِ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْبَدِ الْمَهْجُورِ، فَهِيَ رَحِيلُ الرُّوحِ تُصْبِحُ الْأَجْسَادُ بَارِدَةً وَغَرِيبَةً عَنَّا، كَأَنَّ حُبَّنَا وَعِشْقَنَا فَقَطَّ لِنَا، النَّسَمَاتُ الَّتِي تَعَكِّرُ بِمِرَاةِ الْجَسَدِ.

- سأفتقدكِ أيتها الملكة المبتجلة.. سأفتقدكِ، ولن أبكيكِ كما وعدنا، وعَلَّني أستطيع!

خَيْمَ الْحَزْنِ عَلَى الْمَدِينَةِ، لَقَدْ مَاتَتِ الْمَلِكَةُ وَالِدَةُ الْمَعْلَمِ.. دُفِنَ الْجَسَدُ فِي الْمَيْكَلِ، وَذَهَبَ قَلَمُوسٌ عَلَى سَفِينَتِهِ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ بَعْضَ رِجَالِهِ لِيَكْتُمُوا الْبَحْثَ فِي الْإِقْلِيمِ، وَبَعْضَ الْآخَرِ أَوْكَلَ إِلَيْهِمْ تَنْظِيمَ وَإِقَامَةَ حَلَقَاتِ تَعَامُلِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْجَدِيدَةِ. هُنَاكَ عَلَى سَطْحِ سَفِينَتِهِ، فِي ذَلِكَ الصَّرْحِ الْحَشِييِّ الْمُنْصَعَمِ مِنْ اغْصَانِ شَجَرِ الْأَرْزِ، رَكَعَ الْمَعْلَمُ يَسْتَحْضِرُ آلامَهُ.. أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الْإِلَهَ؟ تَرَبُّعٌ بَعْدَ أَحْزَانِي؟ أَلَنْ تَشْفُقَ عَلَيَّ بَعْدَ؟ أَلَنْ تَرْحَمَنِي؟

شَقَّ صُرَاخُهُ حِجَابَ السَّمَاءِ، وَأَصَابَ قَلْبَ زِيُوسَ، الَّذِي كَانَ يَسْمَعُ وَيُشَاهِدُ مَا حَصَلَ بِسَكِينٍ حَادٍ النَّصْلَ جَالٍ هُنَاكَ.. هُوَ مِنْ سَبَبِ هَذَا الْأَكْرَامِ الْعَائِلَةِ، إِنْ عَرِفْتَ أَوْرُوبَا فَلَنْ تَسْمَعَهُ، وَسَتَكْرَهُهُ رَغْمَ حُبِّهِ لَهُ..

- تَسَلَّحَ بِالصَّبْرِ يَا قَلَمُوسَ، وَلَا تَجْتَمِدْ بِهَا أَنْعِمَ عَلَيْكَ كِبْرِيَّيَ، فَأَنْتَ الْمُعَامِلُ الَّذِي يَفِيضُ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً.

- رَغْمَ هَذِهِ، رُوحِي وَقَلْبِي يَنْزِفَانِ حَزْنًا وَأَلْمًا. مَنْ كَانَ يَشَارِكُنِي فَرَحِي بِانْتِصَارَاتِي قَدْ رَحَلَ عَنِّي، وَبِتُّ وَحِيدًا. حَتَّى انْعَتَاقَ رُوحِي فِي الْأَفْلَاكِ بِأَدْمَانٍ مَكْتَبَلًا بِالْقِيُودِ. كَمْ أَتَوَّقُ إِلَى اللَّحَاقِ بِأُمِّي، إِنْ أَعْجَادَ الْجَسَدِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ.

- أَعْجَادُكَ لَنْ تَزُولَ، سَيَخْلُدُكَ التَّارِيخُ، هِيَ أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الْبَحَّارُ أَكْمَلُ مَسِيرَتِكَ، الْإِلَهَ مَعَكَ وَسِيرَافِقَكَ.



لقد رحلت أُمِّي، كنتُ قد وعدتُها بأن أبحث عن أوروبا وأن أعيدها كي  
روحها بسلام، وها أنا كفتحةٌ عاتمةٌ في المحيط المظلم، حتى ضياء تلك  
الأموم، التي أهتدي بها، أطفأها اليأس.

- أكمل مسيرتك إلى دلفي، هناك ستجد الكاهن العرَّاف، وهو سيقودك  
إلى سيلك، وأنا لن أتركك وحيداً، سأهديك «هرمونيا» إ. أفروديت  
، أريز زوجة لك، ستكون حُبَّ حياتك، كتفاً تلقي عليه رأسك، صدرًا يتسع  
أحزانك، ستلتقي يوماً ما أوروبا، بعد أن تصبحوا ملوكاً، وسيُعدُّ قلب  
أدبكم.

اسقط كلامه الحزن عن كاهله، فالقني جسده هناك، بعد أن جفف هواء  
الحر دموعه.. غفا وهو يردد بصوتٍ خافت:

أُمِّي.. مُظلمٌ الليل دونك، أفتقدك، كطفلٍ وحيد تائه. أُمِّي.. دَعي  
حك تراقفتي إلى أن نلتقي.

إنه يومها الثاني في بيتها الجديد، ذهبت مع إيفا إلى السوق. جالت المتاجر واشترت ملابس عصرية، عطور ومساحيق تجميل. لم تبخل عليها تلك الأم الحنون بالنصيحة وإعطاء الإرشادات، أما الأميرة الذكية صاحبة الذوق الرفيع، فلم تكن بحاجة إلى الكثير كي تتعلم كيف تلبس وتبرز أنوثتها الصارخة. لم تكن تلك المساحيق لتزيد جمالها، بل لتزيح التار عنه.

بعد نهار طويل، عادتا إلى الغرفة، ورتبتا الأغراض، ثم أخذت إيفا وأدخلت به الشريحة، وشرحت لأوروبا كيف تستخدمه، وسجلت رقمها ورقم كونراد وإدي.

- الهاتف جاهز، بمن ستصلين أولاً؟

- سأصل بإدي.. لا، أقصد كونراد لأنني وعدته، وبعدها سأصل بإدي.

- أخبريني، هل تحبينه؟

أحنت رأسها بحزين.. قالت بتردد:

- أفتقدّه وأشتاقُ إليه.. أشعر أن روحي تدور في محوره، لكنني لستُ واثقة

من مشاعره تجاهي. لقد أتيتُ من أرضٍ بعيدة، ولا أشبه هاتيك السيدات.

١٠ هذا المكان.. لا أجد شيئاً، وأبدو أمامه كالغبية؛ هو من يعلمني، فكيف  
أجيبُ بي؟.. عَوْضاً عن أني لا أعرف طبائعكم هنا.. كيف تفكرون وكيف  
لهم أن وكيف سأتعاش معكم. هذا صعبٌ، ينقصني الكثير من الخبرة، فحياتي  
السابقة لم تكن حافلة بالرجال وقصص الحب. ربّما يجبني ولا يستطيع البوح،  
وبها لا أعجبه، صعبٌ أن أحتد.

- المشكلة لا تكمنُ فيكَ صدقيني، فالرجال في مجتمعنا مختلفين، لا تعتقدي  
أن هناك شيئاً يمنعهم من البوح بشاعرهم عندما يجيئون أو يكرهون، فمتى  
أرادوا وجدوا ألف طريقة.

- هذا يعني أنه لا يجبني!

- ربّما، وربّما مازالت مشاعره غير واضحة. ربّما ينتظر الفرصة المناسبة،  
أظري يا صغيرتي وامنحيه بعض الوقت. حاولي أن تقربي منه وأن تكوني  
الصحبة أمامه، كي تكسري مخاوفه، وإن لم تتمكن مشاعرهما من الالتحام،  
بإمكانكما أن تحولاها إلى مسارٍ آخر؛ صداقة، أخوة وانتهاءً للآخر دون قيود،  
بالرجال يكرهون الارتباط، ويعشقون الحرية.

أغمضت عينيها وتنهدت..

- خائفة جداً من هذا المجتمع.

ابتسمت إيفاً مشجعة:

- كيف تخافيه وأنتِ فيه وجزءٌ منه، دعي الخوف جانباً واستمتعي بما  
مولك ولا تقيدي روحك بقيوده، هيا اتركي الأمر للزمن ولتصل بكونراد.  
تأملت أوروبا ذلك المهاتف الذي بين يديها، ابتسمت بثقة، وقالت بعد  
قليل من الصمت:

- معك حق، تعالي نفاجه.

استطاعت ببعض المحاولات أن تجد قائمة الأسماء.. صَغَطْتُ على  
ووضعت الهاتف على أذنها مترقبة الرد..

- دكتور كونراد، تفضّل.

- مرحبًا دكتور.. أنا أوروبا، ألتعرف صوتي؟

هاتف في مرج:

- لا أَصَدِّق، أنتِ تتصلين بي وأصبح لديك هاتف، وأصبحت  
عصرية.. مبروك مبروك.

- إنّه هديتْكِ لي، فكُلّ ما أملك وكل ما أنا عليه هو انعكاس لمحبّتك  
- استمتعي بهذا الحبّ ولا تحمليه عبئاً على أكتافكِ، دعيه يرفعكِ، ا  
كالأجنحة وحلّقي به عاليًا. إن أصبح الحبُّ ثقلاً على كاهلنا، سيحو  
قيود. اتفقنا يا صغيرة؟ ولا تشكري أحدًا بعد اليوم.  
- سأفعل.

- سأحفظ رقمكِ على هاتفي، وأتصل بك بعد أن أنهى عملي.

- يسعدني جدًّا، إلّ اللقاء.

أنهت الاتصال، وصرخت بسعادة:

- قلبي يكاد يطير فرحًا. أشعر أنّ المحبة تعتنقني من جسدي، وكأنني  
محلّقة.

قالت إيفا بإبتسامة:

- هيا كي نتصل بيادي سيفرح هو الآخر.

دون أن ترد، أنت بقائمة الأسماء بثقة وسرعة، و..

- إدي هذا أنا أوروبا.

- أوروبا.. صديقتي الرائعة، ما أجمل هذه المفاجأة!

هل رأيت، إنني أستعمل الهاتف بسهولة، لقد علمتني إيفا وقد حفظت ذلك به.

قلتُ لكِ إننا لن نستطيع رغم علمنا أن نواكب تطوركِ، وأنتِ تحملين آلاف العصور في جسد امرأة.. آه، أريد أن أسألكِ، هل ترغين بمرافقتي إلى أعمال الربيع في المدينة حيث أسكن؟

- أكيد، طبقاً بكل سرور.

- إذا، سامرٌ عليكِ غداً في الساعة العاشرة، كوني جاهزة، أنا لا أحب الانتظار، ومبروك الهاتف.

أغلقت الهاتف وصرخت من جديد:

- يريدني أن أذهب معه، سُمضي غدنا سوياً، هناك في احتفال الربيع، قولي لي، ماذا أفعل؟ ماذا أرتدي؟

- احتفال في الطبيعة! سترتدين ثوبك الأبيض، مع الحذاء والحقيبة والحلي المناسبة له، طبقاً.. تحتاجين قُبعة ونظارة شمس، ستكونين نجمة الحفل. صفوظ، سترافقه الأميرة. لكن احذري لا تُخرجيه، تصرفي وكأنكِ ملكة في حلوسكِ وتناولكِ للطعام وفي حديثكِ، تمامًا كما علمتكِ، ولا تنسي أمر الشاه الزهري.

غادرت إيفا بعد أن جهزت لأمرتها كل ما تحتاج. أما هي فلقد أقلق ذلك القلب الراقص منامها. وعند العاشرة صباحاً، اتصلتُ إيدي مُعلنًا وصوله. لت إليه مُسرعة، تمايلت أمامه ببساطتها كزنيقة بيضاء خارجة من حقلها،.. تمية أمام ناظره وبين يديه. فوقف للحظات متأملًا..

- أوروبا!!.. إنكِ فعلاً أميرة بكل ما للكلمة من معنى.

احمرّت وجتها خجلاً، فأكمل قائلاً:

- الآن ستخبرين السيارة، ستطلق بها إلى هناك. الخوف ممنوع والأ  
ممنوعة، اليوم فقط للاستمتاع.

- إنني أستمتع بكل لحظة ما دمت معك، وهذا يكفيني.

قال وهو يتسّم:

- غزلٌ صريحٌ وواضح. لن أحتمل هذا، انتبهي وكوني حذرة.

- إنني سعيدة وأعبر عن سعادتِي، وأحاول أن أخفي قلقي من تلك العاء  
الحديدية الملونة.

قال ضاحكًا:

- إن خوفك هذا مبرر، وسيحدث معي نفس الشيء عندما أركب صارو-  
متجهاً إلى القمر.

صعدت السيارة، تفقدت أرجاءها، تسمرت عينها عندما فتح الزجاج  
الكهربائي، وربط حول جسدها حزام الأمان.. تنفّست بعمقٍ وابتسمت،  
وعدته «لا خوف ولا أسئلة»، فوجوده معها هو ضمانٌ سعادتها.

بعد ساعة تقريبًا، وصلا إلى هناك، بعد أن عبرا بعض السهول الخضراء  
والجبال والغابات وطرقات تظللها الأشجار. كانت تراقب كل تلك التفاصيل  
وما تقع عليه عينها بدهشة وفرح. في ساحة قرية هادئة، على مسرح خشبي،  
فرقة موسيقية تعزف موسيقى. البعض كان يرقص، وآخرون كانوا يأكلون  
ويتسامرون ويضحكون، أطفالٌ وسيدات جميلات، رجالٌ وساء، وكلاء.  
أيضًا. الجميع مستمتعون بالنهار المشمس الرائع. عند دخولها، حضر العدا  
من كانوا هناك مرّحين، فأدركت أنه شخصية مهمة في مجتمعه وليس إن-  
عاديًا، ولم يخف أن حضورها أيضًا زاد من اهتمامهم. أخذ يعرفهم عليها بفرح  
وهي تصافحهم باحترام، ثم جلسا مشاركين الجميع تلك الأجواء الرائعة  
بعد ساعات قال إدي:

- هل تريد أن نحسي القهوة في منزلي؟ إنه على مقربة من هنا.

كانت فرصتها كي تُشبع حشرتها ونهمها، لتعرف عنه أكثر مما ترى.

- أجل إنها فكرة رائعة.. أريد أن أرى حياتك عن كثب.

«شيا سويًا في أحضان الطبيعة.. بعد مرورهم قُرب بحيرة جميلة، وقفنا أمام

«.. خشبي لقصرٍ قديم كبير، ذو برج عال.

- أهذا قصرك؟

ضحك وأكمل:

- ليس كله، لقد قَسَمْتَهُ البلدية إلى مساكن كي يحافظوا عليه، واشترى تلك

الأقسام بعض عُشاق الأماكن القديمة مثلي، فكان البرج والدور الأخير ملكًا  
إلي، سكتنا أهرب إليه من ضغوط العمل وزحام المدينة.

وقفت مندهشة.. المكان غامض، يشبه كثيرًا.. عبرا المرات المفتوحة

«من نور الشمس، والشرفات المليئة بأحواض الزهور وأعراس العنب. من  
الداخل، كان المنزل أنيقًا جدًّا، والأثاث بسيطٌ ومريح، وزُرع في أرجائه الآلات  
الموسيقية والأقراص المسجلة، كما زرع على نافذة المطبخ العديد من الأعشاب  
العطرية.

هناك، جهّزنا القهوة، وحملنا إلى البرج في الغرفة الزجاجية الجدار، ذا -

السقف القرميدي والأرضية الخشبية، التي فرش عليها فراء الخروف الوثير.

«مست على، وأخذت تجول بنظرها على السفوح والوديان والجبال من فوق،

«كانها على جناح طائر. الجمال يلقها من كل الأماكن، وتلك الموسيقى الهادئة

صبغت الجو بسحرٍ لا يوصف. وضعنا القهوة على الأرض، وأخذنا يتسامران.

- أشعر وكأنني في حلم، أمضيت عمري أعتقد أن البحر هو أجمل ما في

الطبيعة، لكن الآن أدركت أن الجمال لا يتجزأ.

- هل ستخبرني عن أسرار بحركي؟

- هل أنت مستعد؟

- جريبي.. بقي بي.

فتحت صندوقها السري، وبمجرد أن بدأت، نثرت أمامه كل ما حدث،  
معها، دون أن تنظر إلى عيني. كان مستغرباً مندهشاً، مصدقاً؛ مكذباً أحياناً،  
كأنه يُشاهد فيلمًا خياليًا.

- لم تكن رحلتك سهلة، أقدر آلامك، لكنك لم تخبريني لماذا تركت زيوس.  
ورحلت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

- إنه الجزء المومج.. سأخبرك بتجربتي تام، وأرجو أن لا تدينني ولا تترك  
صوتي بريشة الغدر والخيانة، لقد حاولت أن أحمي نفسي من الأذى، لا أكثر  
- إطلاقاً، إن هذا لن يحدث أبداً.

أغمضت عينيها بحزن، تنهدت وسافرت إلى هناك...



ذات يوم، في تلك القلعة على الجزيرة، استيقظت من نومي على رؤية مريعة، تُشبه تلك الرؤية التي أنبأتني برحيلي.. ناديتُ عرافة القصر، فحضرت على الفور.

عندما دخلتُ عُرفتي، أحتتُ رأسها بحزنٍ شديد، وبصوتٍ مرتجفٍ قالت:  
- حماك الإله أيتها الأميرة، فالظلام يظلل المكان، وأصوات النحيب تملأه.  
- تعالي كي أخبرك عن ذلك الكابوس المريع، قلبي يعتصرُ خوفًا وحزنًا مما

جلست بقربي، ومررت يدها على رأسي.. أمسكتُ بديّ المرتجفتين وقالت:  
- إن ما كُتِبَ قد كُتِبَ، فلا تخافي يا صغيرتي، وأخبريني بهدوء.

- قد شاهدتُ أمي، وقد فصلتُ الآلهة جسدها إلى نصفين، وهي مبسمة صامتة.. قدموس أخي كان يقف هناك، مكبل اليدين، يبكي بحرقه وضعف لرأعهما فيه من قبل. أما أنا، فواقفة على ضفة أخرى، يفصل بيننا بحرٌ هائج، تتكسر أمواجه على الصخور فتفتتها وتتكسر معها، ثم تعود لتتحر هناك آلاف المرات. حاولتُ العبور، لكن بكاء الأطفال الثلاثة، الذين كانوا يمسون ثوبي

ويرجونني أن أبقى معهم، أوقفني. بعدها لفتُ غيماً أسود المكان، والتحم -م-  
الأمواج العاتية. غاب قدموس وأمي عن ناظري، ثم عاد ذلك السحابُ  
العاصف إليّ، حملني وألقاني داخل دوامة ليس لها قرار. ولازلتُ أسمع صراخ  
الأطفال الذين احتضنهم رجلٌ يرتدي ثياب الملوك، ومدَّ يدهُ داخل الدوا  
وشدني إليه. أما زيوس، فكان يراقب ما يحدث من السماء، من خلف قضبان  
حديدية لفتها الغيم، أمام تلك القضبان يقف حارسٌ قبيح، نصفه امرأة ونصفه  
شيطان، يراقب معه ويضحك من بكائنا ومن حزنه.

توقفتُ عن الكلام أجمع أنفاسي وألتقطها، قبل أن أتابع:

- قولي لي يا سيدي ماذا حدث لعائلتي؟ هل حلت عليهم اللعنة؟ ها  
يُعاقب الجميع بسببي؟ أي مستقبل يتظرني، وأين هو زيوس من كل هذا؟

نظرتُ إلى أعماقي عيني بحزم وشفقة، ثم قالت وهي تمسك يدي:

- لقد ماتت أمك أيتها الأميرة، وقدموس يرثيها، وبينك وبينها عوالمٌ  
وأسفارٌ بعيدة، وستعانين الأثر المُرِح قبل أن تعبريها.

بصوتي المخنوق ودموعي المنهمرة استجمعتُ شجاعتِي وسألتها:

- ماتت أمي؟

- هذا ما نقوله الرزية، وهؤلاء الأطفال هم أطفالك من زيوس، سيولدون  
هنا على هذه الجزيرة، سيرتكك وحيدة ويرحل، كي يحميك من هيرا التي  
تعتقله. أما أنتِ فتواجهين مصيرك وحيدة، تنكرين كذلك الأمواج،  
وتعودين إلى المحيط لتعودي وتنكري من جديد آلاف المرات، سيحجب  
سمايك السحاب، سبكين.. حتى تبدد دموعك وتغسل ذلك السواد، قبل  
أن يتبخر بعد شروق الشمس. ذلك الرجل هو من سيتملك ويرثي أولادك،  
سيكون ملكاً ذا سلطان، وسيغير حياتك ويخلد اسمك.

صعقَ كلامها روحي ولفها بالخوف.. لقد ماتت أمي دون أن أودعها..  
عندما جرفني الحب، لم أفكر أنني سأخسر عائلتي ومن أحبني إذا ما ربعْتُ

.. يجب. لرا أفكر بالموت، ولا بالمسافات والزمان..

لماذا فعل بي هذا وهو يدرك أنه سيهجرتي ولن يستطيع حمايتي؟ لقد أقسمت بأن يجيني، لرا أدرك أنه لرا يجب سوى نفسه، هكذا هم الرجال، حتى وإن كانوا الهة، يسرقون ما ليس لهم، ليرموه عقابًا على محبته لهم..

خرجتُ من هناك، لا أعرف لك أين.. أردت الهرب، ثم دوى صوته منذرًا كالرعد..

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟ أنتِ ملكي، ولن أسمح لك بالرحيل.

- هل ماتت أمي حقًا؟ أخبرني.. وأخي، هل يبكي غيابها بحرقة؟

- لقد كانت مريضة، أما قديموس فقد وهبتهُ حبّ حياته وسيكون بخير، سيصبح معلمًا للأجيال.

- أتتركني مع أطفالك مع ملك غريب ليرعانا؟

- سأبتعد كي أحميك من هيرا، وسيربي أطفالنا ملك جزيرة كريت، إلى أن يصبوا ملوكًا عظامًا. أنتِ أيضا ستكونين ملكة هذه الأرض الشاسعة ملكة نايبا، وستخلدُ الأجيال اسمك كقديموس، وستحيون إلى الأبد.

- من قال إنني أرا الخلود، أو أنني أسمع وراء عرش مصيره الزوال؟ لقد تركتُ بلدي بحثًا عن حبيب أربي أطفالك معه. كيف تمبنا لك رجل غريب أيها المتسلط الجبار اللهث وراء رغباتك؟ لا، لن يكون لك هذا حتى لو كنت إلهًا.. أنا من صنع مصيرها بيدها. إنني عائدة إلى وطني، وإلهي الواحد سبحانه يحميني. لن تذهبي إلى أي مكان، فأنتِ أسيرتي.

طوق جسدي بيديه القويتين، وحملني إلى برج القلعة. حاولتُ أن أخلص نفسي من قبضته، اخترقت أظفاري جسده، لكنني فشلت.. فعدتُ واستسلمتُ إلى الواقع، هناك.. قيد حراس البرج يدي ورجلي بالحبال، على عمود يتوسط الغرفة، وتركوني معه وخرجوا.

- لماذا أجبرتني على فعل هذا؟ لماذا لا ترسخين لقدرك؟

- أنا أكرهك، ماتت أمي بسببي، بسبب حيي لك.. أرجوك دعني أرحل،  
دعني أعود إلى وطني.

نظرَ إليّ بغضبٍ شديد، ثم أخذَ السَّوطَ المعلقَ هناك، وضربني به بقوة  
مرعبة.. وكأنه يحاول أن ينتقم من خضوعه لغيرا المنسلطة، والتي لم يجرو يوماً  
على محاسبتها.

- اضربني هباً.. أنا لا أخافك أيها الضعيف الخاضع.. اضربني كي تستعيد  
رجولتك المفقودة.

توقَّف فجأةً ونظرَ إليّ بدهشة، وكأنه لا يعرفني.. اجتاح الحزن ملامحه،  
ورمى السوط على الأرض، وبقلبٍ مكسورٍ قال:

- أنتِ تكرهيني؟! هكذا وأنا من أحبِّك؟ تقفين أمامي وتعلنين كرهك لي،  
وما فعلتُ شيئاً إلا لأجلِ سعادتك!

- فكَّ قيودي أرجوك.. دعني أعود إلى وطني.

أثار ضعفي وحزني مشاعره، اقترب مني وعانقني. أخذ يمرر أصابعه على  
جسدي، ويلق جروحي بحنان.

- أحبُّك.. لن أقوى على العيش بدونك.

- لن أستطيع أن أهلك جسدي ثانية.. لقد دمَّرتَ روحي وقلبي، ابتعد  
عني أرجوك.

صرخ بغضب:

- أنتِ لي.. هل تفهمين؟ آخذكِ متى أشاء، وأضاجعكِ كما أشاء..  
وستحيتي رغماً عنك، ولا ستبقين سجيناً هذا المكان إلى الأبد.

- ارحل أيها البشري المدعي الألوهية، ليس هناك إله يبيح أجساد النساء  
من أجل رغباته.

- سأخرج، لكنني لن أتركك بسلام، لربعد لك ملجأ سواي.

ذهب، وأقفل الأبواب خلفه، وبقيت وحيدة غارقة في دموعي وجراحي النازفة، في ذلك الظلام الذي يقطعه ضوء القمر المتسلل من تلك الفتحة الصغيرة. على ذلك العمود أرخيتُ جسدي مستلزمة.. أيها الإله ساعدني.. رغم استحقاقي لعقابك، لكنني أثق بكرمك ورحمتك. ها أنا أقف بين يديك، فترفق بي وارحم أمي من عذاب روحها لأجلي، أرجوك.. لا أدرك كم مرَّ من الوقت، لقد غفوتُ هناك مطولاً، وعندما فتحتُ عيني، كان الظلام لازال مخيمًا.

حرَّكتُ يدي داخل الجبال، محاولة إرخاء تلك العقدة أو إخراج يدي من بينها. رغم تعبتي، تمكنتُ من فكها، وحررت نفسي. نظرتُ حولي أبحث عن مخرج، لربكن أمامي سوى تلك الفتحة. تفحصتها، كانت كافية لأمرٍ بجسدي منها، ولربكن المكان عاليًا. أخذتُ تلك الجبال التي فككتها، وصلتها ببعضها، وصنعتُ لنفسي سلمًا من العقدة، أنزلت من الفتحة ببطء، ثم عبرتُ. عند نهاية الجبل، أسقطتُ نفسي بما تبقى من مسافة حتى سطح الأرض. ارتطم جسدي لكن عشب الحديقة وفرحي بحررتي أنساني ألمي. كنت خائفة من كل شيء حتى من نسبات الهواء.. ومن عيون الألهة المتربصة بالمكان؟.. نبشت حجارة ذلك الحائط الذي يفصل البرج عن حديقة القصر كي أتسلفه، لا أدري من أين أتيت بقوة الساعدين، وصلت إلى السور الخارجي.. وفي غفلة من الحراس - أو منحة من إلهي الواحد - خرجتُ عبر باب جانبي للمشاة دون أن يلحظني أحد.

لا أعرف كم من الأيام قطعت، ناديتُ الإله كي يتقضي من تلك الأرواح التي استبقطت على صوت زيوس، وبدأت تطاردني محاولة منعي من الرحيل. بعد أن أصبحت بعيدة جدًا عن المكان، وأسعفتني عقلي أن أنزع قلادته من عنقي، كانت تطوقني تخنفتي كالسحرها كيدي زيوس القويتين، دقائق مرت..

كانها أصاب العمي تلك الأعين التي كانت تراقبني. خفت الأصوات،  
واضحلت في الظلام، فغفوتُ من تعبي حيث كنت، بعد أن لفتت سلسله  
القلادة حول معصمي كي لا تسقط مني بالظلام وعندما استفتتُ وجدت  
نفسي في المستشفى.

رفعت عينيها، من بعد الشرود، إليه..

- هذه قصتي.. ربما لن تصدقني، أنا أشكُ أحيانًا بحقيقة وجودي عندما  
أرى أين أوصلتني قدمائي.

- أصدقك، وسوف أساعدك كي نتأكد مما تشكين بحقيقته، سنعود إلى  
المراجع والأساطير، نقصي الحقائق، ونحل لغز انتقالك إلى هنا سويًا، تعالي  
إليّ أيتها الأميرة الشجاعة.

اقترَبَ منها، وأخذها بين ذراعيه، فألقت برأسها على صدره وأغمضت  
عينيها، وأخذت يداها تبجان في خصل شعرها الطويل.

- إنها مأساة، لكنها أصبحت من الماضي.. أنتِ الآن هنا بأمان، ولن يتمكن  
أحد من أذيتك بعد اليوم.

تمتَّت أن تبقى هناك إلى الأبد، قرب قلبه المحبِّ الدافئ، لكن تلك النهاية  
لرُثسَم بعد.

أيقظها صوته من أحلامها:

- هيا.. علينا أن نعود إلى المنزل، وإلا لن يسمحوا لك بالدخول.

- شكرًا لك إدي على كل شيء.

- لا عليك، سأكون دائمًا بقربك داعيًا لك، فلا داعي لشكريني، سوف  
أعتاد على هذا.

طرقت المساعدة الاجتماعية باب غرفتها.

- صباح الخير، أنا «أندريا»، هل نستطيع التحدث قليلاً؟

- صباح الخير، بالتأكيد، تفضلي.

لقد أدْرَجَت السيدة برجيتا اسمك في صف نعلم اللغة، وقد وصلت

الموافقة. اليوم ستأخذين درسيك الأول، هل أنت مستعدة؟

- أجل، أكيد.

- جيد.. يتخلل هذه الدورة أيضاً دروس تدريبية على استعمال الحاسوب.

- هذا رائع، لقد حصلتُ على واحد، ولا أعرف كيف أستعمله.

- ستعلمين كل شيء وبمدة قصيرة، فعينيك يسكنهما الطموح والفتنة.

جهُزِي نفسك ووافني بالمكتب، سأرافقك اليوم إلى هناك، كي تعرّفي على

المكان وكيف تصلين إليه.

ارتدت سروال جينز وقميصاً قطنياً، التفتت حقية اليد، الهاتف والحاسوب،

وخرجت.

من مكتب النقل اشترت لها تذكرة شهرية وخارطة لوسائل النقل،  
ركبتا الحافلة المتجهة إلى هناك.

قالت أندريا:

- هذه «هيدي»، معلّمتك الجديدة، وفي آخر المرّة غرفة الإدارة. لا تتردد،  
بطلب المساعدة فالجميع هنا جاهز لهذا.

قالت هيدي مبتسمة:

- أهلاً بك أوروبا.. سررتُ بمعرفتك.

ردّت بخجلٍ وارتباك:

- وأنا أيضًا.

ودعتها أندريا قائلة:

- ساتركك الآن.. هذه بطاقة التعريف خاصتي، مع رقم هاتفي وعنوان  
المركز.

ودعّتها ودخلت إلى الصف.. كان هناك العديد من لا يجيدون اللغة مثلها،  
الغربة تبددت أمام ترحيهم بها. عرّف كلٌّ عن نفسه، وما هي أهدافها، ولماذا  
يريد أن يتعلم اللغة.

- «أنا اسمي أوروبا، من صور، لبنانية، لقد وصلتُ إلى هنا حديثًا، أعزّفُ  
الموسيقى، أجدُّ لغتي الأم، وأريد أن أتعلم لغتكم كي أخبركم عن وطني،  
نفسي، ومجتمعي».

صفّق الجميع عندما انتهت من الكلام، أشعروا هذا ببعض الخجل والكثير  
من الطمأنينة في آنٍ.

انتهت حصّة اللغة، وبعدها حصّة الحاسوب، وقد انفصلت عن العالم  
الخارجي وغرقت فيها تعلمته. أمضت الوقت بكتابة الملاحظات، وكل ما  
دأر حولها من أحاديث وكلمات جديدة، تلتهمها كأنها طفلٌ جانح إلى المعرفة



العلم. عندما انتهت، شكرت المعلمة وودعت رفاق صفها، الذين لم يتوقفوا  
من طرح الأسئلة، لكنها كانت تتهرب من الإجابة بدبلوماسية وجنكة، تُظهر  
بكرته فيها حياة الملوك من أثر. لقد أثارت فضولهم تلك الفتاة الرائعة الجمال  
البراقية، وكيف حملتها الحياة إلى هذه الظروف.

دخلت عُرفتها تحمل كتبًا وأوراقًا جديدة، سعيدة بكل ما يجري، وأسرت  
إلى الهاتف:

- إدي، احزر أين كنت؟ لقد ذهبتُ إلى المدرسة.

- جيد أيتها الجميلة، إنني أشعر بسعادتك.

- أجل، لقد تعلمتُ أشياء كثيرة، سأذهب غدًا أيضًا. الأجواء مشجعة  
والجميع لطفاء.. لقد اهتموا بي بشكلٍ ملفت؛ مدير المدرسة كان يراقبني كلما  
مررت من أمام مكتبه باستغراب.

- توقعت هذا، كوني حذرة يا صغيرتي، المجتمع هنا غير مخصص لأصحاب  
القلوب والنوايا الطيبة.

- لا يبدو عليَّ الدهاء، لكنني حازقة وأجيدُ فن الهروب، لا تخف عليَّ.

- لا أشكُ بقدراتك.. (قالها وهو يضحك).

- إننا نتدرب أيضًا على الحاسوب.

- عظيم.. إذا احتجتِ أي معلومات إضافية أخبريني، وأنا سأزودك بها.  
أوروبا، أردتُ أن أدعوكِ في عطلة الأسبوع إلى رحلة في الطبيعة.. ستلحق  
الجيل قرب منزلي، فما رأيك؟

- موافقة، إنها فكرة رائعة، ولكن ألتزم بزيوري قبل هذا؟

- لا استطيع، فأنا مشغول.. أحضرُ لحفل موسيقي في دار الأوبرا، يجب أن  
أنكبَّ على كتابة المقطوعات الموسيقية للعازفين.

ردت بحزن:

- حنًا.

- هيا اهتمي بدرسيك، وستمر الأيام بسرعة.

- سأشتاقُ إليك.

- وأنا أيضًا.

أنهت الاتصال، وحملت كُتُبها وانصرفت كليًا إلى مراجعة وحفظ ما تعلمته مرَّ الأسبوع سريعًا، بين المدرسة واتصالات إيفا اليومية ورسائل كونراد، تلك الرسائل القصيرة كانت تُفْرِحُها وتشجعها على الكتابة.. لم يتصل.. لقد نسيني، قال إنه سيأتي في عطلة الأسبوع.

عَقَّت وهي تفكّر به، لكن أن أيقظها اتصاله.

- مرحبًا صغيرتي، هياً اجهزي بسرعة، سأكون عندك بعد ساعة، ارتدي ثيابًا مريحة وحذاءً رياضيًا، فنهارنا سيكون طويلًا.

عندما وصلا إلى هناك، أخرج من المقعد الخلفي حقيبتين وقال:

- هيا.. سنمشي حتى قمة الجبل، وسنعود قبل مغيب الشمس.. خُذي، احلمي أنتِ هذه الحقيبة الصغيرة، وأنا سأحمل الأخرى.

- إنه نهار جميل، المكان يشبه الجنة، غناء العصافير وعزف أوراق الأشجار. أنا سعيدة جدًا، أتعرف؟ كنتُ خائفة أن لا تأتي أبدًا.

- هل يُعقل وأنتِ صديقتي المفضلة؟

- إدي، هل هناك أحد ما في حياتك الخاصة؟

- لا، لا أحد سوى ابتي، وععلي، والموسيقى، وكلبي كيوي، وأصدقائي.

- وكيف تمجيا بدون حُب؟ وهل يغني كل هذا عنه؟

- الحُبُّ مسئولية كبيرة، وأنا الآن لسْتُ حاضرًا للمزيد من المسؤوليات.

١٥١ أما أن النساء غريبات، يفعلن ما يستطعن كي يوقعنَ أحدًا في شباكهن، بعدها  
ب. المأساة والمشاكل والغيرة.

- ولكن النساء لسن متشابهات.

- ربها، لكن العيش وحيدًا أفضل من معايشة المشاكل، غدًا عندما ستعقبن  
في هذا المجتمع، سوف تدركين مقصدي، تعالي الآن لنكمل استمتاعنا بهذا  
الجمال.

- فعلاً، إنه يشبه النعيم الذي بشر به الإله الأوحد الأرواح النقية.

- لقد أثارني هذا، فأنتِ دائمة الحديث عن الإله الواحد، أخبريني.. كيف  
تُعقل وأنتِ آتية من بلاد الآلهة؟

- فعلاً، أهل بلادي كانوا يعبدون الآلهة، وكل مدينة كان عندها الثلاثي  
الخاص بها. في صيدون، «بعل صيدون المُسِن»، «عشتار الأثنى» و«أشمون  
الإله» الفتى الذي يُحتفل بموته وبعثه كل سنة. في صور مدينتي.. كان هناك  
إله السماء «بعل شميم»، «عشتار أم الآلهة» والبشر والنبات، «ملقارت  
الفتى» الشاب سيد المدينة وملكها.. وآلهة أخرى.

- حضارة غريبة.

- كنا نحتفل كل سنة بموت الإله وبعثه من جديد، وعند الاحتفال بموته،  
كان الناس يخلقون رؤوسهم ويضربونها بالسكاكين، ويقيمون المناحات  
ويعلنون الحداد في جميع الأنحاء. وفي اليوم الذي يرجع فيه إلى الحياة ويصعد  
إلى السماء، كنا نحتفل بولادة الحياة الجديدة.

لكن من كان منهم الإله الواحد؟

- لا أحد، كانت عائلتي تتبنى بشارة إختاتون، فجدي وجدتي فراعنة  
الأصل.. لقد حملنا أسرار عبادتها.

- فعلاً.. لقد سبق عصره، لقد قرأتُ أنه ألغى عبادة الآلهة، وفرّص عبادة

إله واحد، وحاول بعدها تبشير أتباعه ومن حوله بمعتقداته. وقرأت أيضًا أنه قد حطم كل الأصنام الحجرية في المملكة. كتابٌ آخر تكلم عن هذا الموضوع، وقد أثار العديد من علامات الاستفهام في داخلي، فهو يعتقد أن إخناتون نفسه النبي إبراهيم، الذي أتى ذكره لاحقًا في الكتب السماوية، الذي يعتبره أول الموحدون الذين بشروا بالله، وكثروا الأصنام واضطهدوا أيضًا بسبب آرائهم.

- أجل، لقد كان حاكمًا رائعًا. أدرك بمعرفته وفلسفته وجود الخالق الواحد، وانبثاق النفس البشرية والأرواح من تلك الوحدة الكلية. أيقن منذ صغره بظُلان تلك العبادات، لهذا قام بتحطيم الأصنام ليثبت عدم جدواها، لكنني لم أسمع سابقًا عن إبراهيم، هل هو من الفراعنة؟

- يعتقد الكاتب هذا، ويُقَرَّر اسمه «إبراهيم» أو «إبرام» بالهيروغليفية «الرجل على الجواد» ما يشير إلى تلك الواقعة. أمّا إبراهيم، فهو نبي بشر بالتوحيد، وتحدّر من سلالة كلّ أنبياء ذلك العصر.

- ولكن كيف وصل تاريخ إخناتون إليكم؟

- من خلال علم الآثار، العديد من العلماء تتبعوا تفاصيل حياته، رغم أن الكثير من آثاره قد طُمِسَ وتحطّم.

- للأسف، بعد اختفائه عادوا العبادة الأصنام، وحاولوا إخفاء كل ما يشير إليه وإلى بشارته. إن تحطيم الآلهة لرؤس الكهنة، فهم يجنون من وراء هذه العبادات - السُلطة والمال، وإذا كان هناك إله واحد سيفقدون كل شيء.

- لكن أليس غريبًا أن يفصل الملوك عن شعوبهم بالعبادة؟

- أحيانًا تكون العبادات المتعارف عليها بسيطة، وتخطب عقول العامة من يفضلون لمس ما يعبدون. أمّا التواقون للعلم، تجدهم في اجتهاد دائم لكشف أسرار الكون ومبده، فمن يسعى إلى المعرفة تفتّح له أفاقها. كان صعبًا أن نشرح لهم ماهية وحقيقة الخالق وفيض نوره، فضلنا أن نشاركهم عبادتهم

• طفوسهم، ومن شاء له ما شاء. ليس في حُبِّ الإله إكراه، ولسنا بحاجة إلى دليل لمعرفة. ربما تلك العبادات البسيطة إن صدرت عن قلب مؤمن صادق هون أكثر تقربًا إليه ممن يعبده ولا يعرفه.

- إنَّه حكمٌ ديمقراطي رائع، وأنا أوافقك الرأي، فالأديان لا يجب أن يورث كالممتلكات، وكل يجب أن يبحث عن مصدر لنوره ولعلته وتواصله مع الكون وذاته. للإنسان حق حرية الاختيار.

- لم تخبرني بعد ماذا تعبد؟

- أنا مسيحي، أو بالأحرى ولدتُ في عائلة مسيحية متديّنة ملتزمة.

- وما هي المسيحية؟

- المسيحية دينٌ بَشَرِيٌّ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَرِيكُنْ يَسُوعَ مَلَكًا وَلَا ذَا مَجْدٍ. كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وُلِدَ بِمَعْجَزَةٍ مِنْ مَرْيَمِ الْعَذْرَاءِ دُونَ دَنْسٍ، لِنَقْلِ آتِهِ أَكْمَلَ مَا بُشِّرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ. بُشِّرَ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْأَبِ كَجِزَاءٍ مِنْ ثَالُوْثٍ مَقْدَسٍ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. لِنَ تَفْهَمِي هَذِهِ الْأُمُورَ الْيَوْمَ، لَكِنِ غَدًا عِنْدَمَا تَقْرَأِينَ وَتَسْمَعِينَ مَعْرِفَتِكَ سَتَدْرِكِينَ مَا أَقُولُ.

قالت بدهشة:

- هذا يعني أنَّ الناس هنا يعبدون الإله الذي بشر به إخناتون، وأن أفكاره قد تُرجمت، ويسوع قد أكمل رسالة التوحيد التي آمن بها.

- شيءٌ من هذا القبيل، فبعد أن ارتفع يسوع إلى السماء، أكمل تلاميذه رسالته من بعده، اضطهدوا وعذبوا إلى أن وصلنا إلى هنا.

- وهل أستطيع زيارة معبده؟

قال مبتسمًا:

- ليس هناك معبد، بل كنيسة يزورها المصلون، وتقام هناك القداديس من أجل المحبَّة، ويتقرب البشر من الإله.. اسمه الله.

- الله يعني الإله الواحد.. اسم جميل. أريد أن أذهب إلى الكنيسة، هل ترافقني؟

- حسنًا، رغم أنني لم أذهب إلى هناك منذ سنين.

- لا تُصلي؟!

- لقد هجرتُ ديني واعتنقتُ آخرًا، وأصلي حسب عقيدتي الجديدة.

- ألا تؤمن بالإله الواحد؟

- أؤمن بأن هناك قوة كونية عظيمة قد خلقت الأرض ونظمت شئونها بهذا الشكل الرائع، لكن أختلف مع الآخرين في تسميتي للأمور. كما قلت، فكل إنسان يجب أن يبحث عن مصدر لتقربه من النور، مصدر يُشبهه ويكمله، ويُخرج منه تلك الإبداعات التي تسكن فيه.

- وما هو طريقك؟

- لقد وجدتُ نفسي في ديانة قديمة هندية الأصل تُدعى «البوذية»، بدأت جذورها في القرن السادس قبل الميلاد، ما يقارب ستة مائة سنة قبل ميلاد المسيح.

هزت رأسها باستغراب وقاطعته قائلة:

- لقد فهمتُ الآن ما قالته إيفا.. قبل الميلاد يعني كل ما حدث قبل مولد

المسيح. وهل دينك الجديد يؤمن بكل ما جاء قبل الميلاد؟

- البوذية تشارك ديانات أخرى في عقائدها. لقد أخذت «الكارما» من

الهندوسية.. الكارما تعني: عقيدة السبب والنتيجة. وانفقوا مع «المايا» وهي:

حضارة قديمة، بوجود طبيعة العالم الغير واقعية. أيدوا «السامارا» وهي

أيضًا: ديانة قديمة، بحقيقة دورة الحياة وإعادة الحياة. إن هدف البوذية

الأسمنى هو الوصول إلى التنوير ومعرفة حقيقة الكون.

- وهل عندهم مبشر مثل الآخرين؟

- إنه سيدهارتا جواتاما الملقب بـ «بوذا»، هو ليس إلهًا بالمعنى الكامل للكلمة. إنه المؤسس لهذه العقيدة، وقد آلهه بعدها أتباعه ومن آمنوا به.  
- أخبرني عنه.

- وُلِدَ «بوذا» في عائلة ثرية وعاش برحاء، حاولت عائلته أن تبعده عن العقائد والأديان، كي تبقى روحه سعيدة متحررة. بعدها شاهد عدة مشاهد، وكان آخرها رؤيته لزاهد مائل يعيش بتألف وتجانس مع نفسه ومع الكون من حوله، سعيد بزهده وتقشفه وقربه من النور. عندها ترك سيدهارتا ترك كل ما يملك وراءه، من مال وسلطة ومشى في طريق ذلك الزاهد. لقد برع بالتأمل الذي من خلاله تمكن من الاتحاد بالنور، بعدها أصبح بوذا «الشخص المستير» وتبعه خمسة من تلاميذه، ويقرأ بتعاليمه من بعده.  
- وما هي تعاليمه؟

- كان أبلغ ما وصل إليه أن الحياة معاناة، والمعاناة تولد من الرغبة والتعلق، وانتهاء المعاناة يكون بالتخلي عن ما تعلق به.  
- ألا يعترف بوجود الله؟

- في البوذية لا يوجد خالق أزلي مصدر لخلاص البشرية. ربها كانت هناك أرواح عديدة تعيش بالنعيم، لكن لكي تكتمل العدالة الكونية فقد خلقت هي أيضًا لتولد وتموت وتبعث من جديد بأجساد مختلفة، والإنسان أرقاها، وهو الشكل الوحيد الذي من خلاله تتمكن الروح من الوصول إلى التنوير، فوصول الروح إلى التنوير يكرر دورتها الحياتية ويحررها من الولادات المتعددة، وما دام هناك كارما فعلية أن تبقى بالدائرة كي تتلقى نتيجة أفعالها.  
- هذا مشير جدًا يا إدي.

- بسيط أكثر من مشير، ربها مشير ببساطته، نحيا ونفعل ما يجب فعله. نحاول

ألا نتعلق بما نحن فيه وما حولنا. إذا تمكنا من هذا سندرك معنى السعادة الحقيقية، نفرح بما يأتي ولا نحزن على ما فات.

- لكن الحياة تشدنا إلى امتلاكها، فما أنا الآن، بعد أن كنتُ كما يعنى البوذي لأن يكون. ها أنا أكافح من أجل أن أتعلّم وأمتلك ما يساعدي على الحياة، وأصلي كي أصبح كما يفرض عليّ الحياة أن أكون، فهل هذا خطأ؟ هل سأولّد في جسد حيوان أو في حجر عقاباً على سعيي إلى تطوير نفسي وإيجاد جودي في مجتمعكم هذا؟

- لا بالتأكيد، ها أنا أيضاً لازلتُ أتعلّم وأعمل وأجني النقود، لكن المشكلة أن يصبح جمع النقود هدفي وأقصى غاياتي، وأن أتجرّد من إنسانيّتي من أجل هذا، واعتبار الحياة المادية سبباً ومصدر السعادة. إن النفس البشرية توّاقه لهذا بالفطرة، يجب علينا تدريبها على الاكتفاء، وقمعها عن طلب المزيد.

- أنا معك أن السعادة لا تقاس بما نملك، لكن ما نملك يساعدينا على الوصول إليها، فإذا لم أملك ثمن الكتاب الذي سيعلمني التأمل والأشياء الأخرى التي ستحرّر نفسي، فكيف سأتعلم؟  
صَجِّحْ قائلًا:

- إنكِ رائعة أيتها المسافرة عبر الأجيال، الحاملة معك علومك وحضارتك وعقلك المتقد، ها أنا أستلمُ أمامك.. لأني متعب وجائع.

في ظلّ إحدى الأشجار المعمرّة، أخرجنا ما في الحقائب؛ مفرّش ملوّن، أطباق، أكواب، خبز وخضار مقطّع، وبعض المأكولات الجاهزة. أنها طعامها، ثم عادا أدراجهما، وروحاهما تعانق السماء بفرح، يتسامران ويضحكان ويرقصان أحيانًا، ويراقبان النحل والفراشات أحيانًا أخرى، إلى أن وصلا بعدها إلى البيت مُتعبين.

- آه، إني متعب لا أرغب بالقيادة، تودين المبيت هنا؟ سأتصل بالمركز وأخبرهم إذا ما أردت. دق قلبها متفانلاً بأمل تتظّره.. أجابت:



- ليس لديّ مانع.

بعدَ أن أبلغَ السيدةَ برجيتنا بها تحتاج من معلومات، أخذ كلا منها حمامة، وارتدت هي إحدى بيجاماته، شرباً شاي الأعشاب الذي أعدّه، وتحضراً المنوم.

- هل تسمحين لي أن أنام بقُربكِ على السرير؟ أم أنام على الأريكة؟

- اعتقد أن السرير يكفي لكلينا.

استلقت هناك، وأخذت تراقبه بفضول وهو ويرتب الغرفة قبل أن يرقّد فرها. حاولت ضبط أنفاسها ونبضات قلبها التي كانت تصرخ في أعماقها.. أيها الإله، كيف سامضي ليلتي هذه؟.. لربّكُن من العدل أن أدعه ينام على الأريكة. نسوّت في مكانها، محاولةً عدم الحراك كي لا تصطدم أطرافها بجسده. قال ضاحكاً:

- هل تنامين عادةً هكذا كالنومياة؟ هيا تعالي قُربي كي أحضنكِ.

صمّتها إلى جسده الدافئ، وأشعل نازاً ألهمت برودة أطرافها.. استمعت إلى نبض قلبه الهادئ، والتمس بدوره ضربات قلبها القارعة كالطبول تستفذه.. هياً ازرع راياتك على جسدي، فغريمك قد أعلن الهزيمة والاستسلام. «كيف سانام وأنا اشتّم رائحة جسده؟!» قالت في سرها...

قال ضاحكاً:

- أوروبا، هياً اخلدي إلى النوم قبل أن أغتير رأيي،.. تعرفين أن سعادتي بوجودك قربي لا تفوقها سعادة، لا أريدُ أكثر. عندما لا نريد، سوف لن تُبكيننا خيات الأمل.. تصبحين على خير صغيرتي.

- أنتِ حُقي، عندما لا تُريد سوف نكتفي بها تعطينا إياه الحياة، ولن تُبكيننا خيات الأمل. تصبح على خير، إنني أيضاً سعيدة جداً.

من بين السائر المغلقة، دخلت بعض خيوط الشمس. تسلل بهدوء، أ  
القطور، حمله إلى السرير، ثم عاد وفتح النوافذ، فامتلاً المكان بالنور.

- هيا أيتها الأميرة، استيقظي كي نشرب القهوة سوياً.

- إدي!.. ما هذه المفاجأة؟ منذ زمن لريعاملني أحد معاملة الملكات.

سألها مستفسراً:

- هل ما زلتِ تحيين زيوس؟

- لا أعتقد، من المؤكد أنه وجد لنفسه الآن امرأة أخرى. أنا لستُ إ

مرحلة في حياته، وبعد حبه لـ إيولن يحب امرأة أخرى، أعتقد هذا.

- لقد قرأتُ بعض التفاصيل البسيطة عن حبهما، ولكن من المؤكد أنك

تعرفين ما حصل.

- لقد أخبرني يقصته معها.

- أخبريني إذًا، أنا أعشق سماع الأساطير، خصوصاً عندما تقصها حورية

ملك.

- كان لهرا شخصية ملكية فذة، تثير الرُعر والرهبنة في القلوب.

- تُظهر الأفلام والقيصص أنها كانا متوازيي القوة، لهذا كان من الصعب أن يرضخ أحدهما للآخر.

- نعم إدي، كانت امرأة مُشاغبة شديدة الغيرة، لكن هذا الريمعه من المضي قدماً بعلاقاته غير الشرعية، لقد استغلَّ غيرتها كمبرر ليبحث عن الراحة بعيداً عنها.

- وتساليني لماذا أعيش وحيداً؟ هل سهل على أي إنسان أن يمضي أيامه في دائرة الشك.

- أوافقك الرأي، وبالأخص مع امرأة مثلها. لقد طاردت "يوروبا" إحدئ عشيقانه في كل أنحاء الأرض، لتمنعها من وضع ولديها التوأم: أبوللو، إله الشمس ورب الشعر، وأرتميس، ربة الصيد الإلهة العذراء. وكثيراً ما حاولت القضاء على أولاده، لا لشيء سوى لأنهم أولاده، كي تدمره. وكم حاكت من مؤامرات ضد باخوس وهرقل، غير أن زيوس كان يتدخل بالوقت المناسب لإنقاذهما. لقد دفعه الغيظ إلى حافة الجنون، فعلقها بين السماء والأرض بقيود

من ذهب. رغم تذمر الآلهة الأخرى أشقائها من الوضع، إلا أنه لم يكن لا أن يتجرأ على إخراجها من آتون عقابه، عدا ولدها هيفستوس إله النار، ذاك الإله الدميم الذي نيزته منذ كان طفلاً لقباحة شكله. رغم قوتها عليه، نعدا، جبروت والده، كثر قيودها وحررها كي تعود لما كانت عليه. كنتُ أنا، أحياناً.. ربها هي محققة، فهو زوجها وليس من السهل على الزوجة أن نعدا، بالإهمال والانسحاق، عندما يستغنى عنها شريك حياتها ليلهو مع آخر، لكن الضغط يولد الانفجار، فالرجل أيضاً بحاجة لأن يُفهم ويُحَبَّ ويُحَضَّر كي يلتزم ويخلص.

- إنك محققة، فالزواج لم يكن يوماً قيدياً أو سجنًا، ومتى أصبح هكذا، حق الطرف المظلوم أن ينفذ عنه غبار ظلمه، وربما تكون الحيانة منفصلاً ودوا، يطيل عمر تلك العلاقات الزوجية الميتة أصلاً. من لا يستمتع بالحب الحاد والاستيعاب، لا يمكن أن يعطيهم بالمقابل.

- لرأفهم ما الذي أوصلها إلى هذه الحالة، فهي لا تقل عن زيوس قيمة ومنصباً وتعتبر من جميلات الأرض فلقد جادت عليها الربة كايا بالكثير من النعم. وكل سكان بلاد الإغريق يتهافون عليها لإرضائها، ولكن تعجرها وأخلاقها قاد حياتها إلى الدمار.

فبعد أن نفذ صبره وفقد الأمل في إرضائها لم يبق أمامه سوى البحث عن الحب في مكان آخر.

- ما دام الانفصال مستحيلاً، والسلام والتفاهم أيضاً مفقودين، سوف يكون حبها أو خطيئتها مبرراً بالنسبة للرجل وللمرأة أيضاً.

- لقد كان تحدياً هيرا أن تحب امرأة من البشر تخدم ككاهنة في معبدها، صفة لا تُفْتَقَر، هزت كيائها كليلة أمام الجميع.. «أيو» أو يوكتس البشرية البسيطة سحرت قلبه، فترك هيرا الإلهة من جديد من أجلها.

. لقد ذكّرت الأساطير قصة حبها المساوية.

. قصة حُب رائعة حولتها إلى مأساة، فبعد أن اشتقت رائحة الحياة من ، وعرفت من تكون غريمتها، حاكت له مؤامرات انتقامها، فلم تستطع ، نؤذيه، لكنها أدركت أن هذا لن يتحقق إلا عندما تحرمه بمن حُب، ومُحرق احلامه معها قبل أن تولد. صبّت جام غضبها على إيو، رُغمَ علمها أنه المذنب، لما كان لها أن تقبل أو ترفض حُب الإله. واجهته.. سألته إن كان بينهما أي علاقة، فكذّب وأنكر خوفاً. طلبت منه أن يقسم، فأقسم كذبا، أثار هذا منونها.. أي حُب، أي عشق هذا الذي يجعل الإله يقسم كذبا من أجل امرأة؟! - هل مُسخت إيو؟ هل هذه القصة صحيحة؟

- كما تقولون في عصركم «إن كيد من عظيم». تصوّر إلهًا يرتجف كالورقة أة، ويلجأ للمحيلة كي يهرب منها ومن مطاردتها. لقد حوّل إيو فعلاً إلى «فرة»، فقط كي يجلس معها بضع دقائق بأمان. كي لا تسحقها هيرا بجبروتها المدمر.. لكنها فاجأته معها، فقال لها إنها بقرة هائمة وجدها في الحقل، لقد عرفت من تكون، فلا يخفى على كَيْدها شيء، لكنها نظّاهرت بالغباء وأصرت أن تأخذها منه هدية. وبعد إلحاحها الشديد، وخوفاً من سطوتها، تنازل عنها.. ترك إيو المسوخة بين يديها. سلّمَتها لمسح يدعى أرجوس ذو المائة عين، الذي يستطيع أن يرى من كلّ الجهات في آنٍ واحد. طلبت منه أن يربطها تحت شجرة، بحبل طوله يكفي بالكاد كي ترعى، وأن يراقبها طوال الوقت.

- وماذا فعل؟ كيف تركها وهو يعرف هيرا جيداً؟.. أفهمك أوروبا، ما كان له أن يُحب أحداً أكثر من نفسه.

- إنها السلطة التي تحوّل حتى الإله إلى بشر، وتجعل العشيقات قرباناً رخيصاً، يقدم على مذبح الزوجات وأنانية الرجال، وها قد اختفت إيو وغرق هو في بحر الشوق وتعذيب الضمير. بحث عنها في كلّ مكان، وأخيراً

بسلطته الإلهية وجد مكانها، فأمر اللص الماهر «هرميس» ذا العدو السريع،  
يعيدها إليه.. وبما أن المسخ أرجوس ذا المئة عين يجرسها وباستمرار، لجأ الأ  
إلى الحيلة. أخذ نايه وراح يعزف ويعزف، إلى أن أغمض أرجوس عينه الما  
وبضربة واحدة، دمر رأسه بصخرة ضخمة كانت هناك.. قتله على الفور  
جبل إيو، وذهب بها إلى الإله، الذي رقص قلبه فرحاً وكافأه على ما فعل.

حزنت هيرا على أرجوس حزناً شديداً، فثرت عيونه المائة على دور  
الطاووس تخليداً له، وعادت لتتقم منها، لكنها لم تستطع، فصبت ما  
غضبها على إيو المسكينة.

- إنه صراع الأقوياء، يدفع ثمنه دائماً الضعفاء والمساكين. اكمل آبه،  
الأميرة، فالقصة فعلاً مشوقة.

- سلطت عليها ذبابة شرسة، ظلت تلدغها ليل نهار، وتطاردها في ١٤  
مكان، تلك المسكينة المحبوسة بذلك الجسد حاولت أن تتخلص من الذبابة،  
لكن عبثاً، لم ترحمها في رقادها وسيرها وطعامها. لم ينفع معها أي أسلوب.  
عدت سريعاً، سابقت الريح، تمرغت بالطين، عبّرت الأنهر، ذهبت إلى الجبال  
الباردة دثرت نفسها بالثلوج، مرت بالأودية الضيقة، اتجهت نحو البحر  
الأسود، وصلت إلى بلاد الهند والسند، اجتازت سور الصين وعادت إلى  
الصحراء، غطت جسدها بالرمال، أبحرت في النيل حتى وصلت إلى أرض  
الفراعنة.. ولا زالت تلك الذبابة تطاردها، تلدغها وتمتص دماءها، مسببة لها  
الألم الشديد. أثناء رحلتها هذه كانت عينا زيوس تراقبها وترعاها.

- ما أشد انتقام هيرا، وما أقسى قلب إلهكم هذا.

- بعد وصولها إلى مصر، لمستها يد الإله لمسة مقدسة، أخيراً بعد هذا العناء.  
عادت إلى صورتها الناسوتية، فوضعت هناك مولودها. كان له سمات خاصة،  
وقد سماه المصريون القدماء «أيس» أو «اوزوريس» بقيت آثار تلك اللدغات  
على جسدها، وتبب هذا بانتشار المرض وموتها لاحقاً.

- مكينة، جيد ما فعلت يا أوروبا، لو بقيت هناك لربما واجهك نفس المصير. لا اعتقد أن زيوس سيهم لإنتقاذك.. سوف لن يقوى على إغضاب هيرامن أجلك.

- ربيا أنت محق، أتعرف أن قصة إيو شعروني بالتمزز من مجتمع الآلهة.. سعيدة جدًا أنكم تعيشون الآن في عصر تعرف فيه البشر على الله، وتخلصوا من سطوة من يعتقدون أنفسهم آلهة.

- ليس تمامًا، فنحن نغرق في سلطة أشد سوءًا؛ السياسيون، تجار ورجال الدين الذين يوهمون الناس أن مفتاح الجنة والجحيم في أيديهم.

- ربما ذلك التخليد لهؤلاء الأبرياء الذين ماتوا لكي يحيا الأقوياء هو عزاء سيط لألامهم، وهذا أيضًا حدث مع إيو.. فقد قال المصريون إن إيو الإغريقية هي إيزيس، وقيل أيضًا إنها قد أصبحت إلهة للزواج، وأنها هي أخت أزوريس وزوجته التي أقامت من الموت، ويعتقد آخرون أنها لم تمت، وقد تزوجت من بوسيدون، وأنجبت منه ليبيا جدتي، والتي أنجبت أبي الملك أخينور.

- إذا أنت مرتبطة أيضًا من ناحية ما بإيو، ولكن نشكر الله أنك لم تواجهي نفس مصيرها.

- إن ما نسمعه أخبار متناقلة، ففي عصرنا لم يكن هناك شبكة عنكبوتية، فقط بعض المؤرخين الذين كتبوا تلك القصص.. سقطت منها أجزاء، وأضيفت إليها أجزاء أخرى. من المستحيل أن يكتب اثنان عن جيل واحد بنفس الأسلوب عن نفس الوقائع.. كل إنسان يرى الأمور من وجهة نظره، ولا يستطيع أحد مهما علا شأنه أن يحيط بالحقيقة من كل جوانبها.

أسبوع آخر بنجاح. وها هي تستعمل الحاسوب، تتنقل في المدينة، تسوق، تبني صداقات جديدة، لكن قلبها كان منشغلاً، يحلّل تصرفات إدي معها، وها هي إيفا تقاسمها قلقها.

- هل لديك تفسير لما يحدث؟

- إنه أمرٌ غريب حقاً، الواضح أنه يجيبك، لكن أن لا يرغب بإقامة علاقة معك، هذا أمرٌ غير مبرر.

- لا أفهمه، عيناه تملنان مشاعره، وتصرفاته تعين عدم اكترائه.

- لا تحكمي على الأمور بسرعة، أعطيه بعض الوقت. ربّما لديه مشاكله،

يريد أن يقحمك فيها.

- إنتي أحبه كثيراً.. لا تعيني كثيراً رغبته تجاهي كرجل، ولكني أريد أن

أعرف حقيقة مشاعره.

- ألا تتصلين به؟

- أخاف أن أزعجه، فمشاغله كثيرة هذه الأيام.



- نساء هذه البلاد تلاحقن الرجال حتى إضجارهم، فكوني مثلهن، حاولي أن تعبري عن مشاعرك، وإن كان مشغولاً فلن يجيب.

- فكُرتَ ملياً، حملت الهاتف وطلبتَه.

- ألو.. مرحباً..

- مفاجأة رائعة، كنتُ أسأبِقُ الزمن لأنهي ما يشغلني وأتصل بك، أخبريني كيف تسير أموركِ؟

- كلُّ شيءٍ على ما يرام. استعمل الحاسوب، اكتب، اقرأ وأتحدث بشكل أفضل، ألزنا لحظ هذا؟

- أكيد... لقد تقدم استعمالكِ للغة، قليل من الوقت وستفوقين على الكثيرين ممن ينطقون بها.

- أنتَ تبالغ، لكن سأعتبره تشجيعاً لي.

- ليس تشجيعاً، فأنا أعتبركِ امرأةً خارقة. وبها أنكِ كذلك، أعلمكِ قيادة السيارة.

أخافُ أن اجلس فيها.

- سوف نتادين، سأدعوكِ لتمضية العطلة عندي، وهكذا نستفيد من الوقت، كي تتمكني من بعض التفاصيل. بعدها ألقكِ بمدسة خاصة للقيادة، كي تحملي على رخصة قيادة. هذا سيساعدكِ لاحقاً في البحث عن عمل، ويصبح بإمكانكِ أيضاً أن تزوريني متى شئت.

عرضٌ غريب، أخافُ من خوض التجارب، ولكنني.. حسناً، سأحاول.

- إذا جهّزي نفسك، سنتقلين إل هنا بالقطار، لن نتمكن من اصطحابكِ؛ هل تستطيعين الحضور؟

- لا عليك، يجب أن اتعلم عاجلاً أم آجلاً. فيمكي صديقتي تأتي كل  
بالقطار إلى المدرسة، وقد ذهبتُ معها إلى المحطة عدة مرّات.

- إذا سأنتظرك في المحطة لأفلك إلى البيت، فالمسافةُ بينهما بعيدة، وإ  
هناك وسائل نقل عامة.

- سأحاول، إنها مغامرة جديدة.

- أنا واثق من قدراتك، فقط عليك أن تتبهي.. عندما تسمعين اسم المحطة  
انزلي هناك، وسأكون بانتظارك.

صباح السبت، توجهتُ إلى رصيف القطار رقم خمسة، قَطَعْتُ البطاوة،  
وجلستُ على أحد المقاعد قُرب النافذة. كانت متوترة، فهي غريبة، وبالذات  
تستطيع القراءة.. لكن ليس هناك مفرّ. دقائق قليلة، وانطلق القطار سرّاً  
سابقاً الريح، لكن من كان قلبها يتظره وتفعل المستحيل من أجله. بعد  
بقارب الساعة، نزلت إلى رصيف المحطة حيث كان بانتظارها.. ركضتُ إليه،  
فعانقها بشوق.

- لقد وصلتُ، لقد نجحتُ.. كانت رحلة غريبة، لكنها ممتعة ومرحة أكثر  
من السيارة.

- ممتاز صغيرتي، لكنني لن أعلمك قيادة القطار، حتى لو كنت مغرمة به، لن  
تنجح أراؤك بالغناء ما قد عزمْتُ عليه.

في ساحة القصر بدأت الدروس، ساعات من الشرح والتدريب. بعد عدة  
محاولات، تمكنتُ من الانطلاق والعودة لأمتار قليلة.

- غريبة أنتِ، كأنكِ تعلمتِ هذا من قبل.

- إنك تمزح مؤكدة، كُدتُ أن أحطمها. هي لا تسير بل تقفز.

- طبعاً ليس بالقدر الذي يؤهلك للنزول إلى الشارع، لكن امرأة في  
ظروفك، مجرد استيعابها لما تقوم به وتمكينها من كسرِ غاؤها يُعتبر أمراً رائعاً

استحق عليه الشاء. هيا نستريح قليلاً، نتناول الغداء، ثم نكمل جولة أخرى.  
القرب من هنا مطعم صغير، يقدم أطباقاً شعبية لذيذة، نتناول الغداء ونعود  
سرعة.

انتهى أخيراً هذا النهار الطويل. كانت جدّ متعبة ومتوتّرة من دروس  
القيادة، ومن مزاجه المتقلب، يلاطفها، يعود ليتحول في دقائق لشخصي آخر  
فظً يُؤنّبها على أصغر الأشياء، ثم يلاطفها من جديد.

- لن أحرّجك هذه المرّة، سأتركُ لكِ غرفة النوم.. نصّر في بحريّة، أرجوكِ.  
امتصّت الصلعة بسرعة، وفضّلت الصمت كي لا تكدر صفو الأجواء  
بينهما أكثر. من المؤكّد أنّه هو كما هو، وهي لم تفهمه أو تعرفه جيّداً.  
- كما تريد، تصبّح على خير.

قلّتها، وتمتّى لها ليلة هادئة وأحلاماً سعيدة. أغلق الباب خلفه، وذهب.  
ماذا حدث؟ إنه غريب الأطوار اليوم.. لماذا يعاملني هكذا؟ لماذا أنا  
هنا؟ ليتني لم آ -

مرّ الليل طويلاً ثقيلاً. بعد أن أدركها النوم بساعات، أيقظها صوته وهو  
يحمل لها الفطور إلى السرير. كان القلق والتعب اللذان حاول إخفاءهما ياديين  
على وجهه، وكأنه لم يَنم جيّداً.

- صباح الخير جيّلي، سأنهي بعض الأعمال، ثم نذهب إلى التمارين.  
- رائحة القهوة منعشة، شكراً لكِ إدي على كل ما تفعله من أجلي.  
تناولا الفطور، ورتّبت هي المكان، بينما أنهن هو توضيب نوته الموسيقية،  
التي كانت تملأ أرضية غرفة المكتب، فحفل الأوبرا بات قريباً كما أخبرها.  
انطلقا إلى التدريب.. لم تكن الأمور تسير بينهما على ما يرام. كان عصياً  
متوتّراً، وكانت مرتبكة ومحرجة.

- هيا أوروبا.. يكفي هذا، سنكمل في الأسبوع المقبل.

- جيد، أنا متعبة أيضاً وأريد الذهاب.

- سأرتب ما تبقى من ملفات، ثم أقلك إلى محطة القطار.

صعدا سوياً إلى البيت وكأنهما غريبان. كانت تلك الظروف تختفها، حب  
حزنها ودموعها، وجلست على الأريكة.

- يمكنك مشاهدة التلفاز إن أنتهيت.

- شكراً لك، لا تقلق بشأنى، سأندبر أمري.

تركها هناك وحيدة، رماد سيجار بارد، شجرة يابسة.. مغموقة هي وتر،  
البكاء. لترتمي دقائق حتى انهمرت الدموع من عينيها، كطوفان محصور خلف  
سد منيع..

«لماذا يعاملني هكذا؟ لماذا دعاني إلى هنا؟.. كي يعلمني القيادة فقط! لا، لا  
أستطيع البقاء.. يجب أن أذهب. أشعر بنفسي كتمثال من تمائله الخشبية التي  
يزرع بها المكان، يعبدني ويتركني متى يشاء».

حملت حقيبتها، فتحت الباب بهدوء ورحلت.. لا تعرف إلى أين وأى  
الدروب تسلك!

«أين سأذهب؟ المحطة بعيدة، ولا أذكر الطريق جيداً.. لا.. لكنني لن  
أطلب منه أن يقلني، لن أبقى هنا دقيقة أخرى..»

سأسير على نفس الطريق التي سلكتها بالأمس، أستقل القطار وأعود!  
غرقتي».

هامت على وجهها.. مرَّ ما يقارب الساعة، قبل أن يرَّ الهاتف ويلاحظ  
غيابها.

- أوروبا أين أنت؟ أين ذهبت؟

تمالكت أنفاسها كي لا يشعر بدموعها.

- إنني ذاهبة إلى المدينة، إلى غرفتي.

- انتظري.. سآتي حالاً لأوصلك إلى المحطة.

- لا.. لا تأتي، حتى وإن أتيت، فلن أذهب معك، اتركني وشأني، لستُ

بحاجة إليك وإلى مشاعرك الغريبة الغامضة. لقد ملكتُ من لامبالتك غير  
المرّة.

- الطريق طويلٌ ومففر، ربّما ستوهين. أنتِ غريبة ولا تعرفين المكان.

- لقد عبرتُ الزمان لوحدي.. مررتُ بكلّ أجيالي لوحدي. لن تخيفني

طرفاتكم وغاباتكم.

- حسناً، كما تريدن.

أغلقتُ الهاتف، ونهر دموعها يتسلل مساباً إلى أبعاد من القلب. كانت تنظرُ

إلى الوراء، إلى قصره، ذلك البرج حيث جلسا سويةً.

- وداعاً إدي.. وداعاً، سأفتقدك.

سارت وسط الغابة، غير واثقة أهي على طريق الصحيح، أم أنها ستضل

سيلها ثانية؟.. كلّما عبّرتَ سيارة ما قريبها، يخفق قلبها وتعتقد أنه هو قد أتى

ليصطحبها رغم ما قالت..

«لن يتركني وحيدة، سوف يأتي».

لكن كل تلك الأحلام تبخرت، وبقيت هناك على ذلك الطريق الجبليّ

الضيق، الذي تظلمه أشجار الغابات. أوشك الظلام على التهام النور. بعد

العديد من الأميال والساعات، توقفت قريباً إحدى السيارات، كان في داخلها

سيّدة مع أطفالها.

قالت السيّدة:

- مرحبًا سيدي، هل أنت بحاجة إلى مساعدة؟

- انني ذاهبة إلى محطة القطار، ولا أعرفُ الطريق إلى هناك. أنا غريبة ، المكان.

- أنتِ تسيرين في الطريق الصحيح، لكن المحطة ما زالت بعيدة. انني داه .  
إلى هناك، هل تريدان أن أفلِّكِ معي؟  
- أوه حقًا؟ شكرًا لكِ.

أوصَلتها إلى هناك، فاستقلَّت القطار وسافرت معه إلى المدينة. وصل  
إلى بيتها، ورقدت في سريرها محاولة التغلب على حزنها ودموعها بالهرب إلى  
للنوم. عادَ هانفها ليرنَّ من جديد... إنه هو..

«أبعد كل هذه الساعات؟! لا.. لن أردَّ عليه، كيف استطاع أن يفعل ذلك،  
هذا؟ لن أسأجه أبدًا».

فتحت صندوق الرسائل وكتبت له: سيدي المحترم، أشكركَ على  
تضحياتك، لكنني لن أكون فأراً تختبر عليه قدراتك على سحق مشاعرك. إنك  
لم تسحقها فقط، بل مزقت معها إنسانيتك أيضًا. أتمنى لك حياة سعيدة. لا  
تقلق عليَّ أرجوك، سأتعلم القيادة واستعمال الحاسوب، وسوف أصبح شخصاً  
آخر، ستدم لأنك تعاملت معي هكذا، فضميرك لن يُغمض لك جفن.

إنك رائع، تفوقني علمًا ومركزًا اجتماعيًا، لكنك تفتقر إلى الإحساس  
بالإنسان الذي في داخلك، وتحاول أن تخفيه، فحاذر أن يموت وتصبح عندها  
إلها.

جلس قدموس ينتظر رجاله، بعد أن أرسلهم لإحضار الماء من الغابة المقدسة، فرحلتهم لركن سهلة. فبعد أن غادروا جزيرة إيوثيا، ووصلوا إلى بلاد الإغريق على تخوم دلفي، بحثوا هناك عن العراف الذي أخبرهم عنه وبوس. بعد عناه، أرشدهم أحد الرعاة إلى مكانه، حيث كان بانتظارهم.

ألقى عليه قدموس التحية ثم قال:

- أيها العراف، لقد أضانا المسير إلى أن وجدناك.

نظر إليه ذلك الرجل الكهل الحكيم من بين جفنيه، اللذين أثقلتها خبرة السنين، وتلك الحواجب الكثيفة التي تشبه غيم الخريف.. زاد وقاره لحيه وشاربيه، اللذين صبغتهم تجارب الحياة برماد أيامها، وذلك الجسد المنحني، الذي تكنه روحه المثقلة بفيض المعرفة الساكنة فيه منذ أجيال.

قال:

- لقد أرسلك الإله إلي، كي أرشدك إلى مصيرك.

- أبحث عن شقيقتي، لقد خطفها ثور أبيض وعبر بها المحيط.

- أعرف قصتك أيها المعلم، شقيقتك الآن في مكان بعيد، ولن تستطيع إليها

سيلا. دعك من بحثك هذا يا ولدي، فبايتظرك لا يحتمل الانتظار. قدرك ،  
كُيَّب، ويجب أن نسمي إليه.

- لكنتي عاهدتُ أمي على هذا!

- ستجدُها يوماً ما، ستجدُها؛ ولكن الآن عليك أن تذهب إلى مصبرك  
اذهَبْ يا قلموس وابحث عن البقرة المقدسة بين القطعان وفي المراعي...  
ذات علامة بيضاء على جبينها، وعندما تجدها اعْتِقها وبيِّر خلفها، وحيث تروا  
لتستريح، في المكان نفسه، ابن لك مدينة وسمها باسمك. هناك ستكونُ مدناً  
متوجاً على عرشها.

قطعَ شروده وصورة ذلك الكهل خوار البقرة العطشى الرافدة قربه على  
العشب. حدّثها قائلاً:

- تأخر الرجال، أليس كذلك؟ هيا اهدني أيتها البقرة المقدسة، سيعودون  
قريباً وستشربين.

لم يكن من السهل عليه أن يعثر عليها. لقد مرّ بجميع الرعاة والمراعي  
بحث بين كل القطعان إلى أن وجدها. سارت أمامه ما يقارب اليومين دون  
استراحة، إلى أن أوصلته إلى هنا.

لقد اخترت لي أرضاً لأحلامي. مكانٌ ساجر، هنا سأبني مدينة مثالية،  
يلتهم أهلها العلم، والتأمل والعبادة قبل الطعام.  
قال لها مخاطباً:

- ابقِ هنا ولا تتحركي، سأبحث عن الرجال وأعودُ سريعاً قبل حلول  
الظلام.

حملَ رماحه ودخلَ إلى الغابة. بعد قليل سمع لهاثاً نحيفاً متصاعداً من تحت  
سفع الجبل. تقدّم بحذر، أبعد الأغصان، فصعقه ما رأى!.. كانت أشلاء؛  
رجالها متناثرة هناك، وقد لوّنت المكان بالدماء. على مقربة، كان هناك تنبؤ



سخم يستريح من جولة القتال . ناز الدم في عروق قدموس .. هؤلاء رجاله  
وأهل بلده، من رافقه وحماه وآمن به وأحبه .. هجم عليه ثائرا دون تفكير .. أيها  
اللعين، سوف تدفع ثمن فعلتك هذه.

تنبه التنين لوجوده، لكنه تحرك بسرعة وطعنه من الخلف برمحه المسنن،  
ارتد إليه ثائرا، ودارت بينهما معركة طاحنة عنيفة، بين كثر وقز . وبعد أن استفد  
الزيف والقتال قواه، سقط التنين أمامه منهكا، فحجب رمحه الأخير، وطعنه  
الطعنة القاضية في القلب، فأرداه قتيلاً ..

كيف تجرأت على قتل رجالي أيها التنين؟

صرخ صوت من السماء زلزل الأرض:

ماذا فعلت يا قدموس؟ لقد قتلت حارس غابتي المقدسة.

- الإله آريز!! إله الحرب العظيم!! أستميحك عذرا، لم أكن أعرف، وإلا لما  
أرسلت رجالي ليحضروا الماء من غابتك إطلاقاً!!

- سوف أمرك جزاء لفعلتك هذه، وسأجعلك تنزف وتموت قربة أيها  
المهاجر المعتدي.

عاد ليثق عنق السماء صوت أنثوي رحيم ..

«هذه من روعك أيها الإله آريز، فهو غريب عن المكان».

قالت العذراء أثينا، بعد أن أحل حضورها السلام في النفوس.

- لقد قتل تنيني، ويجب أن يعاقب.

- افعل ما تريد، لكن لا تقتله.

- حسناً .. فليصنع مصيره بيده، ليقطع أرنج التنين ويزرعها في الأرض،

وليصارع ما سببت له.

- سأفعل، سأخوض معركتي وأواجه قدرتي بشجاعة، كما علمتنا أيها الإله

قالت أئينا:

- لا تخف يا قدموس، سأكونُ معك، سوف أحميك.

فتحَ فلكَ التنين، انتزعَ الأنيابَ وغرسها كما طلبَ منه، فأنبَتَ كلُّ منها رجلاً أسطوريًا قويًا بقوة الإله. خاض معهم معركة بشجاعة، ففضي على معظمهم شاهدَ أريز ما حلَّ بالرجال، أدهشته قوته وبسالته، فتدخلَ بعدها ليوقفَ تلك المعركة الخاسرة.

- فليعدَّ كلُّ إلى مكانه. قدموس، هؤلاء الرجال الخمسة الباقين سيكونون منذ الآن رجالك المطيعين، وأنتم أيها الرجال، امثلوا لأوامر قائدكم الجديد لقد حكمت عليكم بأن تحرسوا معه غابتي المقدسة، وأن تساعدوه في بناء مدينته، وتطيعوه بكل ما يأمر. وبعدَ بَيتَ سنوات، يُعتقُ هو وأنتم معهُ من خدمتي.

التقطَ قدموس أنفاسه، محاولاً إعادة الهدوء إلى ذاته، بعد هذه المعركة الطاحنة وما أراقه من الدماء.

- أعتذر منك أيها الإله على قتل تنينك، وأشكرك لصفحك عني.

قالت أئينا:

- اذهب بسلام يا قدموس، سترعالك بركة الإله أينما ذهبت.

- سأحرس هذه الغابة، وأكونُ خادمه المطيع.

جمعَ رجاله الجندُ حولَه، وذهبَ عائداً إلى حيثُ كانت البقرة. لرئيس ما قاله له زيوس بأنه سيهبه هرمونيا ابنة أريز.

قال مخاطباً رجاله:

- أيها الرجال، سنبني مدينتنا الجديدة هنا، وستحمل اسمي كما قال العراف. لقد دفعتُ ثمنَ هذه الأرضِ غالياً. ربنا سينحَقق ما وعدت به الإله، واحظي بحب هرمونيا ابنة أريز، الذي كسبَ رضاه بعد أن أهدرَ دمي.

يرومان من البكاء المتواصل، شدت بعدهما عزيמתها من جديد، لتكمل مسيرتها دون سند.

- ما بكِ أوروبا؟ تبدين حزينة.

- «ميكي»، أمرُ بظروف صعبة هذه الأيام.

- حسنًا صديقتي، ستهي دورس اليوم ونشرب القهوة سوياً، وتخبريني بما حدث.

كانت ميكي رفيقة الصفّ الأقرب، تساعدها وتشرح لها ما لا تفهم، ترافقها في مشاويرها. كوّنتها غريبة لا يعني أنها وحيدة، لقد كانت نجيذُ فنّ التواصل وكسب الأصدقاء.

في مقهى المحطة، قبل أن تُغادر ميكي عائدة، جلسنا تبادلان الحديث.

- أخبريني ما بكِ؟

- تفكيري مشوش، ولا أستطيع الحكم على الأمور.

قصّت عليها ما حدث مع إدي...

- إنه حقير، كيف تجرأ على فعل هذا، كيف تركت تذهين وحيدة،  
غريبة عن المكان؟

- أرجوك، إنه ليس حقير، ربّما ظروفه كانت السبب.

- لا ليس هناك سبب يدعو لك فعل هذا، فهو رجل، ويجب أن يكون  
أقوى من أي ظروف. لست المذنبه ولست من صنع متاعبه كي تدفعي الله.  
أرجوك انبه، فهو لا يستحقك، شخصيّة معقدة مثله لن تجلب لك سوى  
المشاكل.

- لبتني أستطيع.

- لا عليك.. سأجعلك تبحين عنه في خيالك فلا تجدينه، أتذهين معي  
يوم السبت إلى الملهى الليلي؟ هناك موسيقى ورقص وكل ما تتمنين من مُنع  
الحياة. أنت بحاجة إلى شيء من التغيير، يجب أن تتركى مشاعرك خلك قليلاً،  
وتخرطي في هذه الحياة العصرية، وشعارها: أنا أعيش اليوم.

- ليس لي أدنى فكرة عن هذه الأماكن، لرادخلها مسبقاً.

- إذا دعينا نُجرب، وأنا متأكد أنك ستستمتعين، هل لديك ملابس  
تناسب حياة الليل؟

- لا أعرف ماذا يرتدون في حياة الليل؟

قالت ضاحكة:

- حسناً، سنذهب غدًا بعد المدرسة إلى السوق، ونشترى ما تحتاجين إليه.

الفكرة جيّدة.. فهذا العالم الغريب قد أثارها استكشافه. دخلنا العديد من  
المتاجر؛ أبواب باهظة الثمن وأخرى مثيرّة، ألوان وأشكال وأشياء غريبة كانت  
تلايس جسدها لأول مرّة. جرّبت كل ما اقترحت عليها ميكي أن تجربه،  
أخذت تُقلّد سيدات المجتمع الحديث.. كيف يمشون ويتكلّمون، تسبيل  
شخصيتها بما يتناسب والفتان الذي ترتديه. لقد أخرجها هذا من حزنها

اصحكت من جديد، واستمتعت بتلك الجولة كالأطفال. أحببت ذلك الرداء الأسود القصير المغربي ذا الظهر المفتوح، الذي اختارته لها ميكي. اشترت له أيضا حذاءً مناسباً وبعض الحلي التي تكمل أناقته. هذه هي الحياة.. بعض النعاط على السطور ليس من الضروري أن ترمز إلى النهاية، بل ربما إلى بداية جديدة.

دخلنا إلى الملهى، وجلسنا في مكانٍ يطلُّ على صالة الرقص، كانت ميكي قد حجزته مسبقاً. مقاعد فخمة، ستائر وطاولات مرتبة، أضواء خافتة حمراء، الكاد تمكّن الجالسين من الرؤية، حائطٌ رُصِّفت على رفوفه زجاجاتٌ بأشكال والوانٍ مختلفة، ورجلٌ هناك يسكبُ الشراب للموجودين.

- أوروبا، تبدين رائعة، وهذا الرداء.. زجالك كلوحة نغيسة في إطار من الذهب، إنك كالأميرات، أتساءل كيف استطاع إدي هذا أن يرقُد قربك ولا يلتهمك، إنه معاق فعلاً.

- ميكي.. أرجوك.

- حنأ، فلندعه وشأنه، قولي لي ماذا تشربين؟

- لا أعرف، ماذا يشربون هنا عادة؟

- سأطلبُ لك كوكتيل رائع، مشروي المفضل.

حَصَرَ النادلُ وأخذ طلبهما، ثم عاد بعد قليل يحملُ كأسين، فيهما مزيجٌ ملون، مزينٌ بقطع الفاكهة الشهية.

- بصحتك يا أوروبا.

شربتُ قليلاً، فأحسنت بحريق في فمها، فعادت وابتلعتها بسرعة.

قالت باشمئزاز:

- ما هذا؟

- مزيج عصائر الفاكهة مع خليط من الكحول، اشربه سوف تعانده،  
عليه، سوف يساعدك على الخروج من ذاتك قليلاً.

على صوت الموسيقى الصاخبة المليئة بالإيقاعات، أخذ كل يرمسه،  
بطريقته. أمسكت ميكى يدها وسحبته إلى وسط الجموع.

- هيا فلنرقص معاً.. هيا إلى المتعة!!

كتر ذلك الشراب جعلها وغربتها عن المكان والوجوه. بدت أكثر نالاً،  
وجمالاً وأقل حياة.

- رانع، فلنرقص رقصة المعبد.

ضحكت ميكى حتى الإغماء...

- رقصة المعبد يا صديقتي، رقصة الإله!

أخذت تساهل، فتحلق الجميع حولها يشاهدون جمال جسدها وانسجامه  
مع نغمات الموسيقى، وإيقاعاتها وتناسق خطواتها ورشاققتها، كأنها حورية  
أضاعت طريق المحيط، وحماتها الرياح إلى شواطئ غريبة لا تُشبهها. كانوا  
يراقبونها ونظرات الإعجاب تتطاير من أعينهم كالرماح، لتخترق الجسد  
وتصيب الروح بنزف مؤلم لتعتده. بعد ساعات، وبعد أن أنهكها التعب،  
قررنا العودة إلى البيت.

لقد كانت سهرة ممتعة، لرائس في حياتي قط كما اليوم.

- هذا جيد، سذهب في الأسبوع المقبل إلى مكان آخر.

ودعتها وضعدت إلى غرفتها، وألقت جسدها على السرير وغفّت دون أن  
تبدل ملابسها. لقد أفقدها ذلك الشراب توازنها، وأشعرها بالغثيان.



أسبوعٍ آخرَ مرَّ بسرعة. أمضتُ بالدراسة، القراءة والتدرب على مهارات  
لحاسوب. ما زاد سعادتي وأشعلَ تحديها دروس القيادة، تلك التي بدأتها في  
مدى المدارس المتخصصة في المدينة. إدي أراد هذا، ويجب أن تُثبتَ له قدرتها  
مع غيابها، لقد أنقلَ هذا التحدي كإهلها بحملٍ جديد..

«يجب أن أرتشفَ ما فاتني من علومٍ ومعارف. يجب أن أنجح، وإن أُثبتَ  
أنني جديرةٌ بصداقته واحترامه رغم جهلي وبدائيتي أمام مجتمعه وزوجته  
الدينية. سوف أجعل العلم سلماً أنسَقَ عليه مراتب الحياة. سأبحثُ في المناجرِ  
فيثارةً إبتاعها، أحافظُ على ما اكتسبُ وأتعلم المزيد، لن تكسرنى قسوتك».

استمرَّ الحالُ هكذا، أسبوعٌ متقلُّ بالمسئوليات، وعطلة مليئة باللهو،  
صحبا فيها ميكي كل مرة إلى مكانٍ جديد، وعيونٌ جديدةٌ جائعةٌ تشتهي  
الحسد ولا تقارب الروح، لتعود بعدها إلى عُرفتها هاربةً من نفسها ورغباتها،  
من الواقع الذي يركز عليه نظامُ هذا المجتمع «الفراش وبعدهُ المشاع»، هذه  
هي الحقيقة التي باتت متأكدة منها. لقد أمضتُ نصف عمرها تعتقدُ أن الخيلَ  
نبل العربة، لكن الآن يجب عليها أن تُغيّرَ مُعتقداتها وما تؤمن به، وآلاستعيش  
وحيدة معزولة عن حولها، فالعربةُ هنا يجب أن تكون أمام الخيل.. منطق  
غريب!

- أوروبا، قررتُ أن أدعوكِ هذا الأسبوع إلى منزلي. سأطهو لكِ شيئاً من  
أطباقنا الشعبية.

- رائع، فكرةٌ رائعة، لقد مللتُ تلك الأماكن، نرقص ونشرب ونتلقى  
العروض، نرفض البيع فنعود إلى أيسرتنا مُحبطين يائستين تقتلنا الوحدة. لقد  
مللتُ تلك النظرات الجائعة والمليئة بالشهوة، كأننا طبقى حلوى أمام مُتخمين  
مهوسين باكتشاف كل جديد، وذلك المشروب السحري الذي يرفعُ نفسي،  
بمخرجني عن ذاتي، يقودني إلى طلبِ المزيد، لاسيقظُ بعدها في اليوم التالي مُحبطةً  
مكسورة، وحيدة غريبة عن واقعي ومحطمة.

- أنتِ بحقة يا صديقتي.

بعد أن اشترت ما تحتاج، مرّت عليها واصطحبتها إلى بيتها. على صوت الموسيقى حضرتنا الطعام، تسامرتنا وضججتنا. كانت أوروبا سعيدة جدًا، وكان كل هوموها قد انتهت. ميكي شخصية طيبة، منحررة تحب الحياة، واثقة من نفسها، وهذا ما ينقصها وعليها أن تتعلمه، كي تقف على قدميها من جديد. انتهيتنا من تحضير الطاولة، وضعتنا الطعام. أضاءت ميكي الشموع، وسكبت النبيذ.

- بصحة صداقتنا.

- بصحتك.

كان الطعام لذيذًا جدًا، شرائح لحم مشوية مع خضارٍ مسلوقة وصلصات غريبة وبهارات.

- ميكي، أنتِ طاهيةٌ بارعة.

- أنا بارعة بكلّ شيء يا صديقتي، أخبريني إلى متى ستبقين وحلكِ دون شريك؟

- في ظل هذه الظروف أفضلُ هذا، فوجود أحد ما سيبدد وقتي، وهذا لا أريده.

- دعكِ من هذه الدوامة.. استمتعي، فلازلي شابةٌ ولجسدكِ حقٌّ عليك. الجنس والعلاقاتُ عصبُ الحياة.

- رُبّما، لكنّ ليس الآن، صحيحٌ أنّي أفقدُ هذه المشاعر، وأحسُّ أحيانًا بوحدةٍ قاتلة. أتمنى أن أجد كفاً أرمي نفسي عليه وأبكي.

- لا، لا أريدُ أن أراكِ حزينة. إنني أحبكِ، أحاول أن أفعل المستحيل من أجل سعادتكِ.



- وأنا أحبكِ أيضًا.. لولا وجودكِ قُربِي في هذه المِحَنَةِ، لما استطعتُ الصمود.

قالت ميكي وهي تنظرُ إلى عينيها برجاءٍ واستغرابٍ وسعادة، تكادُ لا تُصدِّق ما تسمع.

- حقًا!! أنتِ تحبيني؟ إذا تعالي واسكني معي، شاركني منزلي وسيارتي وكل ما أملك، حتى جسدي...

كصوتِ الرعدِ سقطت تلك الكلمات على مسمعيها.

- لافهمكِ!.. ماذا تفصدين «حتى جسدي»؟

- أنتِ تعيشينَ وحيدة، ولا يروقُ لكِ أسلوبُ الرجال في تعاملهم معكِ، وأنا أيضًا.. وها أنا أحبُّكِ وأخافُ عليكِ. أعدكِ أن أعتني بكِ، كما لم يفعل أحد منهم سابقًا. أنا أشعرُ بروحكِ، أفرح عندما تضحكين وأحزن عندما تبكين، وأكره كلَّ الرجال الذين يببون لنا هذه المتاعيب.

شعرتُ باختناق، وكان الهواءُ لم يُعَدِّ يَجِدُ مساره إلى رتيها، وبخوفٍ يملأ قلبها، وأشياءٍ أُخرى لم تجِدْ ما يُترجمها. قالت:

- أنا أحبُّكِ أيضًا، لكن بشكلٍ مختلف. أنتِ أختي وصديقتي، ولا أستطيعُ يومًا رسمك خارج حدود هذه العلاقات. أرجوكِ افهميني.. فلا أريد أن أخسرك.

- دعينا نحاول.. سوف نعتادين. اتركي نفسك بين يدي أرجوكِ، أنا أحبُّكِ جدًا. أنتِ اجملُ نساء الأرض، وسأفعل المستحيل كي أسعدكِ. وَضَعَتْ يَدَها على ساقِها، ونَحَسَتْ بِسرتها..

- أنتِ كالوردِةِ المخملية، يشرتكِ الناعمة وشعركِ الحريري وعينيكِ الساحرتين. خُفْتُ كثيرًا في تلكِ المِلاهي الليلية أن تُسرقني مني.. خسارة أن تكون كل هذه المفاتن بين يدي رجل يعبث بها ويرحل.

انتفضّ جسدها، ضَبَطَتْ نفسها وأبعَدَتْ يدها بلطف.

- أرجوكِ أنتِ، افهمي موقفي، لستُ الشخص المناسب لكِ،  
أن أحرّك.

- قولي إنكِ موافقة، دعينا نحاول. أمثلك الكثير من الأساليب السيئة.  
شعورك بالاسترخاء والنشوة.

قالت بحزم:

- أنتِ تُشعيريني بالغثبان، أرجوكِ أريدُ العودة إلى منزلي، وإلا سأفتح  
الباب وأرحل.

أحبطَ هذا الكلام قلبَ ميكي، فاضت الدموع من عينيها، لكنّها حاولتْ  
أن تتألّك نفسها، كي لا تُهان أكثر.

- أنا أُحِبُّكِ، لكن لن أُحرّك على حُبّي.. لكِ حُرّيّة الاختيار.

- افهميني يا صديقتي، أنا أُحِبُّكِ كثيرًا، واحترِم رغباتكِ وحَقِّكِ بأن تعيشي  
حياتكِ كما تشاءين، وأريدُ أيضًا أن أراكِ سعيدة، كما أدخلتِ السعادة إلى قلبي.  
لكن ما تطلبينه صعبٌ جدًّا، ولا أستطيع أن أرضيكِ وأغضبُ نفسي، وأسبح  
عكس تيارِي.

خَيَّمَ عليها الصمتُ طوال الطريق، وكانت كلاً منها غارقةً في أليها وخيبة  
أملها.

عادت إلى منزلها، ومن جديد ألقَتْ جسدها على السرير باكية.. طائرة  
ورقية ملونة سحبها الإعصار وأمعن في تمزيقها.

«ماذا يحدث؟ يا أمّي أينَ أنتِ؟ أنا وحيدةٌ متألّمة، زيوس.. إدي.. ثم  
ميكي.. ما هذا المكان الذي أعيشُ فيه؟ انقذني أيها الإله!».

أطلَّ الصباح، ثم ذهب، وأشرقت الشمس على المغيّب، وهي في سريرها

تراجع أفكارها.. كل ما دار بينهما، تبكي.. تفتح كتابها محاولة تناسي الموضوع،  
دون جدوى. على رنين الهاتف، انقطعت أنشودة الأمل.  
آه إنها أيضا..

- إيفا يا أمي، ساعديني.. إني أموت.

- ما بك يا صغيرتي، أخبريني، هل أنتِ بخطر؟

- جدي بخير، إنها روجي تُشرف على الموت حزناً.

- ساحضّر حالاً يا حبيبتني.

بعد القليل من الانتظار، ارتمت على صدرها وهي تبكي بمرارة، لتعود  
وتقص ما حدث مع إدي وميكي.

- ولماذا لم تخبريني بهذا؟

- لم أريد أن أشغلك، فقد أخبرني كونراد أن ابتك قد عادت بعد أن أدمت  
على المخدرات، وبأنك تمضين وقت فراغك معها كي تتخطى أزمته هذه.

- أجل، إنها بحالة يرثى لها، لكن هذا لا يمنع بأن تُطمئني عنك. لقد  
اعتقدت أن أمورك تسير بشكل جيد، وبأنك مع إدي وهو من يهتم بك.  
أخبريني.. أليبتصل بك ثانية؟

- لا، لقد حصل على سبب مقنع كي يتركني، لن يُضخ هذه الفرصة، إن  
لريتغ مني شيئاً، فلماذا يساعدي؟ لم أكن يوماً المرأة المناسبة له. ما يُقلقني الآن  
وضع ميكي، فهي محبّطة. لقد جرحت إحساسها، لكن عليها أن تحترم رغباتي  
أيضاً.

- لا عليك.. هوّني على نفسك وتصرفي معها وكأنك لم تسمعي شيئاً، مع  
الوقت ستشفى جراحهما، وستجد شريكة أخرى توافقها الرغبات والبول.

- لقد صممتني بطلبها هذا.

- إنها حالة متشيرة جدًا في العالم وعبر العصور. نتج أحيانًا عن خللٍ في الهرمونات الجنسية، أو رُتبا صدمة ما، أو التعرُّض للاغتصاب، وربما بسبب الكبت. المجتمعات التي يعزل فيها الجنسان عن بعضهما البعض، يتقرب كلٌّ إلى أبناء جنسه، وبسبب صعوبة مخالطة الجنس الآخر، لا يبقى أمامهم سبيل لإخراج رغباتهم سوى بناء علاقات مع أقرانهم. يستطيعون هذا لتمكُّنهم واستمرارهم دون مشاكل، وتكون البداية مجرد تجربة، تتحوَّل بعدها إلى عادة، ثم تصبح نظام حياة. في بعض الأحيان يكونُ عدم العثور على شريك مناسب سببًا من الأسباب، لهذا أنشأت بعض الشركات العديد من صفحات التعارف على الشبكة العنكبوتية. هناك يلتقي العديد من الأشخاص من جميع الطبقات والأعراق والألوان في مجتمع افتراضي، كل يبحث عما ينقصه أو يكمله أو ما يتمناه.

- هذا رائع، كيف لي أن أدخلك هناك؟

- هل تريد حقًا أن تتعرَّف على هذا المجتمع؟

- رُبَّما هذا أفضل، فهذه الحياة تحبُّني كثيرًا.

- فكرت قليلًا، ثم، وبإسامة حذرة قالت:

- إذا لا بأس، هيّا أحضري الحاسوب، سأفتحُ لك حسابًا على إحدى

شبكات التعارف الموثوقة.

سجلت دخولها، وكتبَت بعض المعلومات عنها. ألصقت صورة جميلة لها،

وفتحت صندوق رسائل للبريد الإلكتروني باسمها.

- انتهينا، هذه كلمة دخولك السرية، لا تُعطها لأحد كي لا يتمكن من

اختراق حسابك والعبث بمعلوماتك الشخصية. والآن إنّا أن نبحثي لفسك

عن أصدقاء، أو نتظري إلى أن يدعوك أحد إلى صداقة. عندها تفحصين

المعلومات المعطاة عنه، تضيفينه أو تذفينه، هذا خيارك. لكن كوني حذرة، فكل

الغابات متشابهة، ومليئة بنفس المخاطر.

- شكراً يا أمي الحبيبة.

- أنا دائماً في الخدمة. عليّ الذهاب الآن، وسأتصل بك غداً كي أطمئن  
عنيك.

رَحَلْتُ إيقا، وبيَّيتُ هي تتأمل هذا العالم الغريب بين يديها.

«كيفَ سأتعرفُ على الآخرين، وأنا لا أعرفُ من أكون؟»

كَبَّتْ في خانةِ البحثِ «السفر عبر الزمن»، ظَهَرَتْ أمامها صفحات وصفحات. بدأت بالقراءة:

«السفر عبر الزمن إلى الماضي مستحيل، المسببات تحدث قبل النتيجة،

يكون العكس» (ستيفن هوكنغز)

ما هذا العالم الغريب، من هم هؤلاء؟ ما هذا الكون اللامتناهي؟!

كُتِبَ اسمها «أوروبا»، ظَهَرَتْ أمامها العديد من الصفحات التي تقص حكايتها مع زيوس، وتاريخ فينقيا، ووقائع حرب مدينتها مع الإسكندر الأكبر. ساعاتٌ وساعاتٌ حتى بزوغ الفجر، وما تقرأ يثير القلق والخوف في نفسها.. من الصعب أن تفهم ما حدث معها، جملةً واجدة كانت تَرْنُ في سمعها «السفر عبر الزمن إلى الماضي، مستحيل».. هل هذا يعني أنها ستبقى هنا دون جذور؟ كيفَ وَصَلَتْ وأين أصبحَ هذا الماضي الذي أتت منه؟ هل اجتازته بجسدها، أم أنها تعيشُ سفراً روحياً عبر الزمن؟ أم أن روحها حلَّت في جسد ومكان وزمانٍ آخر؟

فَتَحَّتْ بَابَ شَرْفِهَا الصَّغِيرَةِ، وَجَلَسَتْ هُنَاكَ تَتأملُ بَزْوَجِ الفَجْرِ، وَقِيَّةَ السَّمَاءِ المَلِيئَةِ بالنَّجُومِ. تِلْكَ الأَجْرَامُ الَّتِي شَاهَدَتْ مِنْذُ قَلِيلِ المِلايِينِ مِنْهَا عَلَى صَفْحَاتِ ذَلِكَ العَالَمِ العَجِيبِ.

«قلموس يا أخي، هل تسمعني؟ احتاج إليك.. أريد أن أخبرك ما حلَّ



في مكانٍ آخر في مدينة قَدَمِيَا في دَلْفِي اليونانية، كان قلموس غارقًا في تَأَمُّلِهِ، حِينَ سَمِعَ صَوْتَهَا فِي دَاخِلِهِ يناديه..

- أنا أسمعك يا رفيقة رُوحِي.. طَلَبَ مِنِّي عِرافُ زِيوس أن أوقِفَ البَحْثَ، وَقَالَ لِي إِنَّكَ ستعودين.

لر تصدق نفسها.. ركزت أكثر، وأغمضت عينيها لتستغرق أكثر في ذلك التواصل، الذي كأنها هو هدية الإله..

- قلموس، أسمعك يا أخي، أعرف أنني سأكون معكم من جديد، لكن لا أعرف كيف ومتى.. أنا الآن بعيدة جدًا وأكثر مما تتصوّر، أخبرني عنك، أنت بخير؟

- أنا في مدينتي التي بنيتها في دلفي، والتي تحمّل اسمي.

- أعرف أن الناس يُقِيلون على تعلّم أبجديتك، وأنك قد أصبحت مُعَلِّمًا وحكيماً، وأن مدينتك التي تحكمها ستحمّل اسم طيبة، ستزوج هرمونيا، وأولادك سيكون لهم مجدّ عظيم.

قال باستغراب:

- أين أنت؟ أتعيشين في الغيب؟

- أنا في زمانٍ يُشبهُ تلكَ العوالم التي زرتها في تخاطركَ، ذلك الزمانُ المليءُ بالاشياء الغريبة.

- وهل هو واقع؟ وأين يقع؟

- في مرحلةٍ ما من عُمرِ أرضنا كايا، فهي مازالت قيدَ التطوُّر والتقدُّم، لكن الحياةَ عليها باتتْ غريبةً ومُختلفةً.

- هل مازالت تملكُنا قايعة؟ أولاد وأحفاد أخينور مازالوا موجودين؟

- لقد اجتازَ أبانا أخينور حدودَ العالم، ووصلَ إلى قارةٍ جديدةٍ اسمها أميركا، بنى مستعمراتٍ جديدةٍ وغرَّت أساطيله بفاعاً آخرى لم تكن قد اكتُشفت بعد.  
- وصور؟

- يا أخي، مُلكَ هذا الكون زائل. بعد أن حَكَمَ حيرام، أحدَ أحفادك، صورنا، وشهدتْ دَوْلَتنا العظيمةَ أقصَى مجدِّها، وساعدنا الملوك على بناءِ هياكلِهِم وتعزيرِ تراثِهِم من خِبرةِ أولادِنَا، أصبحنا مَرَكزَ قارتِنَا ونُقطةَ وصل بينَ الشعوب.. ثم عُدنا بعدها لأقصَى انهزائِنَا. حَلَّ الغزاةُ على أرضِنَا، ودَمَّرَ الإسكندر الأكبر صورنا الحبيبة. ثم إنه لم يبقَ مُستعمِرٌ إلا ومَرَّ بنا، لا ديناً أو رسولاً إلا وبشَّرَ في أرضِنَا.

أكملتُ أوروبا حديثها بحرقية، وهي تسترجع ما قرأته للتو على الحاسوب:  
- حتى الطبيعة تأمرت علينا، فهزَّمتْ الزلازلُ بعضاً مما بَنَيْنا، لكن الأرض مازالت. وصورٌ أصبحتْ مدينةً في بلدٍ أكبرَ اسمُه لبنان، وأصبحَ شعبُها خليطاً من جميع أنواع الحضاراتِ والأعرافِ التي مرَّتْ على أرضِه، وأصبحَ جميعهم يعبدون الإله الواحد.

أخذهُ الشجن، وتهدج صوته، وإحساس الأخ يطفئني على فضول المعلم..

- أختي الحبيبة.. هل ستبقينَ حيثُ أنتِ؟

صمتت لحظات، لا تدري حتى ما باتت تريده..



- لا أعرف يا أخي، أنا أبحث عن سبيل. هناك نظرياتٌ عجيبةٌ تحلّل النظر  
لك الوقتِ ونسبتهُ، يشرحون فيها تباطؤَ الزمنِ وتباعدُ الأجسامِ والأجزاء.  
«ابشتاين» هذا العالمُ الغريبُ أدخلني منذُ قليلٍ في دوامةٍ يصعبُ عليّ الخروجُ  
سها. «نيوتون» وقانونُ جاذبيةِ الأرض؛ نحنُ الذين كُنّا نعتقدُ أن زيوسَ والآلهةَ  
هم من حبسوا الماءَ فيها.. كواكبٌ وأجرامٌ وثقوبٌ كوزنيّ أسود، يتلجّ بجاذبيةِ  
فصويّ كلِّ نفاياتِ الفضاءِ وبقايا انفجارتِه، أفلاكٌ، مجراتٌ وشموسٌ.. وأنا  
أدورُ بينَ كلِّ هذه المعجزاتِ عليّ أجدُ ثقبًا، طريقًا أو حتى نظريةً أو معجزةً ما  
نعيديني من حيثُ أتيت.

- لقد شاهدتُ تلكَ الأفلاكِ يا أختي، إنها حركةُ الكونِ.. مَوْتٌ وولادةُ،  
للكونِ حيٌّ متحرّكٌ يتكهُنُ النشوءَ والانهدامَ، كأجسادنا تمامًا.

- وحيثُ أنا، يشبهُ الكونُ أيضًا بنشوتهِ وانهدامه.. عبرَ التاريخِ، هناك حربٌ  
عالميةٌ أولى وثانيةٌ ورُبّما ثالثةٌ، موادٌ متفجّرةٌ باستطاعتها أن تُدمرَ أرضنا كايا الحياةِ  
وما عليها، آلافُ المجازيرِ، فُقرٌ وَشَحٌّ في المواردِ، مجاعاتٌ، أمراضٌ وأدويةٌ،  
مُخططاتٌ ومؤامراتٌ، دماءٌ، سرقةٌ، فسادٌ، صراعٌ على حُكمِ الكونِ، آلافُ البشرِ  
والأممِ التي قُتلتِ وحلّت مكانها أُممٌ وشعوبٌ أخرى. ما حصلَ لصور بعد أن  
نأمرَ عليها الطامعونُ قد حصلَ آلافُ المراتِ في كلِّ مكانٍ على الأرض.. رُبّما  
هو عيبُ التاريخِ، يُؤرِّخُ لصنّاعِ الحروبِ أكثرَ من صانعيِ السلامِ.

- ألا تسمي تلكَ الشعوبِ - مع هذا التقلّمِ - إلى العلمِ والمعرفة؟ كيفَ هم  
أن يُصلِّلوهُم ويقودوهُم للمعمار؟

- لقد تُرِكَ عالمُ العلمِ والمعرفةِ جُكرًا على أصحابِه، أمّا عامةُ الشعبِ، فقد  
خَلَقُوا هُمَ عالمًا خاصًا يشغلهم.. عالمٌ مليءٌ بالألعابِ والتسليةِ والملاهي،  
والسعيِ وراءِ المالِ والعملِ المجهدِ، والأديانِ التي تتناحر فيها بينها على  
الأفكارِ الموروثَةِ بدلًا من السعيِ إلى تطويرِ من يؤمنون بها. أقاموا الحُرُوبَ  
وشرَّعوا القتلَ لأجلِ الإلهِ الذي خَلَقَهُم ليعبدوا بعبادتهِ، وليسَ ليغني

بعضهم بعضًا بحجة إرضائه. وللأسف، انكفأ العلماء أصحاب الأفكار  
البنّاءة بعلومهم ونوّوا عن شعوبهم الجاهلة.

- إنّه عالمٌ مُرعب.. تعالي يا أختي، عودي إلينا. الحياة هنا هادئة والناس  
بسطاء طيّبون يعملون في هدوءٍ وصمت، يتأملون ويحلّمون بما سيقدّمون  
لخدمة الإنسان وليسّ لدماره.

- ليتني أستطيع العودة، أنا لا أعرف لهذا سببًا.

غالب اليأس، وحاول أن يحتفظ بنبرة صوته لتصلها مطمئنة..

- اختاه، تسلّحي بالعلم والمعرفة، تحلّي بالصبر والإرادة، كوني حكيمةً، مُجبةً  
صابرةً، مُأتملةً، هادئةً، متفهمّة متألّفة مع كل ما حولك، متجانسةً مع طبيعة  
المكان والزمان الذي تكّبه.. وستجدين إن الخلاص سببًا.

فتحت عينها، وقد ملأ نور الصباح المكان، وهي مازالت هناك جالسة في  
الشرفة..

- إن اللقاء يا أخي، سأحفظُ وصيّتك، سأجيبك دائمًا.

لم تكنْ دروس القيادة وسط المدينة سهلةً عليها، لكن أستاذها كان يُدركُ انها لن تتكّن من القيادة إلا إذا تحطّطت مخاوفها؛ فالخوف هو العائق الوحيد الذي يحُدُّ من قُدُراتِ الإنسان.

- إنك تتقدّمين بشكل مُلفت، وإذا استمرّيتِ على هذا الحال، سوف تُجري الامتحان النهائي نهاية هذا الشهر. ما عليك سوى أن تُجتهدِي بِدراسةِ قوانين السير والإشارات، وستخطّين هذه العقبات بنجاح.

عادت لك البيت سعيدة، إنها تحصدُ كل يوم ثمرةً كفاها..

«ليس هناك تقدّم دون مجهود، سأكمل مسيرتي. بعد أسبوع أُجري الامتحان وأنهي دروس القيادة، أمّا دورس الحاسوب فبانت جدّاً سهلة بعد أن أصبحتُ قاهرةً على القراءة والكتابة. ها أنا استمرّ بتقدمي.. رُغم تلك الندوب التي تنطبع على جدار قلبي وفي أعماقه، إلا أن رُوحِي تُضجُّ بالفرح وتحتفل بنهاية مرحلة، لتبدأ مرحلة جديدة. لأفتح حاسوبي قليلاً ثم أعود لك الدرس».

وكانت المفاجأة.. عشرات الرسائل وطلبات الصداقة والتعارف.

«ما هذا؟ جميعهم يرغبون بالتعرّف عليّ!.. هذا مملّ. سأقرأ ما كتبوا بسرعة، وأعود لدرّاستي».

مر الوقت دون أن تشعر، وهي منهكة بتفحص رسائل مُعجبيها والرد على من كان كلامه مُحترماً وجدياً، والغاء من كان تعليقه وطلبه مُبتذلاً وسخيفاً. ها هي تُلغي وتُضيف وتُرسل، وكأنها تقوم بذلك منذ زمن.

فجأة، ظهر شباك صغير وسط الشاشة، عليه صورة واسم صاحبه، كُيِّبَ تحته: مرحباً.. أنا اسمي أمير!

شاهدتَ وميضاً تحت الجملة المُرسلة، فكتبتَ هناك:

- من أين أنت؟

- أنا مُرايل صحفي. أقيم مع والدي في أميركا، ماذا تفعلين في الحياة؟

- أدرس اللغات والحاسوب.

- هل عندك كاميرا؟

- لا أعرف، أنا جديدة على هذه الصفحة.

- في الأعلى هناك صورة كاميرا، اضغطي عليها.

ضغطتَ عليها.. فجأة رأتُه جالساً أمامها في ذلك الشباك، لوَح لها بيده.

- مرحباً.

أدهشتها المفاجأة!! كيف تراه وهو يقطن خلف البحار؟

- هل تستطيع أن تراني؟

- أجل إني أراك، أنتِ رائعة الجمال، تلك الصورة وما تُظهره تَقِف عابرة

عن نقلٍ سحرٍ عينيك.

- حقاً؟ سأقيل، اعتذر.

- لماذا أقفلتِ الكاميرا؟ هل أنتِ خائفة مني؟ لا تخافي، انني بعيد جداً، ولا

أستطيع أن أجتاز كل هذه المسافات، وباليتني أستطيع، فأنتِ رائعة الجمال.

- إنني لستُ خائفة، لكن لستُ جاهزة وأعتذر منك. لديّ امتحان ويجب أن أعود إلى دراستي.

أفقلتُ الحاسوب، وكأنها تُفيلُ صندوقًا سحريًا تختبئ في داخله آلاف الأسرار..

«يا إلهي! هذا فظيع، مرَّ الوقتُ بسرعة ولم ألاحظ، مُسلِّ جِدًا، لقد قتلُ حزني ووحدي، رُغمَ غرابتيه. أحسُّ نفسي سيِّدة الموقف.. أقفلُ متى أشاء، أضيفُ وألغي من أشاء، إنها متعة الحرية. سأتصل بليفا وأخبرها ما حدث.»  
- أوروبا.. يفوح الفرحُ من صوتك كعبير الأزهار.

- لن تُصدِّقي، فتحتُ صندوق الرسائل، فوجدتُ العشرات من طلبات الصدا-

- توقَّعتُ هذا.. حياتك لن تكونَ مهلة، فجمالك سيَجلبُ لك المتاعب والعبادة معًا. أخبريني ماذا حلَّ بميكي؟

قالت بحزين:

- لقد التقينا وتبادلنا الحديث، لكن هناك شيئًا قد انكسرَ بيننا، رُغمَ محاولتنا القفز فوق ما حدث. تبدو جدًّا حزينة، وأشعرُ بالذنبِ حيالَ هذا.

- لا عليكِ، الوقتُ كفيلٌ بشفاءِ جراحها، ماذا عن دراستك؟

- الأسبوع القادم سأجري الامتحان النهائي، بعدها بأسبوع امتحان القيادة.

- آذا، هيا إلى الدرس ولا تُضيِّعِي الوقت. حاذري من الحاسوب، فالصفحات الاجتماعية تُسببُ الإدمان.

- أعدكُ أنني سأعطي أفضل ما عندي.

ودعَّتها، وعادتُ لكِ كُتبيها لساعات. بعد أن عجزَ دماغها عن استيعابِ

المزيد، جهزت لنفسيها كوبَ شاي، وعادت إلى الحاسوبِ تجولُ على الصُّور،  
وتقرأ كل ما كُتِبَ عن أصحابها من معلومات.

فجأة.. عادَ ذلك الشبَّاكُ إلى وسطِ الشاشة، فيه صورةُ شابٍّ وسيمٍ جدًا،  
كُتِبَ:

- مرحبًا، أنا عُدَيّ.. أيمكن أن نتعرف؟

- أهلاً.. أنا أوروبا.

تكاثرت الشبايكُ، والجميعُ يكتبُ لها.. لم تُعَدِّ تعرفِ علي من نُجيب، كانت  
تريد أن تُكَمِّلَ حوارها معه.

- هل أنت مشغولة؟

- لا، ولكن هناك العديد من الأصدقاء، ولا أعرف كيف أتخلص منهم.

- انظري إلى الشبَّاك، هناك كلمة إخفاء، اضغطي عليها، عندها لن يلاحظ  
أحد من روادِ الصفحة وجودك.

- جيد هكذا أفضل، إنني جديدة هنا.

- ماذا تفعلين في الحياة؟

- أدرُس اللغات،

- جِزَّاحُ أعصاب.

- أوقفت قلبي.. المهنة مخيفة قليلاً، أن تغوص في مجاهل الجسد شي رهيب،  
فكيف بالدماعِ مركزِ الفكرِ ومخزونه؟

- أنت مُحقِّقة، ومن أين أنت يا أوروبا؟

- من فينقيا، أقصد من صُورِ لبنان.

- إنهُ بلدٌ جميلٌ وناؤه رائعات. لقد كنت هناك منذ مدة.

- هل أعجبك؟ ماذا شاهدت هناك؟ هل زُرت صُور؟

- لقد زرتُ كلَّ الأماكن المشهورة هناك؛ جبال الأرز، قلعة بعلبك، صيدا  
وصُور، بيروتُ وجبال الشوف ومتحف جبران وأماكن أخرى.  
- أنت محظوظ. أتمنى أن أذهب إلى هناك، لقد هاجرتُ بلادي منذ آلاف  
السنين.

ضحك قائلاً:

- آلاف السنين؟ وكم عمرك؟

- ما يقارب ٣٥٠٠ سنة.

- أنتِ لستِ فقط جميلة كما تُظهر الصورة، لكنكِ غامضةٌ أيضاً، اسمكِ  
غريب ومن فينقيا وعمرك ٣٥٠٠ سنة، لا تقولي لي إنكِ أوروبيا ملكة صور  
وحبيبة زيوس!.. أنا من العراق، بلادُ بابل وما بين النهرين، وربّما أكون  
غلغامش أو ربّما حامورابي.

- ولماذا، ألا تؤمن بانتقال الأرواح؟

- ربّما، لكن الآن ليسَ لديّ وقتٌ كافٍ للحوار، فغرفةُ العملياتِ تناديني.  
ربّما أنفذَ أحدَ الأجدادِ وأرحمِ روحه من الرحيل. أسعدني الحديثُ معكِ.  
- وأنا أيضاً.

كانت تمنى أن تكمل حديثها معه، ألغى أمر الإخفاء، فظهرت أمامها  
العديد من الشايك والأسماء والصُور. فلم ترعّب بفتح حوارٍ آخر، وأغلقتُ  
الجهاز..

«يجب أن أنام، وإلا فلن أستطيع الذهاب غداً إلى المدرسة».

مرّ نهارها طويلاً مضجراً، وللمرة الأولى سبقت الوقت كي تعود إلى  
البيت، إلى أصدقائها الافتراضيين. وضعت كتبها جانباً، ثم فتحت حاسوبها،  
ثم صندوق الرسائل.. تحطت كل من هناك، إلى أن وصلت إلى عُدتي، حيثُ

ترك لها رسالة صغيرة: مرحبًا أوروبا، سأكون هنا بعد الساعة الثامنة، هل انتظرتني لكميل حديثنا الذي بدأناه؟

«حسنًا أنتظرك.. ها هو أمير يعود من جديد».

- جميلتي، منذ رأيتك وصورتك لا تفارقُ خيالي. إنني أبحث عن زوجة رائعة مثلك، هل تتزوجيني؟

- إن روح الدعابة عندك رائعة وحاضرة دائمًا، في الأمسي تعازفنا، اليوم نتزوج، وغداً نجبُ أطفال.

- ماذا تريدان أن تعرفي؟ لديّ أخت وأخ متزوجين، أعولُ أمي المريضة، أمتلكُ إكسكليتات مادية ممتازة، لكن حياتي تفنقرك إلى العاطفة. أعيشُ وحيدًا بسبب أسفاري الدائمة، ما عدا بعض العلاقات الجنسية مع نساءٍ مختلفات في البلاد التي أزورها، فبرغم افتقاري العاطفي، أستطيع أن أفصل بين ما يطلبه الجسد وما يطلبه الروح. أخبريني عنكِ؟ هل هناك أحد ما في حياتكِ؟  
الجسدية والروحية!!

- إنني أكمل دراستي وأعيشُ وحيدة، وأهلي في بلدٍ آخر. بالنسبة لي، إنني ككل متكامل، لا أستطيع أن أفصل جدي عن روحي، وبين الاثنين لا يوجد أحد.

- افتحي الكاميرا أرجوك، فقط لدقائق.. أرجوك..

بعد الحاجة المخرج..

- حسنًا، هذا أنا..

- أنت جميلة جدًا، إنه حُلْمٌ أن أتكلّم مع إنسانة مثلك.

- أرجوك لا تخبريني، وإلا أغلقتُ الكاميرا.

- لا، لن أزعجكِ. ابقى أمامي، هذا كل ما أريد.



- بكل الأحوال عليّ الذهاب الآن، فبعد أيام سأجري امتحاني، ويجب أن أكون جاهزة.

- كما تشائين، لكن عندي طلب أخير.. أرجوك أرجوك، هل يمكنك أن تقفي أمام الكاميرا، أريد أن أرى صورتك كاملة قبل أن تذهبي. لقد أخرجها بطلّي، ولم تُعد تدري كيف تتصرف. وقفت، ومثت بعيداً عن الحاسوب.

- يا إلهي! جمال متكامل، رائعة. شكراً لك على هذه الهدية الثمينة، أتمنى لك النجاح وليلة سعيدة.

أقفلت الجهاز وتنفّست بعمق.. شخصية غريبة، لديه كل شيء ويفتقد الاحتضان؟ لكن هذا أمر طبيعي في هذا العصر، فالجميع عندهم كل شيء، ولكنهم لا يملكون العاطفة، ولا يستمعون بها.

أنهت دروسها وهي تترقب الساعة والحاسوب من حين لآخر، حتى جاءت الساعة الثامنة، الموعد الذي اتفقت عليه مع عدي:

- مرحباً أوروبا.

- مرحباً.. كنت أنتظرك.

- أنا أيضاً أنهيت عملي بسرعة كي أكلّمك. أخبرني متى ستحتفلين بعيد ميلادك؟

- في حياتي القادمة. عندما ألتقي حامورابي.

- جميلة، وفكرتك متقد.

- أخبرني عنك.

- بعد الحرب التي نشبت في بلادتي جنت هنا. عملت في مستشفى

متواضع، حيث أكملتُ دراساتي. شاركتُ بالعديد من الأبحاث لمكافحة مرض السرطان. تزوجتُ وطلقتُ بعد ثلاث سنوات، لأعيش ظروفًا غريبة وصعبة. لازلْتُ أتحبُّ بها إلى الآن، وأنتِ؟

- أنا أيضًا انفصلتُ عن حبِّ حياتي، وجئتُ إلى هنا، وأعيش الآن وحيدة، قل لي.. أنتِ حقًا من بابل؟

قال ضاحكًا:

- كانت تُسمى سابقًا بلادُ ما بين النهرين، سكتها العديدُ من الشعوب، ومُرّت عليها العديد من الحضارات، إلى أن دمرتها هذه الحرب الأخيرة وقسمتها إلى طوائفٍ ومذاهب. لقد أثارني اهتمامك بالحضارات القديمة.. طبعًا بها أنكِ ولدتِ منذُ آلاف السنين، لا بُدَّ أنكِ قد عاصرتِ كل هذه التفاصيل.

- لقد كان أخي مُهتمًا بدراسة اللغات، هذه الحضارات القديمة تركت جميعها بصمة مهمة في إنتاج لغة مفهومة، والتي سعى أخي فيها بعد إلى تطويرها.

- قال مَماز

- مَنْ؟

- قلموس؟

- وكيف عرفتِ؟ إنه أخي فعلاً.

- أنتِ تمزحين؟

- أعتذر.. أردتُ أن أدخِل بعض التغيير والبهجة إلى الحديث.

- لا عليكِ، أنا أستمعُ بهذا. عملي مُعبِّبٌ جدًا، وأفتقر إلى الإبتسامة.

- سأسأل الإله الواحد أن يُعطيكَ القوَّة والصبر.

- جميلة.. ما هو دينك أوروبا؟

- أنا أعبد الإله الواحد، وأنت؟

- أنا ملحد، والدي من طائفتين مختلفتين. وأنا لا أعترف بالاديان ولا بالله..

أدهشها كلامه، فقالت:

- ألا تعتقد أن لكل مخلوق خالق؟ وإن هذا الكون المنظم لربوآء من العيب

والعدم؟ وأن الإنسان تواقٌ دائماً إلى الالتحاق بخالقه، الذي هو جزء منه. إن

الإيمان شيءٌ ضروريٌ يزيح عن كاهلنا عبء مصائب الحياة، ويجعلنا نستلم

بسعادة إلى ما يشاء القدر أو الإله.

- أعترف بتلك الطاقة المحركة للكون، والتي تحركنا أيضاً.. لكن لا أعترف

بان هناك اسمٌ يختصرها، ولا مكانٌ ولا زمانٌ يجدها. هذه الطاقة هي انعكاسٌ

للكون في نفوسنا، وما نحن إلا مرآة لها، ذلك النور أو الطاقة ممثّل في داخلنا

بالضمير، الخير والمحبة. هناك أيضاً الشرُّ الممثّل فينا أيضاً، فالله فينا والشيطان

أيضاً. نحن الجنة والنار، الموت والحياة، وهذا يعني أي سُلطة خارجية نفتعلها

لتكون مبرراً لأخطائنا وطمعنا، يعني أن تكون هناك مكافأة لخيرنا خارج تلك

السعادة التي نشعر بها ونحن نسيرُ بما يُرضي ضمائرنا، وبإستثناء تلك الطاقة

الكونية المحركة للكون ولنا.. لا يوجد إله.

- جميلٌ وصفك هذا، لكن صعبٌ أن يُحصّر الله أو النور في مرآة إنسان أو في

جزء منه، لأن المرأة معرضة دائماً للتضليل والكسر والضبابية.

- هكذا ضميرُ الإنسان، حتى لو كانت تلك الطاقة اسمها الله، فهذا لن

يُغيّر طبيعة البشر وورغبتهم بخوض الحروب، طمعهم وإجرامهم. لا فرقٌ

بين من يعترف ومن لا يعترف بوجوده، على العكس.. تجدين بعض المؤمنين

قادرين على القتل وتكفير الآخر وإدائته بحجة الدفاع عن الله ووجوده، أو

طمعاً في نعيمه. أما الآخرُ تراهُ يتجنب أذية من حوله، لأنه لا يؤمن بعقاب

وثوابٍ خارج إطار هذه الحياة، فيحاول أن يفعل ما يقضي عليه ضميره .  
 ضميره ذلك الإله المتجسد فيه، يجعله أكثر تقوى وأقل إيماناً. وإذا عدنا «  
 وسلمنا بوجوده، فيفضل التقوى على الإيمان، لأن الأولى هي أدب..  
 بيننا وبين الآخر، أما إيماننا فهو بيننا وبينه. والله غني عن محبتنا إن لم نعشها مع  
 بعضنا البعض، فلولا انعدام رؤية الضمير في مرآة العقل، لما تمكن الإنسان  
 من فعل المجازر والحروب، ومن أذية الأرض والأرواح الحية التي تقطعها،  
 ليعود ويعلق أخطاه على الله والشيطان، المكتوب والقدر.. وبالْحَقِيقَةِ مَرَّةً،  
 هي السبب، لأن النور، الخير والضمير وحتى الله دائم الوجود.  
 - ربما أنت محق!!! -

- لقد دمّرت الحرب موطني بسبب ذلك المرّض الخبيث الذي اسمه  
 السُّلْطَة، ليعود إلى نقطة البداية، حيث يستطيع المظلّل أن يتطلّق في ظلاله،  
 وأن يستخدم اسم الله ذريعة للقتل ومبرّراً للدمار. عندما خاض حاكمنا تلك  
 الحرب الطاحنة مع إحدى الدُول المجاورة، وخرج منها متصّراً على أجساد  
 آلاف الضحايا من الفريقين، عاد ليضرب إحدى الدول الحدودية المسالمة  
 لتوسيع حكمه ونفوذه وللإستيلاء على مقدراتها، بتشجيع من حكومة العالم  
 الحفية الطامعة بالنفط. بعدها أعلنت تلك الحكومة نفسها الحرب عليه، وكان  
 احتلاله لتلك الدولة ذريعة كافية كي يُبرّروا هجومهم على بلادنا، وذبها  
 الوحيد أنها قد أُبليت بلعنة الحرب، الأديان، والسلطة.. قُتِلَ آلاف الأطفال  
 وشُرِدَ الآلاف، بعدها قسّموا البلد إلى تجمّعات وفِرَقٍ من الدين الواحد..  
 وبينما انشغل الشعب بقتل بعضه البعض دفاعاً عن الله، كان اللصوص ينهبون  
 مقدراتنا ونفطنا دون أن يجدوا من يجاسيهم أو يردّ عنهم.

- في دين والديك، من ينهم يعبد الله؟ ومع أي الفريقين يقف؟

- الاثنان متبعهما الإسلام، رسولهما واحد ويعبدان إلهًا واحدًا، ألا تعرفين

الإسلام؟

- نجعليني أصدقُ قصّة ميلادكِ أيتها الغريبة، إن الحديث معكِ ممتع، لكن أمر الوقت. غداً ورائي جراحة مهمة، سأخبركِ لاحقاً كل ما تريد من معرفته. لقد غلبها التعب هي أيضاً، فالمدرسون يلقنوهم الكثير من المعلومات، عليها أن تكتب وتحتفظ كل ما يقال. أنا متجنب ميكى لها، فكان سبباً لإعيائها، أمر أن هذا العالم الافتراضي الذي تزوره كل مساء كان مُتفناً جيداً، يأخذها من ذاتها ومشاكلها، ويقاوم طيف إدي الذي بات بعيداً بعض الشيء عن نبض القلب وبحور الذاكرة.

يومٌ آخر ومساءً آخر، وها هي تعدو مُسرعةً لنهاية كل شيء، كي تدخل إلى هناك.

- مرحباً أوروبا.

- أهلاً أمير، سؤالٌ يُجربني، هل تمضي نهارك جالساً خلف الحاسوب؟

- إنه جزء من عملي، وأنا أرقب صفحاتك طيلة الوقت، تُطارديني في احلامي ويقظتي، لا أستطيع النوم دون استحضار صورتكِ. أرجوكِ افتحي الكاميرا. أرجوكِ، أرجوكِ.

قالت متدمرةً متأففة:

- إنك تُحرجني، حسناً، فقط ليضع دقائق، لأنني مشغولة.

فتحت الكاميرا، ولم يكن بادياً منه إلا وجهه، لكن ملامحه كانت غريبة.

- ما أجملكِ، إنكِ تثيرين جنوني.

- سوف أصدقك، انتبه.

- تريدان أن تتأكدي؟ سوف أريك.

فجأة وقف أمام الكاميرا، كان عارياً تماماً.. ومثاراً تماماً!

- هل رأيت كم أجبُك؟ فجسدي وروحي يريدانك.

- أنت مجنون... ما هذا؟!!

صَرَخَتْ فِي وَجْهِهِ وَأَقْفَلَتْ الْجِهَازَ. كَانَ جَدُّهَا يَرْتَمِفُ غَضَبًا وَخَوْفًا.  
هَذَا الْغَيْبِ، كَيْفَ تَجْرَأُ عَلَيَّ هَذَا؟ لَا أُرِيدُ أَنْ أَكَلِّمَ أَحَدًا. لَنْ أَفْتَحَ الصَّفْحَةَ ثَانِيَةً  
حَتَّى عُدِّي! رَجُلٌ آخِرَ مَتَهِي الصَّلَاحِيَّةِ.

حضنتها ميكي بفرح، مُناسية كل ما جرى بينهما.

- مبروك.. لقد اجتزيت الامتحان بنجاح.

قالت والدموع تملأ عينيها:

- لا أَصَدِّقُ يا ميكي، لقد كان صعباً للغاية.

- أنا سعيدة من أجلك، إِنَّكَ تَسِيرِنَ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ بِخُطَى وَاثِقَةٍ وَثَابِتَةٍ.

مبروكُ لَكَ نِجَاحُكَ يا أُخْتِي.

- دونَ دَعْمِكَ لي وَمَحَبَّتِكَ ما تَمَكَّنْتُ من هذا. أنا أَهْمِلُ حَبْلِكَ بِقَلْبِي في مَكَانٍ

خَاصٍ جَدًّا، قُرْبِ إِخْوَتِي وَأُمِّي وَأَبِي.

- أَمْنِي لَكَ التَّوْفِيقَ.

قَطَعَتِ الْمَعْلَمَةَ حَدِيثَهُمَا:

- الرَّجَاءُ الْإِنْتِبَاهُ، أَرْجُو أَنْ تَتَوَجَّهُوا بِأوراقكم إلى مَكْتَبِ الْعَمَلِ، كَيْ

يُسَجَّلُوا أَسْمَاءُكُمْ عَلَى اللُّوائحِ، وَأَنْتِ يا أوروبَّا وَاغْنِيَنِ إلى المَكْتَبِ قَبْلَ أَنْ

تُغَادِرِي. أريدُ التَّحَدُّثَ إِلَيْكَ.

ما أَجْمَلَ النِّجَاحَ، إِنَّهُ يَدِدُ شَعُورَنَا بِالتَّعَبِ وَالإِحْباطِ وَكُلِّ ما عَانِينَاهُ قَبْلَ أَنْ

نبلغه، ويضعنا على بداية طريق جديد. كان يجب أن نُطمئن قلب من يتظرنا  
وهكذا فعلت!!

- إيفا، لقد نجحت.

- مبروك حبيبي، كم أنا سعيدة بهذا الخبر. سأكلم دكتور كونراد،  
نتناول العشاء في المدينة كي نحتفل سوياً، كوني جاهزة.

أسرعت إيفا إلى كونراد تخبره وتدعوه..

- سراًفقاً؟

- بالتأكيد، إنه إنجاز رائع ويستحق الاحتفال. كانت خائفة بعض الشيء..  
لكنها كثرت خوفها بثقة كنت متأكدًا.. فلن يسمح لها إدي بأن تتخاذل.

- لا دكتور، إنه نجاحها وحدها، فعلاقتها انتهت منذ فترة.

- ماذا؟! لكن لماذا لم يُخبرني؟

- بالنسبة لها كانت حزينة جداً، حتى أنني لم أعلم بهذا إلا مؤخراً.

- هل عرفتِ السبب؟

- ليس بالتفصيل، تصرفت إدي معها غير مبرر. ربّما من الأفضل أن يُخبرك  
أحدهما بما حصل.

قال بأسفٍ شديد:

- سأتصل به، علناً نسوي الأمور.

- حسناً سأذهب الآن.. أراك مساءً.

«المجنون.. أمل أن يُجيب..».

بعد قليل ردّ إدي، سارعه كونراد قائلاً:

- مرحباً يا صديقي، ماهي أخبارك؟

- مشغول جداً، حفل الأوبرا بات قريباً، وما زال عندي الكثير كي أنجزه.



- أردتُ أن أخبرك أن أوروبا قد اجتازت الامتحان بنجاح.

- حقا؟ هذا رائع.

- كنتُ أتوقع أن تكون أول العارفين!

- علاقتي بها عمُر بأزمة صعبة، لقد فضلتُ أن ابتعد.

- ما المشكلة إدي؟ اعتقدتُ أنك تُحبها!

- إنِّي أحبُّها كثيرا، ولن أشفى يوما من حبِّها، لكنِّي لستُ الشخص المناسب لها.

أشكر الظروف على ما حصل. كان يجب أن ابتعد كي تُجد في طريقها من بعدها وتستحقها.

- أخبرني ما المشكلة تحديدا؟

- كانت في سريري، رقدت قُربي، لكنِّي رُغم شوقِي لها ورُغم حُبِّي لـ

استطيع أن أخرج ما يحتاجني من مشاعر. لن أكون فارسها الذي تنتظر، حياتي

ملينةٌ بالمشاكل والمسئوليات، كإنسان مليء بكل هذه التناقضات، مِن المؤكَّد

أنها ستتركني عاجلاً أم آجلاً، رتُ أن أرحمها من تلك الحية، ومن وطأة

اتخاذ القرار.

- هل تشاجرتما؟

- لا، إنَّها أرقى من أن تُجادل. اتخذت القرار بشجاعة الأبطال، فتحت

الباب بهدوءٍ ورَحَلت. بعد أن لاحظتُ غيابها، اتصلتُ وطلبتُ منها أن

تتظرنِي.. كنتُ خائفاً أن توه في الغاية، لكنَّها رَفَضتُ بعزَّةٍ نفسٍ. لقد فضلتُ

السيرة بالمجهول على أن تراني.

- يا إلهي! كيف تركتها تقطع كلَّ تلك المسافة سيرا على الأقدام وحيدة؟

- لا أعرف لِمَ أكن أستطيع النظر إلى عينيها من جديد. كان عليها أن تبقى،

أن تصرُخ في وجهي، أن تصفَعني، لكنها اكتفت بسكينٍ حادٍ غرستهُ في قلبي.

كان قلبي يركض وراءها وعقلي يوصد الأبواب، وها أنا أحاربُ كي لا  
أضعف أمامها من جديد.

- لا أعرف ماذا أقول، ما حَدَّثَ أقرنى بِمَا تَصَوَّرت. كيف تَرَكها تسيرُ  
وَحَدَّها وهي غريبةٌ عن المكان، أَلرْتَحَفُ عليها؟  
غريبٌ أنت!

- هذا ما حصل.. إنني أتألم، لَقَدْ كَثُرَت إنسانيتي على مذبح الأنا.

- تعالَ معنا الليلة وسنُوسِي الأمور.

- لا، أَفْضَلُ أن أبقى بعيدًا. يجب أن تساني.

- إنها حزينَةٌ جدًّا لغيابك، لكن إذا كان هذا قرارًا ، فليكن ما تُريد.

- أرجو ألا تُخبرها أننا قد تحدَّثنا عن الموضوع.

- لا عليك، اعتنِ بنفسك، لكلِّ مِنَّا قَدْرُهُ، وَمَنْ يعرف ماذا يَحْمِلُ لنا القدر!

كانت أوروبا تُحاولُ جاهدةً أن تستعج مع كونراد وإيفا بعثانهم.

كونراد:

- أخبريني أوروبا.. ماذا تنوين أن تفعلني الآن؟

- تكلمتُ مع المساعدة الاجتماعية، وقد أعطتني اقتراحًا أعجبتني. قالت

إذا توجهتُ الآن إلى سوقِ العمل وأنا في هذه الحالة، لن يكون العثور على

وظيفة بالأمر السهل، واقترحتُ أن أتابع دراستي بتخصصٍ مُعَيَّن، أستطيع

من خلاله أن أكمل تحصيلي العلمي واللغوي في آنٍ واحد، هكذا سيُصبح لدي

مهنة ولُغة تُسهِّل عليَّ الاندماج.

- هذا جيّد، إنه اقتراحٌ رائع.

- نسيْتُ أن أخبرك، سأجري فحص القيادة بعد أسبوع. قالَ المدرَّبُ (تني

قد أصبحتُ جاهزة.

- ممتاز.. قيادة، حاسوب، لغة واختصاص جديد. أتمنى أيضًا أن يكون هناك حُب جديد.

قالت إيفا:

- نعم، إنها مشغولة الآن، الآلاف ينتظرون رَدَّها على الصفحات الإجتماعية وفي كل مكان.

رَدَّت بِحُزْنٍ:

- لا صفحات إجتماعية بعدَ اليوم. لقد قرَّرتُ أن أبقى لِوَحدي، لديّ الكثير كي أُنجِزه.

- لماذا يا صغيرتي؟ لقد كنتِ سعيدة بانضمامكِ إليها.

تقطَّعَ صوتُها خجلًا ممزوجًا بالحرقة.

- هناك رجلٌ.... لقد... وقَّفَ أمامي عاريتا...

أطرق كوني زاد.. حاول أن يتزعر فزعها..

- الأشخاص الذين يرتادون هذه الصفحات هم جزءٌ من هذا المجتمع، بشلي ومثلك. كُلُّ واحدٍ ينهم يبحث في كل مكانٍ عما يفتقد. إن صادفنا أحدهم وكأنت ميلونا مختلفة، ليس من الضروري أن نلغيه أو أن نصبغه بلوننا، فلكلُّ مِنَّا حياته، يكفي أن نرفض ما لا نستيع. إن لم يرق له هذا، يُصبح عندها الفُراق ضرورةً محتمة. لا يجب أن يُثينا هذا عن البحثِ عما نُريد، مهما كانت الظروف.

- أنتِ مُحق. لَزَأعتد على مواجهة الحياة بعد وقبول طبيعتها. رَبِّما أنا من يجب أن يتغيَّر، لكن ما احتاجه فقط بعض الوقت، والكثير من الجرأة والخبرة.  
- عموما، الخبرة لا تُكتسب إلا من التجارب الفاشلة. لا تخشي التجربة.



عشرات رسائل الاعتذار من أمير، ورسائل أخرى من آخرين. أما رسالتنا  
عُدِّي ففَرَزَتْ فَتَحَهَا لاجْتِفاءً، كلامٌ كونه يُعيدُ نفسه في سَمْعِها، يجب أن  
نرسم حياتها حدًا معينًا يُريحها، ومن لا يستغ هذا فليرحل بِسلام.

عزيزي أمير، اعتذر عن الغياب. كنت مشغولة بامتحاناتي التي اجتزتها  
بِنجاح. لقد نيتُ كُلِّها ما حصل ولا داعي للاعتذار. إن أردت أن يستمر  
تواصلنا ضمن إطار الصداقة فستجدني دائمًا عندما تحتاجني.  
هذا جيد.. ها هو عُدِّي يرسل..

- صديقتي، كنت قلقًا. اختفيت فجأة. ظنت أنك -ولسبب ما- لا ترغبين  
في التواصل معي. الآن أنا سعيد جدًا بنجاحك. ألف مبروك.  
- ليس هناك أي مشكلة، وإن حصل شيء فاقول لك. منذ مدة ليست  
بعيدة تعلمت درسًا بالشجاعة والمواجهة.

- في بعض الأحيان يكون الانحباب بصمت أفضل، كي لا تنكر صورة  
الحب الذي نحمله في قلوبنا.  
- أنا أفضل هذا على المواجهة.

- يبدو أنك قد خرجت لتوك من معركة قاسية. إننا جميعًا هاريون، وكل  
يعتقد نفسه أنه قد أخطأ في اختيار الأسلوب الأنسب لحل مشاكله، لكن  
للظروف أحكامها.

- إحساسك صحيح، معركتي قد أدمنتني وكسرت إيماني بالإنسان وبالقيم  
والحب.

- أخبرني عُدِّي، فأنا جديدة على هذه الحياة، وأريد أن أسمع وأنعلم  
وأكتسب.

لَوْنُ الحزن نبرة صوته..

- لقد التقيتها قبل تخرُّجي. كنت لا أزالُ تلميذًا أدرس الطب وأعمل

في مطعم للموجات السريعة. عائلتها الثرية جعلت الارطبات بها حلم من الاحلام أسافرة لاكمل دراستي وبعد عودتي مع لقي ومحفظتي المليئة بالنقود، تقدمتُ لحظّيتها، وعشنا سويًا قصة حبّ رائعة. لقد كان قبولها بي حُلمًا وشرقًا عظيمًا، وزاد من تعلّقي بها دعمها المستمر لي كي أكمل دروس الرسم. من خلال مركزها مكتني من المشاركة في أحد معرض الرسم الدولية، وكان هذا رائعًا.

تزوّجنا وأنت معي لك هنا، فكنتُ أنا الإنسان الضحية بينها وبين عملي  
ومُستقبلي، هنا بدأ الصراع...  
صمتَ قليلًا، ثم أكمل:

- هنا، كانت تتظنّني حتى أعود، وتريد أن أخرج وأجلس معها وأعطيتها  
اهتمامي. بالحقيقة لم أبخل عليها بما أستطيع ولو على حساب نفسي، حتى  
لوحاتي والواني التي أحبّ أصبحت تنذر إذا ما رأني أجلس امامها. أنا  
أبحاثي فكنتُ أنجزها في الصباح قبل أن تنبسط، وفي أوقات ا راحتي في  
المستشفى.

- لماذا لم تُجد لها عملاً؟

- هذا ما حدث... أفنعتها أخيرًا بأن الغربة سُمّ قاتل لا يحورناتمه إلا العمل.  
صراحة لم ينقصها شيء، فمؤهلاتها ممتازة.

وجدت فرصتها في احد المحطات الاذاعية، وأحرزت نجاحًا ممتازًا، لكن  
عملها كان بعيدًا عن مكان السكن، فراخت تنذر من البرد وبعُد المسافة،  
ومن شدة تشبّتها وخوفها لم تستطع اجتياز امتحان القيادة والحصول على  
رخصة كي تُنهي مشاكلها.

اكتشفتُ أخيرًا سبب هذه المشاكل جميعها. تُريد أن تُنجب طفلًا، رُغم أننا  
قررنا ألا نُقدم على هذه الخطوة قبل أن تستقر ظروفنا. هذا ما أثار جنوني.

- ولماذا لم ترغب بالإنجاب؟

- لم أكن جاهزًا بعد لفكرة الأبوة، فحنن في بداية مشوارنا، حتى علاقتي معها لم أكن واثقًا بأنها ستستمر. أردت أن يكون الحب رابطًا علاقتنا هذه وليس مخلوق بريء يدفع ثمن تجاربتنا. بدأت المؤامرات، وكان مرقدنا مرتع لها، تحول سرير الحب لك حلبة صراع.. وهناك انكسر كل شيء. لا أعرف من الآن.. الحب أم الوقت أم العمل أم الخداع؟ بعد فترة قصيرة، أنهينا إجراءات الطلاق، وانتهى كل شيء.

- حتى الحب؟ هل لازلت تحبها؟

- لازلت أحب حالة الحب التي عشتها معها، لكن آلامي منها باتت أكبر من حبي لها.

- زُبيا الوحدة ومعاناتنا مع ذاتنا أفضل بكثير من مواجهتنا لقسوة الآخرين.

- ليس هناك وحدة، ما دُمتنا نعرف ماذا نريد، وما ينقُصنا، وإلى أين نسير.

أخبريني أوروبا هل تُحبين الموسيقى؟

- أعشقها، أنا أعزف على القيثارة.

- آه إنك فنانة إذا.. هل تُحِبين الشعر؟

- ليس عندي فكرة عن أي نوع من الشعر تتكلم!!

- سأرسل لك رابطًا، اضغظي عليه واستمعي، إنه عزف بيانو لـ «يانا»،

الموسيقي المفضل لدي، رُغم إعجابي الشديد بموزارت وباخ وحتى لـ

تشايكوفسكي، سأرسل لك رابطًا آخر فيه بعض القصائد الشعرية لوليام

شكبير، إنه شاعر وكاتب ترك أثرًا كبيرًا في عالم الأدب. استمعي بهم، وغدا

تُخبريني رأيك بما سمعت وقرأت.

- هل ستذهب؟

- أجل يا عازقة الفشارة.. صديقتي الرقيقة.. لقد أنهيتِ دراستك بنجاح  
مب أن تستريح قليلاً، وأنا لذيّ عمل في الصباح.  
- تصبح على خير.

أرسل لها قبلة ووردة، فأرسلت له مثلها وهي تستمع إلى «ياني».

خَرَجْتُ من مركزِ امتحانِ القيادةِ والفرحةُ تَمَلأ قلبها. دون أن تشعر، حملت هاتفها وكتبت:

- عزيزي إدي، لقد اجتزْتُ امتحان القيادة بنجاح، شُكراً لك.. أنا سعيدةٌ جداً، ولن أنسى يوماً ما فعلتهُ من أجلي. كلُّ ما أنا عليه هو هديةٌ منك.  
بعد دقائق وصلها الرد..

- ألف مبروك، أنا سعيدٌ جداً، لا داعي لشكري، كلُّ ما أنت عليه قد صنَعته بنفسك، أنا فخورٌ بكِ جداً.

- شكراً على الرد. كنتُ أعتقد بأنك لن تُكلمني ثانيةً.

- بالطبع لا، فانتِ صديقتي والإنسان الأقرب إلى روحي وقلبي، ومهما حَصَل فهذا لا يُلغي صداقتنا أبداً.

- أنتِ أيضاً صديقتي الوحيد والأقرب إلى روحي. أرجو أن نلتقي قريباً.  
- بالتأكيد؛ سأرسلُ لك بطاقةً دعوة إلى حفل الأوبرا الذي أقوده.. أتمنى أن تحضري.

- بالتأكيد.. يُعدني هذا. أتمنى لك النجاح، وأرجو أن تعتي بنفسك.



- وأنتِ أيضًا. مبروك النجاح مجددًا.

«لقد ردّ على رسائلي.. سأكون حذرة بالتعامل معهُ، سأحاول ألا أخسره من جديد. لا أريد أن يجتني، لكن وجودهُ معي ولو من بعيد يُعطيني الطمأنينة والاستقرار».

عادت إلى عُرفِها سعيدة مُستَمِعة بلذّة النجاح، فتحت جهازها وكتبت هناك:

- مرحبًا عُدّي، لقد اجتزّت امتحان القيادة، أنا سعيدة.

ردّ بسرعة، وكأنه كان يتظر رسالتها:

- مبروك أيتها الرائعة، أعتقد أن هذه المناسبة تستحق الاحتفال.

- احتفال عبر الأثير!.

- ولولا؟ نحن في الأصل أرواح تكُن الأجاد، إذًا فلندع أرواحنا تَحْتفل.

هل نفتح الكاميرات؟ هل لديك مانع؟

- طبعًا لا.

- هيا حضري نفسك واحضري شرابك المُفضّل، وأنا سأكُتب بعض

النبيذ ونشرب نخبّ نجاحك.

كانت خائفة من هذه الخطوة، لكن لا بُدّ من السير قُدماً بعلاقتها أو

صداقتها الجميلة هذه.

- هيا افتح الكاميرا.. ها أنا قد فتحتها!!

- ما هذا؟ أنتِ رائعةُ الجمال! وهذه الصورة الرائعة لم تعطيكِ حقك. أرجو

الالتُعَبُّيرِ رأيك بعد أن تريني.

- أنتِ صديقٌ، وصداقتنا لن تقف عند حدودِ الجسد وتفصيله.

- ها أنا أملكك..

كانت الصورة التي الصقها مختلفة ولا تُظهر ملامحٍ كما هي، وكأنه أحداً  
آخرًا. أحست بالحجل والارتباك ولم تدر ماذا تقول، فذلك الصوت الذي  
اعتادت أن تسمعه أصبح له بصمة، وأصبح له ملامح مختلفة عما تخيلت..  
شابٌ وسيمٌ أسمر البشرة، ذو عيين ملونتين ساحرتين، تُشبهان لون عينيها  
قليلاً، شخصية راقية وابتسامة ساحرة هادئة.

- إنك وسيمٌ رغم أن الصورة تُظهرك بشكلٍ مختلف. لكن ملامحك أكثر  
جاذبية من الصورة.

قال ضاحكًا:

- هذا إطرأ لا أستحقه، هيا دعينا نحتفل، وإلا سأرُدُّ لك الغزل ولن  
نتهي.

تملَّ كلُّ منهما كأسه، كلٌّ في بقعة بعيدة كل البعد عن الأخرى، وشربا  
نخبٍ نجاحها. غريبة هذه التكنولوجيا، تُشبه تلاقح الأرواح الذي يخترق  
حدود الزمان والمكان والجسد.

- هيا، نمتي شيئًا، وبصوت عالٍ، واطلبي أن يتحقق.

- أتمنى أن أفهم هذا الكون، وأن أعرف لماذا أنا هنا وكيف أتيت، وماذا  
تريدُ مني الحياة؟

- ما هذا؟ إنها أمنياتٌ فلسفية وأسئلةٌ عجزَ العلمُ وأهم المفكرين حتى الآن  
عن الإجابة عليها. هيا أخبريني عنك أكثر.. عن أهلِكَ وطفولتك ولماذا أنتِ  
وحيدة؟

ترددت قليلاً وبدت عليها الحيرة، لكنها هذه، وعلى الأقل أصدقائها يجب  
أن يقبلوا بذلك..

- سأخبركِ قصتي، ولكن عذري أن تسمعي بإحاسيكِ لا بعقلك، لأنك  
إذا ما سمعتني بعقلك فلن تُصدقي.

- أعدك..

أخذت تَقْصُّ عليه حكايتها منذ البداية وكل ما اتعب قلبها الصغير.. كل الشكوك، انهزامها وخوفها بحثها عن حقيقة وجودها، وعن سبل العودة من خلال العلم كما قال لها قدموس «إن المعرفة مدخل العلم، والعلم مدخل المعرفة».

- ما رأيك؟ هل لا زالت أوروبا الجميلة تعجبك؟ أم أنك ستغلق جهازك وترحل؟

لريكن ينظر إليها، بل شرد عقله، وانعقد حاجاه..

- نحنُ عبارة عن سُكَّانِ فضاءٍ كَوْنِيٍّ لا مُتَناهِيٍّ. رَبِّهَا سُنْدْرِكُ كنهه وغايتهُ عندما تتنقل حياتنا إلى مستوياتٍ أخرى من المعرفة الكُلِّيَّةِ المحظورة علينا الآن بسبب انشغالنا بذواتنا الشخصية الصغرى.. أنا مثلك. تقذفني التساؤلات من شاطئ إلى آخر، عندما أفتَحُ دِماغًا بشريًا كي أجري لها الصيانة.. هل في هذه الخلايا اللَّزِجَةِ تَقْطُنُ المَعْرِفَةُ؟ وهل المَعْرِفَةُ.. هذه الكَمِيَّةُ الهائلة من المعلومات يجمعها العقل البشري من كل ما يسمع يرى ويعيش، أم أنه مجرد آلة كونية ميكانيكية مرتبطة بمخزنٍ معلوماتٍ لا ينضب؟ رَبِّهَا هذا الكونُ كائِنٌ حَيٌّ، وَرَبِّهَا هو روح، روحٌ عظيمة مرتبطة بروح الإنسان بروابطٍ لا يُمكن فصلها حتى بعد فناء الأَجْسَادِ.

- أتعرف عُدِّي.. أخي قدموس قد زار بالروح هذا العالم الحالي، ووصف لي أشياء كانت غير موجودة بعصرنا، وأراها أنا الآن وأستخيمها.

- سأرسل لك رابطًا عن فيلسوفٍ من العصر الحديث اسمه «ستيفن هوكينغ».

- لقد قرأت اسمه منذ مدة وأنا أبحث عن ما يجتبي، لكن لا أعرف عنه الكثير.

- حاولي أن تستمعي إليه، وستناقش نظرياته وآرائه سويًا. لقد قال: «لا  
يُمكننا أن نضع نهايةً للمعرفة والعلماءُ يجملون على عاتقهم مسئولية تقدّمها،  
لكن مسئولية استخدامها يجب أن يُشارك فيها المجتمع بأكمله».. إنه إنسان  
رائع، فما أحوجنا إلى علماءٍ لا يسون إنسانهم. قصّتك هذه فريدةٌ من نوعها  
أيّها الأميرة؛ أتساءل هل تصحّ بحالتك نظرية أينشتين؟

- قرأتُ عنه أيضًا بعض الأشياء، وحاولتُ أن أفهم نظريتهُ تلك. لقد شرح  
جزءًا من حالتي أو ربّما تُشبه حالتي بمثلٍ مُعيّن يُبرّر وجودي في هذا العصر.  
- أخبريني ماذا سمعتِ وماذا استجبتِ؟

- لقد قالَ إنّ تقويم الزمانِ مرتبطٌ بالحركة، وكلّما زادت سرعة الأجسام  
يتباطأ الزمان ويتمدّد، على فرض أن جدًّا وصلّ لسرعة الصوت، سيقل  
من الزمان إلى الأبد ويصيرُ جدًّا نورانيًا، أو يدخل في الماضي، مثل شخص  
سافر اليوم ووصل بالأمس.. وقال أيضًا إنّ المقيم بالزمان لا يدرك مروره  
وتباطؤه.

لازلتُ أغوصُ في هذه التساؤلات وهذه الأسرار. كلّما بحثتُ أكثر كلّما  
انكشفتُ أمامي أسئلة جديدة لا أجوبة لها.

لقد عبّرتُ كلّ هذه القرون، وكان قبلي أيضًا قرون كثيرة، ولا أحد يدري  
أين كانت البداية.. هل هي بداية الحركة أم الزمان أم الفراغ أم الفضاء أم  
الخلق!! وهل هناك أصلًا بداية؟ وإذا كان هناك بداية فماذا وجد قبل البداية؟..  
لا شيء! وإذا سلّمنا جدلاً بوجودها فهل سيكونُ هناك نهاية؟ وإذا كان هناك  
نهاية، فهل سنعود لنفس النقطة قبل البداية؟

- هوني عليك يا صغيرتي. الذي يُجبرك اليوم حيّر جميع الفلاسفة ومن  
بعدهم العلماء، وجاء الدين لينهي الجدل ويريح من يربد الراحة ولا يرغب  
بالبحث. هذه هي القصة وهذا هو الوجود، سلّموا أنفسكم من الجدل  
والتزموا بما كتبت.

احصروا جنلكم بالبحث عما حُرِّمَ وحُلِّلَ لأجسادكم، واتركوا الكون  
والبحثُ في أغواره وأساره لخالفه. فأنا اعتقد أننا إذا ما غصنا أكثر، رُبَّما  
سنجد الإجابة داخل عقولنا.

- وهل لعقولنا صلةٌ بالعلاقة المتداخلة بين المعرفة والعلم السايوي؟

- إنَّ العقل هو نقطة الوصل بين العوالم والأجساد، وما العلوم السايوية  
سوى إشراقة للعقل لتهديب النفوس، وجميعها تحكم من داخل الجسد بنظام  
بُني نظام الكون الذي نعيش فيه. وبنظام الأرض «كاي» كما يسميها، والتي  
نشكلت أجادنا من عناصرها.

- هل تعتقد أنني سأبقى حية هذا الزمان؟

- هناك رسامٌ وعالمٌ وفيلسوفٌ اسمه «دافيني» كان يحاول أن يبي  
آلة للزمن، بعدة حاولٍ أينشتين أن يربط بين الزمان والمكان. والآن تسيرو  
الرحلات الفضائية خارج نطاق المجرة، ومن يدري يا عزيزي، فربَّما ستكونين  
أنتِ بحالتك هذه ملهمة لأحد العلماء، ليبحث عن إمكانية السفر عبر الزمن  
من جديد. عندها ستتمكنين من الانتقال إلى حيث تشائين. لكن حتى لو  
تمكنوا من هذا، فلن أسمح لك بالعودة، سأعطل تلك الآلة كي تبقى هنا معي.  
ضحكا...

- ومن يدري؟ رُبَّما سأعطلها بنفسي.

- ستكون نهاية جيدة لبداية جديدة.

- شكرا لك يا عذتي.

- انظري إلى الكاميرا، أريد أن أتأكد أنك مخلوق أرضي، فأنت متقدمة الفكر  
ورائعة الجمال، وإني أخاف أن أدور في فلكك كنجم صغير.

- أنت نجمٌ صغير، عازف بيانو وجراح، باحث، عالمٌ وإنسان راقٍ..نجمٌ

صغيراً فماذا أكون أنا؟ دعنا نذهب إلى النوم يا صديقي، فلا يفصلنا عن ابتلاج  
الفجر سوى بضع دقائق.  
- تُصبحين على خير أيتها الأميرة.

في دارِ الأوبرا، وقفَ إدي على المَسْرَحِ، وخلفَهُ الأوركسترا السمفونية..  
عشراتُ العازفين، كلُّ على آليته مُنتظِرًا إشارة البدء. جالت عيناهُ تبحثنانِ عنها،  
كرسام، شاعر، موسيقي يفتش بينَ الوجوه عن وجهٍ ملهمته. وكانت هناكُ  
تُرقيهُ.

أخذتُ تتَمَلَّعُ في مكانيها كي تُلْفِتَ انتباههُ، وأخيرًا عثَرَ عليها، تجلسُ  
بقربِ إيفا وكونراد بكاملِ أناقيتها. رَسَمَ حضورها ابتسامةً رضا على وجهه  
المهادئ. القاعة ممتلئة، عدا ذلك الحضور الذي شغل الممرات وأصرَ على متابعة  
الحفلِ رُغمَ عَدَمِ توفُّرِ المقاعد. بكلِّ بساطة وتواضعٍ رحبَ بالجميع، بعدها  
استدار ليعطى يَتَلِّكَ العصي الصغيرة التي كان يحملها إشارة البدء. تهاذت  
الموسيقى بين يديه كشلالٍ من الأنغام يساقط من السماء، ثُمَّ عَلَّتْ كموج  
المحيط، ثُمَّ تهاذت كمروسٍ تجري بين حقول القمح. كانت تَسْمَعُهُ بقلبيها  
الذي يُجِبُّه، لكنَّها كانت تمنى أن يكون عُدِّي مَعَهَا، فهو يعشق هذا النوع من  
الموسيقى.

انتهى الحفلُ كحلْمٍ جميل، وعلا التصفيقُ لدقائقٍ طويلة من الجمهور الذي  
وقفَ احتِرامًا له وانحنى هو احتِرامًا لحُضورِهِم واستياعِهِم. خَرَجَ الجميع من

القاعة، بينما انتظرته هي عند باب غرفة الموسيقين، فلقد دعاها إلى العشاء الذي يُقام بعد كل حفل. أنهى كلامه مع الصحافيين، ثم تَأَبَّطَ ذراعها أمام الجميع وذهب. كَأَن فخورًا بِصُحَّتَيْهَا، كسعادَتِهَا بوجودها معه.

- أخبريني.. هل أعجبك الحفل؟

- رائع رائع، لقد أدهشتني حقًا بهدوئك وأثرانك.

- إنه جزءٌ من قُدراتنا البشرية، التي إذا ما عَمِلْنَا على تسميتها تَمَكَّنَّا من تحقيق المعجزات.

كانت الأجواء جِدَّ رائعة، كَنِجْمَةٍ لَامِعَةٍ وصديقةٍ لِأَسَاتِذِهِمْ، تَنَقَّلَتْ هي بين الحضورِ وسط ترحيبٍ من جميع مَنْ تَعَرَّفَ عليها. بعدها أوصَلَهَا إلى البيت.

قبل أن تغادر أكمل حديثه معها:

- لم أَقُلْ لِكَ بعد أنكِ تبدين رائعة. لقد حَدَّثَنِي الجميع عليك. أما سعادتي بحضورك فلم تكن لتوصف. صديقتي، أريدُ أن أعتذر منك بسبب سلوكي الفظ الذي جرح مشاعرك. محبتي لِكَ، لن تسمح لأحد بأن يؤذيك.. حتى أنا. - لا عليك.. لقد خرجتُ كلياً من تلك المرحلة، وتعلَّمتُ منك الكثير. أرجو أن تُسامحني أنت أيضاً على تصرُّفي الطفولي، لكنَّكَ تعرف ظروفي وما دعاني إلى التعلُّق بكِ إلى هذا الحدِّ.

- أريدُكَ أن تكوني قوية. الهروب لا يحل المشاكل ولا يُلغِيها. كان صعباً عليَّ أن أترككِ ترحلين. لكن كان عليك أن تتعلَّمي حق الدفاع عن نفسك، مشاعرك، حبِّكِ، كل ما تملكين ويكُل الظروف. كان عليك أن تدخلِ مكنتي، تصفِّعيني، تُصدري أوامرِك، تُفرضي عليَّ أن أوصلك وأن أعتذر منك. ضعفتُ وجبتُك أمامي واحترامك لي، صمتك ورحيلك حطَّمني أكثر مما تظنن.. لكنَّكَ حطَّمتكِ أنتِ أيضاً والمك كما ألتني.



لرأفصء أن أعابئك؁ لكنني جرحئ بعُمق؁ ولم أكن قادرة على المواجهة .  
- أربئك قوئة رُغم ضَعفك وضَعوبَةُ الحَياة .. محاربة رغم فِقدانك لأي سلاح؁ ولكي أرضيك وأرضي المرأة التي في داخلك؁ أقولها أمامك؁ إنني أحبك وسأبقى؁ لكن روحك الملائكية تجعلني أفكر ملياً قبل أن أقدم على أي معطوة . إن أي علاقة تتخطى حدود الروح سوف تدخلنا أنا وأنث في دوامة الحباة ومشاكلها . أنت بحاجة لك الرعاية والحُب والحنان؁ وأنا بظروفي هذه لن أستطيع أن أعطيك ما تحتاجين .

- أفهمك إدي .. ولتقل إنني فهمتك وتفهمت وجهة نظرك؁ ها أنا الآن أربك على دخول قصة حب جديدة . رُبما هذا سيرُبحك؁ ويُسغني عن شاعري تجاهك .

أبعء نظره كي لا تلاحظ انفعالاته .. بعد أن ابتلع حسرتة وتدارك الأمر؁ قال بهدوء :

- هل تحينه؟

- لا أسميه الآن حباً؁ لكنني أستمع بالحديث إليه؁ ونمضي ساعات نتناقش وتكلم دون أن نشعر بمرور الوقت؁ يُشاركني الميول وشخصياتنا متقاربة .  
- هل أعرفه؟

- لا؁ إنه مُقيم في بليد آخر .

- لا تقولي بأنك تتواصلين معه عبر الأثير؟ أرجوك كوني حذرة من هذه العلاقات؁ إنها وهمية وواهية؁ فالإنسان لا يستطيع أن يبني أي تواصل متين دون تكامل كل العناصر .. دون لقاء الأجساد وتفاعلها سوياً .

- رُبما أنت مُحق؁ لكنني لا أبحث عن جسد؁ وهو أيضاً .

- إنه رجل؁ لن يستطيع أن يهب نفسه لك عن بُعد . لن يستطيع أن يُحبك بإخلاص .

- لا أعرف، لكن حتى الآن الأمور تسيرُ بشكلٍ جيدٍ، ورتبنا نلتقي قريباً  
- حاذري يا صديقتي، فالأوراق التي بحوزتكِ لا تُحيزُ لكِ السفرَ خارجَ  
البلد.

- رتبنا يأتي هو إلى هنا.

- هذا أفضل.. أتمنى لكِ التوفيق من كلِّ قلبي. أنتِ بحاجة إلى خصوص  
التجارب.. الفاشلة ستُؤيِّدكِ والناجحة سوف تبنيكِ، لكن كما قلتُ، كونكِ  
حذيرةً، وسأكونُ دائماً بقربكِ.

- لا تخفِ عليّ، حتى لو جُرحت. آه.. نيتُ أن أخبركِ بأنني سأبدأ قريباً في  
دراسةِ إدارة الأعمال، بعد عدّة اختبارات قرّرتُ المساعدة الاجتماعية أن تُدرج  
اسمي في المعهد العالي المتخصّص في هذا المجال.

- هذا خبرٌ رائع.

- هكذا سأدرس اللغة، وأتعلّم مهنةً تدخلني إلى سوقِ العملِ من أوسع  
أبوابه. عندها أستطيع أن أسافر حيثُ ومتى أشاء.

ابتسم بفخرٍ وقال:

- أنا أثق بقدراتك، ستمكّنين من هذا قريباً. لكن حاذري على قلبك.

مدّ يده في جيبه وأخرج صدقةً بحرية رائعة الجمال.

- إنها لكِ، لقد ذهبت إلى الشاطئ فوجدتها هناك وحيدة على الرمال.  
حملتها لكِ لأنها تشبهكِ.

تفحصتها وهي تبسم بسرور.. قبّلتها، وقبضت عليها بقوة:

- سأحفظها إلى أن أموت.

طبع قبلة ناعمة على يدها. ودّعته عائدةً إلى غرفتها.



سألها بهدوء محاولاً إخفاء غبْرَتِه:

- اهلاً أميرتي، كيف كان الحفل؟

- رائعاً، تناولتُ بعدها العشاء مع إدي ثم أوصلني وذهبتُ. لقد تَمَّتِ من

أهل قلبي أن تكون معي.

- وكيف كان لإفاؤك به؟

- لقاءً راقٍ كالعادة، وكانَ شيئاً لم يكن. تكلمنا وشرح لي وجهة نظره.

أخبرته عنك. إنه إنسان راقٍ، أتمنى أن تسمَحَ الظروف وتلتقي به يوماً؛ لِكِنَّه

حلّمني من العلاقات الأثيرية، قال لي «لا يُمكن لاثنين أن يُحافظا على اهتمامهما

بعض وعلى مستوى تصاعدي دون لقاء».

- أنا أستطيع، هل تستطيعين أنتِ؟

- سأنتظر قليلاً قبل أن أجيب.

- جيد... فإنا أحبّ الأجوبة المدروسة والواضحة. هل تعرفين؟ لقد شعرتُ

بالغيرة.

- دعنا نترَوِى ونتنظّر قليلاً، سيأتي كل شيء بالوقت المناسب.

- أتعرفين.. إنني أُحبُّك جداً. تخيلي أنني أفتحُ جهازِي أثناء استراحتي

خلال الجراحة، كي أراكِ وأكلمكِ ولو لدقائق. لم أفعل هذا قط في حياتي، كأي

أعرفكِ منذُ أجيال، رُبما كنتُ حبيبتكِ في عصرٍ وُعدتُ الآن لنكحل ما بداناه.

مرّت دقائق وهما صامتان، وكانَ أنفاس الحُب قد كسرت كل الحواجز أمام

أعينهما الجانعة إلى روجه.

- أُحبُّكِ أوروبياً.. لو أنكِ قُربِي، لغفوتُ على صدرك، لتلحفتُ شعركِ

وتنفسْتُ أنفاسكِ. قولي إنكِ تُحِبِّينني، كي أذهب مع صوتكِ وصورتكِ إلى

سريري وأضطجع معها. مُدّي يدكِ كي أشعرُ بدفئها.. أرجوكِ..

تلك المواد العلمية في المعهد التعليمي العالي.. نظريات تجارية واقتصادية، أساليب تسويق وحسابات.. بينها وبين أقل المشاركين شهادات وخبرة وتمكُّنٌ لغوي، لكن إصرارها ومشاركتها الدائمة وأفكارها التي كانت تطرحها وخاصةً في مجال التسويق، جعلتهم يتابعون لمساعدتها وتشجيعها. حُب إيفا ومتابعة كونراد ورعاية إدي، وحُضُن عُدَي، ذلك الرفيق الرفيق الحنون، الذي كان يُساعدنا ويُخفف عنها.. يسمعها، يُناقشها ويُثقفها، كانوا العواصم الأهم لإطلاق إبداعها، رُغم أن مزاج صديقها الجديد المتقلب كان يُشعرها بالقلق..

- ما بك؟ تبدو حزيناً؟

- هناك مريضٌ مصابٌ بالسرطان وكان عليّ أن أخبره بأن حياته ستتهيء بعد أيام، فالمرض قد فتك بخلاياه حتى النهاية.

أيها الإله، وكيف تقبل الموضوع؟

- فقط.. ابتسم قائلاً: هذا يعني أنني لن أعود موجوداً؟ كل عملي وكفاحي، نُقودي وممتلكاتي، سيارتي وهاتفني، ملابسني وأوراقني، تلك المعارك التي خضتها كي أحصل عليهم ذهبتُ سُدَي؟ سأترك كل هذا خلفي وأرحل هكذا بكل بسطة؟

كأدت أن تبكي من شدة تأثرها..

- مكين أنت يا عدي، محاور الأموات قبل أن يموتوا، وتواجه خوفهم  
• دا بصدرك المفتوح.

- هذه هي الحقيقة.. إنني أعاني من هذا الوضع، لم أستطع حتى الآن أن  
أصل بين عملي وإنساني. لقد ناز بعد عدة دقائق من الصمت، فلعن الله  
وملائكته، ظننا أنه أنهم قد تخلوا عنه، ثم بكى بالمر. أكمل بحزن:

- آه.. أشعر بنفسي كطائر الشوم. كم أنا حزين ومحبط، فمهما كبرنا نبقي  
صغارا أمام ذلك الطيف الشفاف الخائق الذي يراقبنا في كل خطواتنا، مبهما  
ساخرا من جهدنا وكفاحنا، جفدنا وحبنا، ومن تعلقنا بها حولنا من أشخاص  
وأشياء. عندما يقرر التدخل، لا تصدأ أبواب أو تضلل مغايبي، أحيانا أشعر أنني  
اليس ثوبه، لكنه أفضل مني، فهو يقرب بصمت ينفذ عمله ويرحل، أما أنا  
فأمشي أمامهم ببطء.. بوقع أقدامي أيقف قريهم وأخبرهم بكل برود بقدرهم  
الذي لا مفر منه.

- إنها سنة الحياة، لا تنس أ.....

قاطعها:

- اعتذر حبيتي.. يجب أن أخلد لك النوم.

بعد المسافة كاذ يقتلها.. خلف ذلك الحاجز، لن تستطيع أن تبلور مشاعرها  
تجاهه. إنه يعاني، وهي تقف عاجزة..

\* \* \*

قالت لها المساعدة الاجتماعية:

- آسفة، بأوراقك الحالية لن يكون هذا ممكناً، إلا إذا وجدتِ عملاً ما،  
يُمكنك حينها التحرك بحرية.

- أرجوك، هل بإمكانك مساعدتي في البحث عن عمل إلى جانب دراستي؟

- حنًا سأحاول، لكن رُبما سيَتطلب هذا بعض الوقت. وبالنسبة لنوع  
العمل؟

- لا يهم، ما يعني فقط هو أن أجد تلك الفرصة. هذا سِاعدني على  
إتقان اللغة، وزيادة مدخولي واعتمادي على نفسي.

- كم تبقى لك من الوقت في دراستك؟

- ما يُقارب الشهر، بعدها هناك أجازة، وبعدَ الأجازة نُجري الامتحان  
النهائي.

- حسنًا، سأبحثُ لك عن عمل بدوام جزئي، لكن لن يكونَ هذا سهلاً  
عليك، تذكّري أن دراستك هي الأهم.

- أشكركِ سِدي، أرجو أن تَطمَئني، فسوفَ لن أخذلك.

- مرّت أيام وأيام، وعُدّي غائب.. يردُّ باختصار على رسائلها.

- ما بكِ عُدّي، هل أنت بخير؟ لقد أقلقنتي عليك.

- أنا بخير، لكنني مشغول ببحثٍ جديدٍ لمصلي جديد.

- هل تستطيع المجيء؟

- لا، هذا صعبٌ جدًّا، بسبب عملي ليس إلا. أتمنّى لو تمكنتِ أنتِ من هذا،  
فأنا بحاجة إليك حقًا.

- سأفعل المستحيل لأتخطى هذه العقبة.

- كيفَ تسيرُ دراستك؟

- جيّدة بعد الكثير من المعاناة، أشعرُ أحيانًا وكأنني حشرة هزيلة تحت كَومٍ

.. القش، رُغمَ هشاشتهُ لَكِنَّهُ يُجِئِلُ جِدهَا الصَّغِيرَ.

- فراشة جميلةٌ وساجرة. أَحْبَبْتُ جَدًّا، أَحْسَبُ نَفْهَمَكَ لظروفي، أرجوكِ  
امنّي أَنْتِ أَيْضًا بِنَفْسِكَ. لا تتراجعي ولا تنهزمي أمام مشاكلِك، سيأتي يومٌ  
سَلْقِينِ بهِ هذه الأكوام، وتُشاهدِينِ العالَمَ من أعلى.

- انا أَحْبَبْتُ أَيْضًا.. أرجوكِ اخرجِ من عَزْلَتِكَ وأبحاثِكَ قليلًا، اخرجِ مع  
اصدقائك، حاولِ أن تكسرِ روتينِ أيامِك.

- سأحاولِ، فعلاً أنا بحاجةٌ إلى بعضِ التغيير. لقد دعاني بعضُ الأصدقاء  
إلى الملاهي الليليةِ ورَبَّها أرافقهم.

- رَبَّها؟ طبعًا سترافقهم وتستمعِ أَيْضًا. اذْهَبِ إلى السوقِ واشتريِ ملابسٍ  
حديثة. أُرْسِلِ لي الصُّورَ وسأختارُ لكِ ما يعجبني. أريدُ أن أراكِ بكاملِ  
انافتك، هذا سَيُدْخِلُ السرورَ إلى قلبي. هيا اعطني وعدًا.

- حنًا أعيدُكَ، لكن سيكونُ هناكُ العديدُ من الفتيات. أرجو أن لا  
تزعجِكِ الموضوع.

- هذا يعودُ لعلاقتكِ بهنَّ، فإن كُنَّ مجردَ صديقاتٍ، فهذا أمرٌ عادي. لا تنسِ  
أن تُرْسِلِ لي الصُّورَ.

«ماذا فعلتِ؟ سأحترقُ الآنَ من حسرتي حتى يعودَ من هناك.»



أفرحها جدًّا اتصالُ السيِّدةِ برجيتا، وهي تُخبرُها بأنَّها قد وَجَدَتْ لها عملاً.  
حدَّدَتْ لها موعدًا معِ المسئولةِ، زودتها بالعنوانِ، وتمت لها التوفيقُ.

«أعتقدُ أني قد وصلتِ، قالت لي إن مكتبَ الشركةِ يقعُ في مبنى رُجاجتي

ضحك. صحيح أنها شركة نظافة، لكن ما المشكلة، فما أسمى إليه يستحق العناء والتعب».

دَخَلت إلى هُنَاكَ، كانت السَيِّدة المَسْرُولة صَلْبَةً جَدًّا. قالت أوروبا وهي تبسم:

- سَيِّدَتِي، أرسَلتني إليك السيِّدة بَرَجِيَت.

رَمَقْتها بنظرة غَرِيبة، فيها الكثير من التَسَاؤلات..

- في الواقع، نحنُ لا نُوظَّف أحَدًا دون شهادة أو قليل خبرة، لكن من أجل السيِّدة بَرَجِيَتنا سأعطيك فرصة أَرَقِب عملك خلالها، وسوف نرى. هناك امتحان صغير يجب أن نجريه، وأشرح لك بعده ماهية عملك.

وَصَعَت أمامها العديد من الأوراق، التي تتضمن الكثير من الأسئلة. لقد أربكها هذا، فمعلوماتها شبة معدومة. ماذا يُستعمل في تنظيف الخشب أو الزجاج؟ أي مواد تُستعمل في التعقيم وتنظيف المراحيض؟ كَبِّت ما استطاعت، ثم أخذت السيِّدة الأوراق ودققت بها بازدياد.

- آه، هذا سيء، لكن سأمنحك فرصة، وحاولي أن تفهمي شرحي بسرعة. ذهبت إلى الغرفة الجانبية، ثم عادت تجرُّ أمامها عربة عليها دلوين وعدة مماسيح ومكانيس، أدوات تنظيف وأكياس نفايات، قوطة قماشية وقفازات ملوثة.

قالت لها بصوت القائد المُتَصِر:

- سيِّدة أوروبا، هذه هي معدات عملك الجديد. في هذا المجال لا تحتاج النساء إلى جمالين، بل إلى قوَّتين وخبرتين وذكاينهن. لا تنسي.. يجب أن تنجزِي عملك بسرعة، كي تُتقني مهتك الجديدة هذه.

نظرت إلى الأشياء التي أمانتها وقلبها يُعتَصِر المأمن وضعها المزري، فهي أميرة.. كيف لهذه السيِّدة أن تُعاملها هكذا؟



كيف للظروف أن تقذف بها على هذا الشاطئ المزلق؟ لقد جرحها أسلوبها  
اعط أكثر من طبيعة العمل. وببرة تكرر ما قسوة الحياة، قالت:  
- حاضر سيدي، سأحاول.

بعد أن أنتهت من ذلك الشرح المطول حول كل ما تحتويه تلك العربة  
قالت:

- سوف تعملين في تنظيف مكاتب إحدى الشركات الموجودة في هذا المبنى.  
في القسم الخاص بك، هناك ما يقارب العشرين مكتباً؛ المطبخ، الحمامات،  
المراتب والأدراج، كل هذا يجب أن ينتهي بأربع ساعات، وبشكل مُتَقَن.  
سبّسم دوائك كالآتي: ثلاثة أيام في هذا القسم، ويوم في مركز الشركة العام  
حيث يستقبلون العملاء، عليك أيضاً تنظيف الزجاج الخارجي والداخلي،  
اليوم الخامس في المتدوع.

صعقها ما سمعت، فقالت مُستغربة:

- كل هذا يجب أن يُنجز بإتقان وأربع ساعات؟

- أجل، هناك بعض العائلات ينهونه بأقل من هذا.

شعرت بالعبودية والظلم، لكنّها لم تعترض، فهي هنا من أجل العمل لا  
من أجل حقوق الإنسان.

- أمّا بالنسبة للراتب فسوف تتقاضين الحد الأدنى للاجور، بعد أن نقتطع  
جزءاً منه للتأمين الصحي.

- لكن هذا قليل جداً.

- هناك آلاف النساء القادمات من دول الفقر والجوع، يتعلمن بأن يحصلوا  
على هذه الفرصة.

أحنت رأسها كي تخفي دموعها التي تشكلت في عينيها. ليس هناك مجال  
للاعتراض، فالكون مليء بالمشاكل التي تفوق مشاكلها وحاجتها للعمل. هذا

العالم الحديث لازال يُمارس نظام العبودية، لكن بشكل أنيق ومُبطن، لولا ١٨١  
لما أُجبرت آلاف النساء على بيع أجادهن سراً، وبعض منهن علناً، ناشراً.  
صُوهرن في الجرائد، أو عارضات أنفسهن في واجهات حانات الدعاء.  
كالدُمى، مُرغبات راضيات بعقيد الصفقات. ما أرحم مُجتمع الآلهة، وما أظام  
شعوبك يا الله، فبرغم ما أرسلت من رُسل، لم يستطع أحد منهم أن يصلح ذاك  
العيب الذي أنشأته في خلقك.

قالت وهي تخفي حسرتها:

- متى استطعُ البيده؟

- غداً بعد الظهر، سيكون معك سيده أخرى تعمل في القسم المقابل، إذا  
احتجت للمساعدة بإمكانك أن تسألها.

عادت إلى عُرفتها مهزومة مكسورة الروح، ليس فقط أسفاً على حالها، بل  
على حال آلاف النساء والأطفال والفقراء، الذين يموتون دون حقوق، فقط  
كي يحصلوا على خبزهم اليومي.

اعتراها قلقٌ غريب.. هل هي بحاجة فعلاً إلى تقديم كل هذه التنازلات؟  
رغم كل ما تفعله من أجله، فهي ليست مُتأكدة.. رُبما ستضيقُ عاؤلاتها  
للوصول إليه سُدى. اليوم سيذهب مع أصدقائه، وها هو لم يُكلف نفسه عناء  
الرد على رسائلها.

«مرحباً عُدتي، أنا قلقة عليك، هل أنت بخير؟ سأكون بِقربك قريباً، أزيل  
همومك وأنسبك وحدثك، أرجوك اعني بنفسك لي أن يتحقق حلمنا باللقاء».  
اطفأت الجهاز، حاولت أن تُغلق نوافذ قلقها، فتحت كُتُبها وبدأت  
بالدرس. هذه الكُتُب هي أسلها الوحيد بصنع مستقبلٍ واعِد كما تمنأه...

دَخَلَ عُدَيَّ لِنِ الْمُهَيَّنِّ اللَّيْلِ، حَيْثُ كَانَ بَانْتِظَارِهِ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ. عَلَنَ صَوْتِ الْمَوْسِيقِيِّ، تَحَلَّقَتْ حَوْلَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْحَسَاوَاتِ.. عَلَنَ إِحْدَى طَاوَلَاتِ الْمَقْهَى، كَانَتْ تَجُلْسُ «سَمُونَ» وَصَدِيقَتُهَا «مَارِينَا» تَحْدِثَانِ..

- سَمُونَ، لِمَاذَا لَمْ تُحَاوِلِ التَّقَرُّبَ مِنْ عُدَيَّ؟ إِنَّهُ شَابٌّ رَائِعٌ، وَسِيمٌ وَثَرِيٌّ.

- إِنَّكَ تَمَزَّحِينَ مَارِينَا. إِنَّهُ لَا يَلَاحِظُ وَجُودِي، رَغَمَ لِقَاءِ تَنَا الْمُتَكَرِّرَةِ.

- إِنَّمَا مُشْكِلَتُكَ، لِأَزَلَّتِ تَسِيرِينَ خَلْفَ سَرَابِ ذَلِكَ الرَّجُلِ. عِنْدَمَا تَتَخَلَّصِينَ مِنْهُ نِهَائِيًّا، سَتَجِدِي نَفْسِكَ أَمَامَ وَاقِعٍ جَدِيدٍ، تَحْكَمِينَ أَنْتِ بِصِنَاعَتِهِ، وَأَهْدَافَ جَدِيدَةٍ تَجِدِينَ بِالسَّعْيِ لِتَحْقِيقِهَا.

تَأَمَّلْتِ سَمُونَ وَسَامَتَهُ قَلِيلًا..

- رُبَّمَا أَنْتِ مُحِقَّةٌ، لَيْسَ لَدَيْهِ صَدِيقَةٌ، يَمْضِي مَعْظَمَ أَوْقَاتِهِ فِي الْعَمَلِ بَيْنَ أَوْرَاقِهِ وَأَبْحَاثِهِ، سَأَحَاوِلُ اسْتِدْرَاجَهُ.

عاد متاخرا... سَكَبَ كَأَسَا آخِر، وَجَلَسَ يَسْتَعِيدُ هَدْوَهُ بَعْدَ ذَلِكَ  
الإعصار.. فَتَحَ جِهَارَهُ، فَوَجَدَ رَسَائِلَهَا هُنَاكَ. لَرِيرَغَبٍ فِي قِرَاءَتِهَا..

«مَا بَلَكَ يَا عُدِّي، إِنَّمَا أُرُوبَا!»..

تأمل الشاشة مترددا..

«رُغِمَ أَنِي قَدْ اعْتَدْتُ وَجُودَهَا، فَتَعَلَّقْتُهَا بِمُحْمَلْتِي مَسْئُولِيَّةٍ كَبِيرَةٍ نِجَاهَهَا،  
وَيَجْعَلْتِي أَقْفَ أَمَامَ نَفْسِي عَاجِزًا عَنِ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ. يَجِبُ أَنْ أُنْهِيَ الْأَمْرَ، فَهِيَ  
بَعِيدَةٌ وَعِلَاقَتُنَا هَذِهِ سَتَنْهِي عَاجِلًا أَمْ آجِلًا.. وَالْوَقْتُ كَفِيلٌ بِحَلِّ كُلِّ تِلْكَ  
الْأَزْمَاتِ.»

أَخَذَ جِهَارَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَرَاحَ يَقْرَأُ رَسَائِلَهَا.. يَتَأَمَّلُ صُورَهَا. لَقَدْ غَرِقَ فِعْلًا  
فِي حُبِّهَا دُونَ أَنْ يَرَاهَا، فَمَاذَا سَيَجِلُّ بِهِ أَنْ لَمَسَ شَعْرَهَا، نَظَرَ إِلَى عَيْنَيْهَا، أَوْ شَمَّ  
عَطْرَهَا دُونَ حَوَاجِزٍ.. لَكِنَّهُ لَنْ يَبْقَى حَيًّا دَاخِلَ جِهَارِهَا، وَخَلْفَ شَاشَةٍ بَارِدَةٍ.  
«لَكِنْ لَنْ مَتَى؟ سَتَبْقَى هِيَ هُنَاكَ، وَأَنَا هُنَا.. يَجِبُ أَنْ اتَّخِذَ قَرَارًا نَهَائِيًا.»



فِي مَكَانٍ آخَرَ عَلَى الْأَرْضِ، مَرَّ نَهَارُ أُرُوبَا الْأَوَّلَ بَيْنَ الْعَمَلِ وَالدراسةِ  
قَاتِلًا، مُضْنِيًا، فِي تِلْكَ الْوِظِيفَةِ الَّتِي تَشْبهُ عَمَلَ الرَّقِيقِ.. أَنْتِ مَحْنَجُجٌ، أَنَا أَسْتَفِيلُ  
حَاجَتِكَ، طَالَمَا أَنْكَ غَيْرَ مَوْهَلٍ لِعَمَلٍ آخَرَ. هَلْ سَتَعْتَادُ كَمَا قَالَتْ لَهَا «سَنَا»،  
زَمِيلَتِهَا الَّتِي تَسَاعِدْتَهَا فِي إِنْهَاءِ عَمَلِهَا؟

- أُرُوبَا يَجِبُ أَنْ تَكُونِي سَرِيعَةً، وَإِلَّا فَسَتَغْضَبُ الْمَسْئُولَةَ وَرُبَّمَا طَرَدْتِكِ.

- هَذِهِ أَقْصَى طَاقَتِي يَا سَنَا.

- غَدًا سَتَعْتَادِينَ، عِنْدَمَا تُصْبِحِينَ أَنْتِ وَالتعبُ أَصْدِقَاءَ، فَيَمْتَرِجُ بِدُمَائِكَ  
وَيَسِيرُ بِعُرُوقِكَ، لِي أَنْ تَتَكَلَّفَا مَعًا.

أخَذت حَمَامًا سَاحِتًا، وَبَدَلت مَلايِهَا، ثُمَّ جَلَسَت فِي سَرِيرِهَا.. كَم  
مِ طَيِّبَةٍ سَنَا هَذِهِ، إِتَمًا مِنْ أَحْفَادِ الْفِرَاعَةِ، اسْتَدَّت قُوَّتَهَا وَشَمُوخِهَا عَلَى  
مَصَائِبِ الْحَيَاةِ مِنْهُمْ، وَرُبَّمَا هِيَ مُحِقَّةٌ، فَغَدًا أَعْتَادَ عَلَى التَّعَبِ.  
فَتَحَّت الْجِهَازَ وَابْتَسَمَتْ، فَقَد تَرَكَ لَهَا رِسَالَةٌ.. قَرَأَتْ:

«أوروپا سامعيني، كم أشعر بالذنب ولا أعرف كيف أبدأ، لكن ما أعرفه  
أن أجبك كثيرًا، وهذا يُقَلِّبني، ولا أعرف إذا ما كنتُ أظلمُ نفسي وأظلمك  
معِي بهذه العلاقة. أنا أعاني من حيرة لا أستطيع معها أن أتخذ قرارًا واحزم  
أمرًا.»

شعرت بخوف تعرفه من قبل يغزو صدرها، قاومتها، وردت عليه:  
«لا تقلق أرجوك، إنني أحاول أن أفعل المستحيل. قليل من الصبر وسأصل  
إليك، ستجدني بين ذراعيك دون أجهزة ولا أسلاك، أجبك كثيرًا.»  
شعورها بالرضا عما تفعل، هدفتها وحبها له، قويا عزيمتها وأنهاها تعبها.  
إلى كتبها ودراستها بحماس وسعادة.

\* \* \*

حَمَلت أوراقيها، تَمَتَّت لِلجَمِيعِ نَهَارًا سَعِيدًا وَانطَلَقَتْ مُسْرِعَةً إِلَى الْعَمَلِ،  
بَعْدَ أَنْ سَجَلَتْ الْمُحَاضِرَاتِ عَلَى جِهَازٍ صَغِيرٍ، وَأَخَذَتْ تَسْمِعُ إِلَيْهَا طَوَالَ  
الْوَقْتِ.

- جَيِّدٌ، لَقَدْ أَنْهَيْتِ الْيَوْمَ بِالْوَقْتِ الْمَحْدَدِ، الرَّأْيُ لَكَ؟ أَنْعَرَفِينَ، مِنْذُ الْأَمْسِ  
وَإِنَّا أَنْسَأَلُ فِي سِرِّي مَاذَا تَفْعَلُ فَنَاءَ مِثْلِكَ هُنَا؟ أَنْتِ رَائِعَةٌ الْجَمَالِ، ذَكِيَّةٌ،  
نُكْمِلِينَ دَرَامَتِكَ، فَلِمَذَا لَا تَسْتَفِيدِينَ مِنْ مُؤَهَّلَاتِكَ هَذِهِ؟ لِمَذَا لَا تَتَزَوَّجِينَ  
وَتَسْتَفْرِينَ.. هُنَاكَ الْأَلْفُ مَنْ يَتَمَنُّونَ فُرْصَةَ الْعُثُورِ عَلَى امْرَأَةٍ مِثْلِكَ.

- أعرِف يا سَناء، فانا اجتازُهم كَمَن يسير بين الأشواك في كلِّ مكانٍ، وأكثرَ  
بِمَا تتصوِّرين، لكن انجرائي في هذه المغامرات سوفَ يَقْضِي على نفسي، ولربِّ  
أكون أنا. فانا أُحِبُّ جَسدي وأحترِمُهُ، إنَّهُ معبدٌ روحي ولا أُحِبُّ أن يدخُلَهُ  
المتطفلين العابثين، عابري السبيل. من يدخُل إلى أجسادنا سيأخذُ مِنها ومن  
نفوسنا أشياء، وسيُضيف إليها أيضًا أشياء. علينا أن نتأكد أن تلكَ الطائفة  
سوفَ توضع في أرواح طيِّبة تَسْتَحَقُّها، وآلا فتعود علينا بالأحزان والمشاعر  
السلبية التي رُبَّما لن نفوقَها على تحمُّلها. أريد حياًّا يُكْمِلُ شخصي وروحي،  
أهبةً نفسي قبلَ جَسدي، رُبَّما سابقني وحيدة، رُبَّما سأخطئ الاختيار ورُبَّما  
سأتعرَّض للخداع، لكن أنا ساكون أنا برغم كلِّ الظروف.

- أوفقك الرأي يا أوروبا.. أنا أحسبك لأنك هكذا، وأتمنى أن لا تضعفك  
ضغوط الحياة. كلُّ مرَّة أخرجُ فيها من علاقةٍ ما، أشعرُ بالإعياء والقرف من  
نفسي وذاتي، فما تربَّيتُ عليه من قيم ومبادئ، مُجَبَّرَةٌ على تجاهُّلي، والسَّير في هذه  
الحياة التي لا تُشبهني، وأحاولُ أنا أن أشبهها، هذا يؤلِّني جدًّا.

- يبدو أن الحياة قد قَتَّت عليك كثيرًا يا سَناء.

- أكثرَ بِمَا تتصوِّرين، لقد باعني أهلي وأنا في السابعة عشر لمغربي يكبرني  
بأربعين سنة، بعد أن أعمى أعينهم بالنقود.

حَمَلَنِي إلى هنا، وعندما مَلَّ مِنِّي أرسلَنِي للعمل في منازل أصدقائي، طبَّخُ  
وتنظيفٌ ومُعايشة. لاحقًا اكتشف أنني حامل، وكيف له أن يعمل موليتنا،  
تنصل من الأمر وريانا في الشارع، استدرجني إلى المحاكم، وبسبب جهلي  
بالقانون جرَّدني محامي من كلِّ حقوقي، وتخلت الدولة عني وساندهت، فهو  
ابن البلد وأنا غريبة، لا أملك أوراقًا ولا لغة... بعدها مات الجنين لابقى أنا  
وحيدة ربا راحه الله من ذلك العذاب الذي يتظره

حَضَّتْهَا بحنانٍ ومَسَحَتْ دموعها.

- لا عليك، فإننا بشرٌ والإلهُ يعلمُ هذا. ليس هناك خطيئةٌ سوى تلك  
الخطايا التي تُؤذي الآخرين، أما علاقتنا بأنفسنا فإتِّها شيءٌ سرِّي مُقدَّسٌ بيننا  
وبين أنفسنا وبينَ الإله.

ابتسمت، وأشارت بيدها أن قد تذكرت..

- لقد أخبرتُ أحد معارفي عنك، اهتم بالأمر ويريدُ التعرفُ عليك كي  
بُساعدك. علاقاته العامة مع سياسيي المدينة جيِّدة جدًّا، ورُبِّها استطاع أن يجِد  
لك عملاً أفضل، فهذا المكان لا يُناسبُك أبداً.

- ليس لدي مانع، لكن سنلتقي به سويًا إذا أمكن.

- بالتأكيد يا صديقتي سأكونُ معك فلا تخافي.

اسرعت سيمون الحظن، وهي تعبّر الممرّ محاولةً اللحاق به دون أن يلاحظ.  
بعد أن أصبحت خلفه مباشرة..

- مرحباً دكتور كيف حالك، صدفةً جميلة.

- أهلاً سيمون، كيف حالك؟

قالت بنبرة حزينة:

- بخير، ها أنا أحاول بعد وفاة والدي أن أوقف على قدمي من جديد.

نظرت إليها بعطف وقال:

- للأسف، هذه الدنيا مليئة بالمفاجآت السعيدة والحزينة. يجب أن نستعد

دائماً لتقبل الحالتين بطيب خاطر. رغم أن تجربتك تلك لم تكن سهلة، لكن ماذا

نفعل؟ علينا أن نمضي دائماً للامام.

- أنت محق، هذا ما أحاول أن أفعله. بالناسبة أريد أن أعودك لى عيد

ميلادي، سأقيم حفلاً صغيراً وأتمنى حضورك كي تكتمل سعادتي.

أخذ جدول المواعيد الخاص به وتفحصه بدقة!!

- حسناً، اختياريك للوقت جيد مناسب..



ثم تابع وهو يتسم:

- هل تَفَحَّصَتِ جَدُولَ مَوَاعِيدِي مَبْقَا؟

ابْتَمَتِ بِخَجَلٍ..

وَاسْتَطْرَدَ هُوَ قَائِلًا:

- أَنَا أَمَارِحُكَ، فِعْلًا الْوَقْتُ جِدُّ مُنَاسِبٍ، لِهَذَا سَوْفَ آتِي بِكُلِّ تَأْكِيدٍ. وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مَا يَشْغَلُنِي كُنْتُ سَأْتَدَبِّرُ الْأَمْرَ أَيْضًا، فَمُشَارَكَتُكَ هَذَا الْإِحْتِفَالُ فِعْلًا تُسَعِدُنِي.

تَطَايَرَتِ شِرَارَاتُ الْفَرْحِ مِنْ عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِينَ الْوَايِعَتَيْنِ. حَاوَلَتْ أَنْ تَسْبِطِرَ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ عَلَى انْفِعَالِهَا.

هي تعمل في المستشفى كممرضة مُبَدِّئَةً لَمْ تُنْهَ بِعِدِّ دِرَاسَتِهَا، تَزُورُ قُسْمَ الْجِرَاحَةِ عِدَّةَ مَرَاتٍ فِي الْأَسْبُوعِ كَمَا تُتَابِعُ فِتْرَتَهَا التَّدْرِيْبِيَّةَ هُنَاكَ. أَمَّا عُدَّتِي، كَوْنُهُ طَبِيبًا جِرَاحِيًّا لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْعُمْرِ، فَقَدْ تَبَوَّأَ مَرَكَزًا لَا يَبْصِلُهُ سِوَى مَنْ كَافَعَ مِثْلَهُ. لَكِنْ ظُرُوفُ الْمُغْتَرِبِينَ هِيَ هِيَ، أَيْنَمَا كَانُوا وَمَهْمَا كَانَتْ مَكَائِثُهُمْ، صِرَاعٌ مَعَ الْوَحْدَةِ وَالْفِرَاقِ الْعَاطِفِيِّ وَتَنَاقُضِ الْحَضَارَاتِ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَكُونُ الصِّرَاعُ أَقْسَى يَمَّا تَنْصَوِّرُ.



- مساء الخير، وعيد ميلاد سعيد.

«قَدِّمِ لَهَا الْوَرُودَ مُنْحِنِيًّا»: تَفَضَّلِي سَيِّدَتِي، أَمْنِي لِكَ أَيْتَاتِ رَائِعَةٍ وَعَظِيْرَةٍ مِثْلِ هَذِهِ الْوَرُودِ.

- شُكْرًا جَزِيلًا.. إِنَّهَا حَقًّا رَائِعَةٌ، تَفَضَّلْ بِالِدُخُولِ.

لم تكن الحفلة مختصرة كما قالت. كان هناك العديد من المدعوين، لكن ما فاجأهم أنهم كانوا بانتظاره. صافحوه وكأتم يعرفونه ويتربون حضوره، بالأخص مارينا صديقة سيمون المقربة، والتي تعمل معهم في المستشفى. أحس وكأنه قد داخل إلى المصيدة بقدميه، تلك الأجواء أشعرته بالانقباض.

جرت العادة في أعياد الميلاد أن يوجه صاحب العيد رسالة إلى أحد ما يختاره، غائباً كان أم حاضراً، وقد قررت أن توجه رسالتها إلى أمها وأبيها المتوفين. وقفت في وسط الغرفة، وتحلقت حولها الموجودون، وأخذت تقرأ ما كتبت سابقاً: أصدقائي الأعزاء أشكر حضوركم، والدي الغائبين الحاضرين، هذه أول سنة احتفل فيها بعيد ميلادي بعد رحيلكما. لقد قلب هذا حياتي رأساً على عقب، وإرضاء لروحكما أحاول جاهدة أن أعيد ترتيبها كما كتبتا تمنيان. أمي الحبيبة، لازالت أصابعك تداعب خصل شعري، وأنفاسك العطيرة تخاطبُ ثغري البسم. أبي الحبيب، ها هو ذراعك الحنون يطوق جسدي الضعيف، ليمدّه بالقوة وأنا أشم رائحة عطرك وأراقب ابتسامتك، التي كانت تُعطيني الأمل بالحياة.

توقفت عن القراءة كي تمسح دموعها وتعلم ما تبقى فيها من قوة. أكملت وهي تمهش باليكاء:

لماذا تركتني وحيدة؟ أنا أشتاق إليكما كثيراً، لماذا لم ترسلاني الزهور والهدايا كالعادة، أشتاق إليكما وسأجكما إلى الأبد.

تجمع الموجودون حولها وأخذوا يواسونها، أما عدي فقد وقف صامتاً مُتأملًا تلك الفتاة، التي كانت منذ قليل تبتهج لقدميه، كيف دُبلت هكذا كوردة في صحراء. وأخيراً اقترب منها قائلاً:

- أرجوك سيمون، إنها بشاهدانك وروحهما تتعذب لبيكانك، امسحي دموعك رحمةً بهما. هيا معي كي نتناول كأساً آخر، الّذي تعدي أنك ستهتمين بي شخصياً، أم أنك قد غيّرت رأيك؟

- طبعًا لا.

قالت وهي تتيم بحزن:

- تفضل أرجوك.

توجَّهًا إلى البار، وكان الكلُّ مُتَمَتًا لهذا الرائع، الذي لم يكن فقط جراح أعصاب، بل أيضًا طيبًا للقلبِ المُعَذَّب.

صباح اليوم التالي، وفي غرفة الاستراحة، كان يترقَّب وصولها عبر ذلك الممرِّ الطويل. ارتبكت مشاعره عند رؤيتها.. ذلك التعب الظاهر عليها ما كان ليُخفي مفايتها، فهي فتاة جذابة للغاية، بجسدها المتناسق الممتلئ بعض الشيء، وطولها الفارع الذي يُضفيُ إلى طليتها حضورًا لافتًا، يُكمل جمالها أسناتها اللؤلؤية وشعرها الأشقر الغامق الطويل. أما عيناها فكانتا مُجَنَّبَتان في داخلهما زُرقة المحيط، السماء. وذلك الحزن الذي يُلْفُ شخصيتها يضيء عليها حالة من الغموض تثيرُ فضول كلِّ من يراها. تلك الأشياء مُتَّجِعة جعلت قلبه يغرَق، محتارًا بين هفة ورغبة في اكتشافِ خفاياها.

تدازك الأمر، قاتلا بياطة..

- أهلاً سيمون.. كيف أنت اليوم؟

- بخير، اعتذر مُجددًا على ما حدث بالأمس.

- لا عليك، لا داعي للاعتذار. ما فعلته كان جيدًا. أفضل علاجٍ للآل هو التكلُّم عن أسبابه بياطة.

- هذا ما حاولت فعله. إنها المرة الأولى التي أتجرأ فيها على مخاطبتها، وأحسُّ أنها يسمعي.

تلاوات الدموع في عينيها.

- لازالت حياتك في بدايتها، والأيام كفيلة بأن تزيل عنك أثر ليلتك الجراح.

- شُكْرًا لَكَ عَلَى هَذَا الدَّعِيمِ الَّذِي تَمِنُّ بِهِ عَلَيَّ. أَنْتِ لَا تَعْرِفِ كَمْ تَوَثَّرِي  
كَلِمَاتِكَ.

بَدَأَتْهُ قَدْ حَزَمَ امْرَأَهُ، فَسِيمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَحْتَاجُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ  
شَخْصٍ آخَرَ.



مَاذَا حَدَّثَتْ، أَوْ رُوبَا تَنْتَظِرُكَ.. لَقَدْ مَلَلْتُ هَذَا. أَنَا أَقِفُ فِي مَكَانِي، يَقْتُلُنِي  
الْفَرَاغُ. رُغْمِ سَعَادَتِي بِسَمَاعِ صَوْتِهَا، رُغْمِ إِعْجَابِي بِهَا، فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَنْتَظِرَهَا طَوَالَ الْعَمْرِ. ظَرُوفُهَا غَرِيبَةٌ وَمُسْتَقْبَلُهَا يَلْفَهُ الْغَمُوضُ.. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أُوجِّهَهَا، غَدًا سَتَأْتِي، وَتُقَابِلُ آخِرَ تَكْمِيلِ حَيَاتِهَا مَعَهُ بِشَكْلِ طَبِيعِي. أَوْ رُوبَا  
قُوَّةٍ وَسَتْجْتَازُ مَشَاكِلَهَا. مَا يُشْغِلُنِي الْآنَ هُوَ سِيمُونَ، تِلْكَ الْفَتَاةُ الْمَعْدَبَةُ، فَهِيَ  
بِحَاجَةٍ إِلَيَّ. تِلْكَ السَّعَادَةُ الَّتِي تَظْهَرُهَا عِنْدَمَا أَكَلِمُهَا، خِضُوعِهَا.. هَذَا يَعْيدُ  
إِلَى ذَهْنِي صُورَةَ الْمَرْأَةِ الشَّرِيقَةِ الرَّاضِيَةِ بِمَا سَيَقْدُمُ لَهَا رَجُلُهَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ مَا  
لَا تَطْبِيقُ. هَذَا مَا أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَرِحَلَةِ. أَوْ رُوبَا عِلَاقَةِ رُفِيٍّ وَتَوَاصُلِ  
رُوحِي وَجِثِّي. لَقَدْ وَضَعْتَ نَفْسِي أَمَامَهَا بِصُورَةِ الْمَفْكَرِ الْعَالِمِ الْمَلْجِدِ الْمُتَدِينِ،  
وَمِنْ الصَّعْبِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَكُونَ أَمَامَهَا طِفْلاً يَسْتَمْتِعُ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ.

«عُديّ، اعتنير على الإلحاح بالسؤال. لا أحب أن أسب لك الإزعاج، لكن غيابك أقلقني. لقد أنهيت دراستي، وأنا الآن في إجازة تحضيرية للإمتحان. أرجوك اجبني، فأنا بحاجة إلى الراحة والاستقرار، وإلى دعمك كي أتخطى هذه المرحلة الصعبة».

بعلمنا أرسلتها، دخلت إلى صفحته الخاصة، فلم يكن هناك أي جديد، وكأنه لم يعد موجوداً على الأرض..

«لا، هذا لا يُقيد، يجب أن أنتحرك، سوف لن أستطيع اجتياز امتحاني وأنا على هذه الحالة. ذلك العمل المتعب يستنفد كل طاقتي وقدراتي، يجعلني أخرج من هناك مشلولة الجسد. لو كان يدري ما أفعل من أجله، لما هانَ عليه أن يهجرني هكذا بلا سب، لكنني لا أستطيع إخباره بأنني أعمل في التنظيف، ليس خجلاً، ولكن أخاف أن يراني بصورة مختلفة غير التي رَسَمها لي في مُخيلته. حتى إدي لم أخبره بهذا.. أشعر أنني مُقسِمة على ذاتي، مُشْتة بيني أنا وبين ما يتحدث».

رأى الهاتف ليُنقذها من حيرتها، إنه إدي، ردت عليه:

- إدي صديقي.. كم أنا بحاجة إليك!

- أين اختفيت أيتها المشاغبة؟

- انتهت السنة الدراسية، وأنا في إجازة تحضيرية للامتحان.

- ما بك أوروباً؟ أشعر من صوتك أنك تُخفين عني شيئاً ما!

- أجل، لكنني أخافُ أن أخبرك وأشعرُ بالخجل.

قال ضاحكاً:

- هيا أخبريني وبالتفصيل.

- إنني أعمل بشركة نظافة.

- جيد، دخولٌ مجال العمل شيءٌ جيد، لكن هل أنت بحاجة إلى أي شيء،  
ولم تُخبريني؟

- لا، وضعي المادي جيد، لكن أريدُ أن أحصل على أوراق عمل تمكّتي  
من السفر.

- لكنك تدرسين، بعد عِدّة أسابيع يُصبح معك شهادة، بإمكانك أن  
تُحصلي على عمل أفضل. لا تدعي متاعب الحياة تُنسيك جذوركِ وكفاحكِ..  
آه، لكن لا تقولي بأنك تفعلين هذا لأجل ذلك الحبيب البعيد؟  
- إنه أحد الأسباب.

- لماذا لا يأتي هو لزيارتك؟

- إنه مشغول بأبحاثه.

- أشعر أن هناك غصّة في صوتك.. هيا أخبريني..

تردّدت قليلاً، ثم أكملت:

- بالحقيقة إن علاقتي به تُواجه بعض الصعوبات. بدأ يتغيّب عني دون  
مُبَرَّر ودون أن يُكلّف نفسه عناية الردّ على رسائلي. رُبّما هو مُتعب ويحتاجه إلى،  
لهذا يجب أن أكون بقربه، وإلا فسأخسره.

- لا تُحملي نفسك اعباءَ أي علاقة، لو كان بحاجة إليك ولوجودك لقطع  
ملك المسافات سيرا على الأقدام.

قالت بحسرة:

- زُبيا أنت مُحق، لكن أريد أن أحارب من أجلِ حُبِّي لهُ حتى النهاية  
، أصبحت قريبة.

- أنتِ حزينة! أي علاقة هذه يا أوروبا التي تدفعُكِ إلى كل هذه التنازلات؟  
- أنا مُتعبَة إدي، وهذا العمل العبودي يقتل روعي. أبدو كعجوزٍ ترزعت  
مصاعبُ الحياة عنها رمقَ الحياة الأخير.

- تكلمي معهُ، وإذا كان يُحبُّكِ حقاً فليحاول أن يصل معكِ إلى حلٍ ما.  
.. إنهُ يتجاهل رسائلي منذُ مُدّة، ولا يُردُّ على اتصالاتي. أنا مُشوشة  
والامتحانُ باتَ قريباً، إنّي  
أحتضر.

- دعينا نرتب الأمور، أرجوكِ الغني كل الأشياء الجانية، خذي إجازة من  
العمل، وركّزي جهودك على دراستك. لا تهتمي كل ما بنتيه من أجلِ أي  
شيء لا يتجاوز مصلحتك الخاصة.  
- أنت مُحقّ..

- حسناً، الآن نفذي ما اتفقنا عليه ولا تترددي بأن تتصلي بي في أي وقت،  
.. نسيتُ أن أخبركِ أن البروفسور كوينز الذي يتابع قضيتك طلبَ أن نُجري  
لكِ فحصاً اسمه «دي». إي للخلايا الجزعية، كي يتأكد من أصلكِ  
الفينقي، وما إذا كنتِ حاضرة بالجد، ثم أكمل ضاحكاً:

- إذا كنتِ طيفاً، فهذا يلغي وجوب سفركِ.

- أنا جاهزة، لكن بعد الامتحان.

- أكيد يا صغيرتي، استرخي الآن ولا تُفكري بشيءٍ آخر غير مُستقبلِك.

- شكرًا إيدي، صلُّ من أجلي.

أغلقَت الهاتف، وعادت إلى بحورٍ أفكارها.. إنه مُحقّ.. ما دام يحتاجها،

لماذا لا يأت؟



الساعة الرابعة.. أوقفت سيارته قرب الشاطئ، من بعيد شاهدها تنتظره  
 بشوبها الأبيض وشعرها الطويل الأشقر، وقد تبرجت بشكل خفيف على غير  
 العادة، فبدت كحورية خارجة من قلب السحاب كي تغري أميرها الوسيم.  
 - تبدين رائعة.

- شكرالك دكتور.

- هيا نادني باسمي.. نحن أصدقاء، دعينا نبتعد عن الألقاب والمجاملات  
 وعن أجواء العمل. إني أحاول جاهدا أن أخرج نفسي من تلك الدائرة. أن  
 أكون عذتي الإنسان لا أكثر.

- كما تريد يا عذتي.. قالتها بخجل - سأحاول، رغم صعوبة هذا، فأنت  
 تعني لي الكثير.

تابعا السير إلى أن وصلا إلى حدود الماء، نخلعا أحذيتيها وأكملتا مسيرهما..  
 الشمس كانت تسيرُ معهما، وترمي بأخبر خيوط نورها على المحيط.

- سيمون.. أخبريني عنك قليلاً.

- ماذا عساني أخبرك، فأنت تعرف جزءاً هاماً من حياتي وماساتي.

- أريد أن أعرف أكثر عن حياتك الخاصة.. هل لديك صديق مثلاً، إذا كان هذا لا يُسبب لك الإحراج.

- إطلاقاً، فأنا إنسانة واضحة، وليس عندي ما أخفيه.

- جيد.. وأنا أسمعك.

تزوج والديّ بعد قِصّة حُب رابّعة وبعد سنوات ولدتُ أنا كمي أكمل سعادتهما. لم أكن أحلم، لأن أبيامي معهما كانت أمحل من الأحلام. حياتي الخاصة، كأبي فتاة عادية تنتمي إلى عائلة مُدنيّة وتؤمن بالأخلاق، ضمن هذه القيود تعرّفتُ على صديقي الأول، بقينا سوياً ما يقارب الأربع سنوات وبعدها اضطر إلى السفر بداعي العمل، وطبعاً لم أستطع مرافقته لالتزامي بوالدي. بعدة قصيرة تعرّفتُ على كرس، كان شاباً طيباً وكُنّا نُخططُ للزواج. عشنا أنا وهو بأحضان والديّ كعائلة سعيدة، ترسّم أحلام المُستقبل سوياً، إلى أن داهم المرض أمي وقمر أحلامنا وجعل صحتها وسعادتها أول اهتمامنا، خصوصاً بعد أن عرفنا أنها ستموت ولن تنجو. في هذه الأثناء ساءت حالة والدي الصحية كثيراً، وكانت المفاجأة القاتلة، هو أيضاً أصيب بنفس المرض.. كنتُ بحاجة إلى أن أكرس وقتي لها، وبدأتُ أشعر بالذنب تجاه كرس. كان وجوده قُرب يُعذبني، طلبتُ منه أن يتّعد، بعد إلحاحي المتواصل، رَحَلَ، وبقيتُ وحيدة بانتظار قطار الموت.

- كيف رَحَلَ؟ كان عليه أن يبقى معك!!

- كان وجوده يُذكّرني بأحلامي المنكّرة، ويُثقل كاهلي بمسئولياتي تجاهه كحبيب.

- ربّما كان هذا أفضل!!

- بعد مرور سنة على علاج والديّ المكثّف، ماتَ الاثنين في نفس اليوم ودُفنا معاً في نفس المكان..

اَكَمَلْتُ وَالدَّمُوعُ تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهَا:

- وها أنا أكمل حياتي وحيدة. التحقت بكلية التمريض عل هذا يُسعدني  
فلبلاً على النسيان، وُيسعدني لاحقاً بتدبر أموري، فأنا أمرٌ بظروفٍ مادية  
صعبة بعد كل تلك الأيام المرّة.

وقفَ أمامها، أمسك يداها بين يديه:

- سيمون.. ربّما أنت الآن في بداية حياتك الجديدة، وها أنا أمامك الآن  
اعاهدك بأن أكون الصديق الأب والأخ، وما تُريدين. منذ الآن لرتعودي  
وحيدة، وربّما كل هذا الظلم الذي تحمّلتيه كان رحمةً وعبءةً من الله الذي جمعنا.  
ارجو أن تقبلني ضيفاً جديداً على حياتك.  
- هذا حلم لا يتحقّق لي أن أعيشه.

- هيا.. ولماذا؟ دعي المراكز والألقاب جانباً، فنحن بشرٌ ولنا إعلانات  
والقابات.

مَسَحَ دموعها وحَضَنَ وجهها بين يديه.. نَظَرَ إلى عينيها نظرات تَوَسَّل..  
رمت نفسها على صدره وغَمَرَتْهُ بِشِدَّة، فطوقها بذراعيه بِكُلِّ حُبٍّ وَخَانَ.  
- يا إلهي، شكراً على هذه الهدية شكراً.

قَبَّلَهَا بِحَرَارَةٍ وَهُوَ يَعْتَصِرُ جَسَدَهَا، فَبَادَلَتْهُ هِيَ ذَلِكَ الْإِحْتِضَانِ وَتِلْكَ  
الْقُبْل. كانت أمواج البحر تُداعِبُ أقدامها، وصوتها يقرأ كلماتٍ فصتها،  
وذلك الظلام الذي زينه ضوء القمر شاهداً على بداية جديدة  
ابتعدت قليلاً ثم قالت:

- لقد سارت الأمور بسرعة، اعتنر، ربّما يجب أن نُعطي أنفسنا بعض  
الوقت كي نُحدّد مشاعرنا.

- ربّما أنت محقة، اعتنر، لكن تأكدي أن عرضي قائمٌ ودائمٌ وُيسعدني أن  
نقبلي صداقتي.

- هذا بُعِدُنِي أَيْضًا، لَكِنِّي مِنْ عَائِلَةِ مُنْدَبِيَّة، مُحَافِظَةٌ وَلَنْ أَسْمَحَ لِنَفْسِي بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِي أَنْ أَعِيشَ كَمَا يَحْلُو لِي.

حَرَكْتَ كَلِمَاتِهَا دَاخِلَهُ الرَّجُلَ الشَّرْقِي الَّذِي تَرَبَّى عَلَى حِكَايَاتِ الشَّرْفِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْمَبَادِي، رَغْمَ عَدَمِ اعْتِرَافِهِ بِهَا. غَمَّرَتْهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَادَتْ لِتَسْأَلَهُ:  
- وَأَنْتِ.. أَخْبِرِي عَنِ حَيَاتِكَ.

حَكَمِي لَهَا مِنَ الْبَدَايَةِ، زَوْاجَهُ، دِرَاسَتَهُ، وَحَتَّى وَصَلَ إِلَيَّ الْجَمِيلَةَ أَوْرُوبَا..  
- هِيَ امْرَأَةٌ لَا تُشْبِهُ النِّسَاءَ، سَيِّدَةٌ مُفَكِّرَةٌ، طِفْلَةٌ رَائِعَةٌ. كُنْتُ أَسْرُقُ الدَّقَاقِي كَمَا أَنْتَ كَلِمَةً مَعَهَا، أَلَيْسَ عَيْنَاهَا الْجَمِيلَتَيْنِ وَبَرِيقَهُمَا الْأَخَازِ رُغْمَ بُعْدِ الْمَسَافَاتِ وَبِرُودَةِ الْأَجْهَازَةِ. لَقَدْ اخْتَرْتُ مَشَاعِرَنَا كُلَّ تِلْكَ الْحَوَاجِزِ.. كُنْتُ أَتَحَسَّ بِشَرَّتِهَا، وَأَسْمَعُ صَوْتَ أَنْفَاسِهَا.  
- وَلِمَاذَا انْفَصَلْتُمَا؟

- هِيَ رَائِعَةٌ، وَلَمْ تَتْرِكْ لِي مَبْرَرًا لِهَجْرَانِهَا. لَكِنِ بَعْدَ الْمَاقَةِ وَخَوْفِي مِنَ الْغَرَقِ فِي حُبِّهَا أَكْثَرَ جَعَلَنِي أَفْضَلَ الرَّحِيلِ.  
- لِمَ تَنْفَصِلَانِ بَعْدَ؟

- مُحَاوَلِ الْإِتِّصَالِ بِي مِنْذُ مَدَّةٍ، وَأَنَا أَتَجَاهَلُهَا. أُرِيدُ أَنْ أَجِدَ عِلَاقَةً قَرِيبَةً تُرِيحُنِي وَتُخْرِجُنِي مِنْ حُمُورِي وَعُزْلَتِي. أُرِيدُ أَنْ أَلْقِيَّ مِنْ أَحِبِّ، أَشْرَبَ قَهْوَتِي مَعَهَا، أَلْسَ جَدَهَا، نَتَكَلَّمُ دُونَ أَجْهَازَةٍ وَدُونَ تَكْلُفٍ. بُوْتُ مُقْتَنِعًا أَنْ تَلَاقِي الْأَجْسَادَ وَالْأَرْوَاحَ عَامِلَانَ مُتَكَامِلِينَ فِي إِتِّجَاحِ أَيِّ عِلَاقَةٍ.

- مَعَكَ حَقٌّ، جَيِّدٌ أَنْكَ أَنْهَيْتَ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ، مَا دَامَ هُنَاكَ أَمَلٌ بِاللِّقَاءِ.  
- بِالْحَقِيقَةِ، كُنْتُ قَادِرًا عَلَى السَّفَرِ، لَكِنِّي خَفْتُ مِنْ نَفْسِي، فَمُسْتَقْبَلِي هُنَا وَمُسْتَقْبَلُهَا هُنَاكَ. عِلَاقَةٌ كَهَذِهِ مَحْتَمَةٌ بِالْفِشْلِ مَعَهَا طَالَتْ. أَفْضَلُ مَا لَهَا أَنْ تَصْبِحَ ذِكْرِي جَمِيلَةً.

- لقد قسوتَ عليها، ورُبّما هي تتعذّبُ الآن..

- ربّما، ولكنّها إنسانةٌ قويّة، متفائلةٌ وجميلةٌ ويحيطُ بها العديد من الرجال،  
ستنساني وتُكمل حياتها بسهولة.

قالَ مُحاولاً أخذ الحديثَ لكِ ضِفّةٍ أخرى:

- دعينا الآن منها. لو تعرفين مقدار سعادتي، أشعُر وكأنني أعيشُ في حُلْمٍ  
جميل.

- أنا أيضًا عُدّي، أنتِ جعلتني أخرجُ مِن وِجعي ومأساتي.

البحر، والعاشقان، والمرح.. صورةٌ جميلةٌ متكاملة، تُبنى على دموعِ قلبٍ  
مُنكسر، في مكانٍ آخر، يَحُلُمُ وحيدًا بِلقاءٍ

«أكره العمل في هذا المستودع، فالصناديق ثقيلة، آلات وأوراق وملفات وخزائن يجب ترتيبها وتنظيفها وإعادةها كما كانت. أشعر بالإعياء، لم أعد أقوى على العمل، صحّتي تنهار، حتى نومي بات قلقاً ومُتقطعاً، ومسئولية الدرس وضغوطه.. أيها الإله الواحد، ساعدني أرجوك.. هل نتمنّى هذه الحياة العصرية باهظ إلى هذا الحد؟ أو شككتُ على نسيان نفسي، ماضي، وغدي.. فقدت الأمل في العودة لك جذوري وحقيقتي».

رَمَتِ الْمَسْحَةَ عَنِ الْأَرْضِ، وَرَكَعَتْ قُرْبَ تِلْكَ الْعَرَبِ، حَيْثُ مُعْدَاتِ عَمَلِهَا، وَأَجْتَهَتْ بِالْبُكَاءِ الْمُرِيرِ. وَصَلَ صَوْتُ بُكَائِهَا لِي مَسْمَعِ سَنَا، الَّتِي رَكَضَتْ إِلَيْهَا مُسْرِعَةً:

- أوروبا، ما بك يا أختي؟ هوني عليك، ماذا حدث؟

- لقد هَجَرَنِي يَا سَنَا. لَا يُرَدُّ عَلَيَّ رِسَائِلِي. كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْسَانِي وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ؟ هَلْ أَظْلَمْتُ؟ هَلْ هُوَ مَرِيضٌ؟ إِنِّي سَجِيئَةٌ هُنَا وَلَا أَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا. امْتِحَانَاتِي بَاتَتْ فَرِيبةً، وَأَنَا أَغْرُقُ فِي مَشَاكِلِي وَأَتَحَيَّرُ.

الْقَتِ رَأْسَهَا عَلَى صَدْرِهَا، وَغَرِقَا بِالْبُكَاءِ.

- أرجوكِ ارحمي نفسك، من تهجركِ لا يستحقّ دموعكِ. قفي يا أختي،  
سأطلبُ لكِ إجازةً وأصحبُكِ إلى البيت، تنامين وتترتاحين، وغداً تُصبحين  
أفضل.

بعدَ ساعاتٍ طويلةٍ من النوم، كانَ جَسَدُها وروحُها قد استفرّقا في غيبوبة،  
كما يعودا بعدها إلى اللمة جراحياً. استيقظتْ وهي تُشعرُ بالهدوءِ والسلامِ  
بِئْسَلانِ رُويداً رُويداً إلى ذاتها، شربتْ قهوتها، ثم احضرتْ كُتُبها وبدأتْ  
بالدرس..

«عُدّي لا أعرفُ ماذا حلَّ بكِ، وما هو مصيري معكِ، لكنني سأتركُ الأمورَ  
مُعلّقةً كما هي، إن أن اجتازَ ظروفِي هذه، فمُستقبلي لن يتوقّف يوماً على غيابِ  
أحدٍ أو حضوره.»

في أحدِ قاعاتِ المعهد، اجتمعَ عشراتُ التلاميذِ وهي بينهم. أخذَ كلُّ  
واحدٍ مكانه، وبدأوا بالإجابة على تلكَ الأسئلة التي ملأت الأوراق. كانتْ  
مُغمِمةً كُلياً في معرّكتها، فهي الوحيدةُ التي لا تُتقِنُ اللُغة، لهذا فمجهودها  
يُجب أن يكونَ مُضاعفاً، كما تفهمُ وتُحِب، بالإضافة إلى الرّ قلبها المكسور الذي  
لا يزال يُؤرقها...

«أيها الإله ساعدي.»

ما كانَ للإله أن يخلُ عليها بالمساعدة بعد أن جدّت، اجتهدتْ واحتملتْ  
كما تُصل إلى هذه المكان. سؤال بعدَ آخر، كانت تنظرُ من خلال تلكَ النوافذِ  
إلى السماء، فتجدُ كلَّ ما كانَ يُحيرُها مكتوباً أمامها، وكان طاقنتها الفِكْرية قد  
اتصلتْ بها وراء الكون.

بعدَ امتحانها الأوّل، اندهشَ المراقِب من نتيجتها. سلّطتْ عليها الأضواء،  
ظناً منهم بأنّها تتعين بمساعدة ما كما تكُتب بهذا الإتقان وهذا الأسلوب،  
وهي التي لا تكادُ تُربطُ جُمْلَتين كاملتين ببعضهما دونَ أخطاء. توالتْ المواد..

امتحان بعد الآخر، ثمانية ساعات متواصلة، ويوم آخر أكملت به ما تبقى.  
وبعد استراحة في مقهى المعهد، اتصلت بها مسؤولة القسم، وطلبت أن توافيها  
إلى مكتبها. سارت إلى هناك وقلبتا يصارع خفقانه.

رحت بها مسؤولة القسم، ثم بدأت في الحديث:

- إننا نعلم مقدار شعائرك ونقدر ذلك المجهود الذي بذلته كي توافي  
زملاءك، وإنه حقاً لشيء رائع أن تكون بيننا شخصية مثيرة مثلك. لهذا، ورحمة  
مناً بما تبقى من أعصابك، قام أساتذتك بناءً على طلبي بتصحيح أوراقك  
تصحيحاً مبدئياً، وزودوني بنتائجك المبدئية للامتحان..

توقف الدم في عروقها، وجف فمها.. ثبتت قلميها بالأرض استعداداً  
للمفاجأة...

- مبروك يا أوروبا.. لقد اجتزيت امتحانك بنجاح، ودراجتك التقديرية  
ستاتي لاحقاً.

بعض الانتصارات التي تحمل بحياتنا بعد الهزائم تُبكيها، زينا أكثر من  
الهزيمة نفسها. كانت تُريد أن تحضن أحداً ما ليشاركها فرحتها، لكنها أدركت  
أن قدرها أن تحضن نفسها وتُعزّيها في الفرح والحزن.. تساقطت الدموع من  
عينها، وهي تُحاول أن تلتقط أنفاسها. اقتربت منها تلك السيدة وحضنتها..

- لا تبكي أرجوك، أقدر شعورك. أنت لست وحيدة، فطبيبتك وإبسانتك  
ستصنعان لك في كل مكان عائلة. هيّا كوني فخورة وافرحي، فالكثير من  
التلاميذ لم يتمكنوا من اجتياز هذا الامتحان، وعليهم أن يُعيدوه.

- أنا شاكرة لكم بحبكم هذه، لقد زادت من عزيمتي وإصراري على  
الوصول إلى هدي.

- إنه مجهودك أنت.. هيّا اذهبي وكوني سعيدة.

خرجت من هناك، ومسحت دموعها، رأت الشمس أكثر إشراقاً كما لم



نَكُنْ مِنْ قَبْلِ. حَمَلَتْ الهَائِفِ وَكَبَّتْ: عُدَّتِي، اَعْتَدِرْ عَلَى الإِزْعَاجِ. اَرَدْتُ أَنْ  
اَخْبِرَكَ بِأَنِّي قَدْ اجْتَرْتُ امْتِحَانِي بِنَجَاحٍ.

بعد دقائق وَصَلَ الرَّدُّ: كُنْتُ وَانْقَامَ مِنْ قُدْرَاتِكَ. مَبْرُوكٌ، اَمْتَنِي لِيكَ مُسْتَقْبَلًا  
مُشْرِقًا. اَعْتَدِرْ عَنِ الغِيَابِ، أَنَا بِخَيْرٍ، لَكِنِّي مُشْغُولٌ جَدًّا، حَظًّا سَعِيدًا.

ما هذا؟ مَنْ هُوَ هَذَا الإِنْسَانُ؟ يَبْدُوا أَنِّي لَمْ أَعْرِفُهُ جَيِّدًا، أَمْ أَنَّهُ كَانَ يَتَسَلَّى  
بِمَشَاعِرِي. لَقَدْ قَرَّرَ الرَّحِيلُ، كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْهَمَ هَذَا مِنْذُ الْبِدَايَةِ، لَيْسَ أَمَامِي  
سِوَى أَنْ اَمْتَنِي لَهُ مُسْتَقْبَلًا مُشْرِقًا كَمَا تَمَنَّى لِي.. سَأَتَحَدَّثُ الإِلَهَ عَلَى مُوَعِيَتِكَ،  
وَرِافِقَ خُطَاكَ أَيْنَمَا ذَهَبْتَ.

اِبْتَلَمْتُ خَيَّتَهَا وَحُزْنَهَا، أَخَذْتُ الهَائِفِ مِنْ جَدِيدٍ، وَاتَّصَلْتُ بِإَيْدِي:

- إِي... لَقَدْ نَجَحْتُ!! قَالَتْهَا بَهْدٍ...-

عَلَا صُرَاخُهُ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ..

- يَا حَبِيبِي الصَّغِيرَةَ، أَيُّهَا الأَمِيرَةُ المَشْرِقَةُ، كَمْ أَنَا فَخُورٌ بِكَ، هَا أَنْتِ  
تَرُسِّمِينَ مُسْتَقْبَلِيكَ بِإَيْدِيكَ الجَمِيلَتَيْنِ وَفَكْرِكِ المَتَّقِدِ.

- لَكِنِ عُدَّتِي تَحْتَلِي عَنِّي.. قَالَتْهَا بِحُزْنٍ.

- هُوَ الخَائِسِرُ، كَمَا كُنْتُ أَنَا الخَائِسِرَ الأَكْبَرَ. دَعِيهِ يَجُوزُ مُجَارِبَ الحَيَاةِ، وَإِذَا  
كَانَ لِي وَجُودِيكَ أَثَرٌ فِي حَيَاتِهِ فَيَعُودُ، لَا تَلُومِيهِ، فَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ ظُرُوفَ الأَخْرِ.  
سَاعِيهِ وَأَكْمِلِي حَيَاتِيكَ، كُلُّ الدُّرُوبِ مَفْتُوحَةٌ أَمَامِيكَ.

انْتَهَى الأَتِّصَالُ، وَبَدَأَتْ رُوحُهَا المَعْتَوِيَّةُ تَسِيرُ فِي دَرْبِ الصُّعُودِ.

اتَّصَلْتُ بِصَدِيقَتِهَا سَنَا:

- أَلُو.. سَنَا لَقَدْ اجْتَرْتُ امْتِحَانِي بِنَجَاحٍ.

- رَانِعُ! خَبِّرْ رَانِعَ، أَوْلَا يَجِبُ أَنْ تَتْرَكِي هَذَا العَمَلَ، فَإِنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِكَ، \*  
يَجِبُ أَنْ نَحْتَفِلَ.

- بخصوص العمل رُبما أنت مُحققة، أما الاحتفال، فأنا مُتعبَةٌ جدًّا. أشدُّ  
بالإعياء.. كل ما أريد هو أن أعود إلى عُرفتي وأن أنام.. إنني مريضة. لذا  
تَرَكْنِي عُدَّتِي يا سنا، رَدَّ عَلَيَّ خَبْرَ نِجَاحِي بِمُبَارَكَةِ مُقْتَضِبَةٍ وَجَارِحَةٍ، أَعْلَنَ فِيهَا  
انِسْحَابِهِ مِنْ حَيَاتِي.

- لا عليك، غدا سُبُح من الماضي، اذهبي الآن واستريحِي. سأُكَلِّمُ  
أَصْدِقَانِي كَيْ يَجِدُوا لَكَ عَمَلًا آخَرَ، فَهَذَا سَعِينِكَ عَلَى صِعَابِ الْحَيَاةِ. اعْتَنِي  
بِنَفْسِكَ يَا أُخْتِي، وَسَاحِوُلٍ مِنْ أَجْلِكَ مَا اسْتَطِيعَ.

- شُكْرًا سنا، سَاحِوُلٌ أَنْ أَكُونَ بِخَيْرٍ.

عَادَتُ إِلَى الْبَيْتِ تَحْمِلُ مَعَهَا حَقَائِبَ الْحَيَاةِ وَالنِجَاحِ، وَفِي دَاخِلِهَا هَدْوَةٌ مَا  
بَعْدَ الْعَاصِفَةِ وَصَمْتَ ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ..

بَدَلْتُ مَلَابِسَهَا، وَاسْتَلَقْتُ فِي سَرِيرِهَا. رَنَّ هَاتِفُهَا.. إِنَّهَا سنا.

- أَلُو أوروپَا، لَقَدْ دَعَانَا ذَلِكَ الصَّدِيقُ الَّذِي أَخْبَرْتِكَ عَنْهُ لِخُضُورِ حِفْلِ  
اِنتِخَابَاتِ رِئَاسَةِ حِزْبِ الْعَمَالِ، سَتَكُونُ فُرْصَةٌ جَيِّدَةٌ كَيْ تَتَعَرَّفِي عَلَيْهِ، وَعَلَى  
أَهْمِ شَخْصِيَّاتِ الْمَجْتَمَعِ. رُبَّمَا تَجِدِينَ لِنَفْسِكَ فُرْصَةً جَيِّدَةً فِي مَكَانٍ مَا. لَقَدْ  
سَاعَدَ أَنَا سَا كَثِيرِينَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْهَلَاتِكَ.

- إِنِّي مَرِيضَةٌ يَا سنا، حَتَّى أَنْ لَرَأَيْتُ بِأَصْدِقَانِي كَيْ أَزْفَ هُمْ خَيْرٌ  
نِجَاحِي.

- حَبِيبَتِي، إِنْ الْحِفْلُ يَوْمَ الْخَمِيسِ. إِلَى ذَلِكَ الْحَيْنِ سَتَكُونِينَ بِخَيْرٍ، سَنَمُرُ  
عَلَيْكَ عِنْدَ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا، كُونِي جَاهِزَةً أَرْجُوكِ.

خَرَجْتُ مِنْ مَنَزِلِهَا تَهَادِي بِفُسْتَانِ أَسْوَدٍ طَوِيلٍ وَأَنِيْقٍ، رُزَّ جَمَالَ قَوَامِهَا،  
وَشَعْرَهَا يَنسَابُ عَلَيَّ ظَهْرَهَا الْمَكْشُوفِ. تَكَامَلْ هَذَا مَعَ مَسَاحِيْقِ التَّجْمِيْلِ  
الْبَرَاقَةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهَا نَجْمَةً مِنْ نَجُومِ هَوْلِيُوود. كَانَ يَرِاقِبُهَا بِشَغْفٍ، اقْتَرَبَ  
مِنْهَا، أَسَكَّ يَدَهَا وَقَبَّلَهَا ثُمَّ فَتَحَ لَهَا بَابَ السَّيَّارَةِ.

الدَّهْشَةُ عَلَيَّ وَجْهَهَا.

- عُدِّي.. سَيَّارَتُكَ جَمِيْلَةٌ جَدًّا.

- إِنِّهَا نَحْتُ أ

- هَذَا يُشْعِرُنِي بِالْحَجَلِ، لَنْ أَسْتَطِيعَ يَوْمًا أَنْ أَقْلُكَ بِسَيَّارَتِي.

- إِنِّهَا تَفَاصِيْلُ لَيْسَ لَهَا أَهْمِيَّةٌ، فَمِنذُ مَدَّةٍ كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَى عَمَلِي سَيَّرًا عَلَيَّ

الْأَقْدَامِ. تَسْتَطِيعِينَ قِيَادَتَهَا إِنْ أُرَدْتِ!!

- شُكْرًا صَدِيقِي، لَا أَسْتَطِيعُ قِيَادَةَ السَّيَّارَاتِ بِإِهْظَةِ الشَّمَنِ.

عَلَى أَنْعَامِ أَحَدِ السِّمْفُونِيَّاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ، انْطَلَقْنَا عَبْرَ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ، إِلَى أَنْ

وَصَلْنَا إِلَى أَرْقَمِي وَأَهَمِّ الْمَطَاعِمِ الْمَلَكِيَّةِ هُنَاكَ.

أَوْقَفَ سَيَّارَتَهُ عِنْدَ مَدْخَلِهِ، فَتَحَ مَوْظِفَ الْاِسْتِقْبَالِ لَهُ الْبَابِ، وَأَخَذَ هُوَ

بيدها حتى خرّجت، وتوجّها إلى الداخل.

أضفت تلك السعادة سحرها على عينيّ العريّتين المتصوغتين بلون سغب النخيل ورمال الصحراء، مع تلك البشرة السمراء الفاتحة، وجسده الطويل المعتلى قليلاً، لتكجّل أناقته وطلته الملفتة تلك البقلة التي اختارها له أوروبا سابقاً. كان كالأمير الذي يرسم أحلامه مع أميرة أخرى، غير التي أدخلها بيده إلى ظلمة النسيان. لقد وعدّ أوروبا يوماً أن يصطحبها إلى هنا.

بعد أن طلبا العشاء وصلت رُجاجة الشمبانيا الفاخرة، فتّحها النادل وملاهما كاسيهما.

- هذا كثير فانا إنسانة بسيطة، لا أملك سوى دبروني المتراكمة والمنزل الذي أعيش فيه، لم اعتد هذه الأمور.

- ليس كثيراً عليك. أنا وعدتُك وأنتِ تستحقين، سوف نتكلم عن هذا لاحقاً. كل ما أريده هو أن أغيّر حياتك، أن أجعلك تحين دون هموم، دون خوف من الغد، أريدك أن تكوني سعيدة وأن تستمتعي.

- لكنني لا أستطيع أن أدفع لك ثمن هذا.

- لماذا تتكلمين دائماً بهذا الأسلوب؟ أنا لستُ أوروبيًا، أنا شرقيّ وافعل ما أفعل عن قناعة، ولا أريد منك شيئاً. طبعاً أنت تُثيرين إعجابي، لكن لا أريد أن تُقلمي على أي خطوة دون اقتناع تام.

- بصراحة عُدّي، أنا لا أجب أن أقيم أي علاقة غير شرعية إكراماً لله ولوالدي.

- انتهي سيمون.. أنا لم أطلب منك شيئاً ولن أطلب، مشاعري تجاهك مُبلورة وقابلة للتطور والنمو، لكن دون قبولك سوف لن يحدث شيء. أعدك بكل الأحوال أن أبقى معك وألا أتركك أبداً مهما كانت التسمية التي ستطلقينها عليّ.. أتركي المخاوف جانباً، ودعينا نتعرّف على بعضنا أكثر. دعينا

لا تُعقد الأمور، فالله قد جمعنا فلا ترفضي مساعدته.

بعد ذلك الحلم الجميل، أوصلها إلى باب بيتها من جديد، قبلها قبلة  
الم دواع، استلمت له بسعادة، ثم تداركت الأمر فأدازت وجهها بسرعة.

- اعتذر، أنت تبتدين رائعة ولر أستطيع أن أكبح رغبتني بتقيلك.

ابتسمت بخجل قائلة:

- لا تفعل هذا ثانية وإلا سأعاقبك.

- حاضر.. كما تريد فانا لا أحمّل عقابك.

راقبها حتى دخلت البيت وأغلقت الباب ورائها، ثم انطلق عائدا.

كانت مشاعره تجاهها تنمو بسرعة، وهو الذي كان يعتقد بعد كل تلك  
الازمات التي مر بها أنه لن يحب أو يعشق من جديد، لكن ظروف حياتها  
كانت تثير مشاعره من كل النواحي. هي وحيدة وظروفها صعبة، تنظر إليه  
كملاكها المخلص، وهذا ما كان يرضي رجولته وغروره، ويجرجه من رتبة  
حياته وقساوة مهته.



- ألو أوروبا، هل أنت جاهزة؟ سنكون عندك خلال دقائق.

- ماذا يا سنا!! إلى أين؟

- أنا ونديم صديقي الذي أخبرتك عنه سذهب اليوم إلى جلسة انتخابات  
مرب العمال، لقد حجزنا لك مقعدا هناك.

- آه، يا إلهي لقد نسيت ساجيني. أنا مريضة جدا ولن أتمكن من الذهاب.

لقد نسيت الموعد، ولر ترغب بالذهاب إلى أي مكان، لكن صوت سنا

اجبرها على النهوض:

- هيا انفضي عنك وهم المرض، والآن ستبين حيلة الفراش. أنت بحاجة  
لك بعض التغيير، ستلتي سويا، بغض النظر عن المكان والموجودين فيه.

- حنا سأحاول، لكنني بحاجة إلى بعض الوقت.

- سنتظرك، لكن لا تتأخري.

- سأبدل قُصاري جهدي.

غادرت السرير، نظرت إلى المرأة يأس.. كم تبدو مُتعبة، كيف ستحو هذا  
الإرهاق؟.. استحمت بسرعة، وضعت بعض المرطب على بشرتها الناعمة،  
مرت بقلم الكحل الأزرق بين جفونها، مشطت رموشها فأضفى ذلك بريقا  
رائعا على العينين المتعبتين. لمسة من أحمر الشفاه الزهري، جففت شعرها  
الناعم وصففته قليلا، وها هي تمحو آخر معالم الإرهاق أمام الخزانة، بزة  
رسمية ومادية اللون، قميص أبيض، حذاء جلدي أسود عالي الكعب، قُبعة  
وحقيقية، ولرنتس عطرها الناعم.

كان الطقس باردا، فأكملت أناقتها بمعطف أسود طويل. أفلت الباب  
وخرجت، وكانوا بانتظارها أمام مدخل المنزل.

- اعدراني لقد نسيت الموعد، كنت متوعكة بعض الشيء.

- لقد توقعت هذا، لذا اتصلت بك قبل وصولنا.

رَمَقَتْ نديم، الذي كان يُراقبها بنظرات خاطفة، فأشاح بوجهه بعيدا كأنه  
لم يرها.

- مرحبا سيد نديم، أنا أوروبيا، لقد أخبرتني سنا عنك الكثير.

- أرجو أن يكون ما أخبرتك به قدّم لك صورة جيدة عني.. بكل الأحوال  
اهلا بك معنا.

قالت سنا: بعض المعلومات العامة؛ كونك رئيس سابق لحزب العمال،  
دعمك لقضاياهم وحلّال المشاكل.

- معرفتك تُزيدي سرفاً، رغم أن ثبوتي السياسية شبه معدومة، لكن أظن  
ان اهتيامنا مشترك بالنسبة لقضايا الإنسان وحقوقه.

- العمل الجماعي أو السياسي فعال ومؤثر أكثر من الأنشطة الفردية، ولهذا  
أنشئت الأحزاب والمنظمات كي تؤمّن الدعم للقضايا الإنسانية والاجتماعية  
العادلة، وتوصل الصوت إلى الرأي العام بأفضل الطرق. هذا التّجمّع السياسي  
الذي نعمل من خلاله هو المنبر الذي نطلق منه بأفكارنا الجديدة ومطالبنا  
المحققة إلى الأكثرية، كي نستطيع أن نقيع الآخرين بما نريد، أو بالأحرى بما هو  
مفيد لتطوير العيش المشتركة والتفاعل الاجتماعي بين البشر..

- جيد، سوف تكون تجربة جديدة، سوف أشاهد انتخابات حيّة، وسوف  
أحكم على نزاهتها وديمقراطيتها.

ضحكت سنا..

- أوروبا، لا تهمني.. لن يتغير شيء إذا ما تعبّرت الأسماء، ففي النهاية  
سنصقّ للرابع بغض النظر عن اسمه، سيغديق الوعود، وبعد أن يصل إلى ما  
يريد صفوف يئس كل تلك الأيدي التي صفقت له

نجاهل نديم ما قالت، مظهرًا امتعاضه..

- أحياناً يكون العمل الجماعي السياسي مُضراً ومُعبت، فبعض هذه الأحزاب  
يُحيثون جمهورهم ويقودنه إلى الأفكار المتمرّة وقمّة أهدافهم توجيه المجتمع  
إلى المزيد من التزمت والعنصرية، ونجدهم يُسوقون لهذه الأفكار بكل ما أوتوا  
من قوّة بدعم مبطن من بعض الجهات الانقلاية التي تسعى إلى دمار المجتمع  
ونفكيك روابطه. ليس الكل سواء بالتأكيد.

شخصيته الجدّية كانت تُضفي جاذبية على مظهره.. شابّ في مجاهل

الأربعينيات، ذو شعر أكثر قصير مصفف مع بعضي المثبت، أما ملابسها، فكانت أنيقة وعصرية، تميل إلى الأسلوب الإيطالي الحديث، وقد لفَّ حواله عنقه بين ياقة قميصه الأسود والجاكيت الرمادية شالاً أسود بنقوش رمادية، ينظرون صبَّ بعض الشيء، حزام بارز، وجذاء أسود يتماشى كلياً مع ما يرتدي، شخصيةً أثار فضول أوروبا وحذرها في آن.

وما لفت نظرهما بشدة، خواتم الزواج الثلاثة التي كان يرتديها؛ انبسي في الإصبع الأوسط من اليد اليسرى وواحد في الإصبع الأوسط من اليد اليمنى!! أنا عطره فكان فواحاً مُعِيناً عنه؛ لقد شعرت بعد أن صافحها بأن تلك التفاحات ستبقى عالقةً على يديها إلى الأبد.

أوقفت السيارة، ثم سارَ مُوسطاً الفتاتين إلى أجمل مكانٍ في المدينة.. قاعة حُفِرت في قلب جبل، تقوم عليه قلعةٌ قديمة، كان للمكان قيمةً تاريخية، كما قال لها. رغم قربها من سكنها، إلا أنها لترزه سابقاً، فقد أخذها البحث عن جذورها ومستقبلها من الاستمتاع بحاضرها. وقفوا على مدخل القاعة، وأخذ يُعرفهما على المدعوين ومواقعهم في الحزب وفي الحياة الاجتماعية: هذا نقيب العمال، هذا رئيس البلدية، هذا مسئول التأمين الاجتماعي.. هذا وهذه وذلك.. رَجَّوا بها بود، وتبادلوا معها الحديث. لم يكن أماتها، وهي السيدة الاجتماعية، إلا أن تُبادلهم بالئيل وتُجيب عن أسئلتهم الاستفسارية اللطيفة، بتهديب ومودة، وهذا ما أثار غيظه الذي حاول أن يُخفيه ببرود..

- أوروبا، أرجو ألا تُطيل الحديث معهم.

- لماذا؟ فين غير اللائق أن أتجاهلهم! أنا غريبة وبحاجة إلى أن أُنبي جُتمعاً جديداً من حولي.

- لقد أخبرتني سنا عن مشكلتك، وسأحاول أن أساعدك، ولكن نقي بي واعطني بعض الوقت.



أر عجبها هذا جدًا، فلم تعتد أن تخضع لأي أوامر أو تسلط. أجابت  
ماضي:

حسنًا، سأحاول.

امتلات القاعة، جلس كل منهم على المقعد المخصص له، وبدأ البرنامج  
انتخابي. لم يكن هناك سوى مرشح واحد، امرأة شابة في مقتبل العمر.

- سيد نديم، من هم المرشحون باستثناء هذه السيدة؟

قال بغیظ:

- لا أحد!.. إنها ليست انتخابات، إنه استفتاء، أرتشاهدي قبل الآن حدثًا

مثل هذا؟

- إنه شيء يشبه تعيين الملوك بالنظام الوراثي.. كيف تكتمل الصورة

الديموقراطية التي تشغني بها بمرشح واحد؟

- إنها أمور خاصة بسياسة الحزب الداخلية.

- تبًا هذه الديموقراطية، إذا كان الوريث موجودًا. لماذا يُفقون كل هذه

الملايين على انتخابات أو استفتاء نتيجة معروفة مُسبقًا؟ الأجدد بهم أن

يسرفوا هذه النقود على المحتاجين والفقراء.

قاطعها قائلاً:

- هلا صمت قليلاً كي نتابع ما يدور حولنا!

قالت سا:

- صفقي أوروبا ولا تسالي، فالكلام ممنوع، نحن هنا كي نسمع ونصق

للرابع.

- إنني مُسألة، لكن لا أعرف لماذا اشتعل غيظًا من نديم هذا، ومن أتفه

الذي يكن السماء!

كَانَ يَتَجَاهَلُهَا بِخَبَثٍ، لَكِنَّمَا لَرَّ تَابَهُ لِأَمْرِهِ، رَأَتْهَا كَانَ مَشْغُولًا بِمَنَابِتِ  
الْمَشَاكِلِ رُغَمَ انْزِعَاجِهَا. فَهِيَ لَمْ تَعْتَدْ مُسَبِّقًا عَلَى التَّعَامُلِ مَعَ أَنَاسٍ مِنْ هَذَا  
النَّوْعِ، وَلَمْ يَحْضُرْ أَنْ تَجَاهَلَهَا أَحَدًا مَا مِنْ قَبْلِ. بَعْدَ سَاعَاتٍ وَقَبْلَ مُغَادَرَتِهِمْ  
الْمَكَانَ، تَكَلَّمَ مَعَهَا قَلِيلًا كَمَا يَكْتَسِرُ حَاجِزَ الصَّمْتِ الْبَارِدِ الَّذِي حَلَّ بَيْنَهُمَا.

- لَدِي صَدِيقٌ، مُؤَظَّفٌ مُهِمٌّ فِي مَكْتَبِ الْعَمَلِ، إِنْ كُنْتَ تَرَعِّينَ فِي الْبَحْثِ  
عَنْ وَظِيفَةٍ مِنَ الْمَمْكِينِ أَنْ يُسَاعِدَكَ إِكْرَامًا لِي.

«أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ، لَكِنْ لَا أَحْبُدُ أَنْ أَحْصَلَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنْ خِلَالِ،  
هَذَا الْمَتَعَجِرِ ف.. كَرَّرْتَ بِتَهَكُّمٍ:

«سُيَاعِدُكَ مِنْ أَجْلِي»، لَكِنْ لَيْسَ لَدَيَّ مُتَّعٌ مِنَ الْوَقْتِ، فَغَدَا تَنْتَهِي  
إِجَازَتِي الْمَرْضِيَّةَ، وَلَنْ أَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ مَعَهَا كَلْفَ الْأَمْرِ، سَأَقْدِمُ اسْتِغْثَالَتِي.  
لِهَذَا عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ عَمَلًا آخَرَ، فإِقَامَتِي فِي مَكَانٍ سَكَنِي قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَى نَيْاتِيهَا.  
وَجِبَ أَيْضًا أَنْ أُبْحَثَ عَنْ سَكْنٍ مُسْتَقِيلٍ، يَا إِيهِي! إِنِّي بِحَاجَةٍ فَعَلًا لِكِ  
مُسَاعَدَةٍ، حَتَّى سَوْفَ أَجْرُبُ»..

- إِنْ إِيجَادَ فُرْصَةَ الْعَمَلِ الْمُنَاسِبَةِ سَنَحَلُّ كُلَّ مَشَاكِلِي.

- فِي بَدَايَةِ الْأَسْبُوعِ سَأُرْتَبِّ لِكَ مَوْعِدًا مَعَهُ. طَبَعًا ذَلِكَ يَتَطَلَّبُ بَعْضَ  
الْإِنْتِظَارِ، لَكِنْ لَا تَقْلَقِي، سَأُنْهِئُ الْأُمُورَ بِسُرْعَةٍ. إِنَّهُ صَدِيقِي وَلَا يَرْفُضُ لِي  
طَلِبًا، سَأَتَّصِلُ بِكَ وَأَخْبِرُكَ بِالْمَوْعِدِ.

- سَأَكُونُ بِالْإِنْتِظَارِ.

أَمَّا سَنًا، فَكَانَتْ تَبْدُو كَهَيِّوَةٍ ضَعِيفَةٍ تَدُورُ فِي فَلَكَه، لَاحِظَتْ هَذَا بِسَهُولَةٍ،  
فَحَدِيثُهَا عَنْهُ أَمَامَهَا كَانَ مُطَوَّلًا، لَكِنْ انْشَغَالُهَا بِمَشَاكِلِهَا أَبْعَدَهَا عَنْ سَمَاعِ  
التَّفَاصِيلِ، وَعَنْ أَيِّ انْشِغَالٍ آخَرَ.

كانت سيمون تُحَضِّرُ القهوةَ في غرفةِ الاستراحة، عندما وَصَلَ عُذِّي.  
 - كم أنتِ نشيطة.. وَصَلْتِ قَبْلِي.  
 - ليسَ بكثير.. نعالٍ واحِتي القهوةَ معي.

- أطيبُ قهوةٍ مع أروَعِ صديفة، وأخبارٍ جميلة.. سَتُقِيمُ المُستشفىَ عشاءها السنوي للأطباء، وأريدُكَ أن تُرافقيني. رَبِّي مواعينُكَ على هذا الأساس، رجاء.

قالت بتردد:

- لا أعرف عُذِّي.. إنها حفلةٌ للأطباءِ وللإداريين، وأنا.. لا أعرف!!  
 - أنتِ صديقتي، ولن أذهبَ بدونكِ، يجب أن تعتادي على حياتكِ الاجتماعية الجديدة.

- حسنًا، سأحضِّرُ نفسي كي أليقُ بكِ.

دخلت إلى قاعةِ أحدِ الفنادقِ الرائعة، يتأبَّطُ ذراعها بكُلِّ فخرٍ لقد قرَّرَ أن يفرِّضَها على جميعِ مَنْ حولِهِ وكأنَّها جزءٌ منه، وأن يدعَمَها إلى أن تُصلَ إلى مكانٍ مرموقٍ يليقُ به.

في وسط القاعة، كانت هناك طاولة قد حُصِّصَت للأطباء المسئولين في قسم الجراحة الذي يعمل فيه. أربكها جلوسها هناك، أما هو فأخذ يُقسِّم الوقت الحديث إلى زملائه والاهتمام بها..

- عزيزتي أرجوكِ استعمني بوقتِك، تصرّفي على طبيعتِك وبِحريّتكِ.

- سوف أذهب إلى البار، أتدخُّق بي إلى هناك؟

- أكيد.. سوف أوافقكِ.

أحاديثُ العمل لا تنتهي، ولربِّكُن من اللائق أن يعتدِّر من رئيسه ويذهب، رغم قلقه لغيابها.

بعد قليل حَضَرَت إحدى زميلاته في القسم..

- بعد إذنيك سيدي، أريدُ دكتور عُدَي بامرِ هام، سوف أسرُّقه منك لبعض الوقت.

- تفضلي..

قالت له بصوت منخفض:

اسرع أرجوك، لقد أفرطت سيمون في الشرب، وهي في وضعٍ مُخزٍ للغاية أرجوك أن تأخذها من هنا بأسرع ما يُمكن.

قال باستغراب:

ماذا؟! أكيد سأتصرّف.

وصَلَ إلى هناك، فرآها في صورةٍ مُرعبة، وقد اختلطت مساحيق التجميل على وجهها ورَسَمَ الكحل الأسود هالة قائمة حول عينيها، فبدت كساجرةٍ مُخيفة. كانت تصرُخ وتضحك بصوت عال، وقد سقطَ فُئانها عن نُصف جسدها العلوي، وبأنت شبه عارية. تحلَّق حولها رجال الأمن مُحاولين تهديتها، وكأنتها ثور هائج، تتخبَّط بين أيديهم محاولة الفرار.

نقدم منها ورقع فستانها، فأخذت تضربه، طوقَ خصرها بذراعيه وحملها  
إلى كنيفه، وتوجه بها إلى السيارة ووضعها هناك. أقفل الأبواب وانطلق..  
أمدت تصرخ:

- أااا.. أنا مُعَذِّبَةٌ، ضَعِيفَةٌ، اوقِفِ السَّيَّارَةَ أريدُ أن أُخرجَ، أن أرحلَ..  
أسلُكُ.. أنا مُدِمَّةٌ كحول، أنت تَعَطِّفُ عَلَيَّ، لا أريدُ أن أؤذِبَكَ.

كان بُكَاءُها يقطعُ كلماتها، تصرُّخُ ثم يعود الصوتُ ليخْتِنِقَ من جديد.  
وصل إلى بيتها، أخذَ المفتاحَ من الحقيبة، حملها إلى السرير، أغلقَ البابَ ودَهَبَ.  
أدرك أن وراءَ تلكَ الشخصيةِ الهادئةِ تخْتَبِئُ الكثير من الأسرار التي لم يكتشفها  
تساءل في سرِّه إن كان عليه أن يترث!



مرَّ النهارُ ثقيلًا، لَرَّتَاتٍ وهو لَرَّ يَتَّصِلُ، في الماء.. وبعدَ صراعٍ طويلٍ مع  
مشاعيره، حَمَلَ الهاتفَ وطلَّبَها:

- ألو كيفَ حالِكِ اليومَ؟

- بخير.. لَرَّ أتوقَّعُ أن تتَّصِلَ بعدَ ما حَصَلَ.

- كيفَ أخبرِكِ؟ أجدُ نفسي لا أستحِقُّك كما تعرفني، كيفَ إذا ما كُنْتُ  
مُلمنةً؟

- دعينا نَجِدُ حلاً لهذهِ المشكِلةِ. نحنُ أصدقاء، وأنا وَعَدْتُكَ بأن أساعدكِ  
وأقِفُ لكِ جانبكِ ولن أخنلكِ.

- سهَّلُ عليكِ قولَ هذا. أنت لا تعرفِ ظروفِي، إنني أحاولُ ولكن تخونني  
قُوَّاي، أناهزُ وأسقطُ دونَ إرادةِ.

- لا يجوز أن نُعلّق أخطاءنا على الظروف، ونحنُ من يصنعها. ما كان قد كان ومضى. ها أنا أطلب منك من جديد أن تخبرني عن مشاكلك، ودعنا نُفكّر سوياً بصوت مُرتفع. ثقي بي، يجب أن تكوني قوية، وإلا سوف تبقي مكانك تُنازعين وحيدة حتى الموت.

- إنني غارقة بالديون.. بعد موت والديّ أدمتُ الكحول كي أهرب من واقعي، أريد أن أفلح، أن أتخلص من هذا الداء، لكن ليس لديّ الإرادة والمال كي أذهب إلى المصحة. أنا بحاجة لك كُل ما أكسب كي أسدّد فائدة ديون جيد، أنا سأساعدك، سوف أجد لك مصحة لعلاج الإدمان، نُجدول الديون ونحاول تسديدها.

- لا.. لا أستطيع أن أقبّل هذا.

- لا تخافي، لن يكون هناك مُقابل سوى أن نكون أصدقاء، تُساعدني وأساعدك عندما نحتاج لهذا.

- لا.. هذا العلاج مُكلف ولن أقبّل ماعدة كهذه.

اعتبره ديناً أو قرصاً دون فائدة لحين تعافكي، يجب أن تخرجي من حالة الإدمان كي تقفي من جديد. أنت تُنفقين المال على الكحول، تُتّجبن أقل، تحركي ونجاحك ومسيرة حياتك متوقف على هذه الخطوة.

حَيِّم الصمت قليلاً.. ثم تابع:

- أرجوكِ دعي هذه الحساسية المفرطة جانباً ودعينا نتحرك وهكذا ستخرجين بسرعة، مصاريفُ الدراسة ستتهي، عمليّك سينحسّن وستتجبري وتُسددين ديونك وتكاليف العلاج بأسرع وقت ممكن. أخبريني عن وضعك المادي بالتحديد عن مُمتلكاتك.

- لا شيء. سوى البيت الذي أسكنُ فيه، وسيارتي الصغيرة القديمة.

- هل فكرتِ في تأجير منزلِك والانتقال إلى سكنٍ أصغر؟ هكذا تبغدين

ذكرياتك الأليمة، وتستفيد من النقود الإضافية.

- لا.. لا أستطيع، هذا البيت هو وطني، أهلي وطفولتي.

- أفهمك.. عندي حل آخر، ما رأيك لو أجرت بعض الغرف لبعض الطلاب.. كثيرون من يتنون إيجاد سكن مشترك، كي لا يتحملوا نفقات السكن بمفردهم.

- في الحقيقة لم أفكر سابقاً بالموضوع، تخيفني الفكرة، ربّما لن أشعر بالاستقلالية والراحة.

- ورّبما وجود شركاء معك في السكن سيخبرجك قليلاً من حالة الوحدة التي نعيشها، ورّبما يساعذك هذا على الإقلاع عن الكحول، ببساطة تستطيعين أن تحددي فترة معينة لعقد الإيجار، وإذا لم يرحك الأمر يمكنك إلغاء الفكرة أو إيجاد آخرين. أرجوك خذي الأمور من الناحية الإيجابية دائماً، ولا تسمحي للخوف من المجهول، الذي ربّما لن يأتي، بأن يُعثر حياتك.

- هل تسكن معي؟

حل الصمت من جديد.. سألته:

- ما بك؟

- لقد فاجاني سؤالك!! لكنها فكرة جيّدة. سوف أدرسها.

- اتفقنا..

- جهّزي لي رجاء جميع فواتير الديون والفواتير التي عنك، كي نعيد جدولتها وترتيبها معاً، هكذا ستفرغين للعلاج والدراسة. أنا فيما يتعلق بموضوع السكن، سأجيب على طلبك بأسرع وقت ممكن.

صمتت قليلاً، قبل أن يأتيه صوتها:

- إنه الموضوع الأهم بالنسبة لي.

هل يقبل العرض؟ إنها خطوة جريئة، فهو لم يقم سابقاً مع صديقة.  
سيتطيع أن يسيطر على مشاعره وهو يراها كل يوم وكل لحظة، في  
الأوضاع؟ هل سيقبل الواقع إذا أتتها صديق يزورها ويبارس معها الح  
أمام عينيه؟ هذا القرار سيدخله بتحديد جديد، ليس وانقأ من أنه سيجازة.



بعدُ مُرورِ ساعاتٍ على لِقائِهِمْ.

- ألو.. نديم يتكلم.

- أهلاً بِكَ.

بصوتِ جَدِّي وحازِم:

- لقد حَدَّدْتُ لِكَ موعِداً مع صديقي المَشول الذي أَخبرْتُكَ عَنْهُ، الاثْنين،  
الساعة الثانية عشرة ظُهراً، مَكْتَبِ نقابة العَمال. هل يُمكنُكَ أن تُوافيني بِكَ  
هناك؟

- توقيتٌ جيّد.. سَتَجِدُنِي هناك بانتظارِكَ.

- رُبَّما من الأفضل أن أصحبكَ بِنَفْسي، هكذا أضمن بأن نَصِلَ في الوقت  
المحدد.

أجابَتْ وهي مُحاوِل أن تُخْفِي غَضَبَها:

- حسناً سَيَدِي كما تُريد، سأكون جاهزة بانتظارِكَ.

أقفلت الخط بغضب، ورددت بتهكم:

«أَفْضِلْ أَنْ أَصْحَبَكَ بِنَفْسِي»، تَبَالُكَ وَلِصَدِيقِكَ.. مَنْ تَنْظُنْ نَفْسَكَ؟ غَرِيبَةً  
هَذِهِ الدُّنْيَا، تُشْبِهُ الحَدِيدَةَ، فَلِكُلِّ زَهْرَةٍ عِطْرُهَا وَجَمَاهَا وَسُكُومُهَا. لَقَدْ انْتَعَبَنِي  
هَذِهِ الزِّيَارَةُ، بِقَدَرِ مَا زَادَتْ مِنْ نَجَبَاتِي، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ هَذَا مَا زِلْتُ أَقِفُ أَمَامَ  
مَخْلُوقَاتِ الإِلَهِ عَاجِزَةً أحياناً عَنْ فَهْمِهَا.. غَرِيبٌ يَسْرُكُ أَيُّهَا الإِلَهُ!!».

هَا هِيَ نَقْفٌ فِي الوَقْتِ المَحْدَدِ عَلَى رَصِيفِ الشَّارِعِ قُرْبَ المَنْزِلِ، تَنْتَظِرُ  
وُصُولَهُ..

- تَفْضَلِي يَا أوروْبَا.

صَعَدَتْ إِلَى السَّيَّارَةِ، تَحْتَ نَظْرَانِهِ الَّتِي كَانَتْ تُجَاوِلُ إِخْفَاءَهَا خَلْفَ نَظَرَانِهِ  
السَّمِيَةِ.

- صَبَاحُ الخَيْرِ سَيِّدِ نَدِيمِ.

قَالَتْ هَذَا وَهِيَ تَبْسِمُ تِلْكَ الإِبْسَامَةَ السَّاجِرَةَ، رُغْمَ مَرَاوِزَةِ المَوْقِفِ.

- صَبَاحُ الخَيْرِ، جَيِّدٌ أَنْكَ لَمْ تَتَأَخَّرِي، فَأَنْتِ تَعْرِفِينَ هَؤُلَاءِ القَوْمِ، الوَقْتُ  
مَقْدَسٌ بِالنِّسْبَةِ هُمْ.

فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ كَانَا عَلَى بَابِ مَكْتَبِهِ، دَخَلَا سَوِيًّا. عَرَفَتْ نَدِيمٌ عَنْهَا بِفَائِقِ  
الإِحْتِرَامِ، مَحَاوِلًا إِظْهَارَ بَعْضِ اللُّطْفِ مَعَهَا، أَمَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَانَ جَدًّا  
مُتَوَاضِعًا وَطَيِّبًا، عَلَى عَكْسِ مَا اعْتَقَدَتْ، أَوْ بِالأَحْرَى عَلَى عَكْسِ مَا حَاوَلَتْ  
إِفْهَامَهَا.

بَدَأَ نَدِيمُ الحَدِيثِ عَنْ وَضْعِهَا، حَاجَتِهَا لِلْعَمَلِ وَعَنْ مَجَالِ تَخْصُصِهَا، بَيْنَمَا  
هِيَ جَالِسَةٌ تَسْتَمِعُ بِكُلِّ إِحْتِرَامٍ إِلَى مَا يَقُولَانِ. وَعَدَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِمُسَاعَدَتِهِ  
وَدَعَمِهَا قَدْرَ المَسْتَطَاعِ، لُطْفَهُ وَنَظْرَانِيَةَ الوُدُودَةِ وَرَغْبَتِهِ بِالتَّعَرُّفِ عَلَيْهَا جَعَلَوْهَا  
تَنْطَلِقُ بِالحَدِيثِ لِتَكَلِّمَ عَنْ بَعْضِ آرَائِهَا بِالنِّسْبَةِ لِوَضْعِ العَمَلِ وَقَوَانِينِهِ  
وَالتَّجَاوِزَاتِ الَّتِي تُعَارِضُ حَقُوقَ الإِنْسَانِ وَكِرَامَتِهِ لِلحَصُولِ عَلَى مَكَانٍ لِأَنْتِ  
دُونَ أَنْ يُهْدِرَ هَذِهِ الكِرَامَةَ عَلَى مَذْبَحِ الحَاجَةِ. أَنَارَ حَدِيثُهَا إِعْجَابَ ذَلِكَ الرَّجُلِ

أشعلَ غَضَبَ نديم الذي كاد أن يتفجّر غيظًا، وقف بِسُرعة قاتلاً:  
- حسناً صديقي العزيز، يجب أن نُغادر، فنحنُ نَعرِفُ أن وقتك ضيق،  
برغمِ هذا لم تبخلِ به علينا.

- لا عليك سيّد نديم، أسعدني لقاءكما

التفت إليها..

- حسناً أوروبا، تفضلي معطفك.

ناولها المعطف بهدوء، متروّداً خلفَ ايتامةٍ مُصطنعةٍ بقصاصٍ وشيك.

- إلى اللقاء سيدي.

- إلى اللقاء سيّدة أوروبا، سررتُ بمعرفتك.

فتح نديم الباب أمامها، وخرّج بخطواتٍ سريعة نحو مدخلِ المبنى وهو  
نتميم: أي نوع من البشر أنت؟ من نظّيتَ نفسك؟ لقد طلبتُ منك أن تلتزمي  
الصمت ولا تتكلمي إلا إذا سألك الكلام، أراؤك تلك كانت انتقاداً صريحاً  
لمؤسستهم التي تقصدينها كي تُساعدك. أنت هنا بحاجةٍ لمساعدة، إن كنتِ  
نظّيتَ نفسك ملكة، فحاولي أن تحلّي مشاكلك بنفسك.

تزلّ على الدرج الخارجيّ، تزلّت خلفه محاولةً اللحاقِ به بخطى سريعة.  
فضلت الصمت بعد أن اعتذرت له، محاولةً كسرَ جِدّةِ عنقه معها، لكنه لم  
يُعرها أي اهتمام. قالت وهي تستقل السيارة:

- آسفة، لم أقصد إحراجك، اعتذر، كنتُ أبدي رأيي فقط!

- من طلب منك هذا؟ ما هذا الغباء؟.. ما دُمتِ مُهمّةً إلى هذه الدرّجة،

لماذا أتيتِ معي؟

حاولت أن تضبط أعصابها وتجاهل ما تسمع، لكن أسلوبه الفظ جرح  
كرامتها.. فتحت باب السيارة من جديد، قالت له وهي تهم بالخروج:

- اعتذر للمرأة الأخيرة.

لر تستطيع حبس دموعها، أجهشت بالبكاء كما لر تفعل من قبل أمام أحد،  
بينما هو يُراقبها بدهشة، وقد بدأت ملايح الندم تسئل إلى وجهه القاسي.  
- اصعدي إلى السيارة. لا أريد فضائح، الجميع هنا يعرفني، اصعدي  
أرجوك.

- لیت هناك فضائح، ولن يكون. سأعود إلى البيت. اعتذر منك، وأرجو  
أن تنسى أننا التقينا يوماً.. وداعاً.

- لا لن تذهبي وأنت على هذه الحال.. سوف أوصولك إلى البيت.

لر ترد أن تتجادل معه أكثر، عادت إلى السيارة، لكن دموعها لر تقبل  
الانحار.. عند وصولها كانت العاصفة قد هدأت بعض الشيء، قال لها:

- لا أريد أن أذهب وأنت على هذه الحال، هل تسمحين لي بأن أتناول  
القهوة معك؟ بالطبع إذا كان وجودي لا يُزعجك.

وافقت محرجة، متمنية ألا يكون جاذاً..

- تفضل..

شرح لها وجهة نظره، شرحت له أسبابها، فهي لر تعتد مسبقاً أن يتكلم  
أحد باسمها، وأن يفرض قيوده على أرائها، مشاكلها وما تُعانيه البشرية من  
ظلم يُخرجها أحياناً عن قدرتها على تقبل الواقع. بعد أن شربا القهوة، واستتر  
الوضوح بينهما من جديد، ودعها ورخل. ووعدّها بأن يكمل ما قد بدأ، حتى  
يصل إلى حل نهائي لمشاكلها تلك.

غريب هذا الرجل، يشبه رجال بلادي، مليء بالعنوفان، نائر وخاضع،  
مُسلط، ومُتهاود أمام من يفوقه مركزاً وسلطة. صحيح أن الإنسان وأبنيا  
كَبُرَّ تبقى جذوره هي هي، رُغم محاولتيه كسر قيودها والتحرر منها. فبين إدي  
المال، وبين عدي القلق، ونديم المتعجرف هناك اختلاف كبير تُقرضه تلك

الجدور وهذا الانتها. وبين أهل كايا أيضا اختلاف كبير، أحاول أن أكبره بنفسي، كي أعيش كنبية صغيرة، نستمع بتقلب الفصول بسلام.

مرت أيام أقلقتها أكثر، المكان يقرر أنها لم تعد من أهله، وفرصة العمل الجديد لم تظهر بعد... كان رقم إدي هو ما تحتاج ضغطة، أخذت هاتفيها، وذلك الحنين إلى السلام يُحركها من جديد.. لبأنيها صوته، ويحتضنها ككل مرة تتوه فيها..

- آلو.. مرحبًا إدي. لقد التقيتُ بأحد معارف سنا، وهو يُحاول جاهدًا العثور لي على عمل مناسب.

- لا تقلقي يا صغيرتي، سنسير الأمور على ما يرام.

صمت مترددة لبرهة، فتحنح منها، فعاتت تقول:

- لقد قلت لي إن السيد كوينز يُريد أن يُجري لي فحصًا ما. أنا جاهزة الآن، لينك ترسل لي العنوان كي أذهب إلى المختبر، رُبما يجدي لي سيلاً للعودة.

- العودة!.. لا أحب هذه النبرة المنكّرة، إنها ليست أنت. يا صديقتي، غدًا ستشرق الشمس من جديد وستبين المستقبل على حُطام أحجار الماضي، وسوف أكونُ شاهدًا.

- رُبما.. من يدري؟

- حسنًا، سأرسل لك الموعد مع العنوان، وبعد صدور النتيجة سنلتقي ونتكلم.

سارت عجلة الحياة بها، وبدأت تُشارك المازة في الشوارع دروبهم ذهابًا وإيابًا، وها هو نديم قد نظم لها موعدًا آخر مع أحد الشخصيات المهمة، عليها تحصل هناك على ما تبغي. ذهب سونيا، هذه المرة التزمت الصمت، وتركته يُدير دفة السفينة وحده، مما أرضى غروره وروحه القيادية، رُغم ذلك الانزعاج الذي انتابه عندما أثنى ذلك الرّجل على جمالها ببعض العبارات. ما يعينها في

الموضوع هو وَضْعُهَا الْعَمَلِيّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ لَرِيكَنٍ لِيُوْتِرَ.

- جيّد أوروبّا، كُنْتِ ممتازة، هل لديكِ غداً أيّ التزام؟

- عندي موعد في أحد المراكز التجارية، أحد المتاجر هناك يطلبُ موظفةً، سأحاول!! زُيِّبًا حالِفتي الحظ.

غداً! هذا جيّد، عندي مُتَمَسِّعٌ من الوقت. لو سمحتِ لي بأن أوافيكِ إلى هناك. أريدُ أن أدعوكِ على فنجان قهوة عربون اعتذار.

- ليس لدي مانع، سنلتقي قبل الموعد بساعة، ما رأيكِ؟

- موافق، إلى الغد.

كأنت الأمور تسيرُ بينَهُما بشكل جيّد، رغم الحذر والتوتر الذي كان يُغْلَفُ لقاءاتِهِما. صَعِبَ عليها أن تُخَطِّطَ ما حدث بينهما ببساطة.

في المركز التجاري كانت تتظرُهُ بكامل أناقِتها.. قد لَفَّتْ حَوْلَ عُنُقِهَا شالاً حريريّاً زهريّ اللون، وارتدَّت تنورة زهرية وجاكيت بنفسجي، خليط بدت فيه كزهرة مُقلِّمة الجذع مُناسِقة الأوراق، شذية العطر، سيّدة راقية مُختلفة من عصر النبلاء.. إنَّها أوروبّا الملكة. عندما رآها، ظَهَرَ على وَجْهِهِ وفي عينيه تعبير غريب، حاول تدارِكُهُ بسرعة.

قال بهدوء ورزانة:

- أوروبّا.. تَبْدِينِ أنيقة جداً، أعتقد أنك ستحصلين على هذه الوظيفة.

- أتمنى ذلك، ستكون هذه فرصة جيّدة لي.

- هيا تعالي قبل أن يُداهِمنا الوقت.

جلسا في أحد المقاهي الراقية، تناولا القهوة وتبادلا الحديث، أحاديث عامة وإرشادات. كان يُحاول أن يفهمها بأنه من الصعب عليها أن تعيش وحيدة، وأنها بحاجة إلى أحد ما كي يُمسِكَ يدها ويُسَدِّدَ خَطَاها. حاولت ألا

أثر بها تسمع، فهي بحاجة إلى من يحميها وليس إلى من يضعفها. قررت أنها  
الذئبت، فقالت وهي تبسم:

- اعتذر منك سيد نديم، عليّ أن أذهب الآن.

- حسناً، سأنتظرك هنا وأتمنى لك التوفيق.

قائماً وهو يشد على يدها.

- شكراً، لطف منك حقاً.

مشت أمامه، كانت عيناه تجولان على كل جزء من أجزاء جسدها المتناسق،  
ومشيتها الواثقة. لم يطل غيابها، قبل أن تعود متأبطة ذراع الخيبة..

- ها أخبريني.

- لقد رفضوا طلبي، ليس عندي شهادة ولا حتى خبرة.

- هذا لا يعقل.. مجانين!

- كنت أعرف مسبقاً، فالخبرة مهمة، وأنا أفقر إليها في كل شيء.

- أرجوك لا تقلقي.. سوف نجد عملاً آخر.

كان لطيف جداً معها، وحاول أن يخفف عنها بعضاً من ذلك الإحباط  
الذي أصابها.

- هيا انسي الأمر، سندهب إلى المدينة المجاورة لمدينتنا. اعتقد أنك لرتزور بها  
مسبقاً! إنها تبعد ما يقارب الساعة، أرجوك أن تقبلي دعوتي.

- لرأزرها، يسعدني هذا، لكن أريد أن أعود إلى البيت، فلن أكون رقيقة  
جيدة لك.

- هيا دعك من هذا، سوف نسلّي وتسين كل همومك.

بعد تفكير قالت:

- حسناً موافقة..

مرّ الوقتُ ذهابًا وإيابًا، وهو يَسْرُدُ لأوروبا أمجادِهِ وقِصصه المِليّة عن طفولتِهِ وشبابِهِ ومغامراتِهِ، وهي تُسَمِّعُ كطفلٍ تأخُذُهُ الدَهَشَةُ، وتتراكم في رأيه الأَسئلة حولَ هذا التَغْيَرِ المفاجئِ، إلى أن وَصَلَ المنزلَ. نَزَلَتْ من السِيارَةِ.. كان يُراقِبُها باهتمامٍ ظاهرٍ أجاب على بعضِ التِساؤلاتِ.

شغل تفكيرها بقية اليوم ما أخبرها عن أَنه مُنْزُوجٌ ولديه أطفال، كل تلك التفاصيل عن زوجته وكيفَ التقاهَا، تَعلِيقُهُ الذي لَرِيلَقِ استِحسانها: «إن روتين الحياة هو ذَلِكَ السِّمُّ الذي يَقْتُلُ الحُبَّ والعلاقات، وما يتبقَّى بين الأزواج فَقطُ مصلحةِ الأولادِ ومستقبلهم».



يومٌ جديد في عُرفة الاستراحة في المستشفى..

- صباح الخير سيمون، تعالي اشربي القهوة معي، لايزال أمامنا بعض الوقت قبل البدء بالعمل.

- عرض لا يُقاوم، وأنا أتوق دائماً إليه.

أخذت فنجانها وأكملت:

- عُدِّي، هل فكرت بالموضوع الذي تحدّثنا بخصوصه؟

- أجل، فكرتُ ملياً..

ثم تابع مبتماً:

- ووافقتُ بديناً، هكذا سأواكب فترة علاجك، فمن الأفضل ألا تكوني وحيدة في هذه المرحلة. مصاريف الطعام ولوازم البيت ستقاسمها سوياً كي لا تقولي أنني أنصدّق عليك. سوف أدفع لك إيجار الشقة كاملاً، ولِئدة ستة أشهر مسبقاً، ومبلغُ الإيجار نسد به قسماً من الدين، كي نُخفّض الفوائد، ومصاريف العلاج نُعيدنها لي بعدَ التخرُّج واستلام عمليكَ الجديد.

قالت بفرح:

- هذا رائع!!

- لكن يجب أن تعديني بأن تنصرفي بجديّة وحكمة.. تهتمّي بالعلاج وتبتعدي عن الكحول قدر المستطاع، وأن تعنتي وتحبي نفسك وتبتعدي عن تلك الذكريات الحزينة.

قالت وهي تضحك بعادة:

لر تستطيع أن تضبط نفسها أكثر.. غمرته بين ذراعيها وسدت بقوة. أحس بأنفاسها المتسارعة، أغمض عيني.. غاص في حُصَلِ شعرها محاوٍ لآضبط نَفْسِي كي لا يُربكها بأيّ تصرّف صياني طائش.

- يا إلهي كم أنت رائع! أنت ملاكي الذي أرسله الله لتجديني. أنت صديقي وأخي وكُل عائلتي.

أخذ عُدِّي يَسْتَمُّ عِطْرَهَا بشغفٍ، أرادَ أن يُقبّلها إلى ما لا نهاية. كانَ يشرع بجسديها وحرارة أنفاسها.

لقد أدرك أنه في ورطة، وما يتظّره لن يكون سهلاً.

- لا عليك يا صغيرتي، هيا تخصري واخلي لي غرفة في منزلك. سوف أنتقل في نهاية الأسبوع إذا أمكن. ستنهي الموضوع بسرعة، كي لا يؤثر على دراستك، فلن يكون أمامك مجالٌ للمُطالعة، فأنت إنسانة مشغولة وعليك استحقاقات كثيرة. يجب أن تنهي بحثك كي تجدي عملاً أفضل، فلن تبقي كما أنت.. اليس كذلك؟

- أعينك.. من بداية الأسبوع القادم سوف ترى وتحمك بنفسك، لن أصيغ دقيقة واحدة وسوف تكون راضياً عني كل الرضا.

- جيد.. سوف أساعدك قدر المستطاع.

وَضَعَ حَقِيئَتُهُ فِي السَّيَّارَةِ - بعد أن حملت شركة النقل كل أمتعتي في سيارة

خاصة - وانطلق إلى سكّنه الجديد. أما هي فجهزت له عُرفة الضيوف ووَزَعَت الزهور في المنزِل احتفالاً بقُدومه.

بعدَ ساعاتٍ من العمل، رتب الأغراض كل في مكانه، ادوات الرسم، جهاز الكمبيوتر، كُتبه وأبحاثه، ثيابه، جهاز الرياضة، أفلام، اسطوانات موسيقية. كانت سيمون تساعده، تفقد كل ما أحضر معه، تُعلق وتسال، في أجواء مُنيعة ومُسلية. مرَّ النهارُ بسرعة، ولم يشعرَا بالتعب، بعدها دخل إلى المطبخ.

- هل أنتِ جائعة؟ هل أحضر لك طبقاً عريباً للعشاء؟

- حقاً؟ تُتقِن الطبخ أيضاً؟ كم أنت رائع يا صديقي.

- لستُ طبّاخاً، لكن نذوّفي للطعام جيد جداً.

- أنتِ فعلاً مُتعدّد المواهب.. طيب، جراح، باحث، رسام، وإنسان رائع، كم أنا محظوظة. أفهم الآن لماذا أوروبا تتمك بك رُغم أنّها لم تترك. أنت تستحقّ هذا.

- تعرفين؟ لقد غيرت حياتي وأدخلت إليها هدفاً جديداً يزيد من قيمتها وهو إسعادك. هذا يجعلني أشعر بأهمية وجودي أكثر من كل الأشياء التي ذكرت. يا غيبة أنا من يجب أن يشكرَك على قبولي في حياتك وإعطائي هذه الفرصة.

أشرفتُ رُجاجة النيذ على نهايتها.. ذلك الجو الرومانسي كان مُتعتّشاً إليه ولكن الانعتاق من القيود، والخروج نهائياً من حياته الجافة، من ذلك المجتمع الذكوري الذي شبّ فيه، والذي يحرم الرّجل من التمتع بالحنان والشاعرية فقط لأنه رّجل. كان بحاجة إلى امرأة تُشبهها، تجعله يُنور على كل شيء، يترك ماضيه خلفه ويمضي..

- سيمون.. أترقّصين معي؟

- بكل سرور.

حضنتها، ضممتها إلى جسدي، بعد وقت طويل لم يلاحظ مرورها قالت:

- عذتي، أنت لم تشاهد بعد عرفة النوم خاصتي.

- لا، لكن إن سمحت لي فهذا يسعدني.

- تعال معي..

دخل أخيراً إلى هناك، مكان هادئ بألوانه الداكنة التي توحى بغموض  
صاحبه، وبأشباح الذكريات الحزينة.. سرير عريض، ستائر كلاسيكية، مقعد  
وطاولة صغيرة أمامه.

- هذا سرير من منذ كنت صغيرة، أجد وأشعر بالأمان والدفء عندما

أحتضن وسائده وأنام، هذه صورنا؟ بابا، ماما وأنا.

«قالت هذا بحزن»

ذلك الجدار بكل ما علّق عليه يؤرّخ مراحل حزنها وفرحها معاً.

- هذه خزانة ملابسني، وهذه خزانتي اليربية، أتعرف ماذا يوجد في داخلها؟

- لا أعرف!! ربما كتب أو صور أو ثيابك عندما كنت طفلة!

- أنا أتق بك عذتي، وبعد كل ما فعلت من أجلي لا أستطيع أن أخفي عنك

شيئاً، واثقة بأنك لن تفهمني بشكل خاطئ.

استغرقت في التفكير قليلاً، وكانت آثار الكحول قد بدأت تسلل إلى

طريقة كلامها وتؤثر على وعيها.

قال وهو يتيم بهدوء والفضول يقتله، لكن ببرود أعصابه المعهودة سيطر

على الموقف:

- كما تريدني، لا أريد أن أعرف إذا كنت غير واثقة من قدرتك على فتحها

أماسي، فهذا أمر جداً طبيعي، لكنك واجد منا خصوصياته، وأنا أحترم هذا.

- منذ زمن وأنا أعشق جمع الملابس المثيرة رُغم أني قد تربيت ضمن عائلة محافظة متزمته دينياً، رُبَّما هذا ما سبَّب لي نوعاً من الكَيْت، ونعني في داخلي هذه الهواية اللعينة ولم أستطع أن أسيطر عليها، إلى أن ضاقت هذه الخزانة بما ممت. كنت أشتريها فقط لأجمعها وليس لاستعملها.

كأذ أن يكسر باب الخزانة ليرى ما يُخفي خلفه، لكنها وقَّرت عليه ذلك العناء. أدارت المفتاح، وقَّخته على مصراعيه.. صُعِقَ لما رأت عيناه.. خزانة ملبئة بالملابس المثيرة، والتي تُستعمل في نوادي العهر والتعري.. ريش وقرود، دوتيل وحرير، جلود سوداء وسلاسل حديدية، أصفاد وبياط، أحذية غريبة، فُمازات، أجهزة إثارة وأعضاء اصطناعية، وعُطور زيوت، وصُور إباحية، وأقنعة مُقززة.. وشيفون تَقِف أمام كل هذا العالم الغريب المثير بِوَجْهها البريء، وكأنها لا تعلم شيئاً عما تُحتويه.. لَقَدْ صَعَّقَتْه المفاجأة كيوم رآها تترنح من السكر نصف عارية، لكن الوَضِع الآن مُخْتَلِف، فُهما وحيدان، في غرفة واجدة، أمام عالم يتوق إلى أن يعيَّه، وامرأة يُجْبها ويريدُها هكذا عاجرة، كي بُشِع بها كل رَغْبائه المدفونة..

ولكن...!! تَنفَس بِعمق وَضَبَطَ أعصابه من جديد، وقال بهدوء:

- سيمون ما هذا؟

- أكيد أنت تُفكِّر بي الآن بالسوء.

- وكيف لي أن أفكر بالسوء، في الحقيقة إنه متحف جنسي وليس خزانة.

إنني فقط مفاجئ.

- لا أعرف لماذا يحدث هذا معي؟ فكلما نزلت صيحة جديدة، أشتريها

وأضعها هنا وأقبل الباب عليها.

- لا عليك، فأنا أيضاً عندما كنتُ شاباً اعتدتُ أن أشتري الاسطوانات

وأجمعها حتى لو لم تعجبني ولن أستمع إليها.

قال هذا وهو يتسم بهدوء.. اقترَبت مِنهُ، عانقته، وألقت برأسها على صدره.

- أنت رائع عُدَيّ.. كُنْتُ أعتقد أنك لن تفهمني.

مر بيده على شعرها بحنانٍ ولُطفٍ.

- لا عليك يا صغيرتي، معي لا يجب أن تشعري بالحجل أو القلق، فأنا من أجلك.

أخذت تزرع قُبلاتها فوق صدره، صاعدة إلى عنقه ثم إلى شفتيه، فأفقدته رُشدَهُ أمامَ تلكَ الحزانية المفتوحة، وجدها المثير وأنفاسها الملتهبة. شدّها إليه بقوّة، وقبّلها بشوق وجنون، بثورة على كل تلك السنين والتقاليد والأديان، وما يجوز وما لا يجوز.. جالاً بيده على جسدها الأبيض، تزرع ردايتها بخفّة ورماء بعيداً. أنا هي، فكانت تحتضّر بين ذراعيه، وكأنتها تخوض معه تجرّبتها الأولى، كهرة تُتقِنُ دورَ البراءة، وكامرأة تتحرّق شوقاً إلى خوض المغامرة.

على سريرها هناك لرُيدركا كم مرّ من الوقت، وهما يعيشان حالة العشق والجنون تلك. لرُيدركا كم نشوة للحب قد عصفت بها. كانت ثورة على كل ماضٍ وما سيأتي، ثورة عُدَيّ العاشق، مع امرأة يلفها الغموض والأسرار.. ثورة حتى الاستسلام، حتى الكأس الأخير، حتى بزوغ الفجر، وللروض لسطان النوم.

رناً المنبّه، فتح عُدَيّ عينيه.. لرُيدرك أين هو للحظات، نظراً حولهُ فوجدها يقربه، ابتسم بفرح لرُيدركا من قبل. انسحب بهدوء، ووقف من جديد أمام تلك الحزانية مُسألاً.. مسكينة.. إنها تُعاني من كبتٍ غريب، لكن كيف يُعقل هذا؟ فهي فتاة مُتحرّرة. رفع حاجبيه باستغراب إنهما الأديان تُصوّر غرائز الجسد وتوق النفس إليها خطيئة، فسُرّق من كل مؤمن متعة الحياة، والمشكلة أنه رُغم كل ذلك التزمّت والتخويف من النار والخطيئة والموت والعقاب، لرُيدرك تلك الأفكار المرعبة من تلك المشاعر والرغبات بل عززتها، فغريزة الحياة

أقوى من الخوف من الله والموت والحساب، وترى أن كل محاور الصراعات  
وأفكار التسويق والإعلانات، تجارة الأجداد والدعارة، تدور حول هذا  
الموضوع، إن هذا المنطق المتداول حقيقة، لو لن يستطيع أحداً أو شيئاً أن يلغيه  
حتى المؤمنون الذين وعدوا بهذا في جناتهم، تراهم يفقدون صبرهم ويختصرون  
الطريق ليلكوها كما يريدون، إنها غريزة الحياة. تركها خلقة والحزنة المفتوحة  
وذهب إلى المطبخ، حضّر الفطازر وأحضره إلى السرير.

- استيقظي يا صغيرتي.

فتحت عينها باستغراب، وكأنها لا تدرك واقعها، ومن هو هذا الرجل  
الذي معها!! هزت رأسها وقد أيقنت أخيراً ما حدث، لفت جسدتها بغطاء  
السرير.

- آه عذبي، أنا آسفة.. لا أعرف ماذا حدث لي!!

- لماذا الأسف؟ هل أنت نادية؟

جلست في سريرها، وقالت بنبرة صارمة:

- أنا إنسانة ملتزمة، وقد وعدتُ والدي وربي بأن لا أفعل هذا خارج  
إطار الزواج أو إطار علاقة جديّة أساسها الزواج، وها أنا أسقط أمام رغباتي  
كعاهرة. ما زلتُ لستُ متأكّدة من مشاعري ومن مشاعرك. أريدُ هذا، ولكن  
كل ما بداخلي يُقيدني.

- أنا أفهمك، واعتذر أيضاً على ما حدث، أعيدك بأن لا يتكرّر هذا ثانية.

- أنا من يجب أن يعتذر، لا أريدك أن تغضب مني، فانا المسئولة. لقد  
تصرّفتُ كالغبية وأفرطتُ بالشرب من جديد.. آسفة، أرجوك، خذ الفطازر إلى  
غرفة الطعام، سأرتدي ثيابي وأتبعك.



رَنُّ هَاتِفَهَا..

- أَلُو.. أَهلاً مَارِينَا.

- كَيْفَ جَرَّتِ الْأُمُورُ؟

- أَنَا مُشْغُولَةٌ الْآنَ سَاكَلَمُكَ لِأَحَقًا.

اِبْتَسَمَتْ بِخُبْتِ مُبْطِنٍ بِالْبَرَاءَةِ وَأَغْلَقَتْ الْهَاتِفَ.

- إِنَّمَا مَارِينَا تَطْمَئِنُّ عَلَيَّ، هِيَ صَدِيقَتِي الْوَحِيدَةُ بِمَكَانَةِ أُمِّي سَوْفَ نَخْرُجُ

سُوِيَةً فِي نَهَايَةِ الْأَسْبُوعِ.

- لَقَدْ لَاحَظْتُ هَذَا يَوْمَ عِيدِ مِيلَادِكَ، هَذَا جَيِّدٌ فَانْتِ بِحَاجَةٍ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ.

كَيْ تَجْتَازِي عَزَلَتِكَ هَذِهِ. بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْعَاصِيفَةِ، حَاوَلْتُ عُدِّي أَنْ يَضْبُطَ

اِنْفِعَالَاتِي، فَهُوَ خَائِفٌ أَنْ تَضِيعَ عَلَيْهِ فُرْصَةُ التَّقَرُّبِ مِنْهَا. أَنَا هِيَ فَكَانَتْ

مُسْتَعْرِبَةً كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَجَبَّهَهَا بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ. حَتَّى

أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ أَيَّ تَعْلِيلٍ حَوْلَ الْحِزَانَةِ وَمَا فِي دَاخِلِهَا. فِي السُّوقِ التِّجَارِيَّةِ، كَانَتْ

مَارِينَا تَنْتَظِرُ بِفَارَغٍ الصَّبْرِ كَيْ تَسْمَعَ مِنْهَا مَا حَاصَلَ بِالتَّفْصِيلِ.

- اسْتَمْتُّ إِلَيْكَ.

- وَأَنَا أَيْضًا سَبِمُونِ، أَخْبِرْنِي أَرْجُوكِ، بِأَلِيٍّ مُشْغُولٌ عَلَيْكَ.. كَيْفَ تَسِيرُ

الْأُمُورُ؟

قَالَتْ وَعَلَامَاتُ النُّصْرَةِ تَلُوحُ عَلَيَّ وَجْهَهَا:

- فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.. مَارَسْنَا الْحُبَّ بِشَكْلِ جُنُونِيٍّ. لَقَدْ أَظْهَرَ حُبِّي لِي بِكُلِّ

وَضُوحٍ وَشَغْفٍ وَحَنَانٍ.

- هَا.. وَمَاذَا بَعْدَ..

- لَا شَيْءَ، فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ أَبَدِيَّتُ عَدَمِ رِضَايَ عَمَّا حَدَّثَتْ، وَقُلْتُ لَهُ إِنِّي لَا

أَحْبَدُ تِلْكَ الْعِلَاقَاتِ غَيْرَ وَاضِحَةِ الْمَتَدَفِّ، وَأَفْضَلُ أَنْ نَبْقَى أَصْدِقَاءَ فِي الْوَقْتِ

الْحَاضِرِ لِكَيْ نَتَّضِحَ الْأُمُورَ.



- بالتأكيد لم يقبل !! كيف سيستطيع أن يتجاهل رغباته تجاهك؟  
- لا، بكل بساطة تقبل وجهة نظري بكل احترام، ومنذ أسبوع إلى الآن،  
أعم معاملته المعيزة لي، لم يحاول أن يلمس يدي. أعتقد أن ما تفعله لن يؤدي  
إلى نتيجة.

- حسناً عتري الخطئة، تقربي منه، وطدي علاقتك الجسدية به. بعد فترة  
لن يستطيع أن يستمر بدونك وسيطلبك للزواج. الرجل الشرقي يحب النساء  
الضعيفات.. إنه ثري، قليل من الصبر وتحمل جميع مشاكلك. وإن لم ترغب  
باستمرار العلاقة، تقاسمته نصف أملاكه وعلى الدنيا السلام.  
- أجل، هذا ما أفكر فيه.

- هل اتصل بك ذلك المعتوه من جديد؟  
- لا، منذ مدة لم أتلق أي اتصال. ربنا عاد لزوجيه، هذا أفضل، فأنا بحاجة  
إلى الهدوء كي أكمل ما بدأت.

- انتهي لكلماتك وتصرّ فانك أمام عذتي، إنه متنفذ ومعلم وليس من  
السهل خداعه.

- لا تخافي، فأنا حذرة ومتيقظة.  
- ثم قالت وهي تبسم: وهو يجني.



في المساء، كان الجو شديد البرودة، جلست قرب الموقد ثراقب اللبنة النارية.  
- هل ترغبين بكأس نبيذ؟  
- فكرة رائعة، لو سمحت، لي ولك.

- غداً لديّ جراحةٌ مُهمّةٌ، أفضّل ألا أشرب.

- هيا.. كأسٌ واحدٌ سوف يُدثِّك ويُساعِدك على النوم.

- سكب له ولها، وجلسَ قريهاً على الأرض.

- إن البَحْثَ الذي أقوم به صعبٌ جدّاً، وأشياء كثيرة لا أفهمها ولا أعرف

كيفَ سأكتبُ عنها. هل تستطيع مساعدتي؟

- بالتأكيد صغيرتي بكل سرور. أنا أعمل أيضاً على أبحاثي الجديدة،

تصوّري أننا على وشك إيجاد دواءٍ مُضاد للسرطان، البروفيسور في قسم

الأبحاث عندما شاهدَ ما توصلتُ إليه من معلومات كان فخوراً جدّاً. أتمنى

أن نفلح في عمَلنا هذا رحمةً بالإنسانية. لا تصوّري كم أشعر بالأسى عندما

أشاهد مريضاً ما يتعب ولا أستطيع مساعدته.

- آه عُدّي، دعنا من هذه الأحادِ المؤلّة، سأحضِر لك الاسئلة التي

أحتاج فيها إلى مُساعدة.

حضّنها بلطفٍ قائلاً:

- قولي لي كيفَ كانَ يومك الأوّل في المصحّة؟

- الطيبةُ النفسيةُ رائعةٌ، جلّنا سوياً وتحدّثنا، بعدّها قمنا بجولةٍ على بعضِ

الأقسامِ وعلى ورش العمل.

- هذا جيّد.

- لكنّ أعتقد أن وجودك قربي هو أفضل علاج لي.

- صغيرتي، أنا سعيدٌ لسعادتك.

ألقت رأسها على صدره، شمّت عطره، قبلت عنقه، سارت بأنفاسها إلى

أذنيه وهناك همست له: اشتقتُ إليك كثيراً، لازلْتُ أملكُ ذكرياتِ تلك الليلة،

أداعبُ بذلكَ على جسدي أتحسّ بشرتك، أستشق أنفاسك.

- أنا أكثر، أتحرق إلى مُغامرةٍ أخرى معك، لكنني لستُ متأكدًا من مشاعركِ  
بماهي، لا أريد أن أزعجكِ بعلاقةٍ رُبما لا تعني لك شيئًا.

- كيف لا تعيني؟ أنا أريدك الآن وكلّ وقت وفي كلّ مكان، أريدك أن  
لنأخني كإعصارٍ ضاربٍ يُمزقُ خوفي وخجلي وقلقي.  
وضَع أصابعه على شفيتها..

- توقفي عن الكلام ودعينا نفوضُ سويتا في عالمِ الخيال حتى نكمل.  
أمام ذلك الموقد كانت ليلتهما مُلتَهبةً أكثر من أليسة النار تلك. ساعاتٌ  
ساعاتٌ حتى أفرغَ آخِر قطراتِ شوقِهِ إليها، وأفرغَت هي كُلَّ مُحَطَّطاتِها.  
- سيمون أنت تُشيرينَ جنونٍ.. قال هذا وهو يلتقطُ أنفاسه وكأنه قد قَطَعَ  
سباقِ الألف ميل.

- وأنتِ تُكبيرُ برجولتكِ كلَّ أوهاشي، خوفي وماضيي المؤر.  
حضرها بِقوةٍ واستغرَقا بالنومِ في مكانها...

لقد أطبقت الحياة على أنفاسها، وأخذت تلك الحلقة تضيئ شيئاً فشيئاً طريق العودة مسدود، وليس أمامها سوى أن تمضي وتواجه قدرها بضمه وشجاعة. ها هو نديم، ذلك الزائر الجديد يدخل يومياتها بكل تفاصيلها، يُحاول أن يقودها إلى مكان ما، لم تستطع بعد تحديد ملامحه.

- أكر أوروبا عیننا موعداً آخر. سوف أبحث لك عن عمل عن طريق أحد اصدقائي في مكتب التأمين الصحي، تكلمت معه وسوف يُساعدنا.

مرّ هذا اللقاء أيضاً بهدوء ودون مشاكل. أوصلها إلى البيت من جديد..

- هل تسمحين أن أتناول القهوة معك؟

- بكل سرور.

جال بعينه في أرجاء غرفتها المرتبة...

- إن ذوقك رفيع..

- شكراً لهذا الإطراء، الاثاث يخص المنزل، ولكن تلك التفاصيل الصغيرة

هي لمساتي، تماماً كما تضيف على حائطك لوحة، تجعل بيتك يتسمي إليك، رغم مشابهة بنائه لعشرات البيوت غيره.

نعرفين، رُغم وجود أولادي وزوجتي في بيتي أشعر بأنني لا أنتهي لك

إن حياتك غريبة، كما أخبرتني فأنت تمضي مُعظم وقتك خارج المنزل.  
فعلاً، فعلاقتي بزوجتي - وللأسف - شبه منتهية. خمسة وعشرون عامًا  
١٠١. أسرة تنتمي لك مُجتمَع آخر، أحيانًا أجد نفسي ضيفًا عليهم. لقد أسقطت  
١٠٢. هام زواجنا - وزوجتي بالأخص - في دوامة الملل. ما لا أستطيع فهمه، كيف  
١٠٣. - مسئوليات الحياة البسيطة تلك على حيويتها وابنائيتها؟.. مازالت  
أبنة وأنا أبذل من أجلها ما أستطيع، أشاركها في أعمال المنزل، أو من كل ما  
١٠٤. متاح من أجل سعادتها وراحتها. وها أنتِ رغم حياتك البائسة، لا تفارقي  
- عمة شفتيك، وقلبك ينبض بالحياة.

إنها تعيش حياتها كما هي!! أما أنا، فعالة استثنائية. أنا ملكة، وكل ما تراه  
١٠٥. ما تبقى مني يُذكّرني بهذا، رُغم أني لا أعترف به ولا أعتبره ميزة.  
- ملكة؟ جميل هذا التشبيه.. إنك فعلاً ملكة.

- لا، ليس مجرد تشبيه، أنا فعلاً ملكة ابنة ملوك. قضيت طفولتي أتدرب  
١٠٦. على طقوس وحياة وعادات الملكات، عدا ما ورثته بالفطرة عن والدي.

قال وهو يضحك:

- جميلة وخيالية!!

شرباً القهوة، ورَحَل، وبقيت هي مع عطره الذي أبن الرحيل معه..  
١٠٧. «غريب هذا الإنسان، غامض ومُتسلط، عاطفي حنون ومجنون، خليط  
مريب.. أنا التي أتكلّم دون انقطاع، أينما حللتُ أَسْر المكان بمن فيه، عندما  
١٠٨. انف أماته أجد نفسي كالمغفلة، حتى لو استقرّني الموضوع، أظل مطبوعة لرغبته  
١٠٩. في سكوتي!.. هل لآتهُ قديرٌ، أو يُظهر قُدْرته على مُساعدتي؟ من المؤكد أنني  
١١٠. التقيته في الوقت الخاطئ، فني وضعي هذا، وبعد رحيل عدي، أجد نفسي

جاهزة لأن أكون ضعيفة وأسترسِل في صَعمي، وأستمع به ويُسَاعِدْتَهُ،  
تنهدت، وأغمضت عينيها..

«أريدُ أن أكون طفلةً تجتمع الأزهار بأنايَة، دونَ أن يُشغِلها حالُ  
الزهور وما سيجل بها. أريدُ أن ابني بيتاً من الرمال، أهيمُهُ وابنه من حاميها  
دون أن أكثرث بأهية الوقت، ودونَ أن أراقب عقارب الساعة..  
صوتٌ من البعيد.. صوتُ أمها...»

- أوروبا.. استيقظي إنهُ مُزوّج.. هل تعرفينَ ماذا يعني هذا؟ هناك أم  
أخرى تتظنُّهُ، تغارُ عليه، ورُبَّها لازالت تُحِبُّهُ، ومؤكدٌ أنها تخافُ عليه، فهو وال  
أطفالها. احذري مشاعرك، فلن يكون لك، لن يكون حراً، لن تكوني  
الوحيد، ورَقَمَهُ الأَوَّل، وأوَّل ما يشغله.. ولن تكوني الأخيرة أيضاً.  
- أعرف وأخاف.. أشعر أنني بت معرضة للسقوط.  
- وهل يُعقل أن يفلت زمامَ الأمورِ من بين يديك خلال أسابيع؟ غريب  
أنت!!

- التقيته في حضيض صَعمي، بعد أن رفض الجميع حُبي لهم. انكسرت  
كرامتي وكبريائي وغروري أمامه، رُبَّما أنا الآن بحاجة إلى أن أرمي نفسي على  
صدرِ أحدٍ ما، كي أكمِل بُكائي، لماذا هو؟ رُبَّما لأنني لا أريد أن أتعريض  
مأساتي أمام أحدٍ آخر، ورُبَّما لأنني قد ملّكتُ مِنَ الوحدة.

\* \* \*

- سوف تذهب زوجتي والأولاد لزيارة العائلة في الريف،  
أدعوك إلى منزلي.

لا أستطيع، فأنا مشغولة.

أرجوك، لا تخافي. كل ما أريدُه هو أن تدخلِ بيتي، أن ادعوكِ كما دعوتيني  
أنا. وبدون أي غايّة، أرجوكِ ثقِي بي.

انار فضولها.. تُريد أن تعرف أين يعيش، وأين ينام، وكيف هو المكان؟  
أر تلك التفاصيل الصغيرة، لكن الخطورة خطيرةٌ ومُخيفة. لقد ذهبت إلى بيت  
الأم، ولم يحدث شيء.

- أرجو أن تقبلي أرجوكِ.

- لكن الجيران؟ سيكون هذا مُحرجًا إذا ما رأوا أحدًا أدخل أو أعاير المنزل  
في هباب زوجتك.

- لقد أخبرتكِ وبكل صراحة، أنا أعيش مع زوجتي بكامل حُرّيّتي، يزورني  
العض، وادعو من أريد دون أي مشاكل. نحن نعيش كالأصدقاء، وعلاقتنا  
أحسن فيها سوى مصلحة الأولاد. أنت تتصلين وقت ما تُريدن وأنا أجيب على  
انصالاتكِ ورسائلكِ دون أي حرج أو إزعاج. أرجوكِ لا تُفسدي الأمور.

بعد تردد قالت:

- حسنًا سآي، لكن أرجو أن تُحترم وجودي وثقتي بكِ.

- طبعًا، أشكركِ من كل قلبي. نحن راشدان ونحطينا المراهقة، تلك  
التفاصيل الصغيرة لن تُعبّر نظرنا للأمور ولأنفسنا. لا تنسي، يوم السبت عند  
الساعة الرابعة سأكون بانتظاركِ.

هَبْ إعصارٌ شديد البرودة في داخلها.. وصلت إلى هناك تَلِفُ حول  
حميدها يعطيها الأسود. كانت برودة الجو تزيد من برودة أطرافها. على باب  
المنزل، كان يتظر بحذر مُحاولًا الحفاظ على هدوئه دون أن يُظهر ذلك القلق  
الذي يتنابه.

اعتراها إحساس غريب.. سمعت صوت أولاده، وشاهدت زوجته مُحضّر

الطعام وتمسح الغبار، رأت نينا ابنته تُشاهد التلفاز، هزّت رأسها مُبِعِذَةً ١١٠  
الصُّورَ عن مَحِيلَتِهَا.

أخيراً أخذت مكاناً لها على الأريكة الحمراء، حَضَّت مَعْطِفِهَا، وكان  
مُحَاوِل أن تختفي في دَاحِلِهِ.

- لقد أسعدني قدومك أوروبا، ما بك متوترة؟ أرجوكِ اعتربي نفسك  
بيتك، اعطني المِعْطَفَ.

- لا شُكراً، أنا مُرْتَاخَةٌ. هل تدعو أصدقاءك باستمرار إلى المنزل في غيابة  
العائلة؟

- عادةً لا، لكن ليس هناك مشكلة.

قال هذا ببرود دَخَلَ لِكِ أَعْمَاقِهَا، أشعل فيها الفُضُولَ ..

- عندي سؤال، هل كُنْتَ على علاقةٍ بِنَا؟

أجاب بعد تفكير:

- لقد تعرّفتُ عليها بعد قدومها إلى هنا، وبعد أن تخلى زوجها عنها وتركها  
وحيدة. حينها تطوّرت علاقتنا إلى أن أصبحنا بِحُكْمِ المتزوجين. ساعدتها في  
البحث عن عَمَلٍ، واستأجرتُ لها المنزل الذي تَسْكُنُ، أعلّمتها لِكِ أن تتمكن  
من الاعتماد على نفسها. هذا ما كان، وانتهى دون مشاكل. نحن الآن مُجَرِّد  
أصدقاء.

سُلت أعصابها، توقفت قلبها عن الحُتْفَانِ، فسنا لِرُتْجِهَا، وعِنْدَمَا سألته  
عَظِيبَتِ وَتَقَّتِ وجود أي علاقة خارج إطار الصداقة.

- ولماذا انفصلتُها؟

- عَرَضْتُ عليها الزواج ورَفَضَتْ. كانت قد تَمَكَّنَتْ من تَدبِيرِ أمورهِ  
لوحدها. أوّل ما فعلته ردّاً على ما فعلته لها، علاقة عاطفية مع آخر بظن  
علاقتنا طبعاً!!



هال هذا وعلامات الأسف باديةً على وجهه.. تابع:

ارادت أن تخوض تجربة الحياة، هذا من حقها.

وزوجتك؟ هل كانت على علم بهذه العلاقة؟

لقد كانتا شبه صديقتين. كانت تأتي إلى هنا لتساعدنا في تحضير الطعام

التياء أخرى، لكن لم تكن تعرف، طبعاً لم تكن تعرف!!

يا إلهي سناً؟!

- أوروبا، من أين أنت، ومن أي زمن أنت؟ هذه هي الحياة، كل يدور في

ملك نفسه، والحياة تسير.

طبعاً لن تُخبرك، فهي تحاول أن تكون أمامك المرأة المثالية العصرية،

جودي في الصورة رُبما سيُعبّر نظرتك لها، ورُبما لن تقبلي بصدقتها. أعتقد

أنا نُفكر بهذا الإطار، أنا أعرفها منذ زمن، وأرجو ألا تُخبرها، فقد وعدتها بأن

لمن الموضوع بيتنا.

تزامت الأمور في داخلها، واختلطت عليها شاعرها. لم تُعد تُدرك أين

هي وماذا تفعل، وكيف يجب أن تتصرف. أحست بوهن يسير في أطرافها

شعرها بعدم الاتزان، ماذا تفعل هنا؟ ولكن أين هي ذاهبة؟ تلك الأسئلة

مادت من جديد.

حل بعد هذا الحوار صمتٌ غريب، حاولت نديم بعده أن يكرره..

- هيا أوروبا، لن نُمضي الوقت ونُحنُ نتكلم عن الماضي ونُحفر في قبوره.

حناً قولي أي نوع من الموسيقى تفضلين.. موسيقى كلاسيكية، أو شيئاً

مصرياً؟

أدار جهاز التسجيل، فأدخلت تلك الموسيقى الهادئة بعض الكون إلى

المكان.

- ماذا تريدان أن تشربي؟

- قهوة أرجوك.

- أنا سأخذ بعض النيذ الأحمر، هل تُريدن.

- لا شكرًا أنا لا أشرب الحمر، فأنا مُحَدَّرَةٌ بدون كحول.. شكرًا.

اعد لها القهوة، واحصُرْ زُجاجة النيذ مع كأسين. أضء الشموع التي على الطاولة، فامتزج نورهم مع ذلك الضوء المتسلل من خلال الستائر الحمراء. ليضي جواً من الهدوء الساحر على المكان.

- هيا ميس... استدرك الأمر بسرعة.. .. أوروبا بتلي رأيك، قليلاً الحمر. سوف يُشعرك بالانتعاش.

مرَّ الاسمُ أمامها بِسرعة، لم تكن واثقة بما سمعت.

- لا، أفضلُ أن أشرب قهوتي وأنصرف.

- كما تُريدن، أنتِ صابغةُ الفرار.

- سؤال آخر لو سمحت، من تكون ميس؟ فانتِ تناديني بهذا

وللمرة الثانية.

ارتبك قليلاً، وحاولَ ألا يُعير الأمر الكثير من الاهتمام.

- ميس صديقةٌ قديمة، تُشبهك قليلاً.

- وهل كانَ بينكما علاقةٌ أيضاً؟

- كُنَّا معاً لفترةٍ من الزمن. كائت تضاجع الجميع، لكنّها تَمَنَّت علي. بعد أن

وَصَلْنَا إلى نُقطةِ الالاعودة، استدرجتني إلى علاقةٍ معها، لم تَسَمَح لي بأن أكون ما بدأ - ، أبلغت الشرطة واتهمتني باغتصابها.

قالها مُحاولاً إخفاء جُرح قديم، لا أحد سواه يَعْرِف مدى عُميقه.. سكب

لِنَفْسِهِ كأساً آخر، واقترَبَ مِنها قليلاً، فارتجفت جَسَدُها.. عطرُه كانَ طاعِياً على المكان، شموعٌ وشمَرٌ وموسيقى وضوءٌ خافت.

«يا آلهة السماء، لا أريد أن أضعف.. اعطني القوة».

- ذعينا من هذه الفِصص إنها من الماضي.. غريبة أنت، مُحَضرة ومُتَزَمِّتة،  
لم حينَ ألف سؤال وتُغْرِقِنَ نفسك بالظنون. أرجوكِ افعلي ولو لِحِرة واجدة  
.. أُرِيدِنَ فِعْلَهُ، اخْرِجِي نَفْسِكِ مِن قَوْعَتَيْهَا.

- لِكِنِّكَ مُتَزَوِّجٌ؟

- هذه مُشْكِلَتِي وليست مُشْكِلَتِكَ. زوجتي مريضة، وعلاقتنا شبه مُتَقَطِّعة،  
أنتِ تُعْرِفِينَ هذا. إنَّهُ حَقِّي كإنسان أن أعيش بعض لحظاتٍ من السعادة مع  
.. أحب، أقسم لك، لن يُؤثِّرَ شيءٌ على علاقتنا، سيكون لكِ مكانك في حياتي،  
أنواني عن حُبِّكَ يوماً.

افترَّبِ أكثر، حَصَّنْهَا.. حاولت أن تَبْعِدِ، لكن ذِراعاه كانتا أقوى من  
.. ادبها.

أخيراً سَقَطَتْ بين يديه المشتاتين. كانت تُريد أن تُسِدَ رأسها على مكانٍ ما  
هي لا تهوي، هذا ما كانت تُريد، أما هو.. فقد امتلك أخيراً مُفْتاحَ القلعة، قَلْعَةَ  
.. هَجُورَةَ يُعْشِشُ العنكبوتُ في زواياها.. زهرةٌ بَرِيَّةٌ تَبت بِجَدِّها الناعم بين  
محل من الأشواك، أرضٌ عذراء لم تُدَسْ منذ زمن، ومعنوة يتوقُّ إلى الامتلاك.  
لكن هل كان هذا ما تريد؟ لقد أتى سؤالها مُتَأَخِّراً.. صرَّخت، توَسَّلَتْ إليه أن  
يركها وشأتها. أحست بمرارة اللوم وقباحة الفعل، طوقَ عُنُقَهَا بيديها، شدَّ  
.. حَتَّى أَوْشَكَت على الاختناق، وكأنَّهُ يَتَقَيَّمُ بِمَا فَعَلْتَ بِهِ سَنِيَةً بعدَ معاركِ  
الموبلة من الهزائم، الدُّلُّ والإهانة. أما هي فتُحَاوِلُ أن تَسْتَدْرِكَ واقعها، لقد  
لُمَّها الخوفُ، لا أحد يَعْرِفُ أنها مَعَهُ، ولا تَعْرِفُ كيف تستكون النهاية.

- انزُكني أرجوك، إنني في الحِض، أريدُ أن أعود إلى بيتي، أريد أن أعود  
إلى البيت.

- لن ياخُفِّكِ مِنِّي شيءٌ، أنتِ الآنِ مِلْكِي.

بعد قليل حلّ الصمت، وهدأت العاصفة، مركبٌ مُمزق الشراع ..  
السارية، وفُرصانٌ فخورٌ بما صنعت يدها.

ألقت رأسها بين ذراعيها، تبحثُ عما جاءت تبحث عنه، بعضاً من  
والحنان، ورحمةٍ من مشاعر الخطيئة والذنب، لكن مهما حاولت فلن يعود  
إلى ما كان عليه.. دقائقٍ مرت، تكلّوت بعدها مشاعرها بعد ذلك الإعصار،  
حاولت أن تُلملم خيبتها وإحساسها المجرّوح من كل ما مر عليها  
عاشته حتى الآن من تجارب وخيبات، فهي لم تعتد حياة اللصوص والعاهل  
بعد. فتحت الباب، راقبت الممر، وخرّجت يدها تلمس نفسها بعمق  
الأسود من جديد. تُحاول أن تُخفي تحتها خجلها وإحساسها بالانسحاق  
طريقها إلى البيت، كتبت له في رسالة ما كانت تريد أن تقولهُ قبل أن تُن  
عزيزي نديم، إن ما حدث قد حدث وقد ظهر خلاله تفاوتاً كبيراً بيننا،  
مشاعرنا وحاجتنا، لهذا أجد أن علاقتنا يحكمها الفشل. أرجوك لا تغف  
ودعنا نفرق ونحن صديقان.

لر يمضي سوى ثوانٍ قليلة حتى رن الهاتف، لر تُجب.. فكتبت لها: اعط  
فرصة، فنحن نتعرّف على بعضنا البعض. أعدك أن الأمور ستسير كما تريد

كان الوضع يُناسبها تمامًا، تُنهي عملها وتتجه إلى النادي الرياضي، بعدها هم د إلى البيت لتجد كل شيء جاهزاً، حتى أبحاثها كادت أن تنتهي دون أن يدل جهداً. مرّت عدّة أشهر والعلاقة تسير كما كانت تشتهي، لقد حضرت عائلته لزيارتها وتعرفوا عليها وأعجبوا بها، وتعاطفوا مع يقصتها ووجعها، ورغم اختلاف الأديان واستكارهم لهذا في البداية، إلا أنهم رضخوا في النهاية لرغبته فلقد بذل كل جهوده كي يُفنعهم بحبه لها، وبأنها ستكون الزوجة المثالية وأم أبنائه التي سعهده. كل هذا كثر مخاوفهم من الزوجة الغربية التي ستدخل إلى العائلة، والتي لا يعرفون شيئاً عن ماضيها وجذورها أكثر مما أخبرت ونقله عذّي هم. وها هي تتخطى الامتحان الأول بنجاح، لا كحول ولا سهر، التزام تام بكل واجبات المنزل، كي تُثبت جدارتها أمامهم كزوج المستقبل، على أمل أن تسير الأمور هكذا حتى النهاية. لكن حيادية سيمون لم تدم طويلاً أمام الأمور العائلية التي تتعلق بالنقود.

- سنقسم الميراث عليك وإخوتك بالتساوي!

- أنا لا أريد شيئاً، بإمكانكم أن تعطوا حصتي لإخوتي بالتساوي أيضاً، فكما ترون وضعي ممتاز، ولازلت في مُقتبل العمر.

تدخلت سيمون بالكلام بعد أن خنقها الصمت..

- عزيزي إنه حقلك، فانت أيضا ابن هذه العائلة، احتفظ بها لك معك، إذا احتاجه أحدٌ عندها تساعدُه بما تستطيع، هكذا تضمن جِصتك لهم، إذا ما بددوا نفودهم يوما ما.

جرت الامور بشكل رائع وبعد رحيل الاهل قرر أن يُحضر لها مفا - اء تقديرا لاحترامها ومعاملتها الطيبة لهم والتزامها، دون سجاير وكحول، حتى انها لم يبارسا الجنس فترة وجودهم معهم، ومكافأة أيضا على تجاوزها مع العلاج واهتمامها بدراستها.

- سيمون، انظري ماذا أحضرت، إنها بطاقات سفر إلى جُزر الكاريبي، حبيبي، هيرتي الطبيعة المميزة.

- لا.. يا إلهي لا أصدق، كم أنا بحاجة إلى بعض الشمس والدفء!!

كالعادة صرّخت وبكت وانهارت وقبّلت يديه وقدميه معلنة عن جنونها، وحبها له. إن ذلك الرجل الشرقي لازال في زوايا نفسه يستمتع بالامتلاك، رغم قناعته بزوال أمجاد الدنيا وملذاتها، غير أنه قرر أن يستمتع ويُمْتع ذلك الطفل القابع هناك في الظلام.

هي، التي لم تُغادر قريتها الريفية أبدا، تعيش كالأميرات.. فوق رمال الشاطئ، تنام كل الوقت وترفض مغادرة الماء، تركض وتلعب بالأطفال عُدَي في قمة سعادته، يستمتع معها ما استطاع، يُداعِب جدها، يجعلها ويعانقها، كأنه مخلوقٌ آخر قد تحرر أخيرا من فانوسه السحري، كي يحقق لها ولنفسه كل أمنياتها، ويعيش أخيرا حياته كما يريد..

على الشاطئ في تلك الامسيات كان كلُّ مشغولٌ في عالمه، هناك من يرقص ومن يتسامر مع الأصدقاء، ومن يجلس قرب النار، ومن يحتسي الشاي أو الكحول؛ أما هي، فقد نكّست كل الوعود التي قطعتها أمام زجاجات الخمر

- حبيتي، لا تشربي المزيد.

- دعني قليلاً فلن أسكر، أنا فقط سعيدة، أرجوك أحضري لي شاي من  
الغرفة.

تردد لحظة، فأهدته ابتسامة مشجعة.. ذهب مسرعاً، وما أن عاد، حتى  
جدها داخل حلبة الرقص تحمل الزجاجاة في يدها، وتتصرف كالمجنونة.

- سيمون، إنك تفقد السيطرة على نفسك، أرجوك دعينا نعود إلى الغرفة.

- دعني وشأني. أنا حرة أفعل ما يحلو لي.

- أرجوك، لقد انتبه الجميع وهم يراقبونك.

صرخت بصوت عال:

- لا يهمني، أنا أفعل ما أشاء، وانت.. أنت.. ابتعد عني، أريد أمي وأبي،  
لماذا ليامعي الآن؟ لماذا لا يستمتعان معنا بالحياة؟

أسك بيدها وحاول أن يعضنها، فصرخت بصوت مَدُون:

- آه، ابتعد عني أيها الوغد العربي، ابتعد عني.

وأخذت تصرخ وتتمرغ على الرمال، فقال لها بحزم:

- قفي الآن. سذهب، أنت مجنونة، انظري، الجميع يراقبك!

- أنا لا أليق بك أيها الوغد، لا استحقك، متى ستفهم؟ لا استحق ما تفعل

لأجلي، أنا حقيرة ابتعد عني.

حاول أن يحملها وأن يعود بها إلى الفندق. أخذت تضربه بقوة وتصرخ،  
طلوقاً خصرها بذراعيه ووضعها على كفه وسار بها أمام أعين الساهرين.

وصل إلى الغرفة وأقفل الباب. عندها وصلت إلى أقصى حالات جنونها،  
وأخذت تمطم محتويات الغرفة وتصرخ وتبكي بعلو صوتها، بعد أن فشل  
بإقناعها بأسلوبه الهادئ، أخذ يصرخ في وجهها عل الخوف يسكنها قليلاً.

- لا تصرُخ في وجهي، أتريد أن تضربني أيها العربيّ القادم من الصحراء؟  
علا الصُراخ المتبادل، وما هي إلا دقائق حتى طُيرَق الباب بقوة.  
«افتح الباب، الشرطة تطوَّق المكان، لدينا بلاغ من الفندق بأن أ-أ-أ»  
يتعرَّض هنا للضرب».

- ماذا؟! غير صحيح، إنها صديقتي وهي مُدعِنة كحول. لقد أفرطت -  
بالشرب وانظروا ماذا فعلت بالغرفة! كل ما أفعله هو فقط لتهدئتها.  
- اعتذر، أنت موقوف. يجب أن ترافقني إلى مكتب الشرطة، اعطلي  
أوراقك لو سمحت.

- أرجوك يا سيدي أنا طبيب جراح، وأعمل في مستشفى مهم، وها..  
أوراقي، كيف لي أن أنصرف بهذه الطريقة وأنا في هذا المركز؟ تفضلوا بالدخول  
وشاهدوا ماذا فعلت، وبأيّ حال هي!

تفتحص الشرطي الأوراق ونظر من وراء الباب، شاهد شيفون تُكبل  
جولتها الجنونية على الغرفة ومحتوياتها وعلى شعرها وجسدها.  
- حسناً، سأصل بطيب الفندق حالاً كي يعاينها ويعتني بها.  
- شكراً لك ولنفهمك لموقفي.

حَصَرَ الطيب، وعالج الموضوع.. نامت هي، وجلس عُدَي مُفكراً متأملاً  
هذه العنصرية المتجذرة، ها هي تعايُرُه بجذوره وأصلِه بسبب كأس من الخمر



سَطَعَت أشعة الشمس على سريرها، إنّه وقت الظهيرة، نامت كالمخدَّرة  
بعد تلك الليلة الصاخبة.



- استيقظي حبيتي، هل أنت بخير؟

- أكاد أموت من التعب، ماذا حدث؟ إني مُحْدَرَةٌ.. أين أنا؟

- لم يحدث شيء، هيا استيقظي كي نتناول الفطور، وستحدثن لاحقًا.

نظرت حولها، فرأت الغرفة مُدَمَّرَةً، وكان إصصًا قد حلَّ بها، فأدركت ما

حدث. فقالت:

- لا، يا إلهي ليس من جديد، لا يجب أن أعيش. بعد كل ما فعلته وتفعله

من اجلي، أنكس وعودي وأخذلك.

أخفت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء قائلة: يجب أن انفصل، أنت

ستحق أفضل مني.

- مجنونَةٌ، أنا أريدك أنتِ. سأكون دائمًا إلى جانبك، مهما كانت الظروف.

لم تقوَ أمام إصراره وملاحقته لها.. وحاجتها النغية أيضا، أن ترفضه تماما.. عدة لقاءات وعدة نقاشات، أحيانا هادئة وأخرى حادة، مواضع شائكة طُرخت بينها للمحوار.

- عندما وصلتُ إلى هذا البلد كنتُ شابًا صغيرًا. تركتُ بلادي لأخوض المغامرة وأبني مستقبلًا كما أريد. في ظل تلك الظروف القاسية تعرّفتُ على زوجتي، كانت في السابعة عشر من عمرها، من عائلة متواضعة، أهلها من الفلاحين. كنتُ الرجل الأول في حياتها، فساعدتني على إتقان اللغة والبحث عن عمل، وهوتت عليّ قسوة الغربة. مررنا بأزمات كثيرة، وقفتُ إلى جانبي كما لري فعل أحد في حياتي، تحمّلت من أجلي من اخوان ما لا يتحمّله إنسان. بعد عدة سنوات من المعاناة وهي تقسّم وقتها بين عملها الشاق في أحد المصانع وبين البيت وبيني رزقنا الله بالأولاد. لرتوان أيضًا أو تنهاون يومًا في تربيتهم والاهتمام بهم، لكنّها أهملتني، كان حبها لي هو الضحية. أنا لا أريد الانفصال عنها، إكرامًا لتلك الأيام، لكن أريد أن أبحث أيضًا عن منفسٍ لمشاعري كي أستطيع أن استمر، والشرع يُجَلد لي أن أتزوج مرّة ثانية وثالثة.. أنا لا أجد العلاقات غير الشرعية، فهي محرمة وغير مقبولة بكل الأديان السماوية، وبرغم

صخب الحياة التي أعيش، أحاول جاهداً ألا أسير قُلُماً في هذا الطريق.

- ماذا تعني؟ هل أنا ساقطة بنظرك لأنني أتكلّم معك؟

- لا، أنا لا أعني هذا. ما يجمعنا ليس فقط علاقة عابرة، أنت تعينني وأكنُّ

لك مشاعر مختلفة، كنتُ أتمنى أن أكون خالياً. لو التقيتُك منذُ زمنٍ! لكن هذه هي الحياة.

أوقفتها كلماته حائرة مُتّة.. لم تُعد تُعرف ماذا تفعل، وكيف تُفّر ما

يقول!

- أنا أحبكِ يا أوروبا، كنتُ أفكّر بكِ قبل أن التقيك، عندما كانت سنا

لُحذثني عنكِ كنت أتوق إلى ذلك اليوم الذي

- ولكنك متزوج... وكيف يجوز لك ذلك؟ وكيف يستطيع إنسان أن

يُعاشر العديد من النساء وأن يُحبهم بنفس القُدْر ونفس الوقت بالتساوي؟

، إذا كان حُبُّ إحداهن طاغياً على الأخرى فتصبح علاقته بالأخريات

محترمة، لأنها لا تقوم على الحب بل على الرغبة أو الواجب، وأي عدل هذا ومن

يستطيع أن يعدل في الحُبِّ والمشاعر؟ إن حياتك غير واضحة، وما تقوم به غير

ر برغم ظروفيك التي أخبرتني بها.

- لا أريدُ منك ردّاً سريعاً. نحنُ مازلنا في مرحلة التعارف. دعينا نقترّب

أكثر من بعضنا البعض، والأيام كفيلة بالإجابة على كل الأسئلة.

وتكررت لقاءاتها، وها هو نديم يحملها من جديد إلى عالم آخر كانت تتوق

إليه.. عالم العاطفة التي نفتقدها وتبحث عنها، ويظل بقلقها أسلوبه الجديد..

هل ما يمكنه لها نابعا من القلب؟

- أريد مكاناً محددًا في حياتك، إن دخولها يجيفني

- أنا!! حياتي تخيفك؟ كيف؟ أنا إنسانة جد واضحة.

- أعرف، ولكن ما قصدتُ هو نوعية حياتك كمرأة مستقلة، تخرجين

وتقابلين أناًسا كثيرين، وتدعين الأصدقاء إلى منزلك.

- حرّيتي يقيدّها حدود احترامي لذاتي ولجسدي وللآخرين. أقدّس ها..  
الهبّة ولا أتجاوزها. من يدخلون بيتي هم جزء من حياتي، وأنا أثق بهم.

استمرّ الحوار بين كُرّ وفرّ، يريد أن يرتبط بها بعلاقة جدّية، كي يحفظ حق ملكيته لها، وهي تناضل كي تبقي على مكاسبها، لا سيّما حرّيتها التي دفعها ثمنها غالياً ولأن سعادتها ستبنى على ركاب عائلته المحطّمة، لكنّ المشاعر المتمرّدة تنمو كنباتات البرية، تسير في كلّ الاتجاهات، تسير دائماً نحو نور الشمس دون أن تجذب أغصانها، تنمو دون أن تسقى جذورها، هكذا بدأ شيء غريب ينمو في قلبها. قالت له يوماً:

- نديم.. أعطني خاتماً من هذه الخواتم الثلاثة التي في أصابعك.

رفض بحزم:

- لا، إنني ارتديها منذ زمن، ولا أستطيع أن أنزع أيّ منها، لقد تعودت عليها. سوف أشتري لك واحداً.

بعد يومين، وعند بابها، قال بلهفة تخفي سعادته:

- أوروبا، اغمضي عينيك، لديّ مفاجأة لك!

أخرّج من خلف ظهره باقة وردٍ حمراء، ومن جيبه كيساً مغملياً أسوداً.

- افتحي عينيك، لقد أحضرتُ لك ما تريدن.

لرُتصّدق ما رأت، قالت بدّهشة:

.. إنه خاتم، كم هو جميل، وورود أيضاً؟

كاد قلبها يطيرُ من الفرح عندما أدخل الخاتم في إصبعها، أهو الاستقرار؟  
أيصبح لديها ملجأ ومرفاً؟ ها هي تقف على عتبة قرار جديد، وسوف لن تخاف ولن تتراجع، برغم ظروفه التي كانت تكبّل قلبها. لم ترد أن تمتلكه.

كانت تريد أن تشاركه حياته، فرحه وحزنه.. قلبه وحده ما كانت تسمى إليه،  
وليس أي شيء آخر.

جلسا يتحدثان مطولاً، كانت سعيدة، مدت له يدها تستعرض أمامه  
حاتمها الجديد. غمر أصابعها بحنان وقبلهم بشغف. مشاعرها كانت مختلفة  
هذه المرة، كانت هي السيدة التي تُبجر وتمطي الجياد وتهزم الفرسان.. كانت  
الأميرة التي خلعت تاجها، وجلست على شاطئ البحر تداعب أمواجه، وهو  
الفارس الذي أخذ ثورته ليركع على قدمي أميرته، التي كانت تنتظر هذه  
المحظآت من سنين.

- أحبك يا أوروبا، قولي إنك تحبيني.

قالت، وهي تتلمس الحاتم في إصبعها:

- أعطني بعض الوقت، ها أنا أضع خاتمك في إصبعي، عندما سأقولها  
سأنطقها بكل جوارحي، إلى الأبد وبدون رجوع.



بعد أن أنهت موعدها مع إدي، الذي أصر أن يرافقها إلى المختبر، وقبل أن  
يُعيدها إلى البيت، تناولوا القهوة في أحد المقاهي. أخبرته عن جديدها. فأقلقت  
جداً ظروف هذه العلاقة.

- استطاع أن يسخر ضميره مرة، ف سيفعل هذا الف مرة. لو كان ممثلاً لما  
فعلت زوجته ما كان عليه أن يبحث عن أخرى، مهما كانت ظروفها.

أحاول يا إدي، لكن أعتقد أنني سأفشل، فغياب عُدَي ترك فراغاً رهيباً  
في قلبي، إن القدر يسأله.



عند وصوله، فَتَحَتِ الباب.. نظرت إلى عينيه مطوّلاً، احضته كما لم تحتضه.  
من قبل، وأسقطت كل الرجوع والقرارات.

موضوع زوجته لن تسمح لنفسها بأن تتدخل فيه، فتلك حياته الخاصة  
التي لا تريد منها شيئاً، ما يهتمها هو حبة واهتمامها بها واحترامها لحياتها الخاصة،  
حتى أنها لم تجربها عن ماضيها وجذورها، فهي تريد أن يحتمها كإنسان وليس  
كقضية.

جلست على أريكتها قرب الضوء الخافت، وجلس هو على المقعد الملاصق.  
- أوروبا، تبدين رائعة كم أنا محظوظ. أنا أنال شرفاً لا استحققه. أعيش  
سعادة لا حق لي بها.

- كفى أنت تُعجّلني، وأنا لا أحب المجاملات.

- أنا لا أجاملك. أنت حقاً إنسانة رائعة وتستحقين من يهيك عمره ويمضي  
معك كل أوقاته، أما أنا فكما ترين، ظروفي تُقيد حبي وحياتي شبه مجزأة.

- أرجوك، أنا أعرف ظروفك وقد رضيتُ بها وتلانسني كما هي. أنا  
أحب الامتلاك.

صمت لبرهة، وعيناه تجولولان في عينيها..

- أنا أخفي عنك شيئاً مهماً، يعذبني ألا تعرفينه

قالت وهي تضحك:

- شيء خطير

،، شجع نفسه وأكمل:

ليست بامرأة واحدة بل ثلاثة.. أنا عندي ثلاث

- ماذا؟! - قالت وهي تضحك -.. إنك تمزح!!

- أقسم بالله أني لا أمزح.

حاولت أن تستمر في الابتسام..

- أنا لا أصدقك.

- قلتُ لك أقسم بالله أني متزوج، وعندني ثلاث زو.

خيّم صمت رهيب. راحت تراقبه وكأنها ترجوه أن يقول لها «إني أمازحك  
اسخيفة» ولكنه لم يقل، ووجهه المتحجّر يؤكد الحقيقة..

- لهذا البلب نلبس خواتم الزواج الثلاثة؟ مشكلة.. أين ستضع الرابع؟  
إن يكون هناك مكان شاعر!

- أنا أحبك أوروبا، ولا أستطيع أن أخفي عنك هذه الحقيقة. هذا حفيك،  
الآن حبيتي وستصبحين زوجتي.

حصّنت سالها وكأنها تحتضن روحها المجروحة..

- لماذا لم تخبرني منذ البداية؟

- ليس ذنبي، إنّه القدر الذي جمعي بك متأخراً، لو عرفتُ منذ البداية بأنك  
قد تصبحين زوجتي وحبّ حياتي لما عرفتُ غيرك.

- سألتك لماذا لم تخبرني منذ البداية؟

- وأنا التي أموت خوفاً على زوجتك ومشاعرها وعلى أولادك... فلي:

هن؟ وكيف تعيش بينهن؟ وهل يعرفن بوجود بعضهن؟

- بعد عشرة سنوات، ولسبب تافه، طردتني زوجتي وأتم أولادي من بيتي،  
وأصبحتُ في الشارع. تعرّفتُ حينها على زوجتي الثانية، التي احتضنتني  
وقدّمت لي المأوى والمحبة والدعم. بعدها عادت الأمور مع زوجتي إلى ما  
كانت عليه. لم أستطع أن أنفصل عن تلك المرأة، فتروّجتها وأبقيتُ على علاقتي  
بها في ظلّ زواجي. إنّه سيّدة طيبة لديها طفلان وتعيش وحيدة، فبقيت العلاقة

سرية نوعاً ما، أزورها عندما يسمح الوقت، وهي راضية بذلك ولا تسبب لي المشاكل، نعيش على هذا الحال منذ عشر سنوات.  
- والثالثة؟..

- منذ ما يقارب الستين، توفيت والدتي خلال زيارتي لبلدي الأم. كان وضعي النفسي صعباً جداً، شبه مُدمر. تعرّفتُ على زوجتي الثالثة التي كانت تعاني بدورها من مشاكل عديدة، فقد توفي زوجها تاركاً لها أربعة أطفال لم يتجاوز أكبرهما الخامسة من العمر، وعائلة زوجها قد جردتها من حقوقها، كان عليها أن تعمل بكذّ كي تُعيلهم، فتزوجتها كي أساعدها، في مجتمع لا يرحم النساء ولا يشفق عليهن، ومن ناحية أخرى حسبها جيداً، فبعد عدة سنوات سأعود إلى بلدي وقد تقدمتُ بالعمر، سأكون بحاجة إلى أحد يرعاني لرجد مانعاً في ذلك، فهي لا تزال في مقبل العمر، والثلاث وعشرون سنة فارق العمر بيتنا سوف يكونون سنّاً لي في آخرتي. وها أنا أعولها وأطفالها بمبلغ شهري يساعدها مع ما تجنيه، كي تدبر أمورها وتبتعد عن الانحراف - يا لك من شهيم! لو كان هدفك إنسانياً كما قلت، لكنك ساعدتها دون أن تزوجها.

- كنتُ سأحصل عليها وأنام معها في كل الظروف، لهذا فضلتُ أن أتزوجها، وهذا حقي وما تسمح به شريعتي. لقد تزوجتها وهي ليست معي، تقبمُ في بلدٍ آخر، وهذا لا يسمى زواج، نحن لا نلتقي سوى مرّة واحدة السنة.

- كم أنت حقيراً كيف تتعامل مع مشاعر النساء بهذا الاستخفاف؟ ما دُمْتُ لا تقبمُ معها لماذا تزوجتها؟ حججك أنها وافقت.. طبعاً ستوافق، ولو كنت مكانها لفعلت، ولكن أنت.. كيف تستغل حاجتها تلك؟ آه.. تماماً كما استغللت حاجتي ووجدتي، وقبلتي سناً المسكينة، والآن تطلب مني أن أقبل!! هذا مُضحك وغير مقبول.



- لكنتي أحبك، أنت الحب الذي لرأعشه طوال حياتي، أنت حلمي الرائع.  
- كيف أصدق، وقد قلت نفس الكلام ثلاث مرات وربما مئة مرة؟ وبعد..  
عندما تنتهي مني سأصبح رقما بين أرقام حريمك؟ المسكينه التي عطفت عليها  
، أعطيتها بعض من وقتك؟.. ارحل أرجوك.

قالتها وهي تحتضن نفسها كمعجوز فارغة، وكأنها قد كبرت مئة عام في  
لحظات. كان في داخلها وقع أقدام وحيدة في غايه مظلمة، وصورة طفل  
يحتضن وسادته خوفاً من أن ينام وحيداً، ونظراته المتوسلة كانت تراقبها  
بحزن؛ حقيقي أم مصطنع؟ وحده الله يعلم ما في النفوس. لقد كذبَ عليها،  
هذه هي الحقيقة البسيطة. لربقَ بينهما سوى الصمت، صمتٌ مُبت. ليس  
هناك ما يُقال وكان زلزالاً قد شق الأرض ليقبض كل منهما على ضفته دون أن  
يتمكن من الوصول إلى الآخر.

- سوف أذهب، سأتركك، فكّري بالموضوع.

- لن أفكر، الموضوع منتهي.

لربك، للمرة الأولى، لتساقط الدموع من عينيها. ذهب تاركاً خلفه امرأة  
تسافر مع خبيتها إلى البعيد. في ظلّ ذلك الضوء الخافت، مرّ وقتٌ طويل، وهي  
تعيد كل كلمة، تتأمل الخاتم وكيف وضعتُ في إصبعها، تتأمل مكانه الذي كان  
يجلس فيه، ترهقها الدهشة أكثر مما يرهقها الأكر.

الحياة بعد عودتها من الرحلة إلى وضعها الطبيعي. ها هما يذهبان  
سويًا من المستشفى إلى البيت، حيثُ ينكبُّ عُدَي على أبحاثه وأبحاثها  
لساعات.. يُحَضِّرُ العشاء وترتب هي البيت، بعدها يذهبان إلى النادي  
الرياضي، أو تذهب هي ويكمل هو عمله، ثم يلتقيان في مكانها المفضل،  
ذلك السرير قرب تلك الخزانة التي لا تنتهي مُفاجأتها.. يُهازسان الحب أو  
حفلات الجنون، إلى أن يهزمها التعب وينامان. كانت تعرف كيف تُسيطر على  
العلاقة وكيف ترضيه وتشل تفكيره عن الأشياء الأخرى التي لم يلاحظها.  
مرَّ على سكنها معًا ما يُقارب السنة أشهر. بدأت تتعلم من هذا الوضع،  
لم يفاتحها بموضوع الزواج، وعندما تتحدث عن الأولاد ورغبتها ببناء عائلة  
يُغيّر الموضوع هاربا..

«دعينا الآن من هذا، فلتنظر إلى أن تتخرّجي وتُجدي عملاً أفضل.  
تُسددي ديونك وتُنهي علاجك، عندها ستكونين جاهزة لتحمل مسؤوليات  
الأولاد والأسرة».

كانَ جوابه يُشعرها باليأس، لكنّ كلمات مارينا تعود لتشد من عزميتها.  
«أنتِ مجنونة؟ نعيشين في الجنة وعندك كل ما تُريدين. إنَّها مسألة وقت

لس أكثر، من يتخلى عنك، لو أراد لفعل مع كل المشاكل التي مررت بها»  
لكنّ مشاعرها كانت تبرّد مع الوقت ومدفعها إلى التذمر  
- هل سنمضي مهرتنا في البيت، أريد أن أذهب إلى الملهى، أريد أن أرقص،  
ان أستمع.

- حينئذ أنت تترين، أنا أعمل كل الوقت على بحثك، وما يتبقى لي من  
وقت أحاول أن أكمل فيه أبحاثي، حتى الواقي الذي أعشق لم يتبق لي وقت  
كفي أستمع به.

- هل تحملي مسؤولية كل ما نحن فيه؟ اترك أبحاثي وامزج الوانك الغنية،  
أنا أيضا إنسانة أريد أن أستمع، لقد مللتُ من أجواء البيت.  
- لكن الطقس شبه بارد، ولا يوجد أي أثر للحياة في الخارج.

- حسنا، شاهد التلفزيون، ولا تنسى أن تبذل هذه البيجامة اللعينة فأنا  
لا أحبها. تبدو فيها كدب قطبي خارج من كهفه.

- إنها بيجامتي المفضلة، وأستريح جدًا عندما أرتديها في هذا الطقس، فأنا  
عربي ولرأعتد بعد على برد بلدكم.

- النقاش معك بدأ يُثير أعصابي، سأذهب إلى غرفتي، وأرجو أن تُخفضي  
صوت التلفاز، لدي ما أنجزه.



بعد تلك الأجواء المشحونة قرر ان يكسر حاجز الملل القائم بينهما منذ مدة.

- سيمون، هل عندك أي التزام لرأس السنة؟

- لا، ليس بعد.

- صديقي زياد يقيم في باريس، وقد دعانا لنمضي سهرة رأس السنة هناك.  
ما رأيك؟

- لا، لا أعرفهم، أفضل أن أبقى هنا.

- هيا، لقد أفلقتِ راحتي وأنتِ تنفّرين من الوحدة والروتين، وها هي  
فُرصتنا نشاهد المدينة ونمضي العيد هناك.

- خذي بطاقة الاعتماد خاصتي، واشتري كل ما تحتاجين. أريدكِ نجمة  
المكان.

ظُهر يوم ٢٩، وصلا إلى مطار باريس الدولي، وكان زياد باستقبالهما. أقلّهما  
إلى أفخم فنادق المدينة.. مكانٌ لم تكن تعلم بأن تدخله. كانت تحاول أن تبدو  
طبيعية، لكن القلق كان بادياً على ملامحها أنها زيارتها الأولى للعاصمة.

في التاسعة والنصف، توقفتِ التاكسي أمام برج إيفل، خرجَ عُدّي وفتحَ  
باب السيارة..

- تفضلي سيدي.

بدتِ رائعة الجمال، رُغم أن القلق قد خطفتِ شيئاً من تألقها..

- إلى أين سنذهب؟

- إلى مطعم البُرّج، سنحتفل هناك ببداية السنة الجديدة. نُشاهد العاصمة  
من أعلى، كي تكون السماء والأرض شاهدين على حبنا.

صعقها الخبر، لكنها امتصت انفعالاتها بهدوء، كأنها تزور هذا المكان  
كلّ يوم، كأنها أمضت به طفولتها، «برج إيفل».. رأس السنة! هذا يتطلب  
إمكانيات مادية ضخمة، مجنون عُدّي هذا».

- آه، حقاً إنها مفاجأة رائعة، شكرالكِ حبيبي.

انتقلا إلى هناك بالمصعد.. جلسا على الطاولة المخصصة لهما، حيث كان

رياد وصديقه ووالديها بانتظارهما. عرّف عنها، صافحتها ثم جلست دون أن تنطق بكلمة. حاولا جاهدين أن يشاركاها الحديث، لكنها كانت تكفي بميادلتهم بعض ابتساماتها الباردة.

- هل أستطيع أن أتناول كأس نبيذ؟

- طبعًا حبيتي.

حاولَ عدةَ مرّات أن يكرّرَ جليدها، لكنّ مزاجها كان معكّرًا. أنهت الكأس وسكّبت كأسًا آخر، مما أثار قلقه، فكلمها بصوت مُخفّف:

- حبيتي، لا تتناولي المزيد.

قالت بغضب:

- طبعًا، فأنا جاريتك ويجب أن اطيعك وأنفذ أوامرك.

- حبيتي لماذا تقولين هذا؟ أنتِ أميري وأنا افتخر بك. لا أريد أن تهتز صورتكِ أمام أحدٍ منها كان.

- لا تخف، سأحافظ على وضعك الاجتماعي.

وتَرَ هذا النقاش أجواء السهرة قليلًا، رُغم أن زياد وصديقه لم يُلاحظا ما حدث.

- عُدّي إنّي أحتق، أريد أن أغادر المكان.

- حبيتي، نصف ساعة وستدخُل السنة الجديدة. بعدها نذهب ونُكمل سهرتنا حيث تشائين.

- صديقه زياد تلاحقني بنظراتها طوال الوقت، وهذا يُزعجني.

- أنتِ تَحْتَلِقين الأعذار كي تُبرري تدمركِ وانزعاجك من كل ما أفعل من أجلكِ.

حلت السنة الجديدة، واشتعلت أجواء باريس بالألعاب النارية  
المشهد من أعلى البرج رائع للغاية، الفرح يعم القلوب والوجوه.. أحد  
وقلات وأمنيات. غمرها بحرارة، قتلها بشغف رغم برودة حضنها  
- كل عام وأنت حبيبي وصديقتي وزوجتي وأم أولادي. أحبك دائماً  
أحب أحداً من قبل، وسابقى أحبك وقربك إلى آخر يوم في حياتي، حتى -  
سويًا.

- أنت أرق وأطيب وأحن إنسان عرفته في حياتي، أتمنى أن أستطيع إسعادك  
- سعادي تكتمل عندما أرى ابتسامتك الجميلة. أعتذر منك، اعتنا  
أنتك سحبيين رقيقة أصدقائي، جعلتك تشاركهم السهرة رغماً عنك.  
لك يا حبيبي لأنك تجاوزت الموضوع من أجلي، وشكراً لك لأنك لم تفرد  
بالشرب أنا أحبك يا أميري، أحبك جداً.

تبادلوا التهاني بالسنة الجديدة، ثم ودعوا زياد وصديقه وخرجا إلى المدينة  
كانت الأجواء رائعة هناك، الزينة والأضواء تملأ الشوارع المكتظة، وكانهم  
في وسط النهار اشترى البند وشرباه وهما يسيرون هناك، بتبادلان الضحك  
ويضحكان. كان كل ذلك التوتر الذي اعتراها قد زال عندما سمعت ما كان  
تنتظر: «زوجتي وأم أولادي». عند بزوغ الفجر، عادا إلى الفندق، كل يعلم  
بسنة جديدة تترجم رغباته وتكون كما يريد.



وكالعادة بعد كل رحلة، كانت الأجواء تسير بشكل جيد، وبعد مدة  
قصيرة عاد الورد بسبب على أجواء عشقها، ليعيد الحياة بينهما إلى رتابتها.  
- أريد أن أخرج اليوم مساءً مع مارينا إلى المرقص.

- حسنًا حبيتي، عندي مستشفى هذا المساء، سأوصلك إلى هناك قبل أن

حضرت نفسها وذهباً. رُغم أن الفكرة لم تروق، فقد تكرر خروجها إلى هناك في الآونة الأخيرة، لكنه الحل الأنسب كي تدعه يُنهي أبحاثه وعمله لأم. وما كان يريجه هو مرافقة مارينا لها، والنزاهة بكمية الكحول المحددة المسموح بها.

أنزلها عند باب المقهى، ودعها وتمنّى لها ليلة سعيدة.

- ابقى هاتفك مفتوحًا، فلا أريد أن أقلق عليك.

- لا عليك، ليس هناك داع للقلق، فأنا لمرأى أعد طفلة.

- استمتعي بوقتك يا صغيرتي، أحبك.

كانت الجراحة الطارئة معقدة، وبينما كانت أصابعه تجول بين الشرايين، كان فكره يجول في مكان آخر، يُحلّل كل تلك التغيرات التي تمر بها. بعد ساعات من العمل وفي الاستراحة، حاول مرارًا أن يتصل بها، لكن هاتفها كان مغلقًا..

يا إلهي هذه المرأة تقودني إلى الجنون..

طلبَ مارينا، فلم تُجِب أيضًا..

تلك العاهرة هاتفها مغلق أيضًا.. ماذا حدث معها، كيف سأتصرف، لا أستطيع المغادرة، لقد نفذ صبري.

عاد إلى مريضه. بدأ عمله من جديد بيدين ترتجفان، وتوترٌ يكاد يُقضي عليه وعلن مستقبله المهني.

- دكتور عُدّي، هل أنت بخير؟

- أجل أجل، لكنني متوترٌ بعض الشيء.

بعد ساعة تقريبًا، انتهت الجراحة بنجاح. عاد مُسرِعًا إلى هاتفه، فوجد رسالة من مارينا..

«عُدِّي، احضر بسرعة أرجوك، سيمون في الملهى منهاره. لقد أفرطت في الشرب من جديد».

نظرتُ إلى وقت الرسالة، وصلت منذُ عشر دقائق.

- ألو مارينا، لقد أنهيتُ الجراحة الآن، أنا قادم.

- بسرعة أرجوك، إنها منهاره وناتره كالعاده، لا يستطيع أحد غيرك إيقافها.

كالمجنون ارتدئ ثيابه وقاد سيارته.. دخل الملهى، حيثُ كان المشهد مفرزاً كالعاده، سيمون مرمية على الأرض، وقد نزعت قميصها، تصيح وتبكي وتضحك تحت أنظار الموجودين.

«اهدني أنا هنا، هيا سنذهب إلى البيت».

حملها، بعد أن لفَّ جسدها بغطاءٍ أحد الطاولات، ووضعها في السيارة وانطلق.

«أنت حبيبي، أنا لا أستحقك، أنا إنسانه فارغه وتافهه، لكنني أحبك حتى الموت».

تقول هذا وتجهش بالبكاء.. كالعاده.. أدخلها إلى البيت، وهي ناثره لا تريد الدخول، لا تريد أن تبقى معه وهي على هذه الحاله. جن جنونها، وأخذت تُحطم المكان وكل ما وقعت عليه يداها. تبولت على الأرض، ومزقت ما تبقى عليها من ملابس، تقيأت على الأريكه، ثم سقطت أرضاً.. حملها إلى غرفتها ووضعها على السرير، وأقفل عليها الباب.

لريعرف من أين يبدأ. كان مُتعباً جداً، لكن وضع البيت كان مُفرقاً. بذل ملامسه وبدأ بالتنظيف، محاولاً إزالة الأثار والرائحه الكريهه التي تملأ المكان.

بعد أن انتهى، حمل الهاتف الموجود أمامه، ليتصل بالمتسفن كي يطمئن على حاله مريضه.. إنه هاتف سيمون، هناك رساله من مارينا غير مقروءه!! رساله من ماري في هذا الوقت؟ غريب! أرتكن معها حينها؟



دفعه فضوله لفتحها، وإذا به يُصدَم لما قرأ..

«سيمون أرجو أن لا تُفرطي في الشرب، كوني حذرة، فبعد تلك الرسالة التي وصلتني من ذلك الغيبي وأنا خائفة أن يُفتضح أمرك معي».

أخذ يتفقد الهاتف بخوف وقلق، فلم يجد أي رسالة أخرى. سارع إلى غرفتها يبحثُ بين أغراضها، فوجدَ الهاتف القديم خاصتها، فتحه وأخذ يقرأ..  
«سوف أكون بانتظارك، يجب أن تأتي».

«سأحاول، لكنني لن أعليك. عُدّي في البيت، لا أعرف ماذا سأقول له».

- ما هذا؟ لا أصدق!! إنها على موعد مع أحد ما الساقطة! كل هذا الوقت أوصلها إلى هناك وأتمنى لها ليلة سعيدة، وأطلب منها أن تستمع مع رجل آخر؟ يا إلهي! كم أنا غيبي؟! لماذا يا سيمون؟ تركتُ الدنيا من أجلك، أوروبا المسكينة، الرائعة، تضرعت لي كي أبقى على صداقتي معها، فلم أقبل ولرأرض على نفسي أن أكلمها وأنا معك، تركتها تتعذب من أجلك، من أجل سعادتك، ساقطة!!

إنها الثامنة صباحاً ولر يغمض له جفن، أخذ الهاتف واتصل بهارينا:

- ألو مارينا، سيمون مُتعبة، أرجو أن تأتي حالاً

- يا إلهي، إني قادمة.

أخضى الهاتف في جيبه، وذهب لغرفتها وفتح الباب، فوجدها نائمة كما نركها.

- استيقظي.. مارينا ستأتي لزيارتك.

- ماذا حدث؟ أين أنا؟ هل سكرتُ من جديد؟ لا.. يا إلهي كم أنا حقيرة وغيبة!

أخذت تبكي من جديد، وعُدّي يراقبها بصمت، والدموع توشك أن تسقط من عينه. وصلت مارينا ودخلت بسرعة..

- أين سيمون؟ أه جيبتي ماذا أصابك؟

- مارينا.. أنا لا أستحق الحياة.

ردُّ عُدِّي محاولاً إخفاء غيظه وانفعاله وجرحه منها:

- فعلاً، أنتِ لا تستحقين الحياة ولا الاحترام. لقد قلتِ إنكِ ذاهبة مع

مارينا، وهذه رسالة على هاتفكِ منها تُحذرك من اللعب بالنار ومن لقاء ذلك.

الرجل. ويبدو أننا وصلنا إلى هناك سوياً، هي كي تشرُّ فعلتكِ، وأنا كي أتحمداً

فرفكِ هذا.

- لا يا عُدِّي، مارينا لم تستطع أن توافيني إلى هناك لأنها انشغلت، اليس

كذلك مارينا؟

قالت بارتباك:

- أجل، لقد تأخرتُ لأسباب خاصة.

- حسناً، رُبما هذا ما حدث بالأمس، لكن هذه الرسائل على هاتفكِ

القديم!! كم أنتِ حقيرة وكم كنتُ غيباً.

نظرنا إلى بعضهما البعض، وحاولت سيمون التماسك..

- لرافتش أراضك، لكن الصدفة أوقعتكِ في شرِّ أعمالكِ.

- لقد فهمتَ القصة بشكل خاطئ. أرجوك، أعطني فرصة كي أوضح ما

جرئ بالضبط. أرجوك اسمعني.

- ماذا؟ هل ستكذبن عليّ مرّة أخرى؟ وأي قصة سوف تُؤلفين؟

- أرجوك اسمعني، سأخبرك الحقيقة، واحكمم بعده كما تريد.. أنا أشكر

الله لأنك عرفت، فهذه القصة تقتلني، لقد سببت لي الإدمان لأنسى ما جرى

معي.. جون هذا احد حرس المستشفى. تعرفت عليه بعد موت والدي، كنت

في حالة انهيار تام، احتضنتني ووقف إلى جانبي، وبعد أن حدث ما حدث بيننا،

انه متزوج وعنده اولاد. أَحسَّت زوجته لاحقا انه على علاقة بأخرى،  
للب من الطلاق، وكى لا يفضبها انفصل عني.

بعد لقاتنا بمدة، عاود الاتصال من خلال تلك الرسائل. رفضتُ ان أكلمه،  
وهدني بأنه سيخبرك بعلاقتنا، لهذا خفتُ ان تعرف ونغضب منى وتركنى،  
و مررتُ ان التقى به كى أنهى الموضوع؛ إما ان يتركنى وشأنى ويرحل، وإما أن  
ارثلك الشجاعة الكافية كى اخبرك وأكمل حياتى بأمان. اردته ان يعرف أتي  
اعيش معك بعادة مُطلقة، وأنتك أروع إنسان التقيت في حياتى، علّه يتركنى  
اعمل معك بسلام.

عقبت مارينا:

- دكتور عُدّي، إتبا تقول الحقيقة وأنا شاهدة على كل ما حدت. لقد وضع  
لها رسائل التهديد على سيارتها، أردنا أن نتصل بالشرطة، لكن خُفنا أن يصلك  
الخبير، ولن يكون هذا مناسباً لوضعك ومركزك في المستشفى وبين زملائك.  
التقطت سيمون خيط الكلام..

- ولماذا أخبرك، ولا يربطني بك سوى سكنٍ مشترك؟ وما الضمانة أنك  
ستمعني وتسامعني؟ هل أنا زوجتك؟ هل أنا أم أولادك؟ أنا اعيش معك  
بخوفٍ دائم من أن تتركنى، من أن أستيقظ يوماً ما ولا أجلك، فأنت في مكانٍ  
وأنا في مكانٍ آخر.  
صرخ بها..

- أنت تعرفين أتي قد أخبرتُ عائلتي، وانتظر الوقت المناسب كى نتزوج،  
ولكن...

- لكن ماذا؟ بعد ما سمعت، لم تعد تحبتي؟ لا تريدني؟ تريد أن تتركنى؟

تمالك نفسه، وقال بإصرار:

- اعتذر، أريد أن أكون وحدي لعدة أيام. لو أخبرتني بنفسك لسارت

الأمور في منحى آخر، لكن أن أكشف هذا بنفسى بمحض الصدفة..  
كثير، سأذهب إلى الفندق، وسأكلمك عندما أصل لك قراري النهائي  
المخصوص.

- كما تُريد، لكن لا تنسى أني أحبك.

وقبب أمتعه في حقبة، وذهب دون أن يودعها، وفي داخله ألف سؤال  
هل ما سمعه صحيح؟ ماذا تخفي أيضاً من قصص، عليه أن يكتشفها بنفسه؟  
عدة أيام، وأفكاره في مدّ وجزر مثل أمواج المحيط.. بين رسائلها  
واعذاراتها واتصالاتها ودموعها، وبين رجولته وكرامته وكل ما تترين عليه  
من مبادئ.. لكنه حزم أمره..



- أريد أن نبدأ مرحلة جديدة من حياتنا. مرّ عليّ هذا الأسبوع كالكابوس.  
أنت وأنا، مُستقبلنا وحبنا، ولا تعتقدي أنني تجاوزت الأمور ببساطة. كل  
سأقول لك هو أن تثقي بي، وتساكدي أنني لن أخذلك.

- عُدّي أنا سعيدة بعودتك رغم ذلك القلق الذي يؤرقني.

غمرها واعتصر جسدها بقوة.

- بعد اليوم لن يكون هناك قلق ولا خوف.

هو لم يتعامل بهذه الطيبة والتسامح مع زوجته الأولى، ولم يستطع أن يُلغي  
المسافة بينه وبين أوروبا رغم حبه لها.. إلى أن جاءت هي لتكسر كل رايات  
المكابرة، وتجعله أمامها طفلاً صغيراً، يفعل ما تُعلمه عليه مشاعره، بغض النظر  
عن العقل والمنطق.

الحزن يُجِئ على حياة أوروبا من جديد، ما من شيء يستطيع أن يُحوّل بأسها  
لا، سعادة بعد ما حدث. إنه - صوتُ أمها - ذلك الحزن الذي تفتقده..

«أوروبا، هيا انهضي يا حبيتي، فالوحدةُ جزء منك وهي خيارك، انهضي  
والفلي باب غرفتك المفتوح»،

وها هو زيوس يقهقه من جديد..

«أوروبا يا عاهرة.. أنتِ امرأة رخيصة، آفة السماء سوف تعاقبك، سترميك  
في جحيم النار»،

«أتركني وشأني، ارحل ودعني أشوي بالنار وحدي، إن هذا لأرحم من  
،ماني معك. ما يحدث وما حدث معي كان وسيكون بيك، بسبب دخولك  
إلى حياتي وتسلطك على قدرتي. فما اخترت به من أمر منذ لقائني بك جعل  
مي عاهرة تتظر أحداً يحتضنها ويحبها ويكذب عليها ويخدعها.. أنت السبب  
،الظالمون أمثالك.

«هذا الرجل قد خدعك، تسلّى بمشاعرك حتى الملل ثم تركك ورحل.  
هذه هي أنتِ، هيا اختبري أمر وحدتك من جديد، سوف تبقي وحيدة وعموتين  
وحيدة، وحيدة وعاهرة...».

غاب في العبد وهو يفقهه عاليًا..  
عاد صوت أمها يلسم الجراح، وبملا المكان دفنا وحنانا:  
- حبيبي، هيا، انهي، فغدا يوم آخر  
ما حل بي؟

- حبيبي لا تنمي على ما فعلت، لا تنخدعي ولا تدعي نفسك،  
تكوني كالأخريات تنتظرين دورك في إبتاعه، وإما أن  
- قال إنه يحبي ولن يرحني، لقد وعدني بذلك.  
- لو كان ضميره حيا لأوفى بوعوده للأخريات. إن ضميره معلق بمن..  
ابنتي الحبيبة، سأحملك إلى غلك كي تشاهدي نهاية فتتك معه، إذا ما غدا،  
إليه.

بين دخان كثيف كسحابة من الغيم، رفعت نالفازا ابتها عاليًا إلى نار:  
ليس بعيد. نظرت أوروبا، فرأت نفسها تتكلم مع نديم، وإذا به يقول لـ  
بملاحه الجلدية المتحجرة: أوروبا.. رت أن أنني علاقتي بك، فعنتها بد.  
يُثقل كاهلي.

- لم أؤذك نديم، لماذا أنت فاس معي؟ لقد الغيت فكرة الزواج وجعلتني  
أبقى معك كعشيخة وقبلت بهذا فقط من أجلك. أن قَصْنَا ستنهي.  
لكن لا أريد أن نفترق وأنا أحمل ندبا عميقا كهذا يذكّرني بحبيتي.  
- أنا أيضا لم أؤذك. أخذت مني مثلما أخذت منك، لقد استعنت معي ولم  
أجبرك يوما على شيء.

- وعدتني بالأناجرح مشاعري، واليوم وون سبب تطلب مني في تلك  
الرسالة أن أدعك وشأنك!!

- لقد أزعجني سؤالك عني، أنا رجل متزوج ووقتي ليس ملكي.  
- متزوج؟ الآن؟ أنت قلت «عندما تحتاجيني سأكون معك»، أنت من  
وضع صوتي على هاتفك ولم تراعي مشاعر زوجتك، وتجب على اتصالني

في حضور ، بات سؤالي يُهدد استقرار حياتك، رغم أنه بين الرسالة  
الامرئى ساعات وأيام؟! لن أجبرك على حبي، لكنني أبحث عن ا راسك  
الاسان إن وُجد، ولو وُجد لوحدت دقيقة واحدة من وقتك كي نرد على  
البي.

انا لا احب أن اعيش تحت ضغوط أحد لأني سب.

ولت بكبرياء مجروح:

- إنني لا أتوسلك، لا أريد أن أكمل علاقتي بك، لكنني تأملت كثيرا عندما  
ت حقيقة مشاعرك تحمي.

ارتبك وهو مجيب، وقد عرفت أنه قد أهملها عمدا ولأسبابه الخاصة.

- أنت الآن حرة وأنا أيضا، لا أريد أن أترك وراني ما يُقلقني، أرجو ألا  
تري، فلكل شيء نهاية.

- بكل الأحوال شكرا لك لآنك تكلمت معي، ولو لم أتصل لكنت  
صدافتنا انتهت بشكل موجه. أعرف أن هذا ربنا لا يملك بشيء، لكنه يهمني.  
وعندما سأني على ذكرك لن تُعذبي الذكري. أشكرك من جديد يا صديقي،  
التي لك السعادة من كل قلبي.

- لقد سبقتني، كنت أنوي فعل هذا، حسنا ما مضى قد مضى. أتمنى لك  
أيضا حسن الاختيار في المرة القادمة. ثم قال بتهكم: انتبهي ربنا كان متزوجا.  
كانت أوروبا مندهشة كيف وصلت الأمور إلى هذا الحال، هل هذا هو  
ديم الذي كان يتوسل إليها قبلاً كي تعود إليه؟ ولاحقاً سيطلب منها أن تدعه  
، شأنه دون سبٍ أو ذنب؟ شكرا لك نديم، كأن درسا قاسيا، لكن ها نحن  
نعلم.

رأته يُغادر مع ذبول ذلك الدخان. كانت راضية عما حدث، شاهدت نفسها  
مبلأهزيمة وهذا الموقف المذل بشجاعة الفرسان وقوة الملكات. ها هي تمزج  
الوانب الداكنة فوق بياض لوحتها، وابتسامتها المكسورة تُزين شفيتها، تلعب

الحان الحية على قيثارتها، وتحوّلها حقولاً خضراء من الأمل. رأت نفسها وهم  
تكتب آخر فصول قصتها معه برضا.

«يا ابنتي، أدرك أن تجربتك هذه لم تكن سهلة، لكن حياة العطاء مليئة  
بالمخاطر. ارتكاب الأخطاء ليس هزيمة ولا انكساراً، فأخطأنا هي مبررة  
خبرتنا وزادنا في مسيرة النجاح. هيا يا أميرة الابتسامة وعِزّة النفس ارفع  
رأسك عاليًا، فقد مرّت العاصفة دون أن تقتلعك. كوني فخورة بمشاعرك  
فأنت إنسانة ومن يخسرك هو الخاسر، هيا اشكريه على ما أعطاك إياه، وعلم  
هذه التجربة، بِنَقْصِ النظر عن نجاحها أو فشلها، لأنه أعطاك الفرصة  
تخرّجي من حزنك دون دموع ودون توتّل.

أيقظها صوت أمها من جديد، أخرجها من دهشتها ومن جليدها.  
«أوروبا يا حيتي، عودي لك جسدك، انهضي واقظلي بابك خلفه. عندك  
يكفي من الأصدقاء.»

نهضت عن مقعدها وأقفلت الباب وأسندت ظهرها عليه، رافعة رأسه  
إلى الأعلى وهي تبتسم..

أعرف أن ما شاهدتُ هو واقع جاهز للتنفيذ بناء على قراراتنا، فلكل فعل  
رد فعل، أعرف جيّدًا أن من يقودنا إلى ارتكاب الأخطاء أو خوض التجربة  
جاهز دائمًا، فحدوث الفعل وعدمه يتوقف فقط على حكمتنا ورويتنا وخبرتنا  
التي نكسبها من التجارب الناجحة والفاشلة. هذه الخبرة هي من يربط  
النهايات، إنني لا ألوّمك نديم، أنت تؤدّي دورك في الحياة، ولا ألوم نساءك  
فهن صدقنك وأتمن لك تلك الفرص بسبب حاجتهن لك.. وها هنّ - وأه  
بينهنّ - ندفع ثمن خيانتنا لبعضنا البعض، وأنت إلى الآن المستفيد الوحيد، أه  
هكذا ترى نفسك، لكن غدًا لا أحد يعرف من سيكون الرابع ومن سيجمع  
ثمرة الخسارة الفاسدة. الوداع نديم، أنا الآن مُستعدة كي أستقبل غدًا جديدًا  
بأعين جديدة.



بعد عودتها إلى ما كانا عليه من حمية ولبالٍ حراء، بدأ يعد وبشكل سري التحضيرات الخاصة بحفل الزفاف.. الخاتم الماسي، مكان الاحتفال، وأشياء أخرى. حتى إجراءات تحويل نصيبه من الميراث الذي قرر أن يحتفظ به كما قالت، كي يضمن حصّة أطفاله الذين سيولدون من أميرته الجديدة، لم يبقَ أمامه إلّا توقيعها على عقد شراء بيتها الخاص، ضمان مستقبلها معه. في ذلك اليوم، عاد متأخرًا بعد عملية طالت كثيرًا، فوجدها قد غلبها النوم وحاسوبها بين يديها. نسلل هادئًا خشيّة إقلاقها، ومد يده ليغلقه، فأضاءت شاشته، وصفحة رسائلها على الصفحة الاجتماعية تطل على عينيه..

«متدُّ أن كُنّا معًا وأنّيتِ تجتاحين فكري، تلك الذكريات وتلك الأيام لا نقبل أن تفارقني».

امر وجهه، وهدوء شديد استمر في عرض الرسائل..

- أنا أيضًا أحاول أن أنساك وأحاول أن أعود إليك، لكن عُديّ لا يترك لي سبيلًا للانفصال.

عاد إلى أول الرسائل..

- حاولتُ أن أنساكُ شيفون فلم أستطع، حياتي بدونك يقتلها الملل.

- أرجوك، أنت مُتزوج وإن علّمت أنك تكلمني من جديد سوف تدمركُ

- أنا أعيش معها بجسدي، لكن قلبي وروحي معكِ أ -

- عُدّي يفعل المستحيل من أجلي، وأنا أحاول أن أكمل حياتي معه.

- لكن أنتِ تحبيني أنا، ولن تستطيعي العيش دوني، عودي إليّ أُر

- ظروفِي صعبةٌ، وهو يُساعدني كي أقف من جديد.

كان يقرأ تلك الكلمات وقلبه يوشك على تحطيم ضلوعه..

- نسيّت سيمون تلك الليالي الحمراء، عندما كنا نطفئ ثوراتنا بجنونٍ

طبعًا لقد أنساكُ بنقوده جون الحارس البيط، فهو طبيبٌ وجراحٌ وعنده

يكني كي يشربك.

- أنت تعرف أتي لا أشتري ولا أباغ، وأني أتمرق شوقًا إليك أيضًا..

لقاء..، لكنني أريد أن أشتق طُريقًا جديدة، أريد أن أقف على قلبي.

- لقد قلت إنك لم ولن تستمتعي إلا معي، ولن يُطفئ رغباتك سوى حبي

لك، ولن يملكك أحد سواي.

- لم أكذب عليك يومًا. بعد فراقنا لم أشعر بمتعة كنتك التي عشتها معك،

لكنني بحاجة إلى النقود.. إلى العلاج، المساندة، المستقبل.. أنفهم أتي بعد.

الزواج سأقاسمه نصف ما يملك؟

أخذ عُدّي يبحث عن شيء ما بسنده، يجعله يحتمل تلك المأساة ويعيده

الواقع

إنها الحقيقة، لقد كانت تقول لي ونحن في ثورة الجنون «يا طفلي الصغير»

أي نوع من النساء هي هذه العاهرة؟ وتلك الخزانة.. إنها لها، ولا أعرف كم

من الرجال وقف أمامها.. لقد أتضحت القصة..

قبل أن تستيقظ وتلاحظ غيابه، وضّب أمتعتك وعود إلى بيته القديم؛ طيب  
ناجح دمرته مشاعره وإحساسه بالوحدة والغربة. سقط فريسة تنازلاته،  
لفظ لأنه يتحمي إلى مجتمع ولون وفكر آخر. ماذا عساه يفعل؟ لا شيء سوى  
الانتظار إلى أن تُشفى جراحه وتطيب.

رنّ جرس هاتفه.. إنها هي:

- الكو.. عُدّي، أين أنت؟ استيقظت ولم أجده ولم أجد أراضك في البيت.  
- لقد وعدتك بأنني سأترجو لك، ورغم هذا تُرسلين له كلام العشق والحُب  
وأغاني الغرام التي أرسلتها لك. أنتِ حقيرة يا سيمون، جيد أن أبوالكِ قد ماتا  
بل أن يُدركا أنها قد أنجبا شيطانًا مثلك.  
أسفة.

- أسفة؟ وماذا عن خاتم زفاف من أثمان أنواع الماس، وبيت جديد باسمكِ  
اشترينها!! أسفة!!.. بالها من كلمة سهلة على لسانكِ!.. بإمكانكِ أن تحتفظي  
بالسيارة، وتلك النقود التي دفعتها لك. والديون التي سدّتها عنكِ هي أيضاً  
لك، ثمن تلك الليالي التي أمضيتها معكِ، أيتها المومس. ثمنكِ رخيص جداً..  
بعض الدراهم لا أكثر

أغلق الهاتف، مسح دموعه براحتيه وفتح صندوق الرسائل وكتب:

- أوروبا.. حل عندكِ متسع من الوقت؟ أريد أن أتكلّم معكِ أرجوك،  
ضعُ دقائق فقط.

انتهت من ترتيب الأغراض في بيتها الجديد، الذي وجدته لها أيضاً بعد بحثٍ طويل. أشعرها هذا بالراحة والسعادة، إنَّه منزلها هي.. مكان صغير متواضع في إحدى ضواحي المدينة، غرفة نوم، صالة مع مطبخ وشرقة تُطلُّ على لـ... فنية جميلة. خلدت إلى النوم مبكراً، فغداً لديها موعد مهم، وإن حالفها الحما سوف تحصل على عملٍ جديد كمساعدة في دار للمسنين.. بعيد عن مجال دراستها، لكنه قريب من إنسانيتها، يجب أن تحاول.. ففي جميع الأحوال لا يكون بصعوبة عملها السابق.

مرت ساعاتٌ، وهي تبحث ونسأل، حتى وصلت إلى هناك متأخرة..  
- اعتذر سيدي، أنا غريبة عن المكان، وهذه هي المرة الأولى التي آتي بها إلى هنا.

- لا عليك، كنتُ أتوقع هذا، فالدار بعيدةٌ بعض الشيء.. هيا أخبريني عنك قليلاً.

- صراحةً خبرتي في هذا المجال شيء معدومة، واختصاصي في مجال آخر لكنني أفقد للعائلة للحب والحنان، عندي استعداد دائم لتعلم كل جديد، ومرونة ممتازة في تقبل الآخرين والاندماج في أجواء العمل مهما كانت صعبة - بالواقع، إنهم في أمس الحاجة إلى تلك المشاعر، فلا يمتلك الشيء إلا

بعنفده. لقد سقطت عنهم سنين العمر وأصبحت أشجارهم عارية تنتظر  
إياه المحتم. ربما لن يكون عمليّك هنا سهلاً، وأرجو أن تتحكمي بمشاعرك،  
وجميعهم مسافرون ينتظرون القطار الذي سيحملهم لمرقد أجدادهم وساء  
أرواحهم.

- سأحاول.

- حسناً، دعينا نقوم بجولة على المكان...

غرفٌ كثيرة، مسنون ومسّات. منهم الراقِد العاجز عن الحركة، ومنهم من  
داه بصحة جيّدة يستمتع بهذه الاستراحة الباردة قبل وصول القطار. العُرف  
ملفّة ومرقبة وهادئة، هناك صمّتٌ غريبٌ يُشبه صمّت المسكّن الأخير الذي  
سطر هذه الأجساد، التي أنهكها الجُري خلفَ وهم الحياة. في صالة الطعام،  
هم من يأكل وحيداً، ومنهم بحاجة إلى مساعدة، والبعض الآخر حاضر  
المسد غائب بالروح، لا يربطه بوجوده سوى ذلك النفس العابر صعوداً  
وهبوطاً. من هناك مرّتا على المكتبة ثم الصالة، صالون الحلاقة، المقهى، عادتا  
بعدها إلى المكتب.

- هل أعجبتك المكان؟

- جميل جداً بكل ما فيه، رغم حزنه. إنّه واحةٌ من السلام والاستسلام.

- لا يعزُّك هذا الهدوء، بعض الأرواح تبقى نائمة وترفض الخضوع  
والاستسلام إلى أن يُخرجها الموت مُجَبَّرةً من أجسادها، ويجب أن نتعامل مع  
الاثنين بصبرٍ ومحبة. هذه هي الحياة تمر علينا ونحن غافلون، لا يبقى لنا بعد  
رحيل السنوات سوى الحزن على ما فاتنا أو على ما أدركناه ونخاف فقده.

- أنتِ مُحقّقة.. متى أستطيع البدء بالعمل؟

- اية الأسبوع القادم مستعد مسنولة القسم من إجازتها، ستكون مسنولة  
عن تدرّيبك، لكن المواصلات إلى هنا مُتعيبة. لذا عليك الخروج من المنزل  
مبكراً، كي لا تُصلي متأخرة.

- لا عليكِ سيدتي سأهتم بهذه المشكلة.

ودعتها وتخرجت من هناك سعيدة.. لقد حصلت أخيراً على وظيفة  
كالعادة، إدي كان أول من يعلم.

- إدي، لقد حصلتُ على الوظيفة، سأبدأ في الأسبوع المقبل.

قال بسعادة:

- مبروك. وأخيراً أخبار جميلة، إنه عملٌ جيدٌ لكن مؤقت. سوف تنطلقين  
بعد استراحة قصيرة إلى الأفضل.

- لكن المصح في منطقة نائية، والمواصلات إلى هناك شبه معدومة!!!

- إذا تشتري سيارة تُسهل انتقالك إلى هناك.

- ماذا؟ سيُصبح لديّ سيارة؟

- ما المشكلة؟ أنتِ علمكِين رخصة قيادة، وإذا كنتِ بحاجة إلى التمويل

فأقرضك، بإمكانك أن تُسددي ثمنها على دفعات.

- التمويل ليست مشكلة. لقد وفرتُ ما يكفي، لكن خبرتي معدومة في

إدارة السيارات.

- لا عليكِ، سأهتمُ بالموضوع، صديقي يملك معرضاً، سأطلب منه أن

يختار لكِ واحدة تناسب ظروفك المادية.

- حسناً، افعل ما تجدُه مناسباً.

لم تمض سوى أيام قليلة حتى أصبح ذلك الموقف المخصص بمتزدة

مغفولاً بسيارتها الجديدة. صحيح أنها لم تكن جديدة فعلياً، لكنها تُشبهها

جميلة، صغيرة، متواضعة واقتصادية. أصبح روتينها أن تستنظُ صباحاً،

تحشي قهوتها، تأخذ جريدها من صندوق البريد، تقرأ ما يهتما من أ

ثم تنطلق بسيارتها إلى عملها الجديد. ذلك العمل لم يكن متعباً؛ كان عليها أن

تساعد المرضى في العناية بالمرضى المسنين، تُطعمهم، تأخذهم إلى الحديقة.

أي مكان يريدون الذهاب إليه، تساعد في ترتيب صالة الطعام. تعاملها معهم جعلهم يتعلقون بها، بعضهم كان يرفض أن يعتني بهم سواها. الابنة الحنونة رمز الشباب والجمال. كانوا لها العائلة التي تفتقد، أخذوها مرانها ووجدتها، وأشعلوا حينها إلى جذورها وحقيقتها وسبل العودة إلى لازل تراودها. لكنها انشغلت كثيرا عن أصدقائها الذين لم يتأخروا يوما.. السؤال عنها ومساعدتها..

وكم أوجاحة حقًا، سأصل بنا أولاً..

انتظرت مطولاً على الهاتف قبل أن تُجيبها:

- أوروبًا، شكرًا على الاتصال

- أين أنتِ يا سنا؟ لماذا لم تكلميني كل هذه المدة؟

- ظننتُ أنك لن ترعبي بصدقتي بعدما حصل.

- لقد جرحتني نصرُفانك طبعًا، لكنني أنفهم الآن، فقد وقنا في نفس

المصيدة، فنديم هذا شخصية غريبة تفقدك توازنك وتسقطك بصراعٍ غريب مع ذاتك.

- أنا أعترف أمامك ربما يساعني الله... لم أستطيع أن أمنع نفسي من كرهك

- لا...

- لقد كرهتك بقدر حبي لك وحبك لي، أنتِ تمثلين لي الصورة والحالة التي

لم أستطع أن أرسما للنفسى أو أن أعيشها.. أشعر بالحنج من مشاعري تلك أعرف أنكِ بأمس الحاجة إلى الحب والأخوة، لقد اجتزت كل تلك المشاعر وأشعر بالندم، أرجوكِ سامحيني!!

- لا عليكِ يا صديقتي، نحنُ بشرٌ نُحب ونكره، نسامح ونحقد، وإذا

انحدرتنا إلى واحدة من هذه المشاعر دون الأخرى عندها سنرتقي إلى مرتبة الملائكة، أو أننا سنقايس الشياطين جحيمهم والإنسان قد خلق مزيجًا من الاثنين وسيبقى بين الاثنين ولا سيخر لقبه وطبعته كإنسان.

- لا أدري إن كنت سأراك ثانية أيتها الرائعة.. سأذهب إلى مصر لزيارة أمي  
ويعلم الله إن كنت سأعود أم لا.

- مصر!

تأمت أوروبا للحظات.. ذلك العبق البعيد هو حقيقتها مهما اندمج...  
هذه الحياة الحديثة. أفاقت على صوت سنا..

- أين ذهبت؟.. آه، لقد أخبرتني يوماً أن أجدك في مصر يون. لم لا أرى  
معني؟.. تعرفين.. قد تقرب مجدداً، ونسئ رجلاً فرّقنا.

ابتسمت أوروبا.. كم ساعدتها سنا في أسوأ اللحظات، وكم جرحتها برجل  
رجل تحبه، لو أن هذا يسعدها ويقربها، فربما....

- فكرة جيدة، لكن لا أعدك، فلا زالت أموري مشوشة..

- أرجوكِ صديقتي، سوف آخذك إلى الأهرامات والمتحف، سنعبّر الداء  
ونزور أماكن أخرى كثيرة.

- أنتِ تُثيرين فضولي، أعدكِ سأحاول، وساعلمك متى اتخذت القرار



فتحت حاسوبها، وفكرة سنا تلاحقها.. ربما هو الانتفاء لأزمة تعيش في  
تلك البلاد، لم يزل هو الأقوى في حناياها.. ذلك الصديق الذي تشدّها دائماً  
تلك الصور التي يلتقطها لنفسه من حول العالم.. ها هو..

«مرحبا كريم، كيف حالك؟ لقد عرضت عليّ صديقتي مرافقتها إلى مصر  
هل تشجعني؟»

لم تكن بحاجة إلى سؤاله، بقدر ما كان شيئاً ما في نفسها يبحث عن التشجيع  
أمام قلق أصابها مع الفكرة. تركزت الصفحة، محاولة أن تترك التفكير في الأمر.



لهم يرد عليها، وذَهَبَتْ إلى صندوق الرسائل.. أووه، إنّه مليء.. جالت على  
الاسماء، وتوقفت حين رأت اسم عُديّ.. وقرأت رسالته.  
- أنا هنا الآن افتح حسابك إن أردت.

فتح الكاميرا، ظهر أمامها عُديّ غير الذي كانت تتوقع أن تراه؛ فقد الكثير  
من وزنه، وأرخى لحيته. كانت المساة بادية على وجهه.

- مساء الخير أوروبا كيف حالك؟ اشتقتُ إليك كثيراً.

لم تستطع أن تفسر ما قال وما ترى..

- عُديّ، يا إلهي ماذا حدث؟ أي مُصيبة حلّت بك؟

سقطت الدموع من عينيها دون أن تشعر.

- ساعيني أوروبا، وها أنا أقف أمامك مكسوراً ومهزوماً.

- أرجوك أخبرني؟ هل مات أحد مرضاك أثناء الجراحة؟ هل توفي أحد من

عائلتك؟ ماذا حدث؟

سرد لها قصته في اختصار من لا يريد التذكُّر.. استمعت بإصغاء ودموعها

سيل، ولا تدري أتشفق عليه أم تلوّمه..

- أنت معظوظ يا عُديّ. إنها الحياة يا صديقي، يجب أن نبكي كي نتعلم.

- أنت ملاك يا أوروبا، كم أشعر بالسكينة والاطمئنان عندما أكلّمك، رغم

أننا لم نلتق وربّما لن نلتقي.

- لا تنس أنك من وقفَ إلى جانبي ودعمني وجعلني أجتاز تلك المرحلة

الصعبة في حياتي. ها أنا الآن قد كُيِّبَ لي القدر أن أزدلُّك الجميل.. هيا انهض

يا صديقي وانفض عنك غبار هذه التجربة واحتفل بإنسانياتك، فحبك لها

كان شفقة

وتعاملاً راقياً مع وضع إنساني ليس أكثر، ولو كنتُ مكانك لفعلت مثلك.

- لم تكون تستحق حتى الشفقة فلقد اكتشفت لاحقاً ان مارينا هي والدتها

الحقيقية وتلك العائلة المنكوبة هم اهلها بالتبني وقد استغلو موتهم لكي  
يستولوا على الميراث

- لكنك كنت انسانا مع تلك القصة التي صدقتها وهذا يكفي  
- لكن معك أنت لراكن انسانا ابدا.

- انني اتفهم وضعك، فظروني غريبة، وما حدث أمر طبيعي وعليّ أن  
أنتقله وأنا قلم معه، وأشكر الإله على هذا، أرا تقبل إني ملاكك؟ أنا سعيدة  
بهذه المهمة.

- أنت فعلاً ملاكي يا أوروبا، أخبرني عنك...  
تنهّدت بمرارة وقالت:

- أوضاعي العامة أفضل.. وجدتُ عملاً جديداً بمساعدة صديقي  
الدكتور كونراد - مساعدة في دار للمسنين - وايضا وجدت لي شقة صغيرة،  
ساعدني إدي على شراء سيارة جميلة كي أنتقل بها إلى عملي، وسنا قد عرفني  
على أحد أصدقائها، تسلى بمشاعري، استغلّ أزمتي وعبث بحياتي، وها أنا  
الملمم جراحي منذ ذلك الحين، وأحاول أن أكمل مسيرتي لوحدي.  
- أنا آسف، حصل هذا بسببي.

- إنه قدرتي، كان متزوجا بامرأة، وبعد حين أخبرني عن زوجته الأخرى  
كنتُ ساصح رقم أربعة بحجة أن الشرع قد أجاز له هذا.

- للأسف، لقد شوّه هؤلاء دين الإسلام ولر يأخذوا منه إلا القشور، وما  
يُسَهّل عليهم حياتهم ويفرقهم بالمتع، لفهمهم الخاطئ له. إنه الدين الذي  
رسم قانونا للبشرية، مراعيًا حاجاتهم كبشر، دون أن يحاول جعلهم ملائكة  
يفشلون؛ اعتنق العبيد، احترم المرأة وحقوقها، أمر الناس بالصلاة والنظافة  
واحترام صلة الأرحام، فرض ضريبة على من يملكون المال كي يُعملوا بتلك  
التقود الفقراء والمحتاجين.. تمامًا كما تفعل دول العالم الأول الآن. صحيح  
أنتي مُلجِد، لكني أرفض بأن يُسند هذا إلى الإسلام.

- أعرِف يا صديقي، لقد قرأتُ عن هذا مُطَوَّلًا، وأعرِف أيضًا أن ذلك الرجل يُمثَل نفسه لا دينه. لقد ساعته وتمنيت له التوفيق والهداية.

قال وهو يحاول أن يمنع نفسه من البكاء:

- ما فعلته بك لا يقل عن ما فعله ذلك النذل، وها أنتِ تداوين جراحي بكل طيبة وحنان.

- لا عليكِ عُدِّي، ما لا يقتلنا يقوينا ولا تنس أننا أولاد كايا نحمل نفس الدماء ونفس عناصر الجسد وبجمعنا نفس الإله ونفس المحبة.. متى احتجتني سوف تجدني أيها الصديق.

ودعها بابتسامة زينت وجهه الحزين.. جالت صورّ كبيرة في غيبتها. أحست بفراغ في داخلها يشبه الهوة التي لا فرار لها، وخوف من الآتي، ورغبة جارفة بالعودة إلى ماضيها رغم قسوته.. الحرية التي كانت تشدها تحولت إلى واقع مليء بالألم.. هل ألم الرضوخ لأقدارنا أقل وطأة من معاناة طريق رسمناها بأنفسنا لأنفسنا؟ ها هي الآن حرة وتعاني.. وعدى حراً ويعاني وطأة ما سعى إليه.. تمت حضن أمها، قلموس.. تمت للحظة حضن زيوس!



سمعها إدي، دون أن يقطعها.. كانت كأنها في جلسة نفسية، تفتح قلبها، وتتقيأ ألماً كبيراً، لن تحمل أن يظل في جوفها..

أشعر بخوف يعتصر ذاتي، مشاعري التي تنقلت في فترة قصيرة جداً، حتى وصلت إلى عُدِّي ومن بعده نديم.. كيف لقلب بشر أن يحتمل كل تلك القفزات!

لربرد.. ظل يستمع ويعطيها الفرصة لتخرج جزءاً مما تحتق به روحها.

يعرف كيف أن هذه الروح الغريبة معجزة قوية، تحطت حدود الـ ١٠٠٠  
والتاريخ.. لكن يظل لها قلب امرأة.. أكملت:

- أتعرف.. أصبحت أحمل لعُدي من الأحاسيس ما يشبه ما تكنه لي ..  
مشاعر!!

ابسم.. وسألها بهدوء:

- هل تتوین البقاء إلى جواره؟.. ستافرين إليه؟ ردت في سرعة:

- لا لن أذهب إليه، ها أنا هنا.. إن أراد باستطاعته أن يأتي لزيارتي.

في الر..

- لو اني سأذهب إلى مكان، فبلدي هي ما أشتاق.. بلدي صور، ذلك؛  
اللبنان الجميل، يعترضني عليه الرُّشد من الحب، أر أكثر قوة من صدمة امراء  
في حبيب.. لقد دُمِرت حضارتي، كل ما أملك هناك، حتى أمي دُفنت في  
مدينة أخرى، ولا أعرف إن كنتُ سأجد ضريح أبي كي أبكيه! بلدي الحبيب  
سكنهُ الغُرباء، وها أنا أنقطع إربًا عند سماع أخبار شعبه المتقاتل المنقسم،  
والمشرذم، وأزمانه التي لا تنهي. كم أكرههم لأنهم لم يُحافظوا على ما تركهُ  
لهم أجدادهم!.. هم لم يتبعوا في بنائه، وأصابهم الكسل عن مجرد الحفاظ على  
ما بُني لهم بجهد غيرهم. ولكن كيف سأعود وأعمدة مدينتي قد أصبحت  
حطلمًا يدوسه ويستبيحه المستهترون، الذين لا يعرفون ماذا فعل أبي وإخوتي  
وأجدادي كي يتركوا لهم هذا الإرث الثمين.. هذه الحضارة وهذه السُّمعة؟ لا  
لن أستطيع العودة، سأموت إن لم أرشم رائحة بساتين الليمون في صيدون، وإن  
لم أجد حضارة تفوقُ حضارتي مجداً وبيلاً وعظمة. لن أعود الآن، إن كُنيت  
لي العودة، أريد زماني أنا، حيثُ كنتُ سفراء علم وحبّ وحضارة وسلام، ليس  
تجار دين وإرهاب.

وها هي أرض أجدادي تناديني، أرض نيلون وليبيا... أتوق إلى حضارة  
من قاد قلبي إلى حب الإله الواحد علي أجد هناك مفتاحاً للعودة إلى جدي

حر هناك وتعتق روحي في حنايا الماضي، فقلبي يؤمني، مصير كايا وسكانيتها  
مرو بهم يقلق مضجعي.



لا زالت غارقة في حيرتها، تأمل صور مدينتها ولبنانها الحديث، حين ظهر  
مبض رسالة جديدة

إنه كريم.. «ستزورينا في مصر؟! هذا رائع.. متى ستأتين؟ إنها حضارة  
فديمة ساحرة، الأهرامات والمعابد، واثق أنك ستخوضين تجربة رائعة».  
وصلت رسالة أخرى منه.

«أرجو أن تتصلي بي عند وصولك، هذا رقم هاتفي، احتفظي به ولا  
ترددي إذا ما احتجيت إلى أي مساعدة».  
رسالة أخرى:

«نيت أقول لك، مصر هتنور».  
ظهرت على وجهها أخيراً ابتسامة مشرقة، تلك التي لم تعرفها منذ زمن،  
فكتبت له:

«لا أعرف متى، لراحم أمرى بعد، سأتصل بك بكل تأكيد عندما أتخذ  
قراري».

«إذا إلى لقاء قريب صديقتي الجديدة القديمة».

إنه شخصية مُفعمة بالحياة، دائم الابتسام، مُحاط بالأصدقاء  
والجميلات كما تبدو صفحته. إنها بحاجة إلى هكذا أصدقاء لتعلم حُب الحياة.

ارتفعت إطارات الطائرة عن المدرج رويدا رويدا. أخذ قلبها ينبض بسرعة، إنها رحلتها الأولى في هذه السفينة الطائرة، التي ستحملها فوق السحاب، كيف ستعود إلى الأرض؟ كانت الفكرة تخيفها. وما هي تشاهد من ذلك الشباك الصغير كايا الرائعة وهي تبعد من تحتها، سهول خضراء، أنهار كالشرايين تُغذي التراب الميت بالماء الحلي، عابرة تلك المروج، مترنحة يمينا ويسارا. انها فعلا كايا الحية كاجسادنا، وعندما تموت سموت معها... كان عليها أن تسترخي قليلاً، فالرحلة لازالت طويلة.

- آه يا سنا، يكاد قلبي أن يقفز من صدري، مشاعر متزاحمة بين قلق وخوف ودهشة واستسلام.

- هل هذه رحلتك الأولى؟

- أجل.

- لكن كيف وصلتِ إلى هنا؟!!

فاتنا أن ذلك هو السؤال المنطقي أمام كلامها.. سنا لا تعرف قصتها، وعقلها لا يناسب تصديقها.. قالت متضحكة:

. سيرًا على الأقدام.

مهككت منا عاليًا..

- كم أحبك حين تطلقين العنان لدعائبانك الخيالية، هيا نامي قليلاً كي لا  
مري بثقل بالوقت.

غفت سناً، أمأهي، فكيف تنام؟!.. كان وجودها في هذا المكان، مُعلّقة بين  
الأرض والسماء مهيجاً لأفكارها.

«أيها الإله الواحد، ما أوسع هذه الأرض، وما أكبر طموح الإنسان،  
.. هي الجزر اليونانية تتوسط المحيط الأزرق. مرحباً زيوس، تعال وانظر  
إرملك.. لقد استعمرها البشر من بعدك، ووصلوا إلى أقطارها، شقوا  
الطرق وسط جبالها، وبنوا المدن، وغزوا الفضاء والسماء. ما كان حُلماً  
للأجيال الماضية جعلوه واقعاً. الإنسان أثبت أنه الممتد منذ الأزل وإلى الأبد،  
وليس الألهة..

تهددت..

«أين سرك أنت؟ هل أخفيت الحكمة، أيها الإله الواحد؟.. يا من قسّمت  
لكل هؤلاء أقدارهم وأرزاقهم، لماذا لا تعدل بعنلك وإنصافك بين من  
-لمقت؟

ساعات وعيناها مسترتان، تراقبان تلك اللوحات، وكأنتها تملّق بروحها.  
لر تتخيل يوماً أنها ستركب السحاب. كان سعيها مركزاً على العودة إلى الماضي؛  
وتراها تنغمس أكثر بحاضرها وتخطّط لمستقبلها.. لكن لعلها تجد فيه ثغرة  
نعيدها إلى ذاتها.. إنها الآن على بُعد ساعات من حضارة أجدادها نيلون وليبيا،  
ستقف عما قريب أمام معبد أختاتون، الذي قاد قلبها إلى الإله الواحد.. فهل  
سبمع لصلاتها؟..

تحاول الهرب من مخاوف اللاعودة إلى زمنها.. ومن مخاوف العودة إليه..

هي مقبلة على رحلة يجب أن نجد فيها بعض الرحيل عن هموم ما تركناها ..  
أتت إلى هذا الزمن ..

«أوه .. سألتقط الكثير من الصور كما طلب مني كونراد، وسأشتري هذا  
لامي الغالية أيضا. أما إدي، فذلك السعادة التي شاهدتها في عينه وأنا أعلم  
بموعدهم سفري كانت أكثر ما شجعتني .. «لا تخافي، اذهبي وتعرفي على زماننا  
الجديد، وواجهي زمانك القديم وما صار عليه .. وربما تجدين حُبَّ حيائك،  
ليتيقنك هنا!«.

استيقظت سنا على صوت المضيغة وهي تُعلن نهاية الرحلة.

- هل أنتِ جاهزة يا صديقتي؟ أرجوكِ حاولي أن تبقي قربي، فهذا البلد  
الغريب عنك سوف يحمل لك الكثير من المفاجآت.

- إني جاهزة لها. كنتُ أفكر السفر إلى عُديّ وها أنا هنا، وغداً سأجعل  
أفضل.

- أيتها المغامرة، سوف يُعيني جمالكِ هذا، لا تنسي أن تتصلي بكريم، لقا  
طلبتِ مني أن أذكركِ.

- نعم شكرًا لكِ، كدت أنسى، سأكلّمه عندما نصل إلى البيت.

- حملنا الحقائب، ويارتانا في الممر الطويل مع باقي الركاب، أنهينا الإجراءات  
اللازمة، وتوجهتا في إحدى سيارات الأجرة إلى شقة صغيرة تملكها أخت سنا  
في أحد الأحياء الشعبية، حيثُ ستمضيان هناك إجازتهما هذه.

- سيد هشك المكان يا أوروبا، فالحارة جد متواضعة، وتفقر إلى كل شيء؛  
الماء والكهرباء والتنظيم، لكنّها غنية بطيبة أبنائها ومحبتهم. لقد مرّ البلدُ بأزمات  
سياسية واقتصادية شديدة، أثرت على أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية، لكن  
طيبتهم وكرمهم لم يتغيرا.

- لقد تابعتُ تلك التطورات منذ فترة، لا تقلقي فأنا أحبّ هذه الأماكن.



انعظت السيارة من أحد الشوارع الرئيسية إلى شارع فرعي، لربق من الأسفلت الذي فيه سوى بعض الأجزاء التي تفصل بين الحفر، وقد اصطفت مربات الباعة على جانبيه، لتأخذ من مساحته ما تأخذ، وترك ما تيسر فقط امبور السيارات. بعد مسافة قصيرة، انعطفوا إلى اليمين من جديد، ليدخلوا جياً ضيقاً لا يمكن للسيارة الولوج فيه.

«شكرًا لك، سنقف هنا لو سمحت، هيا يا أوروبا لقد وصلنا».

المكان صاخب، وصوت الباعة وأبواق السيارات يملأ أرجاءه، ويملاه أيضاً بالونس والألفة. فتحت سنا الباب الحديدي القديم للمبنى، ودخلنا. أسرع إليهم رجل يرتدي جلاية، وخلفه - في تلك الغرفة المتواضعة - يجلس عدد من الأطفال، قال مرحبًا:

- حمدًا لله على السلامة يا ست هانم.

- إزتك يا عم فرغلي وإزي العيال؟

- بخير بيوسوا إيدكي يا ست.

- أوروبا، عم فرغلي هو جارنا، ولا يتأخر عنا أبدًا. إذا ما احتجت إلى أي شيء، فبإمكانك أن تطلبينه منه، وإنت يا عم فرغلي خلي بالك من صديقتي، فهي غريبة عن المكان.

همت في أذنها، وقد سبقها هو حامل الحقائب هو وأولاده:

- عم فرغلي رجل فقير جدا، ولا يجد عملا، فيساعد السكان هنا، ويعطونه ما يستطيعون.

كانت الشقة منفصلة عن محيطها؛ عصرية إلى حد ما، نظيفة ومرتبّة وفيها بعض وسائل الراحة والترفيه.

- عم فرغلي يبدو رجلاً طيباً، لقد آلت قلبي ظروفه.

- يا صديقتي، فرغلي هذا من أصحاب الأملاك، لكنها أملاك قديمة

يستأجرها الآخرون بما لا يكفيه خبزًا.

هذا غير منطقي! لكن لماذا يستخدمه السكان؟ إنها رفاهية غير  
مبررة وسط هذا الفقر الواضح في المكان؟.. إننا هناك في أوروبا نخدم أنفسنا  
بأنفسنا، رغم أن ظروفنا أفضل

- إنك في بلاد العجائب والتناقضات يا صديقتي.. لا تنسي أن نتصل  
بكريم.

- لن أنسى هذه المرة، سأتصل حالاً.

غيرت شريحة هاتفها بتلك التي اشتريتها في الطريق، طلبت الرقم، فردَّ  
عليها صوتٌ وقور وهادئ، بلغة لم تفهمها، فتلعثت قليلاً، وبدأ التونر  
واضحاً في نبرة صوتها:

- أستاذ كريم؟ أنا أوروبا، من على الصفحة الاجتماعية.

تغير صوته، وأصبح أكثر رقة، ورحب بها بلغتها:

- أهلاً أوروبا.. الحمد لله على سلامتك «مصر نور».

- شكرًا لك وأسفة على الإزعاج.

- على العكس، أنا سعيد بسماع صوتك، كُنت أنتظر قدومك بفارغ الصبر،  
ولا تسأليني لماذا.

أسقط منها قدرتها على إدارة الحديث، ولم تدري ماذا عاها تقول. للممت  
أنفاسها وردت محاولة تغيير مسار الحديث:

- إن الوقت مُشكلة حياتنا العصرية، فأيامنا مليئة بالجهد والعمل، وترانا  
نسرق أوقات متعتنا من الحياة كاللصوص.

- أنتِ مُحقة.. أتعرفين أن صوتك لا يقل جمالاً عن صورٍ..

بعثها من جديد، وشتت ما تبقى من تركيزها، قالت بخجل:

- شكرًا لك.

- متى سنلتقي؟ أود أن أدعوك إلى الغداء، كي تذوّقي أشهر أطباقنا الشعبية.

- لقد وصلنا لتوّنا أنا وصديقتي سنا، وكما تعرف أنا غريبةٌ ولا أجد التنقل وحدي، فهل لك أن ترافقني؟

- بالتأكيد، هذا طبعاً يُسعِدني، ما رأيكِ غدا الساعة الثالثة بعد الظهر؟ سأرسل لك العنوان في رسالة هاتفية، اعطيه لأي سائق أجرة وسيقودكما إلى هنا بسهولة، فالمكان معروفٌ والوصول إليه سهل جداً.

- حسناً سأبلغ سنا بالدعوة، إلى اللقاء غداً.

أنتِ الإتصال، وكانت سنا ترقبها وهي تبسم بخبث... قالت بتهكم:

- «آه، إلى اللقاء سيد كريم»، تبدين بأحسن حال!!

- إنها المرة الأولى التي أتكلم فيها معه، لذا كنتُ مرتبكة، لقد دعانا إلى الغداء.

- لن تُمضي نهارنا معه. أريدُ أن أريك المدينة، وهذا يحتاج إلى الكثير من الوقت.

- إنه غداء يا سنا، لن نحتاج أكثر من ساعة أو ساعتين!!

قالت بخبث وهي تضحك:

- ما هذا الحماس؟ ربّما ستصُح توقعاتي وستخطفين مني وأعود وحيدة.

- توقفي عن هذه الدعايات السخيفة، أنا لا أعرفه.

- حاضر أيتها الجميلة، سوفَ تؤكّلين قريباً ولن أستطيع إنقاذكِ، أنتِ في

فص الأسود في بلد العجائب.. وأنت صيد لا تتركه أعين الصائدين!

في الساعة الثالثة، وقفت التاكسي أمام بُرجين ضخمين على مقربة من نهر النيل. نزلتا هناك عند مدخل المبني، حيث ترجل شابٌ وسيماً يرتدي بدلة

عصرية أنيقة، ووضع نظارات شمسية من سيارته السوداء حديثة الطراز  
اقترَب منها وقال:

- الحمد لله على السلامة، أهلاً بكما.

أحتت بنفس الارتباك الذي اجتاحتها عندما سمعت صوته، استجمع  
نفسها وقالت مستفزة:

- السيد كريم؟

خلع النظارة، وأخذ يتفحّس ملامحها بهدوء، ثم عاد ليُخفي إعجابِه خلف  
وجهه الطفولي وابتسامته البريئة.. قال بمازحاً، مخففاً حدّة توترها الذي شعر  
به.

- يجب أن أكون هو، إلا إذا كان هناك كريم آخر.

- هذه سنا صديقتي.

- أهلاً بكما، تفضلاً. اعتذر منكما أولاً فقد كان عليّ أن أفلكما من المنزل،  
ولكن ضغوط العمل كثيرة، لهذا فضلتُ أن توافياي إلى هنا كي نستفيد من  
الوقت.

ضغطت سنا على يد أوروبا، وقالت هامة:

- يا إلهي سوف نتغدئ مع هذا المخلوق! سأخبركِ أمراً مهماً، إن أردت أن  
تستمري بنوبات تعقلك هذه فدعيه لي، أنا مجنونة وأكره التعقل.

قالت بصوتٍ منخفض وهي تضحك:

- اصعدي قبل أن يُلاحظ جنونك هذا.

قال بعد أن انطلقوا:

- آيتها السيدتان الجميلتان، قبل أن نصل إلى المطعم، سوف اصطحبكما  
بجولة في أرجاء المدينة لأعرّفكما على أهم معالمها، أما حضارتها القديمة،  
للأسف فلن أستطيع أن أكون دليلكما إليها، لأنني سأسافر اليوم مساءً.

- سوف تسافروا!

- للأسف.. كنتُ أودّ أن الغي موعدتي، لكن لديّ التزامات مهمة لا

يتمل التأجيل.

أكمل قائلاً:

- لكننا سبقنا على تواصل، ورؤيتنا ساعود قبل رحيلكما.

أخذ كريم يشرح لها أثناء القيادة:

- هنا على يميننا نهر النيل، لن نأخذ الطريق الذي يُجاذبه، لأننا سندخل

قلب المدينة. انظري هناك.. هذا بُرج القاهرة، بناءُ أحد زعماء بلادنا، وارتفاعه

بوازي ارتفاع الهرم. شيدهُ ليكون نصباً حضارياً يشابه ما تركه لنا أجدادنا من

دنوز، في وقت بنائه، كان علامة.

التفت إلى أوروبا..

- هل تترك مجاهل التاريخ؟

- بالطبع، لقد شدتني حضارة الفراعنة. كنتُ متشوقة، أريد أن أعرف ماذا

حلّ بتلك المملكة العظيمة، وماذا فعل أبناء بلادكم بهذا الإرث.

- انظري حولك، إننا نحاول جاهدين أن نحفظه كجزء منا، ونحلم أن

نضيف عليه من مجهود حاضرننا، لكن كما ترى.. إننا نفتقر إلى النظام والتنظيم..

عدم الإحساس بالانتماء للوطن كجزء من كياننا جعلنا نقف مكاننا عاجزين

عن التقدم، فالكل يدور في فلكٍ نفيه، لا مكان في دنياه لتاريخه وبلادها،

لقد افتقر الجميع - تحت وطأة الحاجة حيناً، والطمع أحياناً - إلى الإحساس

بالوطن، فصلوا عالمهم الصغير عنه، تجدين بيوتا نظيفة منظمة، وشوارع عملاها

الفوضى، منازل مجهزة يحافظ أصحابها عليها، وأملاك عامة يمعنون هم ذاتهم

في إهمالها وتخريبها.. لا يشعرون بامتلاك الوطن كما يمتلكون ما يخصهم. حتى

النظام الحاكم لا يندم إلا نفسه ومصالحه، ولهذا قامت الثورة.. انظري إلى هذا

الميدان.. لقد شهّد منذ مدّة انفجارًا عظيمًا للمخوع والذلّ والانكسار، وه، نحن نحاول أن نسنّ قوانينًا جديدة تحترم الإنسان، حريته وحقوقه، وتحب الوطن وحقه علينا أيضًا، وتُدرّب أنفسنا على التقيد بهذه القوانين؛ رغبة في التقدم واقتناع تام بأهميتها كجزء من تحضّر الإنسان. دون ذلك لن يكون هناك تطوّر، إن هذا صعب بقدر ما ترسخ اليأس لعقود في النفوس.. ولكن علينا أن نحاول فالأرض والافلاك يسيرها القانون. والطبيعة وما عليها من كائنات، أيضا تمثل لحكم الطبيعة.. ولن يصعب على هذا الشعب العظيم أن يتجاوز أزماته وأن يجد قانونًا وحاكمًا عادلاً، يحترم البشر والحجر الحريات والانتها.

لهذا كانت الثورة.. كانت ثورتنا على أنفسنا وضعفنا أولاً، على انسلاخنا عن وطننا، ثم على الظلم، إن لم أُنحني فلن يتمكن أحد من امتطاء ظهري.

نظر إليها للحظة صامتًا، ثم أكمل:

- أيتحين عن حضارة غابرة؟.. بعد أن بُنيت تلك الحضارة وهذه الثورة، بساعدٍ وقلب رجل واحد، أصبح الوطن الآن دون سواعِدٍ وذا قلبٍ مشتت بآلاف الاتجاهات، بعد أن ثار على نفسه، استغلوا حاجته للقمّة العيش وللأمان وجعلوه ينتظر مُخلصًا جديدًا كي يعيده، لأنه اعتاد عبادة الأسماء والأشخاص، كان يجب أن يعلم من لا يعلمون بأنه لن يأتي أحد لإنقاذهم إن لم يتقدوا ببلدهم مستقبل أولادهم وأنفسهم بانفسهم.

أخذت تجول بعينها في كل الاتجاهات، ملتهمّة تلك الأماكن، خائفة أن يفوتها أية تفصيلة مهما كان صغيرة.. تنظر إلى وجوه الناس، تتفحصها، تلك الابتسامة المنهكة، أو العيوس بلا سبب.. أقتعة تخفي خلفها آلاف القصص. أشكال وأسماء وأهداف ومستويات، باعة متجولون، وعربات تحمل البضائع وتقودها الحمير.. محلات ضخمة، وشوارع مزدحمة بالسيارات الفخمة والبالية المنتهية الصلاحية. كلهم يسرون في نفس المكان.

- غريب يا أستاذ كريم، هناك هوة عظيمة بين طبقات المجتمع.

- أجل للأسف، لقد أنك الاستعمار بلادنا لسنوات، أضاف إلينا وأخذ  
، ما، لتدخل بعدها في صراع دام مع الرأسمالية ومؤامرات الحكومة الخفية،  
ملك الاستعمار المبطن بأسماء ووجوه من داخل مجتمعاتنا نفسه، تنفذ ما يريدون  
لإحضاع البلد وتمير مصالحهم الشخصية وأهدافهم، على حساب الإنسان..  
ومن حاول الإفلات أغتيل أو أرب، أو أخضع بسبب الفقر.

- لماذا تتخبطون بالفقر، قبلادكم كانت ولازالت ذلك الوادي الضخم  
الذي يملك أن يُغذي نفسه وكل الدول المجاورة بما تحتاج، فيصربة النيل  
الذي حوّل هذه الصحراء إلى جنات خضراء.

- إنه سوء الإدارة والأوهام التي يسمون بها عقولنا ليل نهار بأننا شعب  
غير مؤهل للحكم وإدارة شئونه بنفسه. ها نحن نصنع ثورتنا، ونحمل الأمل أن  
اجه التحديات كي نخرج من تلك الأوهام ومن وصايا الموهومين. الشعب  
يتفض بما تبقى لنا من كرامة، حكمة ووطنية.. لن يكون هذا سهلاً، يحاولون  
إثارتنا بعضاً على بعض، كما فعلوا في بلادٍ أخرى، وتقسينا وإشعال نيران  
التفرقة الطائفية بيننا. وها هم يجهضون ثورتنا، كي لا تلد الحرية أبداً، يتآزرون  
ليخرج طفلها المعاق الذي أرادوه معاقاً كي يخضع لأوامرهم ويعيدهم لولاية  
ملجأ أيتام كبير، لا يتمي إليه أحد.

- من هم هؤلاء؟ ولماذا تفشلون؟ كانت ثورتكم ماثراً إعجاب العالم!

- يا صديقتي، لقد قلت لك هناك أزمة انتهاء.. ربها أفضل طريقة لتدمير  
أي جماعة سياسية أو عسكرية متطرفة تكمن في تسليمها زمام الحكم، فاحتمال  
نجاحها شبه معدوم، لأن تطرفها لغير الوطنية سيقطعها وسيكون المصيبة  
التي توقعها في شر أعمالها.

- ألا تعتقد أن هناك بعض الظلم؟ حتى الأنظمة المتطرفة يجب أن تعطي  
الوقت الكافي لإثبات حسن نواياها.

- الدولة يا صديقتي ليست حقل تجارب، إن من يقودها مشول عمر  
بشرها وحجرها. لقد تدهور الاقتصاد أضعافاً مضاعفة عما كان، ارتفعت  
نسبة البطالة والتحرش والقتل والجريمة والسرقة وتفشى السلاح بين أيدي  
الناس كالمرض المعدي. الجميع خائف من نفسه ومن الآخر، لقد فقدنا الأمان  
وأصبح الموت والتحريض عليه سهلاً جداً أكثر مما تتصورين.

- إنه وطن الجميع، فلماذا لا يتحمل الجميع مسؤوليته!

- أكرّر يا صديقتي إنها أزمة انتهاء، في الغرب، بسبب التطرف والعنصرية  
قامت نزاعات عديدة، دامت لسنوات ومات من أجل الدين والله الملايين.  
دُمّرت مَدَن وقوضت حضارات، ثم استيقظت الشعوب وبنوا دُولهم الجديدة  
فأصلين الدين عن السياسة، وأصبح الغرب على هذه الصورة المتطورة: «الدين  
لله والوطن للجميع»، لقد طبّقوا شريعتنا في بناء شرعيتهم وقدمية أوطانهم  
وأمنها، أمّا نحنُ مازلنا نشعل الحروب ونقدّس الأسماء قبل الأوطان. إنه  
الجهل.. عدنا لاستنساخ نظام العبودية، بصورة ظاهرها ديمقراطي وباطنها  
ديكتاتورِي. نزيل صنم لنجد آخر والوطن يفرق في ديونه وحزنه علينا...

وأسأل نفسي ماذا فعلنا لوطننا؟ ماذا غيرنا من سلوكياتنا بعد الثورة لكي  
ننجحها؟ باختصار نحن الضحية والجلاد.

- أتعرف أن المدينة جميلة جداً! تشبه عجربة متمردة، سحر بساطتها يخطف  
الأنظار.

ابسم في تخابث..

- لكنها لا تفوق جمالك

قالت بخجل:

- ربّما، فأجدادي من هذه الأرض، وأنا أعشق حضارتها.

قال وهو يتسم بمكر:



- وهي تعشقرِك أيضاً. حسناً آيتها السيدتان ها قد وصلنا.

دخلوا إلى هناك، جلسوا على الطاولة التي حُجِزَتْ لهم مسبقاً.

- لن أسالكما ماذا سأكلان. لقد طلبتُ منهم أن يُحَيِّضُوا لنا من كل أصناف الأطباق الشعبية الموجودة. وأعتذر منك سناً على هذا الإجحاف، لكن أوروبا ميفتنا، ويجب أن نُعرِّفها على كل ما لدينا.

- هذا يُسعدني، فأنا أعيش بعيدة عن وطني، ومشتاقة أيضاً إلى موائده اللذيذة.

بعد دقائق امتلات الطاولة بالأطباق الشهية..

- انظري أوروبا، هذا بطّ وهذا حمام، مسقعة، ملوخية، مبار وكوارع، - أخبركِ لاحقاً كيف تطبخ - سلطات، متبل، مخلل وليمون معصفر.

مديده، قطع الحماسة نصفين ووضعها في الطبق.

- إن مُتعة الأكل المصري تزيد عندما يؤكل باليدين.

حمل قليلاً من الأرز مع اللحم، ووضعهم في فمها، أحرر وجهها..  
سحراً عجيبياً يربكها في حركته البدائية هذه.. سناً كانت تراقبها، والسرور يملأ قلبها.

- عند سفري إلى لبنان، اكتشفتُ المطبخ اللبناني، طعامكم فعلاً رائع.

- هل زرتَ مدينة صور؟ إنها بلدتي الأم.

- أجل، لقد زرتُ القلعة الفينيقية هناك، لكن للأسف الإهمال تسبب في اندثار العديد من أجزائها، فالجميع هناك مشغول بالسلطة وإدارة أملاك البلاد دون الحفاظ عليها. وما أدهشني فعلاً ذلك التنوع الطائفي الموجود. بالمناسبة، إلى أي الأديان تنتمين؟

- أنا لا دين لي. لكن أؤمن بالإله الواحد، منبج كل الطوائف والأديان.

ضحك قائلاً:

- إنكِ حقًا غريبة بكل ما للكلمة من معنى، هل عائلتك مقيمة هناك؟  
قالت بارتباك، محاولة تغيير مجرى الحديث:  
- أكيد، أتعرف أتوق إلى زيارة الأهرامات ومعبد أختاتون وواد  
الملك؟

- كنتُ أودّ أن أكون معكِ في هذه الجولة.  
قالت سنا، التي كانت مُنهكة في تناول الطعام:  
- لا عليكِ كريم، سوف أقوم بالواجب  
- أتوق إلى اكتشاف حضارة بلادكم، وأتوق شوقًا لزيارة شاطئ البحر،  
فمنذُ زمنٍ لراعٍ قمتي في مياهه المالحة.  
- حضارتنا أكبر من أن تُكتشف بأسابيع وأيام. أتمنى أن تستقر الأوضاع  
قليلاً، كي يستثير شعبنا هذه الثروة، صدّقني، إن حصل هذا فلن يكون هناك  
فقراء في بلادِي.

- أتمنى ذلك يا كريم.

- إذا تمكّنتُ من العودة قبل رحيلكما، سأصطحبك إلى البحر، صديقٌ لي  
يملك منزلاً على الشاطئ، ويُسعدي أن ترافقاني إلى هناك.  
- هذا رائع، لكن لا أعرف كيف ستجري أمور رحلتنا هذه.  
- معكِ حق، لنَدع الأمور لوقتها. هيا سنا اعطني عنوان البيت كي أوصلكما  
إلى هناك.

- لا تقلق، ستدبر أمرنا، فالحارة قديمة والوصول إليها صعبٌ جدًا.  
- لا عليكِ، سأُساعد بهذا. صحيحٌ أنني أشغل منصباً إدارياً في إحدى  
الشركات في ذلك البرج، لكن هذا لا ينفي أنني ابنُ بلدٍ وسعيدٌ جداً بجذوري.  
بعد الغداء، أخذَ يجوب بها الشوارع من جديد، محاولاً البقاء معها أطول  
وقت ممكن.

هت سنا لأوروبا من المقعد الخلفي حيث كانت تجلس:

- يبدو أننا لن نصل اليوم إلى البيت.

ابنمت أوروبا وسألته بحذر:

- ومتى ستُطلع طائرتك؟

قال مبتسماً:

- شكرًا لك، كُدتُ أنسى آتي مُسافر، أصلاً، أنا مسافر بعد ساعات.

عند أول الحارة ودّعهما، وبقِيَ هناك يراقبهما، إلى أن اختفتا عبر ذلك الباب الحديدية، الذي أخفى غبار الشارع الترابي لونَ قُضبانِهِ.



أشرفت الرحلة على نهايتها، بعد عدّة أيام وعدّة جولات سياحية. كان كريم يتابعهما من خلال الرسائل، واعتقدت أنّها سترحل دون أن تراه ثانية. بعد أن قرأت رسالته الأخيرة، ركضت إلى سنا مُسرّعة قائلة:

- سنا، كريم سيعود غدًا وطلبَ مني أن نلغي جميع التزاماتنا، فقد حضرَ لنا مفاجأة. سيصطحبنا إلى بيت صديقه، سوف أزور الشاطئ وأغرس قلمي برماله، سيكون القمر بدزا.

- سعيدةً بالقمر الذي في السماء، أم بالقمر الذي سيكون معك؟

قالت مبتسمة في صراحة واثقة، رافعة إصبعين أمامها:

- الاثنان معًا، هيّا تعالي نجهز أمتعتنا، فسنطلق من هناك إلى المطار مباشرة. نظرت لها في نظرة أشبه بأُم تحضن ابنتها المراهقة..

- أندرين أن إصبعيك في هذا الوضع يرسمان علامة النصر؟



كانت ليبتها طويلة، تملأها بعض الرسائل الحميمة من كريم.  
محاولتها النوم، إلا أنها لم تستطع أن تقاوم ما تشعر به.

ها هو يقف أمام باب المبنى، وينتظر قدومها، والتقت عيناهما..  
- حمداً لله على سلامتكم.

- شكراً لكم. لقد افتقدتكما فعلاً، فعائلتي - أمي وأختي - تعيشان خارج  
البلد، وعادةً أسافر وأعود دون مشاعر، لكن هذه المرة كانت مختلفة تماماً.

قالت سنا:

- أنا سعيدةً بعودتك، لقد مللتُ لعب دور المرشد السياحي، فالسيدة لا  
تكف عن طرح الأسئلة، حتى لم أتمكن من زيارتها سوى مرة واحدة  
بصراحة هذه السفر هدية اعتذار لأوروبا. أنا سعيدة لسعادتها.

- بإمكانك أن تستريح الآن، يسعدني أن تمضياً آخر أيام! ارتكبا معي  
بعد عدة ساعات من القيادة، شاهدت خلالها الصحراء وجبالها، البحر  
وشطآنه، لوحاتٍ تعبّر عن قسوة الحياة وعن معاناة تلك الشعوب في بناء  
حضارتهم، في هذه الأماكن الشبه خاوية.

ها هم يقفون أمام أحد المنازل الجميلة، في مكانٍ يحتوي عدداً كبيراً من  
البيوت المتشابهة، المبنية بشكل متوافق مع البيئة، وكأنه واحة خضراء في وسط  
الرمال. كان الهدوء والصمت يسودان المكان، فيسمع المرء صوت أنفاسه  
مزوجاً بصوت الهواء. نزلوا من السيارة ودخلوا المنزل. عبر واجهة زجاجية  
كبيرة شاهدت منظراً خلّاباً.. إنه البحر!! مصبوغ بزرق السماء، وخضرة  
أرض الحديقة، وبعض من رمال الصحراء.

صرخت بفرح:

- أيها الإله؟ إنه حلم رائع.. البحر أمامي ورائحته تملأ روحي وكياني.  
اشعر أنني في بلدي، شكراً لك.

- هل اعجبك المكان؟

- أسطوري، شكرًا لك. أشكرك من كل قلبي.

- سنُجهز العشاء، ثم نذهب إلى الشاطئ لنكمل ليلتنا هناك.

على صوت الموسيقى تناولوا عشاءهم في الحديقة. كان مشهد مغيب الشمس لوحة أخرى من تلك اللوحات التي انطبعت في ذهنها، وكريم سألها بقرعها، وسألمها.. هل سيُغير القدر رسم خارطة حياتها من جديد؟

- سنذهب الآن إلى الشاطئ، لنكمل سهرتنا هناك، سأخذ معي حصيرة الخلد منا، نستلقي هناك ونراقب النجوم.

بعد أن داعبت الأمواج أقدامهم، وتراشقوا بمياه البحر الدافئة، بأجواء من الفرح وشقاوة الأطفال، استلقوا على الشاطئ، وعيونهم شاخصة إلى السماء.

قالت سنا:

- إني جد متعبة، اعذراني لن أستطيع أن أكمل السهرة معكما، سأذهب للنوم.

- لا سنا ببق معنا، فالجو رائع.

- إن بقيت فأنام هنا، وتضطربان لحلمي. لقد ابتلت ثيابي، سأستحم وأخلد إلى النوم. استمتعا أرجوكم، وانسوا أمر وجودي.

- حسنًا كما تُريدن، تصبحين على خير.

- تصبحين على خير، وأنا وأوروبا ستمشي قليلاً على الشاطئ، أليس كذلك يا صديقتي؟

- إنك تُغرّيني.. بحرٌ وأمواج ورمال وضوء قمر وصحبة ممتعة، كيف لي أن أرفض؟

أسك يدها، وسارا هناك ذهابًا وإيابًا.. هواء البحر يداعب شعرها وفتاتها الطويل الواسع، وكأنه شراع سفينة مسافرة إلى السماء. مشيا هناك،

حتى تَعَبَ الموجُ من ملاحقة آثار أقدامها، يُزيلها، فتعود، ليزيلها من -  
كانت سعيدة جدًا، سعادة لم تعشها من قبل، أما هو، فكان يحيطها بأمان  
حمايتها حتى من أنفاسه، كشمعة يُفرحها نورها، فيطوقها كي لا تنطفئ.

- أتعرف كريم.. رغم قساوة أيامي، إلا أنها تجود عليّ ببعض اللحظات  
التي لا تُنسى، تغمر حياتي بالوانها الجميلة، فتوشك أن تلغي ذلك اللون القار  
الذي هو أصل لوحتي.

- جميل أن نترقب لحظات السعادة، ونشتمرها كغذاء لأرواحنا،  
دخولنا من جديد في صراع الحياة.

- أخبرني عنك أكثر.

- لا شيء يُذكر، إنني أعمل كمدير في شركة، وعملي يحملني كل مرة إلى  
بلد جديد. أُمِّي وأختي هما عائلتي الصغيرة التي ورثتها عن أبي المتوفي. أعيش  
حياة عادية. أحب أحيانًا، وتقع إحداهن في حبي أحيانًا أخرى، لكنهن بسبب  
عملي يُصنن بخيبة الأمل فيرحلن. لا شيء مهم، ربّما لم أصادف بعد نصفي  
الأخر..

ثم قال مبتسمًا:

- أخبريني أين ذهبت هذا الأسبوع، وماذا شاهدت.

قالت بحماس وفرح، وكأنها أمسكت الدنيا بيديها:

- برج القاهرة الذي شاهدته وأنا معك، صعدتُ إليه وشاهدتُ المدينة من  
فوق، رائعة.

- إنها القاهرة المحروسة، لقد مرّ عليها الأنبياء والقديسون، طغاة الأرض  
والمستعمرون والطامعون، لقد مرّ على هذه الأرض أناس كثير، منهم من ترك  
وراءه الخير ومنهم من ترك الويل.

- إن حكمنا على الأحداث لا يُمكن أن يكون حكمنا مؤكداً وقاطعاً. لو

هذا سني ومنك الآن أن نصف السماء، فيراها كل بمنظوره، ولا يعرف  
المهفة سوى من خلق الخلق ورسم اقدارهم.

ابسم وهو ينظر إليها بإعجاب:

- نادراً ما يجتمع الجمال والذكاء في امرأة واحدة. أخبريني، هل زرت

الأهرام؟

- طبعاً!! وقتُ هناك فبدتُ كمسافرٍ صغيرٍ إلى جانب أحجاره، لقد لمستُه،  
مسستُ عرق من بناء تحت لهيب الشمس المحرقة. لمست بيدي تلك الرمال  
التي داسوا عليها بأقدامهم العارية. إن عظمة الأهرام لا تكمن بحجمها ولا  
أمرار بنائها بين الشمال الطبيعي والشمال المغناطيسي، ولا بارتفاعها الذي  
يطابق جزء من بعده عن الشمس، بل تكمن في سواعد وأمغمة من بنوها..  
هؤلاء المهندسون المبدعون.

- لقد احتارَ العلماء بحل لغزِ بناء الأهرامات. منهم من قال الجنّ، ومنهم  
من قال مخلوقات فضائية، ونظرية أخرى تقول أنهم قد عزلوا جاذبية الأرض  
من المكان، مما مكّنهم من حمل تلك الأحجار من المحاجر في أسوان إلى الجيزة،  
هذا بحسابات دقيقة لمسافات الطول والعرض، وموقعها الذي يتوسط  
الغارات ويسقط مباشرة تحت أحد المرات الفلكية، حسابات دقيقة فيها  
إعجازٌ وخلفها أسرارٌ كثيرة لم تُكشف بعد.

- لقد أسرتني مطولاً أسرار بناء الأهرامات حول العالم.. من أهرامات  
الصين، المكسيك، السودان إلى البوطة وأهرامات اليابان الغارقة في المحيط،  
البيرو وإيرلندا وبوليفيا وتشاد وغيرهم من البلاد. في الحقيقة لقد كنتُ أبحث  
بينها عن دليل يعيدني إلى بلادي، لكنني حين دخلتُ إلى هناك وقف الزمان  
، وشعرتُ برهبة تجتاحني.. أحستُ بهيئة المكان وخصوصيته. لدقائق  
لم أتمكن من لمس أي شيء، كما أفعل عادةً. ما أصغرتُ وأنا أجول بدماعي

البشري المحدود كي أظاً عبة تلك الأسرار، حتى لو بقيت سجنة زمان  
إلى ما لا نهاية لن أتمكن من هذا.

صمت لحظة يستوعب ما قالت.. ماذا تقصد بـ (بعيدني إ  
و(سجنة زمني هذا)؟!.. حاول ألا يبدو متطفلاً، طالما لم تحك هي، فنه،  
الأمر..

- نحنُ يا أوروبا جزء من أسرار هذا الكون، وربما أهمها، إننا نقف عا-  
عن فهم ماهيتنا كبشر، فكيف سنفهم ماهية الكون وأساره.  
- أنت مُحق، لقد أوقفني سلوك البشر كما أوقفتي أسرار الطبيعة.. منده،  
مشته، وهم يشنون الحروب باسم الله، ويتسابقون على إرضائه بالقتل والعد  
والظلم ومحاكمة الآخر.

أخذت نفساً عميقاً، وبدت منفعلة جداً والكلمات تتلاحق على شفتيها  
- انظر اسم الهرم بالهيروغليفية «هرم خوفو»، يعني «الله جل جلاله»،  
وها هو الجزء الأهم من كتاب الموتى يعلن بكل وضوح عن توحيد الله  
فماذا نفعل؟ نُقسّم ونُصّف كما يحلو لنا؟ صحيح أنه عندما أعلنت عباده  
الإله الواحد كان الوضع مشابهاً، فالكهنة رُغم إيمانهم به أصروا أن يتركوا  
عامة الشعب في ضلال، يعبدون الألهة المختلفة كي يضمّنوا سلطتهم عليهم  
ومكاسبهم من القرابين والتقديبات. ها هم الآن يعبدون الأسماء ويقدسون  
الأشخاص كالأصنام، لكن جهلهم هذا غير مبرر، لأن العلم مُتاح أمام  
الجميع، وأبواب المعرفة مفتوحة. أنا كمؤمنة بالإله الواحد، أجد نفسي اليوم،  
بعد هذه العصور، أشارككم دياناتكم وأصلي معكم في المساجد والكنائس  
والمعابد، في حضن كايا أمنا الأرض بروح الله الأولى دون أساء ودون تفریق  
لرستطع الايسال..

- لماذا تسمين الارض «كايا»؟ من أنت يا أوروبا؟ أخبريني عنك! قلت لي  
يوماً أن جدتك من ملوك الفراغة، وجليك إله النيل. اعتقدت أنك تمزحين.



الآن أشك في هذا، فما تحملين في نفسك ليس مجرد علم، وإنما يبدو  
حياة!

طلت له في راحة من أتاه ما كان يتمنى..

أتمنى أن أجد في صدرك ما يتسع لسري، وفي عقلك ما يُصدق ويستوعب  
سأقول.

أوما مشجعا دون رد، وأمام البحر وتحت السماء، قصت عليه روايتها دون  
مطلعة، وبإصغاء تام من قبله.



لقد وقفت في المتحف أمام المومياءات عاجزة عن الحراك.. أجساد ملوك  
ملكات كان العائمة ممنوعين من التول أمامهم، ملوك وملكات حاربوا  
العلية كي يُخلدوا أجسادهم ويحفظوها من الموت، متأسين أن هناك شيء  
أحد هو الذي يُخلدنا وهو أعمالنا. ورُغم صراعهم هذا، لربيق من أجسادهم  
سوى هياكل عظمية خاوية مشوهة. إن قيمة الإنسان تكمن فقط بالروح،  
غم جبروت النفس البشرية ورغبتها بالخلود، إلا أنها بحاجة دائما إلى جسد  
كي تُجسد أفعالها، تمردها وخيرها، فقط هذا تحتاج الأرواح إلى زمان ومكان  
كي تقيم فيه، لأجل الخضوع إلى اختبار الخير والشر. وتساءلت في سري، هل  
عبرت روعي يوما ما جسدا من هذه الأجساد حاملة لي بعضا من علومه  
ومعارفه؟ من عظمته وكبريائه؟

- إذا أنت هي أوروبا ابنة اخينور وتاليفازا، أميرة صور، أخت قدموس  
وحفيدة الفراعة؟

- صعب أن تصدق.. أعرف، لكن هذه هي الحقيقة.

- وماذا تنوين أن تفعل؟ هل ستعودين إلى زمانك؟

- لا اعتقد.. رغم حيني إليه، وصدماي ووحدي منذ أفقت، فأنا...  
هنا. أفتقد أهلي طبعًا وبلدي لكني أغرس نفسي هنا. ربّما ساتزوج وانا..  
الأطفال ويصبح عندي عائلتي.

قالت هذا وهي تبسم وتنظر لك عينية.

أمسك يديها قائلاً:

- أرجوك ابقني هنا، أتعرفين أنها أجمل أمية في حياتي؟ انظري..

الشمس تشرق من خلف البحر، انظري ما أجمل ألوان النور!

- هذا رائع.. في بلادتي، تشرق الشمس من وراء الجبال.

حضنتها، ألقت رأسها على صدره.

- انظري إلى السماء، وكيف يتلعب نور الشمس ضوء النجوم بهدوء.

بقيا جالسين، غارقين بالصمت، أمام معبد الإله، كصورة رائعة أخرى..

عظمة خلقه، منصتين لصدئ أصواتها وهي تدور في الأفق.

- ألا تشعرين بالنعاس؟

- قليلاً.

سارا إلى البيت، أوصلها إلى غرفتها حيث ترقد سنا. أمسك رأسها و

جينيها بكل حنان. لربك يقوى على الابتعاد، وكان شفيعه قد التصقت هناك

ورفضنا الانفصال عن أحببت. أبعد رأسها أخيراً ونظرت لك عينيها وقال:

- شكراً أوروبا عن هذه الأمية الخُلّم. إنها رحلة عمر بين الأساطير

والحقيقة والتاريخ. إنك حقاً ملكة.

- أنا من يجب أن أشكرك.

- تصبحين على خير.



عند باب غرفتها وقف ينادي

- أيتها الجميلتان، هيا امتيقظا، حضرتُ لكما الطعام.

جلسوا حول الطاولة، وكان النعاس لازال بادياً على المرأتين. قالت سنا:

- لم الأجل عودتكِ أوروبا.

- عُدنا بعد شروق الشمس، وكنيتِ أنتِ نانمة. كانت أمسية رائعة جداً،

رحلة كونية من بداية التاريخ.

قالت وهي تبسم بتهكم:

- كنتُ أعرف، ولهذا خلدتُ إلى النوم مبكراً.

قال كريم:

- الآن وقت المتعة، ولا اعتقد أنك ستهربين. سنذهب للعوام بالقرب من

شاطئ المنزل، هناك مكان مليء بالشعب المرجانية، سنغطف قليلاً ونراقب

كائنات البحر الأحمر الجميلة.

وكما وعدهما، فقد أمضوا ساعات ممتعة بين الرمال والأمواج والشعب

والأسماك الغريبة الملونة. لحظات لا تُنسى، حاول إدخال البسمة والفرح إلى

قلبيها، وكأنها طفلة المدللة. بعد تلك السعادة، أخذوا حملاً سريعاً، أزالوا به

عن أجسادهم ملح البحر، ارتدوا ملابسهم وأخذوا حقائبهم وغادروا المكان

منطلقين إلى المطار.

ساروا صامتين، يحاول كل منهم أن يُدون ذكرياته تلك في مذكراته الخاصة.

كانت يده تسَلل لتحتضن يدها، وعيناها تلتصقان النظر إلى عينيها، وشفتهما

ترسل لها تلك الابتسامات المليئة باللهفة ومرارة الفراق.

أدخلوا الحقايب، ودَع كريم سنا، والتفت إلى أوروبا وأمسك بيديها، وقد

غرقت عيناه بالدموع.

- أوروبا.. أنت مخلوق جميل الشكل والقلب والفكر والروح، وكأنك

حورية نادرة.. إنك أميرة خرجت من الأسطورة كي تُعيد قلبي المتعب  
- أنا أيضًا كريم سعدتُ ببقائك، لكن اللحظات السعيدة، رُغم ما نزل  
في قلوبنا من فرح، إلا أنها تدمينا عندما نتركها خلفنا على رفوف الذكريات،  
لن تكون لحظات سعيدة يتيمة، سيكون لها أجزاء أخرى. سوف أرويها  
في بلادك قريبًا، سأحضر خصيصًا من أجلك.

قالت مبتسمة، وعلامات الرضا قد بددت شيئًا من حزنها:  
هذا رائع!! سوف أنتظرك.

- سنبقى على اتصال.

حَضَنها بقوة، وشَدَّها إلى جسده كأنه يدعوها للدخول إلى معبده.  
استسلمت لدعوته دون تردد. إنها بحاجة إلى تلك الجرعة من الحُب والحنان  
قاطعتها سنا:

- هيا يا صديقتي، وإلا سترحل الطائرة وسنبقى هنا.

نزعت نفسها من أمان حضنه، وقد غلبتها دموعها..

- إن اللقاء كريم.

- أرجوك، لا دموع بعد اليوم، ولا تنسي أن تتصلي بي عند وصولكما.

- سأفعل.

ظَلَّ واقفًا هناك إلى أن غابتا خلف أحد الأبواب. كانت تسير ملتفتة إلى

الوراء، محاولة أن تطبع في ذاكرتها صورة أخيرة له، رُبما لن تراه بعد اليوم.

لقد افتقدها جميع من في الدار. فرحوا بعودتها وبالهدايا الرمزية التي  
 اهدتها لهم، وبالأخص العجوز «أليكس»، كانت تُحبها كثيراً وتنتظر عودتها  
 مارغ الصبر. اعتادت أن تنادىها «ماما»، وكان هذا يفرحها جداً.  
 - أوروبا، السيدة ألكس تريئك.

طَرقت الباب، دخلت وابتسمت الجميلة تُرّين وجهها الذي لونه أشعة  
 الشمس بالحمرة.

- صباح الخير أُمي الجميلة.

- صباح الخير يا صغيرتي. أريد أن أذهب إلى الكنيسة، هل اصطحيتي إلى  
 هناك؟

- بكل سرور، هيا بنا.

أسكت يدها وسارتنا على مهل. اجتازنا الحديقة عبر الممر الطويل، إلى  
 أن وصلنا ذلك المبنى القديم المختبئ بين الأشجار. عندما دخلنا إليه، انتاب  
 أوروبا شعوراً غريباً.. هدوء المكان، والنور المنبعث من زجاج النوافذ  
 الملونة، رائحة الطيب المتشرة من ذلك الدخان المتصاعد من العلبه النحاسية

الموضوعة في أحد الزوايا، أضواء شموع صغيرة رُصِّفت تحت أخشاب  
رُبطت ببعضها البعض من الوسط، عُلقَ عليها جسد رجل كَلَّل الشوك  
المُدمى، وكانت آثار التعذيب بأديّة على جسده النحيل، وثبتت يده ورجلاه  
بمسامير حديدية، دُقت على تلك الأعمدة الخشبية. كل هذا أوقفها من  
متأملّة، غرقت روحها في بحرٍ من التساؤلات: أهذا هو المسيح؟ ماذا فعل  
يُعلق هكذا؟.. قَطَعَ غَوْصَهَا صوتُ السبّدة أليّكس.

- ما بك يا ابنتي؟ هيا نصلي!!

- اعذريني يا أمّي، هذا الرجل أدمى قلبي، لماذا فعلوا به هذا؟ أيّ د.  
اقترف؟

- إنه يسوع المصلوب، المسيح، ألا تعرفينه؟

- لقد أخبرني صديقي عن المسيحية، وقرأت عنها، لكنّه لم يخبرني به  
صليبه.

- لقد حمل رسالة المحبة، اتهموه بالتجديف، جلدوه يا أوروبا، ومررهم  
، والبسوه الشوك إكليلاً، ثم جعلوه يحمل صليبه على طريق الجلجلة.  
تلاميذه تخلّوا عنه.. منهم من خانهُ ومنهم من أنكره، وعلى ذلك الجبل صلبه،  
ودقوا في أطرافه المسامير، ورفعوا جسدهُ في شمس الظهيرة مع المجرمين.  
مَسَحَت السيدتان دموعهما، فسألت أوروبا:

- قال لي إنه ابن الله، هل هو حقاً!

- ها أنت يا أوروبا تناديني ماما، فهل أنا أمك فعلاً؟ في قانون الجسد  
تستحيل أموميّ لك، لكن في عالم الأرواح أنت ابنتي، فبداخلنا نفس الروح  
البشرية، ونفس السمات، وتجمعنا محبة الخير والإنسانية، وآلا لما كنت ابنتي.  
ولا ارتضيت أن أكون أمك.

قالت وعيناها تدمعان:

ما هذا العار الذي أنا فيه؟ تصليون أنبياءكم وتقتلوهم وتضطهدوهم من  
السلطة والمال!! بسبب جبهم لكم وإيمانهم بكلمة الله!! كيف يرضى الله  
بهذا القدر لمن أطاعه وأحبّه؟

إن أقدارنا كُتبت علينا، وما الأنبياء والرُّسل إلا بشرٌ مثلنا

ملكٌ مُتوج بالأسواك، مؤلرٌ هذا يا أمي.

من أي البلاد أنت؟

أنا من بلاد كنعان، أقصد من صور، مدينة على شواطئ المتوسط. لقد  
مرت مع أهلي عندما كنتُ صغيرة، وسكننا بلاذاً بعيدة لا دين لها.

صديقة ابتي من سوريا، ستأتي لزيارتي قريباً، سأعرفُك عليها. إنها إنسانة  
العة دائمة الابتسام بالرغم من تلك المآسي التي نعصف ببلدها.

أجل إني أتابع ما يحدث هناك.. حقا مؤلر، ويسعدني طبعاً، أن أتعرف  
عليها.

حسناً، اذهبي أنت الآن، أريد أن أبقى هنا وحدي.

كما تريد.. سأنتظرك في الخارج.



فتحت هاتفها، وكتبت لكريم ما حدث معها..

«إن ما يدور حولي يخنقني.. لقد أصبحت كايا مسكناً للبؤس، لولا  
جودك في حياتي لأجبرت روجي على الرحيل».

«حبيبي إن الحياة قاسية جداً، ويجب أن تكوني قوية بما فيه الكفاية، كي  
تتحمل مفاجأتها، وتذكري أنني سأمنعك من الرحيل».

«ماذا تفعل الآن؟».

«أتبأ لاجتماعٍ مهمٍ ومُطولٍ لرؤساء الأقسام التابعة للشركة، ويجب أن أكون جاهزاً.»

«اعتنِ بنفسكِ أحبكِ كثيراً.»

«أنا أيضاً أحبكِ أكثر.»

أعادت تلك الرسائل ابتسامتها، لقد تطوّرت علاقتها بعد عودتها، ومسح لها بحبّه. كالأرض الجافة المتعطشة لمطر للعاطفة، وافقت بسعادة. إنها تحبّها عما يربطها بهذا العالم، ولن يربطها به سوى حُبّ قوي، يظهر بوضوح معاد المستقبل، ويمحو تجاعيد الماضي.

ورغم نجاحها في العمل، وعلاقتها الجيدة مع زملائها والتزلاء والإدارة، إثباتها لمهاراتها وقدراتها على تحمل المسئولية يوماً بعد يوم، كانت دائمةً البكاء على كل من هناك، المرضى التألمين، على الموحودين ومن هجره أولاده وترده بين ذكرياته، وبعض صور معلقة على الجدران، وعلى من هجرتهم الحياة تارة بين أيديهم شهادات وجوائز وأمجاد لرُبع لها قيمة، كأجادهم المتظرة لقطار الموت. وكأنها ولّدت كي تتحمل عبء الإنسانية على كاهلها!

لربّقى لها من متعة إلا تلك اللقاءات بين الحين والآخر في عطلة الأسبوع بأصدقائها؛ كونراد، إيفا وسنا، كما أنها تتكلم من وقت لآخر مع عُدّي، ليجولان سوياً بين ضفاف العلم والفرن، دعوات إدي إلى حفلاته الموسيقية، التي كانت تسعدّها كثيراً. ظل هو صديقها المقرب، تجربه كل شيء حتى عن كريم، حلّت معه مواقف وتصرفاته، ونظراً إلى المستقبل وإلى ما يمكن أن تؤول إليه هذه العلاقة، وما كان يطعننها إيمانه بقضيتها وبحثه الدائم عن سُبُل لعودتها إذا ما رغبت بذلك يوماً.

أما أمياتها اليومية، فكانت تمضيها مع كريم، ذلك الحبيب الوسيم الذي أسرّ قلبها. تلك الأميات جعلتها تستيقظ متأخرة ذلك النهار، وتسبق



ألمت كي تصل إلى عملها. وما إن دخلت إلى صالة الطعام، حتى سمعت  
السيدة اليكس يناديها:

- أوروبا تعالي يا ابنتي، لدي زائران وأريد أن أعرفك بهما.. هذه السيدة  
«مده» التي أخبرتك عنها.

- أهلاً سيدي، تشرفتُ بمعرفتك. السيدة اليكس أخبرتني الكثير عنك.

- أخبرتني عنك أيضاً، لقاؤك فعلاً يُسعدني.

- أنتِ من بلاد آشور؟ أقصد سوريا؟ أنا من صور لبنان، وقد وصلتُ  
لأن هنا منذ مدة قصيرة، ولازلتُ أفتقر إلى الأصدقاء. عندما أخبرتني السيدة  
اليكس عنك سُعدتُ جداً لأنني سألتقيك.

- أنا أيضاً، وعربون لهذه الصداقة الجديدة اسمحي لي أن أدعوكِ إلى الغداء،

هكذا نتعرف أكثر وتذوقين الطعام الشامي، رغم أنني لا أجيد الطهو!

- لا عليكِ، يكفي أن نلتقي وتحدث. اتركي لي العنوان مع السيدة اليكس

أرجوكِ. علي الذهاب الآن.



لم يكن بيتٌ وعد بعيداً عن مكانٍ سكنها، ذهبت إلى هناك سيراً على  
الأقدام. عندما وصلت وجدتها وقد رصفت الطاولة بالعديد من الأطباق  
والأطعمة الشهية.

- أهلاً بكِ يا أوروبا، لنبدأ قبل أن يبرد الطعام.

- هذا كثيرٌ، منزلٌ هادئٌ، طعامٌ شهويٌ، رفقةٌ جميلة.. شكراً لكِ وعد على

هذه الضيافة.

- شكرًا للسيدة أليكس التي عرفتني عليك. أرجو أن تعتبريني أختًا لك  
- بالتأكيد سأفعل، فأنا أبني جذوري في هذا البلد، وكلّ صداقة متينة تُقوّى  
أوصالي بهذه الأرض.

- لقد كنتُ مثلكِ، وها أنا أمضي عملي الخامس والعشرين هنا.

- ربيعُ قرن!

قالتها وهي تضحك باستغرا

- أجل ربيعُ قرن، لقد تزوجتُ رجلاً من هذه البلد، وانفصلنا بعد عشرين  
عامًا. أنا أعيش وحيدة الآن، عائلتي في الشام ما عدا أخي «وائل»، فهو يُقيم  
في بلدٍ آخر، حيثُ يعمل كمدير في شركة تسويق، إنه الأقرب إلّي روحي بعد  
موت والدي، أصبح هو كلّ عالمي رُغمَ أنه يصغرنِي بعشر سنوات. سيأتي  
لزيارتي كي نحتفل بعيد ميلادنا، الذي يصادف في نفس اليوم، وستكونين  
معنا.

- هذا يبعدين مؤكّد.

- سيصل بعد غد..

صمت قليلاً ثم وأكملت كلامها:

- كنتُ أريد أن أسألكِ إذا كان مُمكنًا أن نُقله من المطار بسيارتكِ، فيأرتي  
في الصيانة.

- بكلّ سرور وِعِد، أنا جاهزة دائمًا لأي خدمة.

- قولي لي، هل زرتِ لبنان؟

- لا، ليس لي أحد هناك، والبلد يمرّ بظروفٍ صعبةٍ كالعادة.

- سوريا أيضًا، كنتُ أرغب بالعودة، لكن بعد الحرب وذلك الدمار الذي  
حلّ بالبلد، ألغيتُ الفكرة نهائيًا.

- لقد شاهدتُ على التلفاز المجازر والدمار، هذا مؤلر. قدرّة فائقة على القتل  
والتخريب تُدمي القلوب.

- إنّه قدرنا أن ندفع ثمن صراع الآخرين على أرضنا.

- يا صديقتي، من صلب الأنبياء وقتل المرسلين واضطهدهم كيف سيق  
ملبه أمام دمة طفلٍ مشردٍ يبكي نفسه قبل من فقد!



ها هي المضيئة تُعلن عن وصول الطائرة. أعادت هذه الأجواء إلى ذاكرتها  
يوم سفرها ووداعها لكريم. «كريم أنا في المطار مع وعد صديقتي الجديدة  
التي أخبرتك عنها، لقد وصل أخوها من السفر، وسأقلهم إلى البيت نُحضي  
النهار سوياً».

«حييتي، استمتعي بوقتك ولا تنسي أنك ستقيني قريباً من هناك،  
وسأحتضنك بين ذراعي، وأخبرك كم اشتقتُ إليك».

ابتسمت وهي تكتب له:

«أنا أيضاً اشتقتُ إليك، وسأحاول أن أضبط انفعالاتي عندما أراك، لكنني  
لا أعدك.. فقط سأحاول».

«لا تحاولي، أنا أحبك كما أنت، مجنونة، طفلة تحبّ العث برمل الشاطئ».

قالت وعد: هياً أوروبا.. ها هم المسافرون يخرجون.

«كريم، سأذهب، لقد وصل وائل».

«استمتعي بوقتك، واتبهي على نفسك».

«انظري هذا هو هناك» نادى عليه: وائل أنا هنا.

وائل الثلاثيني، شاب وسيم وجذاب، شعره المصفف وأناقته الر  
أضفيا عليه مسحة من الوقار. عيناه الطفوليتان تشبهان نجمتين لا  
نحملان خلفهما طيبَ الخلق والاحترام. غمرته وعد بعاطفة كبيرة وهي :-  
- اشتقتُ إليك يا روح قلبي.

ذكرها هذا المشهد بلحظات لقائها بقدوس وهو عائد من رحلاته الب.  
مع والدهما، فظلت تراقبهما في شجن..

- وائل، هذه أوروبا صديقتي الجديدة.

- أهلاً أوروبا أسعدني لقاؤك.

- أنا أيضاً، لقد حدثتني عنك وَعَد كثيرًا.

قالت وعد:

- هيا لنذهب، الغداء جاهز بانتظارنا.

حول طاولة الطعام تبادلوا الحديث. سأها وائل:

- أخبريني، هل زُرت لبنان سابقاً؟

- للأسف، لقد تركت البلاد منذ زمن بعيد، حتى ذكريات طفولتي أوشك  
النسيانُ أن يغمرها بنجاره.

- ألا تفكرين بالعودة؟

- إنني أراقب المكان من بعيد، وأشعر دائماً بحنين يشدني إلى جذوري، لكن  
الأوضاع هناك غير مطمئنة. أرضي غارقة منذ زمن بالصراعات، ما أن يبزغ  
فجر الأمل، حتى يقضي عليه أهل الظلام من جديد بحروبهم باسم الدين  
والله، متناسين ما ورثوه من مبادئ وقيم، فيموت الوطن ويموت معه الخير  
والسلام والمحبة في قلوب أهله.

قال بحسرة:

أجل أنتِ محقّة، ليس فقط في بلادك، ها هي النار تمتد إلى شامنا، تلك  
« مع المضيافة بكرم أهلها وطيبتهم. الشام الحبيبة قلب الوطن العربي،  
حرّة الياسمين، مملكة رواد الأبجدية الأولى، تدمر، وسومر وبوابة بابل  
، الفرات، تنهشها الذئاب من كل جهة. لو كان هناك نظامٌ ديمقراطي يحترم  
إرادة الشعب لما تكالب عليه الطامعون في الوصول إلى الحكم. لقد أصبح  
أهل بلاد الشام مشرّقين في المخيمات الحدودية تستحل نساءهم، يشترونهم  
، يبيعونهم بلقمة العيش، لتكتظّ شوارع البلاد بأطفالهم باعة ومتولين  
ورقيق، ينامون مفترشين الأرض مثلحفين السماء عارضين خدماتهم.. جميع  
أرواح الخدمات بأبخس الأسعار. عار على من كانوا أسياد الصناعة والتجارة  
منذ غابر الزمن، عمّت الفوضى، الكل طامع ويتاجر بالكل، والمصيبة الكبرى  
في مظلة «الحروب الدينية»، التي تنمي غرائز الخوف من الله، وتحت المقاتلين  
على القتل، كي لا يفقدوا جته! ولا يُكَلّف الأمر المستنفيين أكثر من فتاوى  
يحملون بها ما حُرّمه الله، ويوزعون بطاقات دخول للجنة ثمنها قتل الآخر  
سكت محاولاً تهدئة انفعاله، بينما تراقبه وعد في صمت، وعيناها تلتصعان  
بالدموع.. استأنف كلامه:

- بعيد الزمان نفه آلاف المرات، نفس الصراع لنفس الأسباب، أسأل  
نفسي لماذا لا نستفيد من هذه التجارب؟ لماذا علينا أن نحترق بنفس النار،  
لنكتشف فعلاً أن النار حارقة؟!

لقد تركتُ بلدي منذ عدّة سنوات للعمل في إحدى الشركات في بلاد  
الخليج، ورغم نجاحي لازالتُ أتوق إلى العودة، فأخوتي هناك، وأصدقاء،  
طفولتي وأقاربي، وأنساءل إن مات أحد منهم ظلماً، هل سأقف مكتوف  
الأيدي؟ هل سأشاهد منزلي يحترق دون أن أفعل شيئاً سوى البكاء؟ هل  
أقدم الأرز والقمح والحلوى لأطفال هم بحاجة إلى العلم أكثر من حاجتهم  
إلى الطعام والشراب. يوماً ما ستنتهي هذه الحرب، فماذا سيحل بهم بعد أن

عانوا التشرد؟ ماذا سيكون مصير تلك الفتيات اللواتي اغتصبت أجسادهن  
بنكاح الجهاد وبحكم الدين أو بقوة سلاح السلطة؟! آلاف الأمتها  
الباقيات على أولادهن والزوجات اللواتي أجبرتهن الحرب على إعالة عائلتهن  
بأجسادهن؟.. صراعٌ إذا ما انتهت سيولد خلفه مئة عام من القهر والذاكرة  
المرة.. الأكر والانكار.

حل الصمت طويلاً، حتى قطعتة وعد:

- هيا تعالا نشرب القهوة في الحديقة، ونُغيّر الموضوع. بكاؤنا على اللبن  
المسكوب لن يغيّر الواقع ولن يُفيد، وسيدخل نفوسنا في دوامة من الحزن  
والحسرة والحقد ليس لها نهاية، في وقت بلادنا بأمتس الحاجة فيه إلى الصلاة،  
الأمل والتناؤل، كي نبنى لاحقاً بالمحبة ما يدمره الآن الجهل والتعصب.  
نظر إليها في حنان وابتسم لقلب المرأة الحامل دوماً لأجنة الحياة والأمل.  
- أنتِ مُحقّة يا أختي، ها أنا أرى الحزن في عيني أوروبا الجملتين، أعتذر  
منكِ.

- لا، إطلاقاً، فانا أتابع الأخبار داتماً، وما يحدث يُعذّب إنسانيتي فعلاً.  
- انظري لقد أحضرتُ لكِ معي هدية صغيرة. كانت وعد قد أخبرتني  
عنيك وأنيك ستصحبيني من المطار، فأحببت أن أقدم دليلاً صغيراً على شكري  
وسعادتي ببقائك، إنها قلادة فيها وردة جميلة مثلكِ أرجو أن تعجبكِ.  
- آه، هذا لطفٌ منك، أننا بمشابة عائلتي التي التقيتها بعد فراق.  
- لقد أحضرتها لكِ لهذا السبب، لأننا نكون عائلة واحدة، نجمعنا  
الإنسانية برباطها الروحي.

بعد أن أطفئنا شموع عيد ميلادهما، أكملوا أمسيتهم في الحديقة، باحثين  
في التاريخ عن بلاد آشور وحضارتها، وكيف أصبحت فيما بعد بلاد الشام،  
وتطورها خلال حكم الخلفاء والعباسيين والأمويين، وما قد تركوا من آثار

نعافية. لقد كان الاستعمار في تلك الأيام إذا ما حل في بلد ما يحضر معه ثقافته،  
برائه وحضارته. أما الآن فلا يحملون معهم سوى الويل والدمار.



بعد تلك الجلسة، عادت إلى بيتها لترتاح الليل، فغداً سيمضون نهارهم  
معا. لربنها انشغالها بأصدقائها حبيها، الذي كان ينتظر..

- مرحبا كريم.. كيف أنت؟ لقد عدتُ الآن.

- حبيبي، كيف كانت أمستك؟

- رائعة، وائل شخص راقٍ ومثقف، تكلمنا وتكلمنا عن كل شيء.

- أعرف هذا، فأنتِ دائمة الجوع للمعرفة.

- ودائمة الجوع لحبك.

- أنا أيضًا دائم الجوع والعطش لك.

- هيا اعطني قُبلة قبل النوم، غداً سيكون نهارنا طويلاً، وسنمضي اليوم  
سويًا قبل سفره.

- أتمنى لك أحلاماً سعيدة وغداً رائعاً، تُصبحين على خير يا أمبري.

علاقتها بسكنها الهدوء والانسجام.. شخص ناضج واثق، لا يقلق حياتها  
بمشاكله، وهي أيضاً تتجنب إقحامه بمشاكلها ومخاوفها، رحمة به لظروف  
عمله الصعبة تلك.

أوصلت وائل إلى المطار ووعِدَ إلى بيتها، وعادت هي إلى شقتها منهكة  
وقبل أن تستريح، ذهبت إلى حضن كريم..

- أين أنت أيها الحبيب المشغول دائمًا؟

- أهلاً أميرتي، كيف كان نهارك؟

- رائعاً، لقد زرنا منطقة البحيرات وقلعة الجبل الأخضر، وذهبنا إلى سوق  
الأحد للأشياء القديمة الأثرية، ثم إلى المطار، ثم إلى بيت وعود.. وأخيراً إلى  
حضنك. وأنت؟

- كان ناري متعباً مليئاً بالعمل. وها أنا أحضر نفسي للسفر، سأكون بأحد  
الدول المجاورة، قريباً منك. سأبقى هناك لآخر الشهر، وسأمضي اليومين  
الآخرين قبل عودتي معك.

صرخت قائلة:

- لا أصدق! ستأتي إلى هنا! هذا رائع، ساعد هذه الأيام بفاغرة الصبر  
سوف أحضر لك برنامجاً رائعاً، سأريك المدينة وكل الأماكن الجميلة.

- أريد أن أراك أنتِ فقط. أريد أن أنظر إلى عينيك وأن أحضنك.



- ترفق بي أرجوك، لن أحتمل صبراً إلى ذلك اليوم.

- إذن، إلى النوم. غداً يوم عمل، ويجب أن تكون مستعدة. أنا أيضاً يجب أن طائرتي ستقلع باكراً.

غفت وهي تحتضن الهاتف، سوف يخرج من هنا قريباً ليصبح أمامها، سوف تكون هذه الأيام إلى أن يأتي، هي الأطول في عمرها.

بعد أن انتهت من عملها، عادت إلى البيت متعبة. فتحت جهازها المحمول ثم صندوق الرسائل.. رسالة شكر من وائل، سارده عليه بعد قليل، إنه إنسان رائع فعلاً.

أكملت جولتها.. إدي قد بعث لي أيضاً رسالة! لكن لماذا لم يتصل؟ ربها كان هاتفي مغلقاً!

«أرجوك أوروبا اتصلي بي في أقرب فرصة ممكنة، الموضوع هام».  
غريب! ماذا هناك؟ لقد أفلقني.

- الو إدي، هل أنت بخير؟

- أنا بخير، لكن هناك موضوعاً مهماً يجب أن نتكلم به. لقد وصل فحص الـ «دي أن إي» ونتيجته تظهر أنك فينيقية، فجيناتك الوراثية مطابقة.

قالت بصوت عملاء الدهشة:

- هذا يعني أنني موجودة بالجسد، وأنا فعلاً مُسافرة عبر الزمن!.. قد علقْتُ هنا لا أعرف كيف، وسابقين أسيرة شئتُ هذا أم أبيت!

- لا أعرف يا صديقتي، البروفيسور كوينز يريد مقابلتك. لديه العديد من الاستفسارات التي من خلالها يمكن أن نصل إلى حل ما لهذه الألغاز.

- ماذا سأفعل؟ أيجب أن أذهب؟ إنني خائفة.

- لا تقلقي سأكون معك، لن يتمكن أحد من أذيتك.

- حنًا كما تريد.

- هل يناسبك غداً في مثل هذا الوقت؟

- هذا جيد، أنني عملي وأنتظر.

ساد صمتٌ غريب في داخلها، وبدأ القلق يترب إلى نفسها قاتلاً!

وصلت رسالة أخرى قطعت أفكارها..

- آه كريم حبيبي، هل وصلت؟

- أجل منذ ساعة، أفتقدك جدًّا، أتنفّس عطرك مع النسيم.

- أنا أيضًا القلق يفنلني عندما تبعد عني.

- هل أنت بخير؟

قررت أنها لن تخبره، يكفيه مشاكل عمله وحياته..

- أجل حبيبي أنا بخير، لكن متعبة قليلاً من العمل.

- استريح أرجوك، وحاولي أن تنامي باكراً.

- أجل سأفعل، أنت أيضًا اعني بنفسك، لا تعرف ماذا فعل وجودك في

حياتي، وكم خفف عني من القلق والمعاناة.

- أنت أيضًا أميرتي.

كسرَ حديثها ذلك التوتر الذي انتابها، وإن لم يكن هناك مفر من مواجهة

قدرها.

«لا يجب أن أخاف، إدي سيكون معي، والإله سيرافقني ويحميني.. كذلك

النبي المصلوب؛ لقد أحسُّت عندما أضأت الشموع عند قدميه أنه ينظر إليّ

ويبتسم، يمدني بصره ويعزّيني رُغمَ إليه».

ساعاتٌ قليلة فصلت بين استلامها للنوم وصوت المنبه وهو يُعلمها

بموعد النهوض. ذهبت إلى العمل رغم الإعياء الذي يتنزف قواها، ولم

تبخل عن عائلتها هناك بابتسامتها ومساعدتها وتوزيع محبتها على كل من يحتاجها. إن هذا التواصل الإنساني يمدّها بالطاقة ويزوّدّها بالأمل كي تستمر.



كان إدي جالسًا في سيارته أمام باب بيتها عندما وصلت، ألقها معه وذهب. فكرها مشوّش، ففي وسط هذا الاضطراب، لم يكلمها كريم طوال اليوم، ولم يرّد على رسائلها.. ربّما كان مشغولاً، لكنها لم تعتد أن يحملها هكذا كل هذه الساعات.

- ما بليك؟ إنّها المرّة الأولى التي تلزمين فيها الصمت؟

- لقد شاهدتُ خلال !. أزي تلك المجتمعات المظلومة، وسمعتُ عن مجتمعات أخرى ترشف الموت كالماء وتنشقّه كالهواء.. لقد تعرّفت على يسوع المصلوب.. إنني أحس بسوداوية البشر، وأنقلت روحي صوّر جثث الأطفال والنساء والشيوخ في بلاد الشام، وصوّر الجرائم التي أشاهدها وأقرأ عنها هنا أيضًا. رغم رعاية الدولة لشعبها تراهم يقتلون ويتعاطون المخدرات ويغيرون أجناسهم ويتحرون! الجميع غارقون في المشاكل.. هناك بسبب الفقر والظلم، وهنا بسبب الاكتفاء والحرية المطلقة. هناك يقتلون بعضهم باسم الله، وهنا يموتون دون أن يعرفوا الله.. وأنا واقفة حائرة خائفة، يُدميني هذا الحاضر الذي أجب. أحاول أن أربط نفسي به، لكن وجمي منه يجيب لي العودة، ومفتاح العودة مفقود. ثم ماذا لو وُجد المفتاح؟ ماذا سأفعل؟ هل أقوى على اختياره؟!

- لا تعقدي الأمور، دعي الحياة تمر كالنهر الجاري، حاملة معها الشوائب وخطام الأشجار المتكسرة.

هزت رأسها، ولم تجردًا.

وصلا حيث كان البروفيسور بانتظارهما.. استقبلهما مَرْحَبًا، صافح أوروبا وهو يتفحصها بنظراته من رأسها إلى قدمها، وكأنه يُصافح ممثله المفضلة التي كان يحلم بلقاتها. دعاهم إلى مكتبه.

- أهلاً بك يا أوروبا في عصرنا هذا، أخبرني كيف وجدت الحياة بعد هذه الرحلة؟

لقد فاجأها أسلوبه. نظرت إلى إدي بخوف واستغراب، واستجمعت شجاعته وقالت:

- إنها حياة مريضة، مخيفة بجهاها، بتقمها.. ووحشية بصراعاتها.. نصيرة للأقرباء، قاتلة للمضعفاء.

- لريكن الحمال أفضل في زمانكم، أليس كذلك؟

- ريبا، لكنهم كانوا شرفاء، يتارزون عن قرب، يحترم كل عدوه.. عندما يتقاتلون، تلتقي العينان فيشعر الفاعل بشر فعلته، وبحساب الإله له عاجلاً أم آجلاً، ومن الممكن أن يحوله عذاب الضمير لقدّيس.

أنا الآن، فالأسلحة فتأكله تقتل عن بُعد، فتدمر الكون وتبيد الآلاف بكبسة زر واحدة، دون أن يرفق لك جفن، دون أن تراقب عيون الضحايا الأبرياء وهم يموتون، وأن تمس رحمتك صورة الأجساد والأشلاء وهي تتناثر، دون أن تشعر بتلك الأرواح وهي تنسحب مجبرة من مساكنها. في حروبكم، تموت الضائير وتبقى الأيدي نظيفة دون أن تلوث بدماء الأبرياء.

أذهله كلامها، انتفض قليلاً كي يُبعد تأثيرها عن أفكاره وأكمل:

- أخبرني، هل صحيح أن الفينيقين اختلفوا قصة الاختطاف هذه كي يُبرروا غزوهم للعالم وبناء مستعمراتهم وتنشيط تجارتهم؟

قالت وهي ترفع رأسها عاليًا:

- كان الفينيقيون أسياد البحار وصناع الحضارات. فتحت أمام أخلاقهم

علمهم وطموحهم بلاد العالم. وصلوا أميركا قبل كولومبوس. نشروا حضارتهم وتأخوا مع أهل مستعمراتهم. لم يقتلوا أحدًا كي يستولوا على أرضه، لم تنقصهم الذريعة لشر ما يحملون لأنهم دخلوا بسلام..

انظر أمامك، هذه الأحرف التي تكتب بها تاريخك قد علمها أخي قدموس للمعالم.. انظر إلى قارتك هذه، فأنا ابنة صور من أعطيتها اسمي.. انظر إلى خشب السفن وهايكل الأنبياء فقد بُيئت من خشب أرز بلادني، وذلك اللون الأحمر قد جادت به أصداق بحورنا، وكأس النبيذ الذي تشرب منه صنعه أول صانع من رمال شواطئنا. وهذه الأوراق التي دوتتم عليها نظرياتكم وتاريخكم صنعها الفراعنة أجدادي.. علم الفلك والحساب والتحنيط، الطب والهندسة، الرسائل السماوية التي يقدسها العالم، الرُّسل والأنبياء كلهم جاءوا من حضارتنا ومن فكر وحُلم شعوبنا. حتى الكهربياء قد اكتشفها كامل الصباح قبل أديسون، وقُتل كي يرث أحد آخر ثمرة فكره، هل يكفي هذا أم تريد أن تسمع المزيد؟

كان إدي يراقبها بفرح، يكاد لا يعرفها.. هل هذه حقًا أوروبا؟ المريضة الضعيفة المصابة؟.. إنها الآن ملكة.. ملكة تدافع في كبرياء عن بلدها وأهلها وأجدادها وحضارتها.

قال بنبرة من الاحترام والتقدير:

- أنتِ محقة، علينا ألا ننسى هذا.

- أنتِ بحق أيضًا، ولك كل الحق بأن تنهكم وتنسى ما قد ذكرت. وأنا أيضًا بعد أن قرأت التاريخ وعرفت ما آلت إليه أوضاع بلادنا من جهل وذل، حروب ودمار، حقد وترمت، تعصب واضطهاد وعنصرية، بدأت أشعر مثلك بوضاعتهم وحقارتهم وجهلهم؛ فمن حوّل هذا الإرث العظيم من أهرامات وأبجدية، معلقات وملاحم، تاريخ وقداسة.. باسم الله إلى حطام،

إنه حقًا يستحق الاحتقار. لقد جعلوا الله يندم على تملكهم الأرض، كايا الحية، التي ملأوها فسادًا. لكن لا نستطيع أن نتجاهل دوركم، أنتم أصحاب العالم الأول، بتحطيم هذه الشعوب وتدمير إرثها. أنتم من صنع وعد بلفور، وقسمت بلاد كنعان، وأشعلت بها الحروب وشرت أهلها.

- سأسلم معك جدلاً بأن الأرض يملك لكّل الناس ولن يقطنها، لماذا إذاً لا نتقاسمها بسلام؟

- لماذا بنيت حياة شعوب على جثث ودماء شعوب أخرى، من بلاد كنعان إلى أرض الفراعنة إلى بابل وآشور وفينيقيا وأرواد، كيف يستطيع من مات محروقاً أن يحرق الآخرين كي يعيش، الا تخافون أن يعيد التاريخ نفسه، ويعود عصر السبايا يوماً؟

- إنه كلام كبير آيتها الملكة. كملكة.. هل عندك حلّ لهذه الصراعات؟  
- عندما أصبح ملكة، واستلمت مملكتي، سأستعمل تقدمكم وعلمكم وتطوركم هذا، وسأدمجه بحضارة بلادي وطية شعوبها التي تحاول مدينتكم القضاء عليها، سأبني على أساس واحد: قتل الخوف ونصر المحبة.  
ترك كرسيه وتقدّم نحوها، أمسك يدها وقبلها.

- سيكون وجودك بيتنا مشمراً وستعلم منك الكثير. كدت أنسى سبب دعوتي لكما، بصراحة لازال هناك فحصّ أخير علينا إجراؤه وأتمنى أن توافقي.  
قال إدي باستغراب:

- أر تعلمني بهذا؟

- كنتُ أريد أن أرى أوروبا، وقلتُ في سري عليّ أن التقيها، وبعدها سأقرر بخصوص الفحص. ليس هناك داع للقلق، إنه تحليل بسيط سنحدد من خلاله عمر الجسد الحقيقي، طبعاً لن نجرّبه دون موافقتك.

ركّز نظره على عينيها، وكأنه يريد أن يُخضعها لأوامره، أكمل بهدوء:

- لقد أثارتنني قِصَّتكَ، وأنا أرغب فعلاً بمساعدتك. لقد وعدتُ إدي أن أفعل كل ما بوسعي كعالم تاريخ وآثار وإنسان، فأرجو منك أن تساعدني كي أتمكن من هذا.

- لقد وضعتُ ثقتي وحياتي بين يدي إدي، إذا وافق ساوافق.

قال إدي:

- جيد، فلنتأقش الأمور بصراحة ووضوح، إن ما يهمني شيء واحد، هو أوروبا الإنسان الذي يعيش بيننا، وخصوصية حياتها، وحقها بتقرير مصيرها. من أي عصرٍ كانت وإلى أي مجتمع انتمت ومن تكون، هذه كلها تفاصيل لا تهمني بشيء، فهي تعيش هنا وتخضع لقانون حقوق الإنسان في عصرنا وبلدنا. إذا كانت هذه التحاليل ستعمل فقط في كشف لغز دخولها إلى عالمنا والبحث عن طرق لعودتها، فأنا لا أمانع، لكن بعد التوقيع على تعهد يقي هذه المعلومات ونتائج التحاليل سرية، وعدم البوح بها لأي إنسان دون الرجوع إلينا. هذه شروطنا، إذا وافقت عليها فنحن جاهزون.

أعاد كلامه المحازم الاطمئنان إلى ملاحظها.

- أكيد، لقد وعدتك سابقاً وأعدك الآن بأني سأبذل قصارى جهدي كي أكشف لغز هذه القصة فقط من أجل مساعدتها. كيف لي أن أؤدي إنسانة رائعة، كانت ولازلت ملهمة للشعراء والفنانين، إلهة قارتنا ورمز الأنوثة عبر 'رينغ'؟

قاطعة إدي يسألها:

- هل عندك ما تقولينه أوروبا؟

- لا، أنا جاهزة ما دام زمام الأمور بيدك.

قال البروفيسور موجهاً كلامه لإيدي:

- سأحجز لها غرفة في مركز البحوث، ستبقى هناك ليلة واحدة ليس أكثر.

- سارافقها، وسأبلغ طيبتها، ربما سيكون معنا هو أيضًا.

- ليس هناك مانع. لا تنسى أن تحضر أوراق التعهد التي سأوقعها، سأنتقل بك لاحقًا لأخبرك بالموعد.

خرجنا من هناك، ورافقها إلى الباب الرئيسي، كانوا حائرين، فقد بثَّ خوف أوروبا القلق في قلبه.

- لا تخافي، سيلتزم قانونيًا برّية نتائج التحاليل.

- في الواقع أنا خائفة أن يجد سيلاً للعودة، عندها سأقف من جديد حائرة، كذلك اللحظة في الرؤية، لا أريد أن أجد نفسي في هذا الموقف مرّة أخرى، أريد أن أحيي كأي إنسانة عادية.. أحب وأنزوج وأنجب أطفالاً هكذا نتمنى أشياء وأشياء، وعندما تصبح بين أيدينا نهرب منها...

سقطت دموعها بصمت، فأمسك كفها في يده بقوة..

- لا تتخافي فأنت قوية، ومن يراك اليوم وأنت تحاكمين ظلم هذا الكون يعرف أنك لم تولدي كي تكوني امرأة عادية. تحملي بالصبر والأمل، وأنا هنا معك، وأسألك إلى النهاية.

فتحت هاتفها، وتفقدت صندوق الرسائل. نظرت إليها مراقبًا ملامح الحياة التي ارتسّمت على وجهها.

- ماذا؟ أصبحت مشاعرك مكشوفة، فعوارض الغرام بادية على ملامحك.

قالت مبتسمة:

- أجل، إنه إنسان رائع.

- انتبهي، في البداية جميعهم رائعون، حتى أنا.

ابتسمت..

- أنت رائع دائمًا. إنني أحاول أن أقف عند حدود العقل والقلب كي لا أصدم، لكنه صادق بمشاعره.



- أتمنى هذا.. فهذا سيقبلك هنا، وهذا ما أريد.

- أعرف يا صديقي، وأنا أصلي لك دائمًا كي تنعم بالسلام الدائم الذي نسعى إليه.

- ها قد وصلنا، اصعدي إلى البيت واخلدي إلى النوم ولا تفكري سوى بمستقبلك السعيد.

عادت إلى العمل بعد ذلك الأمس المفلق متعبة وحزينة، فمذ ذلك اليوم  
لم تستلم أي رسالة من كريم. أعادت هذه اللحظة إلى ذاكرتها ما حدث مع  
عدي، فكّرت قليلاً، وعادت لتكتب له:

«مرحباً كريم، أنا قلقة أرجوك طمئني عنك.»

«أنا بخير، لا تقلقي صغيرتي، هناك فقط بعض المشاكل في العمل، وشبكة  
الاتصالات حيث أنا ضعيفة جداً بل شبه معدومة، اعطني بنفسك.»

«آه شكراً للإله، سأصلي لك، أخبرني متى ستعود.»

مرّت ساعات ولم يصلها ردّ. اختفى من جديد، رنّ الهاتف فجأة، وكان  
الرقم خاصاً وغير ظاهر.

إنه هو أكيد...

آه كم أفتقدك، مشتاقة لسع صوتك.

- مرحباً أوروبا أنا وائل. أنا أيضاً أفتقدتك واشتقتُ إليك كثيراً، كيف  
أنت؟

برّد صوتها قليلاً، لكنّها تداركت الأمر بسرعة:

- نحنُ بخير، أنا ووَعيد افتقدنا وجودك معنا.

- أنا أيضًا. سأنهي عملي هذا الشهر وأعود إلى بلدي كي أزور عائلتي.

- لكن الوضع هناك يزداد خطورة يوماً بعد يوم.

- لا تقلقي صديقتي لن أموت، وإن متُّ فأموت سعيدًا، لأنني سأدفن في

أواب بلدي بجانب أبي وأمي.

- أرجوك، لا تقل هذا، لمن ستركنا أنا ووَعيد.

- الله سيرعاكما ويرعاني. عند عودتي سأوجه لكما دعوة رسمية، سنذهب

معًا إلى لبنان.

- ماذا؟ أذهب أنا إلى لبنان من جديد!

خاص قلبها بين نبضاته..

- ولكن الأوضاع هناك!! لا أعرف.

- أحست بشوقك لوطنك وخوفك من الذهاب وحيدة، وها نحن

سنكون معًا.. هيا تحضري.

إنها تتوق لهذا، لقد قرأ لهفتها وجبتها، فقرر كسر الحواجز، فلتجرب..

فلتنظر إلى مرآة ماضيها عن قُرب. ربما تجد هناك مفتاح العودة.

قالت بجرأة:

- إن لرمائع وعد، فأنا موافقة وجاهزة.

- سأقنعها، لا تخافي، رُسل لك رقم هاتفي الخاص، وأرجو أن تكلميني

دائمًا.

- سأفعل أيها الصديق والأخ الرائع.

أعاد اتصاله الفرح والتحدي إلى قلبها، لكن كان هناك غصّة غريبة اسمها

«كريم». حاولت التفكير في أشياء تريحها القلق، كي تنام، فغداً موعدا مع

أيدي وكونراد في مركز الابحاث الطبية.

«كم أنا محظوظة، شكرًا للإله الذي أحاطني بكل هذه المحبة، عندما أهدى من هذه المعمعة سأزور لبنان.. صور الحبيبة أرض طفولتي، سأقبل الدُّرُة وأشمه وأحضنه.. تعال بسرعة أيها الغد».



مرّت تلك الساعات في المركز ثقبلة ومملة وهي تنتقل بين المختبرات. بما أن أنهما كل التحاليل المطلوبة، التي أشرف عليها الدكتور كونراد شخصياً بكل تفاصيلها، اصطحبها إلى البيت وأوصلها إلى السرير.

- إنني متعبة وأشعر بالمرض، تلك الجولة أنهت ما تبقى عندي من قوّة.  
- هيا، أنا لا أقوى على هذا الدلال. اخلدي إلى النوم، سأقدم لك على يومين إجازة مع عطلة الأسبوع. هكذا تعودين بعد أربعة أيام بكامل نشاطك وقوتك.

- عرضٌ مُغرّي لا يمكنني رفضه.

قال ضاحكاً:

ترفضينه؟ أنتِ حقاً مدلّلة، وأنا تعيس الحظ. الدنيا حقاً مجحفة.

- هيا عدّ إلى بيتك أريد أن أنام، ولا تنسى أن سارة بانتظارك.

ل وهو يُطفئ الضوء ويخفي وراء الباب:

- أمراً وطاعة أيتها الأميرة. على فكرة.. سارة تحبّك كثيراً، تصبحين على

خير.

سرق النوم قلقها، لتستيقظ بعدها على الرّجسِ جدها من طول الرقاد.

يا إلهي لقد نمّتُ منه عام.. كريم، ربّما أتصل بي ولو أسمع.

محت الهاتف بسرعة فلم تجد شيئاً.. ماذا حلّ بك يا كريم؟ أين أنت؟  
« بـ أمرك، هل ستركتني كما فعل عدي؟  
انثيت له:

«كريم لقد مرّ يومان ولم تتصل بي ولم تسأل عني، هل أنت بخير؟»  
«أنا بخير، قلتُ لك هناك مشكلة بشبكة الاتصالات، والأمور في الشركة ..  
داد تعقيداً. إتهم على وشك إغلاق بعض الفروع وتسريح عدد من الموظفين،  
« هلّي أن أنهي تلك الإجراءا اعطني بنفسك. سأتصل بك عندما تسمح  
الظروف».

«حسناً حبيبي اعطني بنفسك. لقد اقترب آخر الشهر، لاتنس، أنا بانتظارك».  
«سأحاول».

ابتسمت وهي تقبل الهاتف..

«إنّه يجيبي وسيأتي بعد أيام. حسناً، سأستفيد من الوقت وأجهز نفسي  
لقدومه. أحتاج إلى بعض الأغراض للبيت ولي، سأتصل بوعد ونذهب سوياً  
إلى السوق».

في المساء وبعد عودتها أتصل إدي كي يطمئن.

- كيف أنت الآن؟ لقد أخبرني كونراد أنك متعبة.

- أجل، لكن بعد نوم مطول شعرت بالتحسن. ذهبت إلى السوق مع وعد

واشتريت بعض الأغراض، فكريم سيزورني بعد أيام.

- آه هذا رائع، وماذا اشتريت؟

قالت بحماس:

- فستاناً أيضاً طويلاً، عطرًا جديدًا، أطباقًا وكؤوسًا، شموعًا، وأشياء

أخرى أخجل أن أخبرك عنها.

- صغيري، سعادتك تُشعري بالفرح والرضا رغم غيقي، لكن محبتي لك أكبر.

- أنت يا إدي حبيبي الأول وعائلتي. لن يأخذ أحد مكانك في قلبي. أحبنا كثيرًا كما أردتني أن أحبك، وكما تحبني أنت.

- الآن تخصري لما أحمل من أخبار. لقد صدرت نتائج الفحوصات، والبروفيسور يريد أن يلتقينا من جديد بأقرب وقت ممكن، ما رأيك يوم الاثنين؟

- لا، إنه آخر الشهر، وربنا وصل كريم فلن أستطيع الذهاب. فكرت قليلًا ثم عادت لتقول:

- حنا فلتتفق على الموعد، إذا حدث طارئ ما سوف أعذر عن الحضور وستفهم هذا طبعًا.

- أكيد يجب أن أتفهم، هناك أولويات طبعًا. قالت بدلال:

- إدي، أن تعليقاتك مُخرجنِي.

- استمعي يا عزيزتي، إنني أمأزحك رغم غيقي. إذا سئلتني أمام منزل البروفيسور إنني لم يحدث طارئ.

أنهت الاتصال وغاصت بأفكارها.. هكذا أفضل، لريؤكد لي كريم حتى الآن أمر حضوره. إن هذا يُخَيِّرني فعلاً، لكنه وعَدني. متأكدة أنه سيأتي، وسأتصرف على هذا الأساس.

ها قد انتهت عطلة الأسبوع، ولا زالت تنتظر والقلق يقتلها.. نتيجة التحاليل وموعد الغد، وغياب كريم وانقطاعه عنها، عملها وأصدقائها الذين لم تتواصل معهم منذ مدة، رحلتها إلى لبنان.

«كريم أرجوك، أريد أن أطمئن عليك».

«أرجوك لا أحب هذا الأسلوب، لقد شرحتُ لك ظروفِي».

«هل ستأتي؟ لقد حضرتُ كل شيء من أجلك، إنني أنتظرُك».

مرّت ساعات وساعات، ولم يصلها أي رد.

حاولت أن تخلد إلى النوم، لكن ليلها كان مليئًا بالكوابيس والسحابات

السوداء. ما إن استيقظت وحاولت أن تلتقط أنفاسها من تلك الأحلام

المرعبة، حتى رنّ الهاتف، وإذا بوعيد تتعجب.

- ما بك وعد، أخبريني؟

- وائل قُتِل، ولم يعد موجودًا، سافر إلى الشام ليمضي بضعة أيام، فقُتِل

هناك.

- ماذا؟ لا أصدّق، لا ليُمُت، إنه ملاك والملائكة لا تموت.

بين النحيب والدموع المنهمرة، خرّجت الكلمات مذبوحة تنزّف من الأثر.

- تكلمنا قبلها بقليل، وأوصاني بك. سألتني عنك وطلبَ مِنّي أن أستاذ

لرحلتنا إلى لبنان. أرادنا أن نذهب سوياً من أجلك، لقد خسرته يا أختي، لقد

خسرناه أنا وأنيت.

لرتقوّ على الكلام، خنقت الدموع صوتها وهوّل الصلّة شلّ تفكيرها.

- أين أنت الآن؟

- في طريقي إلى المطار، سأسافر إلى هناك كي أودّعه قبل أن يرقُد قرب

والديه.

- لن أتمكّن من رؤيتك وضمك ومواساتك؟ لن نيكه معاً ونصلي لروحه

معاً؟ ولن أرمي نفسي على صدرك كي أفاسمك حزنك وتقاسمني فجعيني؟.

- تلقيتُ الخبر منذ ساعات، الطائرة الوحيدة المتجهة إلى هناك ستُقلع بعد

قليل. سامعيني حبيبي، أنا أيضًا بحاجة إليك، لكن هكذا شاءت الظروف ..  
سأحمل له سلامك وأخبره بأنك تحبته كما أحبه وكما أحبك، لقد قال لي «اعبر  
بأوروبا أختنا الجديدة، فهي وحيدة وبحاجة إليك».

علا بكأوهما، حتى ضاقت صدرهما من شدة النحيب.

- اعنتي بنفسك يا وعد أرجوك، وطمئيني عنك دائمًا، سأصلي لك ولزوج  
وانل كي ترقُد بسلام.

- لا تقلقي، سأزفه إلى المقبرة وأعود كي نَبكيه ونُصلي سوياً.

أفقلت الخط، وارتمت على السرير تتحب بمرارة..

«لماذا يصنعون الحروب ويقتلون الملائكة باسم الله؟ لماذا تعرّفتُ عليك؟  
كي تُدعي قلبي بموتك؟ من سأخذني إلى بلدي بعد رحيلك؟ إني أنتحبُ عليك  
وعلى أوطاننا وأهلنا، شبابنا وأطفالنا ونساءنا.. وائل الرائع.. ارقد بسلام، فقد  
رحمَ الله روحك الطيبة من رؤية وطنك المقسم وهو يغرق في بحرور الدماء،  
آخذًا معه كل من حوله إلى ذلك الآتون من المصالح والصراعات».

نظرتُ إلى الساعة.. لقد تأخرَ الوقت، لن أستطيع الذهاب إلى العمل،  
سأمدد إجازتي يومين آخرين. أنا أموت من الحزن، ولن تقوى عضلات  
وجهي على الابتسام.

عادتُ لتنام بعد أن اتصلت بمُديرة المأوى، لتسقيظ بعدها أكر هدوءًا  
وأعمق حزنًا، وكان روحها قد سُجنت في بحرٍ من الصمت.

اتصلت بيدي لتؤكد عليه الموعد.

- الو.. إدي، أنا جاهزة، سوف أوافيك في موعدنا.

- ما بك؟ الحزنُ يتساقط من صوتك كحبات المطر.

- سأخبرك حين نلتقي، لا أستطيع الكلام الآن.



جلست في الشرفة تُراقب السماء ساعات وساعات دون حراك.. أريد أن  
مل، أن أعود إلى عالمي، أرجو أن يجد مُفتاحًا للغزِ وجودي. أريد أن أرحل  
هذا الزمان فورًا، حتى لو اضطررتُ إلى قتل نفسي.

سحت دموعها وأخذت دفتر مذكراتها الذي عكفت على كتابته يومياتها  
. يجب أن أنهي الجزء الأخير، علّ وعسى إذا ما نُشر كلامي هذا بعد رحيلي  
بِقِطْع بعض الضمائر الميتة.

رت الذهاب إلى الموعد سيرًا على الأقدام. أخذت نجوب الشوارع  
ونراقب تلك الحضارة الضخمة التي تشبه قنبلة موقوتة مجهزة للتفجير، طاقة  
بوية مُدمرة بأيدي عمالقة مجانين مهوسين بالسلطة، يقف كل في جهته منتظرًا  
صفارة البدء، ودول صغيرة تُداس كالحشرات في هذه الصراعات. حربٌ عالمية  
ناكثة على الأبواب.. هل ستلتمر كل هذه المباني والجسور، ويموت كل هؤلاء  
البشر كما حصل في هيروشيبا؟ هل سيتهي كل هذا الجمال، وهذه التكنولوجيا  
عصارة أدمغة البشر منذ بدء التاريخ إلى الآن؟ مَنْ سيبقى على هذه الأرض بعد  
الانفجار الأخير؟ وهل سيبقى هناك أرض؟ هل ستلتمر كايا الحية بموت  
البشر؟ ومَنْ سيبقى، هل يستطيع أحد أن يبينها من جديد؟ هل سيتدخل الله  
لينقذ البشرية من القضاء؟ هل سيغير نهاية الفيلم الدامية، فيُلتمر قوى الشر  
قبل أن تلمر أرضه؟ أم أنه قد وُضع السيناريو الأخير، وسيكتفي بمشاهدة  
الفيلم حتى نهايته ونهاية البشرية ودمار مسرحه الذي صنعه بسبعة أيام قبل أن  
يستوي على عرشه؟ وهل سيأخذ دمار الأرض سبعة أيام أخرى؟ أم أن النهاية  
ستكون أسرع من البداية؟ هل سيُعاقب البريء بذنب المجرم، أم كلنا مجرمون  
لأننا لم نحاول أن نُنقذ أرضنا كايا من الدمار؟ هل هذه عدالة السماء؟ لكن  
ماذا علينا أن نفعل؟ نُصلي!! أجل نُصلي من أجل السلام بقلبي واجدِ يجب  
للسلام.. للإنسان.

يا خالق الأكوان ومانح الحياة اعطِ السلام والمحبة لنا، نحن أولاد كايا

هذه الأرض التي أورثتنا إياها ولرَّصُنَّ وَصِيَّتِكَ، يا إله المحبة أرحم الأرواح وأهلها ومَن عليها من كائنات، وأرحمنا من شر نفوسنا.

ها هي تقف هناك جاهزة لسماع كل شيء، حتى خبر موتها. وصل إدر ودخلا سوياً. جلسا في غرفة المكتب وبدأوا الحديث، حَمَل البروفسور كور ملفاً مُغلقاً بيده وقال:

- أوروبا.. معي هنا نتيجة التحاليل، صعقتُ فعلاً عندما قرأتها. أرجو أن تكوني جاهزة لسماع ما كُتِب.

قالت بتهكُّم ولا مبالاة، وقد اتَّسَحَّ جمالها بمسحة من الكآبة زادت من وقارها:

- أنا جاهزة، هيا افتح هذا الملف كي أرسم قدرتي الجديد دون تردد.

- أثبتت الفحوصات المخبرية أن عمرك يتجاوز الثلاث آلاف سنة، وهناك جينات غريبة في دمك لم تُكتشف بعد. ربّما تنتمي إلى كواكب أخرى بعيدة عن الأرض.

صُعِقَ إدر لسماع هذا، أمّا هي فكانت تنظر إليه بهدوء، وتلك الابتسامة الباردة تُظهِر لامبالاتها بما يقال وما تسمع.

قال إدر:

- أهي نتيجة مؤكدة؟

- نتيجة مؤكدة.

- وهل عرفت ما قد جاء بي إلى هنا؟

- لقد درستُ ذلك الموقع حيث وجدوا جسدك، هناك نُقطة تلاقي للطاقة الكونية في ذلك المكان، مُرتبطة بحركة الكواكب ودورانها.

- شيء يُشبه نظرية أينشتين!.. وكيف لي أن أعود إلى زمني؟

- قبل أن تُفكرِي بالعودة، هناك أشياء كثيرة يجب توضيحها، هذه مسئوليتك تجاه أرضك وتجاه البشرية. لقد وَقَعْتُ على اتفاقٍ بالآ أفشي أسرار هذه التحاليل إلا بموافقتك، لكن الآن وبعد أن تأكدتُ بأنَّ ما حصلَ هو واقعيّ وليس ضرباً من الخيال العلمي. أنا أرجوكِ وأرجوكِ أن تتكلمي وتخرجي للناس بهذه النتائج، وأن نصححي التاريخ، ونُخبري عن عالمك. ستُصبحين نجمةً ونجّين النقود، وربّما ستُغيّرين مصير الأرض وتُقودينها إلى السلام، ستكونين أوروبا الملكة العائدة من التاريخ لتغيير التاريخ.

صرّخت في وجهه بغضب:

- أي تاريخ وأي شهرة وأي نقود وبأي سلام سأبشر في زمن الموت والقلق والحروب؟ هل ستفككون الرؤوس النووية، وتستخدمون طاقتها لخير الأرض؟ هل ستزرعون الصحراء وتُطعمون الجياع، أم أنك تفعل هذا كي تُحوّلي إلى قرودٍ جميل راقص تجمع عليه النقود؟ أم فأر تُجري عليه اختباراتك؟ اغرب عن وجهي، لكم زمانكم ولي أنا زماني.

اقترب منها إدي وغمرها بحنان:

- اهدئي أرجوكِ حبيتي، لن يمسيك أحدٌ بسوء وأنا معك، وعدتُك بذلك.  
- لقد مات وائل صديقي، قُتِلَ وهو ملاكٌ مُسالر، قتلتهُ هذه الحضارة الجميلة ذا - الأنياب والمخالب، ويريدونني أن أكون قرذاً يرقص على أجساد الموتى كي يُسوّقوا الحروب الجديدة.

قال إدي:

- أرجوكِ أيها البروفيسور، لقد انتهى الموضوع. شكراً لك على ما أعطيتنا من معلومات، واعتبر أن الموضوع قد انتهى، وشكراً العروضك المغربية.  
حضنتها وخرجها، سارا تحت ضوء القمر صائتين، يتأملان هدوء المدينة وشوارعها، بعد أن سلكها الآلاف كل إلى منزله، بعد نهائٍ مُضني من العمل والكفاح والجري وراء الوهم.

وأخيراً كثرَ صوتهُ حاجِزَ الصمتِ:

- سيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام، لا تقلقي، هيا نصعد إلى البيت..

أعد لها الشاي وأحضرةُ إلى سريرها، بعد أن شربتهُ حَصَنها بحنان، فغف  
على ذراعه، ثم تسحبُ بهدوءٍ وأقفل الباب خلفه ورَحَلَ.

استيقظت كالمخدّرة على رنين الهاتف، لم تعرف كيف تحمله لترد.  
اهلاً إدي.

- لازلت نائمة!.. هيا، النهار سيبتهى أيتها الطفلة الكسولة.  
- أنا بخير، شكرًا لأنك أيقظتني، أتعلّم؟ اشعر وكأنني أعيش حلمًا غريبًا.  
- لا تخافي، سأعالج هذا الموضوع، هيا اخرجي من البيت. اذهبي إلى إيفا أو  
سنا، أكملّي حياتك وكأنّ شيئًا لم يكن، اتفقنا؟

قالت وهي تبسم:

- سأفعل، لا تقلق عليّ أرجوك.

- استمتعي بوقتك، وسأكلمك لاحقًا.

وذعته وذهبت سريعًا إلى صندوق الرسائل، بعد أن تفحصت هاتفها، ثم  
قالت بيأس:

- لا جديد، لربّاتٍ ولربّكلمني. لم يكلف نفسه عناء الاعتذار حتّى. سأتصل  
بسنا علّها تجدي حلًا لهذه المعاناة.

بعد حوالي الساعة، وصلت سنا وكلها شوق لسماع أخبارها.

- أين اختفيت كل هذه الأيام؟ ولماذا لم تتصلي بي؟  
أخبرتها ما حدث مع وعد ووائل، وتفاصيل علاقتها مع كريم.  
- وَعَدَنِي أَنْ يَأْتِي، وَهَا أَنَا أَنْتَظِرُ وَلَمْ يَصِلْنِي مِنْهُ حَتَّى الْآنَ أَيَّ خَيْرٍ لَفَا.  
أخبرني أنه يواجه مشاكل كثيرة في عمله.

- أجل، لكن هذا لا يُبْرِرُ انقطاعه عنك هكذا.

- قال بأن هناك مشاكل في شبكة الاتصالات.

- ما هذه المهزلة؟ لم أعرف مسبقاً بأنك غيبة، إننا في عصر التكنولوجيا. لو  
أراد لراسلك مع الحمام الزاجل، انسي أمره لقد هجركِ.  
- لا يا سنا، مستحيل أن يفعل هذا معي، لا أصدق.

- إن الحياة يا حبيبتي مليئة بالاعتنة، ومهما تعرّفنا على شخصيّة من نعرفهم،  
يقين هناك جانب غامض لا يُمكننا دخول مجاهله. لا تحزني، وتقبلي الموضوع  
ببساطة، فهي ليست المرّة الأولى، ولن تكون الأخيرة،  
فأنت سيّدة النهايات الحزينة.

- سيّدة النهايات الحزينة!

شردت قليلاً مع تلك الجملة، قبل أن ترفع عينيها إلّي سنا وتسألها:

- ماذا عليّ أن أفعل الآن؟

- ابعثي له رسالة، وضحّي له وجهه نظرك، اسأليه إن كان يريد رحيلك  
من حياته، وإن كنت تكتفين قلبه سيتمك بك، ولن يسمّح لك بالذهاب.  
إن لم يكثر، سترحمين نفسك من سماع تلك الجملة الشهيرة «أنت رائعة لكنني  
وجدتُ حباً آخر».

- ربّما هو ما حكيت له عني!.. إنني حقاً لا أنايبي، فأنا إنسانة مجهولة الماضي  
والمستقبل، وهو إنسان رائع بحاجة إلّي حبيبة بظروف حياة عادية، تُعطيهِ الحُبَّ  
والحنان، تكون قربة في أزماته تحضنه وتحميه، وربّما شاء القدر رحيلي. عليّ أن  
أبتعد قبل أن أجبر عليّ ذلك.

أمسكت هاتفها، ففتحت شباك الكتابة، وترددت لبرهة، ثم عضت على شفتها وكتبَتْ له:

«غيابك هذا جعلني أدرك بأثك راجل ولن نعود، لهذا قررت أن أودعك لأختصر عليك الكثير من الإحراج. أعرف ظروف عملك الصعبة، وأعرف مسؤولياتك، لكن هذا لا يُبرّر إهمالك لي وأنا التي انتظرُك، زينتُ منزلي لاستقبالك. لقد كسرت قلبي وأنا بأمس الحاجة إليك. لا أؤمك، أتمنى لك السعادة. وداعاً كريم.

مرّ من الوقت ما يكفي لقراءة الرسالة ثم وصل الردّ، أخذت يداها ترتجفان من شدّة التوتر.. هل سيعتذر عن الغياب؟ ربما يبلغها أنه قادم؟.. فتحتها أخيراً، وقرأت بلهفة:

«بيّا أنك قد خزمت أمرك، فانا أيضاً أحترم قرارك واختيارك. لن أحاول أن أوثر عليك بأي شكل من الأشكال. أتمنى لك حياة سعيدة في أي زمان ومكان».

قالت بدهشة والدموع تتأهب لبدء موسمها الشتوي الجديد..

- تخلى عني هكذا بكل بساطة يا سنا!

كتبَتْ له برُعة:

«كريم، أرجو ألا تؤثر هذه الظروف الجديدة على صداقتنا، فانا بأمس الحاجة إليك».

قالت سنا بأسفٍ وحرارة:

- لا تعبي نفسك يا صديقتي «من يريد يجد ألف طريق، ومن لا يريد يجد

ألف عُدْر.

- سيردّ، سيردّ، إنه يُجيني.

بدأت في البكاء..

- سأحاول أن أتصل به، ولن أرحل قبل أن يكلمني، سأحاول إلى أن يرق قلبه ويعود. كانت غلظتي، قال لي إن ظروفه صعبة وأنا أصررتُ أن أنهي كل شيء.

اقتربت سنا واضعة يدها على كتفها في حنو، وفي نظرتها عجز وحزن، وتجديد لأحزان طويلة تخصها..

- لا تلومي نفسك، لو أراد الاحتفاظ بك لبرر غيابه أو لاعتذر عن عدم حضوره. هيا أوروبا اخرجي من هذه الأجواء. المشكلة ليست مشكلة وقت أو اتصالات، بل مشكلة أولويات. لم تكوني في هذه المرحلة من أولوياته، امسحي دموعك وانظري إلى الغد.

- لا أريده أن يعود، لكني لا أريد أن أخسره كصديق.

أخفت وجهها في صدر سنا وغرقت في البكاء.



لم تكن هذه الغيمة هي الغيمة الوحيدة التي اجتاحت حياتها، ولا تمر بسهولة.. هاهو البرقيسور كوينز يحاول من جديد إقناع إدي وكونراد بالضغط عليها وأخذ موافقتها بالإعلان عن شخصيتها، يُغريهم بالمجد والشهرة والمكاسب المادية.

يحاول أن يقنعها بأن هدفه إنساني، ويصّب في خدمة الإنسانية؛ لكنهما لم يخذلاها، وأوفيا بوعدهما لها بأن يحموها ويحترما قراراتها.

بعد أن عجزت أساليبه لم يبق أمامه سبيل سوى إبلاغ دائرة الأتار الدولية عن تلك الأشياء التي وُجدت معها. عندها سيجرون تحقيقًا حول كيفية حصولها عليها، وستضطر حينها بأن تُفصح عن شخصيتها الحقيقية.

وهكذا فَعَل...



بلاغ!!

(سيدي مُدير مكتب الآثار الدولي.. لقد وجدتُ هذه الآثار، المرفقة صورتها مع الرسالة، مع سيّدة تدعى ملكيتها لها، وبعد عرضها على أحد المختبرات، تأكّدوا أنها أصلية ونادرة الوجود، وبها أن هذه الأشياء تعود إلى حقبة ما بين القرن الثاني والخامس عشر قبل الميلاد، ولرُتُكُن مُسجّلة في أي من متحف أو في سجّلات الآثار، انتابني الشكّ بأن تكون هذه السيّدة قد سرّقت هذه القطع النادرة أو وَجَدتها في أحد الأماكن الأثرية ولم تُبلّغ عنها، أو أنها قد اشتريتها من بعض العصابات المختصة بتهريب الآثار. وحرصاً مني على المصلحة العامة، وبِحُكم عملي ومصداقيتي، وَجُبَ عليّ التبليغ. أرجو أن يبقى موضوع الرسالة هذه سرّيّاً لأسباب شخصية..

بروفيسور كوينز.)

(شكراً لك بروفيور على هذه المعلومات القيّمة، ستتابع الموضوع مع الشرطة).

\* \* \*

ألو دكتور كونراد، أنا المحقّق الذي يتابع موضوع السيّدة أوروبا أخينور.  
- أهلاً بك سيدي تفضّل.

- لقد طلب منا مكتب الآثار الدولي فتح تحقيق حول الموجودات التي كانت بحوزتها.

- أجل سيدي، لكن لقد مرّ زمانٌ على هذه القِصّة، لماذا يفتح التحقيق الآن؟  
- لقد أصبحت القضية متعلقة بجهات دولية، استلمنا البلاغ، ويجب أن نرسل لهم المعلومات المطلوبة.

أرجو منك أن تزودني بكل التقارير، وبالقطع الأثرية، كي تُرسلها لهم ويرجى الرد بأسرع وقت ممكن. بما أنك والسيد هاتنغر ولياً أمرها، سترسل لكما استدعاءً رسمياً للتحقيق. لكن بحكم صداقتنا وتعاطفي الإنساني مع القضية، فضلت أن أخبرك مسبقاً، كي تدارك الأمور وتحضّر ان السيدة نفسياً للموضوع.

- شكراً على رعايتك، ولكن كيف ستجري الأمور؟

- إنه تحقيق روتيني، نقرر على ضوئه إذا ما كنا سنوقفها أم لا

- أعتذر سيدي، إنني أعابن أحد المرضى الآن، سأتصل بك بعد قليل.

- شكراً لك، سأنتظر اتصالك.

تنفس بعمق قائلاً: كوينز الحفير، لقد فتح علينا النار.. ماذا سنفعل الآن؟  
سأتصل بإدي.

الهاتف يرن ويرن.. هيا إدي أجب أرجوك.

- ألو. مرحباً صديقي.

- إدي الحمد لله أنني وجدتك.

- ماذا هناك؟

- اتصلت بي الشرطة، ويريدون أن يستدعوا أوروبا للتحقيق، ويريدون أن أسلمهم أغراضها الخاصة الموجودة في أمانات المستشفى، والتقارير الطبية أيضاً.

- فعلها ذلك الحفير المادّي. كنت أشعر أنه لن يتسلم بسهولة، حيناً أرسل لهم ما يريدون، وأبلغهم أيضاً أننا جاهزون للحضور. رر تسلنا الدعوة. أنا بخصوص الموجودات، تحفظ عليها. أخبرهم أن كل ما يخص المرضى لا يمكن تسليمه إلا بموافقتهم، وبما أن التحقيق لريته بعد، ف سوف تبقى هذه الأشياء ملكاً لها، إلى أن يثبت العكس. وأنا سأخذ أوروبا إلى منزلي،

عَلَيْهِ اسْتَطِيعَ أَنْ أَخْفَفَ وَقَعَ هَذَا الْخَبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْضَرَهَا لِمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ، أَمْنِي أَنْ تَقْوِي عَلَى اجْتِيَازِهَا.

اتَّصَلْ إِدِي بِهَا، كَانَتْ سَنَا لَا تَزَالُ هُنَاكَ.

- أَلَوْ كَيْفَ حَالُكَ الْآنَ يَا أَمِيرِي؟

- أَنَا سَنَا، أَوْرُوبَا نَائِمَةٌ.

- هَلْ هِيَ بِخَيْرٍ؟

- لَيْسَ تَمَامًا. لَقَدْ انْفَصَلَتْ عَنْ صَدِيقِهَا الْجَدِيدِ. لَمْ اسْتَطِعْ أَنْ أَتْرَكْهَا، فَقَدْ

كَانَتْ تَتَكَلَّمُ عَنِ الرَّحِيلِ وَالنَّهَابَةِ، خِفْتُ أَنْ تُؤْذِيَ نَفْسَهَا فَبَقِيتُ مَعَهَا.

- يَا إِلَهِي! سَأَتِي حَالًا

حَضَرَ بِسُرْعَةٍ، وَكَأَنَّهُ يَسْبِقُ الرِّيحَ إِلَيْهَا.

- سَنَا، بِإِسْكَانِكَ أَنْ تَذْهَبِي.. سَابَقْتِ مَعَهَا.

- حَسَنًا، اعْتَنِي بِهَا أَرْجُوكِ.

جَلَسَتْ قَرِيبًا وَهِيَ نَائِمَةٌ، يَرِاقِبُ وَجْهَهَا الَّذِي أَحَبَّهُ مِنْ كُلِّ أَعْمَاقِهِ، حُبًّا لَمْ

يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ..

«سَاعِحِي يَا أَمِيرِي، يَبْدُو أَنَّي أَعْضَفُ مِنْ أَنْ أُحْمِيكَ، وَسَاعِحِي الْحَيَاةِ الَّتِي

قَسَّتْ عَلَيْكَ، وَسَاعِحِي مِنْ دَاسِ عَلَيْكَ وَعَلَى قَلْبِكَ، أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَنْهَارِي

أَمَامَ هَذِهِ الصِّغَاثِرَةِ».

فَتَحَّتْ عَيْنَيْهَا بِصُعُوبَةٍ:

- إِدِي، أَنْتَ هُنَا شَكَرًا لِلْإِلَهِ. أَنَا أَسْتَجِدُّكَ أَحْتَاجُكَ.

قَطَعَ الْبِكَاةَ صَوْتَهَا...

- هَيَّا، مَا هَذَا الْإِنْهَارُ؟ الدَّمُوعُ لَا تَلِيقُ بِالْمُلُوكِ، سَاحِضِرْ لِي فَتَجَانِ قَهْوَةَ

تَشْرِيْبِهِ فِي سَرِيرِكَ كَالْمَلِكَاتِ.

- لا تذلّني كثيرًا، وإلا سأصدّق نفسي، وتحصد أنت ثمار تعجرف وكبرياء،  
أصحاب السمو.

- أنا مستعد لكل شيء، شرط ألا أخسر هذه الابتسامة الجميلة في حياتي.  
على رائحة القهوة المنوشة، سار الكلام من القلب إلى القلب دون حواجز  
وحدود.

- أخبرني ما الذي حدث مع كريم؟

مسحت دموعها قائلة:

- هجرني، كما فعل الآخرون. أنا طلبت منه، وهو وافق دون أي اعتراض،  
دون نقاش أو تبرير. قطع كل صلة بي. لا يجيب على رسائلي، ويرفض حتى  
صداقتي.

- سأخبرك وجهة نظري.. إن ما حدث هو أفضل ما يكون، وبالأخص  
الآن.

- لا أفهمك!!

- أنت تواجهين الآن مرحلة صعبة من حياتك، وتعتقدين بأنك بحاجة إلى  
أحد ما يساندك ويدّ فراعك العاطفي. هذا ما تعتقدين: أنك ضعيفة وبحاجة  
للأمان والحب. وهذا ما لا أوافقك عليه. عندما راقبتك وأنت تناقشين ذلك  
الحقير كوينز، وتحاصرينه بحديثك بهذا المنطق الملكي الراقى، تدافعين عن  
حضارتك بكل جرأة.. تأكدت بأن ضعفك هذا مجرد وهم نحاولين أن تقنعي  
نفسك به.

اسمعيني جيدًا.. أنت لست ضعيفة، ولست بحاجة إلى أحد، ولست  
مسكينة إطلاقًا، ويجب أن تتعاملي مع واقعك بهذا الأسلوب. لن نستطيع أن  
نرسم للآخرين خارطة تظهر لهم كيف نُحب ونريد أن يُعاملونا، ولا يجب  
أن نبني ثقتنا واحترامنا لأنفسنا على أساس تلك الأساليب التي يتعاملون بها  
معنا، فلكل إنسان سلوكه الذي تربى عليه واكتسبه، ولنا نحن قيمتنا التي لن

بمها أي أسلوب أو سلوك أو معاملة.

كانت تنظر له منبهرة.. هذا الرجل أكثر ما قابلت في هذه الحياة الحديثة عدلاً. أومات موافقة..

- أنت مُحق.

- إذًا دعي كريم لعالمه، فربما هذا أسلوبه وشخصيته التي لم تتعرفي عليها بعد، وربما هناك ظروفًا قاهرة جعلت علاقته بك ليست ضمن أولوياته. طبعًا هناك وقتٌ لكل شيء، لكن على الآخرين احترام ترتيبنا للأمور كجزء من احترامهم لنا ولخصوصياتنا.

ارتسخت علامات الهدوء والرضا على ملامحها، تنفست بعمق وهي تبسم من جديد. أكمل:

- افصلي كريم الذي أحبته بصفاته الجميلة عن كريم الذي جرّحك، ستجدين نفسك أمام خيارين.. إما أن تستمرّي في حبك له في داخلك، وتسامحينه ويبقى هو غذاء روحك.. أو أن تنسيه كليًا وتنتلقي إلى حُلمٍ جديد أو هدف جديد، يزيل من ذهنك أثره ويجعلك تولدين من جديد.

- سأنتظر عودة، ذلك الجزء الذي أحببت، إن لم يعد سأرسم ذكراه بفرح، بعيدًا عن الدموع، أعدك.

- هذا رائع أيتها الملكة، والآن بما أنك قد نخطبت أزمته هذه، دعينا نتقل إلى الأهم. أرجو منك أن تنالكي أعصابك، وأن تتصرّفي بحكمة كي نخرج من هذا النفق الذي تُسرف على دخوله.

انتبهت وعلت الجدبة وجهها، فما منع نفسه من الابتسام، فقد كان يعلم أن الملكة داخلها ستغلب الأنثى الطامحة لعاشق هجرها..

- هيا أخبرني، أشعر أن هناك مصيبة جديدة قادمة.

- لقد فتحت الشرطة التحقيق من جديد حول قضيتك، أسيانك الخاصة، على طلب من مكتب الآثار الدولي.

- لماذا الآن؟

- أشك أن البروفيسور كوينز وراء هذا. اتصل المحقق بكونراد وطلب أن يبلغك بهذا. بعد استلام البلاغ الرسمي، سذهب سويًا إلى مركز الشرطة لكي يجروا معك التحقيق.

قالت وهي تسحب أنفاسها بصعوبة..

- يا صديقتي، أرجوك تماسكي، هذا لن يفيدنا الآن بشيء. نحن بحاجة إلى الهدوء والتركيز.

سأصطحبك إلى منزلي، كي تمضي هناك بضعة أيام بعيدًا عن الضغوط، إن أن نصل إلى حل.

قالت والدموع تملأ عينيها من جديد:

- وعملي؟ عائلتي هناك، كيف سأسألهم عنهم؟ السيدة اليكس، زملائي كيف سأفقدتهم بعد أن وجدتهم؟ هل كُتِبَ عليّ أن أفارق كل من أحبّ؟

- سأقدم لك على إجازة مفتوحة. أعدك بأننا إذا خرجنا من هذه الأزمتين، سأعيدك إلى هناك.



في ذلك المكان المُحَبَّب إلى قلبها، قُرب تلك النافذة الزجاجية الكبيرة في برج القصر، على فرو الحروف الأبيض، جلست تتأمل ذلك البحر الأخضر من المروج.

قطعت صوتُ إدي رحلتها هذه:

- سيصل كونراد بعد قليل، وسنبحث الموضوع معًا.

كان حدسها ينبئها بأن نهايتها بانت قريبة. لن تحتمل دخولها السجن،

١٠. وضعها في قفص الاتهام لجرم لرتكبه، أو أن تُربط كوحش جميل هارب من النار يخ يتوق إلى حرته، أمام عدسات المصورين وتطفل الإعلام.

- مرحبًا صديقتي المدللة، كيف أنت الآن؟

قالت وهي تبسم تلك الابتسامة المتعالية على الجراح:

- كونراد... بخير،

- أشعر بالتحسن عندما أرى ابتسامتك، لا تكلمي أعرف أن مسارة

نتظرنى».

لقد كان يُتقن فن إضحاكها. جلس على الأرض قربها، ومضوا يتباحثون

عن ثغرة يستطيعون الخروج منها

سأله إدي:

- أخبرني ماذا قال لك المحقق؟

- سيفتحون تحقيق مُوثق وعلمي حول شخصيتها، وكيف وصلت إلى

هنا. حتى لو أخفت حقيقتها عنهم سوف يكتشفونها من الفحوصات الطبية،

وأشائها الخاصة الموجودة في أمانات المستشفى ستكون الدليل الأقوى الذي

سيؤكد هويتها.

- تعتقد أنه من الأفضل أن نتخلص منها؟

- لا، إنها أشيائي. ذلك البوار هدية جدي، والقلادة صنَّعها لي إله النار

بأمير من زيوس. إنها قلادة سحرية، أستطيع أن أشاهد من خلالها ما أريد وأي

مكان أريد، إنها شيء ما يُشبه شبكتكم العنكبوتية

قال إدي بانتباه:

- أخبريني المزيد عن تلك القلادة.

- كانت معي منذ اليوم الأول الذي أحضرتني فيه زيوس إلى مملكة كريت.

كان يراقبني من خلالها، وقد أدركت ذلك لاحقًا، فبعد هربي من قصره، عبثًا

حاولت الفرار من صوته وطيف الأرواح خدامه. قطعت آلاف الأميال، حتى  
أعياني التعب ولازال صراخهم يدوي كالرعد في داخلي. من شدة كُرهي  
وخوفي منه في تلك اللحظات أردتُ أن أمزق جسدي، أن أبعده عني وأبتعد  
عن ذكراه. نزعْتُ القلادة من عنقي، تلاشى الصوت وهدأت الرياح، وغاب  
أثره شيئاً فشيئاً، وعمَّ الصمت في الغابة من جديد.

قال كونراد:

- أذكر جيداً القلادة كانت مربوطة في معصمك.

- أجل أذكر هذا جيداً، لقد ربطتها خوفاً من أن تسقط مني في الظلام  
وتضيع. لقد كنت أشاهد من خلالها عائلتي ومن أحب.

قال إدي:

- لماذا لا تكون القلادة هي المفتاح إلى عالمك القديم. أذكر جيداً ما قاله  
كونز، أن ذلك المكان حيثُ وجدوكِ هو نقطة من نقاطٍ عديدة لتلاقي الطاقة  
الكونية بكوكب الأرض، فلماذا لا تكون هذه القلادة مع تلك النقطة في ذلك  
التاريخ هي مفتاح اللغز؟

قالت أوروبا مبتسمة في شرود:

- سيُصادف بعد أيام تاريخ دخولي إلى هذا الزمان.

أحس إدي بغصة.. بدا الأمر له كقدرٍ وليس مصادفة. حاول أن يترك  
مخاوفه جانباً.. قال:

- ربّما سيساعدنا هذا أيضاً..

قال كونراد بعد تفكير:

- احتمال صائب، وإذا كان هذا صحيحاً، علينا أن نحتفظ بتلك القلادة،  
كي لا نترك هذه الفرصة الأخيرة لنجاتك وخروجك سالمة من هذه الزوينة  
تضيقُ سُدئي دون أن نجربها.



- أرجوكما، افعلوا أي شيء، فأنا لن أحتمل العيش رهينة التحقيقات  
والسجون وتقارير الصحافة، وتحاليل الأطباء واختباراتهم، ساشيخ وأموت  
من الحزن.

- لا تقلقي، لن يكون سهلاً علينا أن نُودعك وقد أصبحتِ جزءاً متاً. لقد  
أدخلتِ الحياة إلى حياتنا، لكننا سنكون سُعداء إذا ما عرفنا أنكِ بخير حيثُ

- أنا أيضاً لا أرغب في العودة، فأنا أحبكم من كل قلبي، لكن وجودي  
في هذه المأساة سيُدتر قلوبكم، وأنتما تراقبانني أموت دون أن تستطيعا  
مساعدي...

قطع كلامها الدموع التي تدحرجت على وجتها كجرح ينزف. حضنها  
بمحبتها النبيلة الصادقة.

قال إدي:

- ستبقين هنا إن أن يأخذ كونراد أغراضك الخاصة بك إلى مكان آمن.  
بعدها نذهب إلى التحقيق لنرى ما ينوون فعله وماذا يريدون منك.

- ماذا عليّ أن أقول هناك؟

- حاولي تضليلهم قليلاً، اخترعي لهم حكاية ما، مثلاً أنكِ وجدت تلك  
الأغراض في بيت أحد أقاربك وبأنكِ لرتعري أنها نادرة وقيمة، وسأحاول أن  
أكون معكِ بحجة افتقارك إلى اللغة.

قال كونراد:

- وأنا سأتحدى القانون من أجلك.. سأخذ أغراضك من الأمانات إلى  
مكان آمن.

انصرفت في ذلك البرج إلى كتابة الجزء الأخير من مذكراتها، وقد أعد هذا الهدوء إلى تفكيرها وجددها المتعب قوة الملوك.

أعدت نفسها جيداً لهذا الاختبار، وقبل أن تخرج قالت لـ إدي:

- هذا دفتر مذكراتي، هو الآن لك لا تفتحه إلا بعد ذهابي. ولك الحرية المطلقة بنشرها أو الاحتفاظ بها لنفسك. منذ الآن أصبحت مذكرتي ملكاً لك. أما أغراضني التي في بيتي، فأرجو أن تُعطيهم لسناء، وأشياءني الخاصة التي أجب، ضعها في صندوق صغير، وخبئه بين أشياءك التي تُحب.

قال محاولاً حبس حَسْرَتِهِ وَحُزْنِهِ:

- لك ما تشائين، سأفعل ذلك رُغم آبي لا أجب استباق الأمور، لكن إذا كان هذا سيرُيجك سأفعله.

وصلا إلى مكتب المحقق، بدأ بطرح الأسئلة..

- أخبريني يا أوروبا من أين أتيت؟

- من صور، مدينة على الساحل اللبناني.

- كيف وصلت إلى هنا دون أوراق؟

- لقد اختطفتُ من بلدي وفقدتُ ذاكرتي بسبب التعذيب. استيقظتُ  
لأجد نفسي هنا ولا أعرف حقاً كيف وصلت!

- من أين حصلتِ على تلك القِلادة والأشياء الأخرى التي كانت معكِ؟  
- أنتِ تعرفِ أن صور مملكة فينيقية، وتلك الأغراض كانت إرثاً عائلياً من  
أجدادِ أجدادنا.

- لقد أثبتت التحاليل أن عمرك يتجاوز الثلاث آلاف سنة!

- كيف يصح هذا وأنا أقف أمامك الآن؟

- في الحقيقة أنا لا أصدّق تلك التحاليل، لكن مكتب الآثار الدولي قد أصرَّ  
على الخوض في تفاصيل هذه القضية، وسيصل فريق منهم للتحقيق معكِ من  
جديد، بناءً على لقاتنا هذا، أرجو أن توقعي على التبليغ وأن تحضري غداً إلى  
هنا بنفس الوقت، رجاءً.

- حاضر سيدي، هذا لا يُقلقني، فليس لدي ما أخفيه.

- خرجا من هناك، وأخذها إدي إلى البيت. كان يُراقبها طوال الطريق دون  
أن ينطق بكلمة.

- أنتِ تُثيرين جنوني، من جهة، امرأة ضعيفة منكسرة وباكية، ومن  
جهة أخرى أراكِ جلاً شامخاً يتحدث عن عوازل الطبيعة بكل إباء.

- إنني ابنة البحر والأرز، الجبل والسهل. يا إدي، إذا ما انكسر الإنسان،  
فالطبيعة لا تنكسر وتبقى بجذورها في داخلنا، ترفعنا حين نسقط وتقوم عودنا  
حين بنحني.

- حسناً، اصعدي الآن واستريحي، سأمرّ عليكِ غداً كي نذهب سوياً.



دَخَلت بيتها، جالت بنظرها بين أرجائه وفي زواياه.. كل تلك الموجودات

لها قبصة معها، وما هي باقة الورود الحمراء التي أحضرتها لكريم قد ذُبلت، لكنّها لازالت تنتظره، وفتانها الأبيض الذي اشترته من أجله أيضًا لا زال معلقًا في مكانه، يفتقد الاحتضان، صُورَها مع سنا في الإجازة، والقلادة التي أهداها إياها وائل، هدايا إيفا وخاتم الزواج، هدية نديم وهدايا عُدَيّ حبيها الصامت، مُفتاح سيارتها وشهادتها التي كافحت كثيرًا كي تحصل عليها، إدي والحاسوب، الهاتف هدية كونراد، الشُرقة والسريير وفناجين القهوة.

ماذا ستفعلين يا أوروبا؟ يجب أن تختاري بين إعلان شخصيتك واعترافك بالحقيقة ودخولك تلك الزوبعة من الصراعات بكل ما يتظرك فيها من ألم وفرح، وبين الرحيل والتخلي عن كل هذا العالم وما يربطك به.. إنّه قرارك وحدك، ومفتاح العودة في يدك. بعد غدٍ يصادف يومَ دخولك إلى هذا الزمان، ما عليك إلا أن تخزمي أمرك، تحملي ما أتيت به وتتركي خلفك كل ما جمعته، ونعودي من حيث أتيت، فهل ستعودين أم ستبقين؟

نظرت إلى السماء من تلك النافذة، وتضرعت إلى الله.. أيها الإله، يا سيد الكون خُذني أنت إلى قدري الذي تريد، وسأرضى بما ستقسمه لي مهما كان بفرح وسرور، فأنا كبشرية أعلن أمامك عجزِي عن رسم الطريق الأفضل لنفسي.

في اليوم التالي، اصطحبها إدي من جديد إلى مركز الشرطة، هناك على الباب تجمهر العشرات من الصحفيين والمصورين متظرين قدميها.

- آه إدي.. انظر ماذا يحدث!

- عليهم اللعنة، كيف فعلوا هذا؟

- لا أريد أن أدخل، أريد أن أرحل من هنا.

- لا نستطيع يا صغيرتي، سيعتبر هذا هروبًا من العدالة. أرجوكِ تمالكي

نفسك وواجهي قدرك بشجاعةِ الفرسان كما عودتني دائمًا.

- لا أستطيع أن اخترق كل هذا.

- بل، ستطيعين، إذا رتِ البقاء هنا، سيصبح هذا جزءاً من حياتك،  
ويجب أن تعتادي عليه.

فتحت باب السيارة، واخترقت المجموع، حيث انهالت عليها الأسئلة،  
وأخذت لها آلاف الصور..

هل أنتِ فعلاً ملكة هذه القارة؟.. هلا أخبرتنا عن سر الإله؟.. كيف  
وصلتِ إلى هنا؟.. يعتقدون أنك لصة وسار.. آثار، ما تعليقك؟.. إنك جميلة  
جداً، هل ستذهبن إلى هوليدو؟

حاول إدي إبعاد المصورين وسندوبي وسائل الإعلام التي جاؤوا لتغطية  
الحبر، أميرة شابة عُمَرها يتجاوز الثلاثة آلاف سنة تزور كوكب الأرض..  
وأخيراً، وصلت إلى الداخل، وقفت جميع الموجودون هناك احتراماً. ابتسم  
إدي، وقال لها هامساً:

- هنا سيكون أيضاً جزءاً من حياتك الجديدة.

- هذا مشير للاشمزاز، عالم منافق مايدي بغیض.

قال المحقق:

- هذه يا سيده أوروبا أخينور للجنة القايمّة من مكب الأثار الدولي.

نظرت إليهم بتعال، بعد أن قررت لعب دورها جيداً.

- ماذا تريدون مني، وماذا تحبون أن تعرفوا؟

قال رئيسهم:

- أولاً: عليك أن تُسلمي خبرنا الدولي تلك الموجودات الخاصة بك،

والتي رفقت المستشفى إعطائها لنا دون إذنك. ثانياً: لازال هناك العديد من

الشكوك حول هويتك، لذلك قررنا أن نخضعك لمجموعة من الفحوصات

والتحاليل الأخرى، كي نتثبت من أصلك وجذورك ووضعك الصحي

والنفي، ومراقبة عمل الدماغ وأعضاء الجسم، وستبقين تحت المراقبة

لفترة زمنية غير محدّدة، تطول أو تقصر بحسب تجاوزك معنا، لهذا سنضطر لإرسالك إلى مكان خاص بعيد عن أعين الإعلام، فيه كل التجهيزات التي نحتاجينها، وجميع وسائل الترفيه التي تؤمن لك حياة مريحة، وسياخذ منك خبراؤنا المعلومات لمقارنتها بما تركه لنا التاريخ، كي يتأكدوا من ثبوت قدراتك العقلية رغم رحلة الانتقال عبر الزمن، وسنحاول تحليل عبورك كي نحاور بعض النظريات العلمية التي تنفي إمكانية حدوث هذا.

قال إدي غاضبًا:

- ولكن هذا مناف لحقوق الإنسان، لا يمكنكم إجبارها على فعل هذا.  
- إن لُئِيت شخصيتها، فتحاكم بعدة قضايا، منها الدخول غير الشرعي، حيازة أو سرقة آثار، انتحال شخصية، تضليل العدالة، وغير ذلك، يجب أن تبرئ نفسها وإلا ستحاكم.

قالت بتعال:

- دَعهم يا إدي، فهذا لن يُغيّر شيئًا من قدرتي. لقد حزمتُ أمري وسأرضخ للقدر.

نظرت إلى رئيس اللجنة وقالت:

- أنا مُوافقة على شروطكم، لكنني بحاجة إلى بعض الوقت كي أنهى بعض الأمور المعلقة، وأودّع أصدقائي.

- سنوافق، بشرط أن تُسلمنا المُستشفى تلك الأغراض التي بحوزتها.

- حسنًا، غدًا صباحًا بإمكانكم إرسال أحدكم إلى الدكتور كونراد، وسأبلغه شخصيًا بموافقتي على تسليمكم الآثار، وسأكون في مساء الغد جاهزة لتنفيذ أوامركم.

قال إدي:

- لكنها أشياؤك يا أوروبا.

- دَعهم يفعلون ما يشاءون، والله يفعل ما يشاء.

ثم وجهت كلامها للمُحَقِّق الخاص بالشرطة قائلة:

- شكراً لك سيدي على تعاطفك معي. عندي رجاء أخير لو سمحت، أرجو أن تفتح لي الباب الخلفي، فلن أستطيع اجتياز هذا الحشد مرة ثانية.  
- أحترم رغبتك سيدي، سنوصلك في سيارتنا الخاصة إلى البيت، وسيرافقك موظف خاص يُلبّي طلباتك إلى أن تُنهي ما تريد من القيام به، وسعيدك إلى هنا غداً مساءً.

- إنها حراً

- حماية.. فحياتك منذ اليوم لن تكون بسيطة كما توقعين.

نظرت إلى إدي، وكأنها تريد أن تخبره شيئاً، هو الوحيد من يجب أن يفهمه:  
- إدي، أرجوك وافني إلى هناك. يجب أن أعيد ما هو لك، وتترك ما هو لي.  
ليس لدينا الكثير من الوقت، فبعد غد سأكون بمعهدة اللجنة.  
رَكَزَتْ نظرها على عينيه، وكلها أملٌ أن يكون قد فهم ما أرادت منه.  
- سأفعل.. لا عليك، اذهبي بسلام.

عادت إلى بيتها، ووقف الشرطي أمام باب الحديقة يراقب المكان. أما إدي، فلم يكن بحاجة إلى الكثير من الشرح كي يدرك قصدها. فما أرادت لا يُحكى، رُبّما كان هاتفاً أيضاً مراقباً. بعد قليل، وصلَ إلى هناك وصعدَ إلى منزله، بعد أن تأكد الحارس من هويته. عندما دخلَ احتضته وأخذت تبكي.

- إدي، انظر ماذا حلَّ بي، سأموت لا محال.

- لا تخافي، ودعينا نُجربَ فرصتنا الأخيرة، وإن لم ننجح لن يكون أمانيك سوى القبول بما حكّموا به عليك، هيّا الآن لنذهب.

تركا الأضواء مُشتعلة، وخرجا من الباب الخلفي للبيت، حيث كانت إيفا بانتظارهما.

- شكراً الحضور لك يا إيفا.

- لقد شاهدتُ وقرأتُ تلك المؤامرة التي تحاك لعزلِك يا طفلي، كوني قوية أرجوك، فالله لن يتخلّى عنك.

- أعرف يا أمي الحبيبة، قريباً ستتهي ماساتي، لا تخافي عليّ وصليّ لأجلي. بعد أن وصلوا إلى بيت إدي، ودّعتهُم إيّفاً وذهبت.

كان كونراد هناك بانتظارهم، وقد أحضر أغراضها معه. أخذت منه الصندوق، ودخلت إلى الغرفة، لتخرج منها بعد قليل كما أنت.. أميرة فينيقية رائعة الجمال، أتعبت الهموم بشرتها النضرة، وأذبل البكاء عينيها الجميلتين؛ رغم ذلك لازالت أميرة. أمسكت يدي كونراد وقالت له:

- لا أعرف إذا ما كانت كلماتِ الشكرِ تكفي لما فعلت من أجلي، لكن تأكد أنني سأبقي دائماً عندما أذكرك، ولن أنسى آتي قد ولدتُ على يديك ذات يوم في هذا الزمان.

قال ضاحكاً محاولاً إخفاء دموعه:

- يُسعدني أن أطرد من عملي من أجلك، فربما هذا سيُبرر لك عن حبي. وأعرف أن سارة تنتظري، لكنني لا أبالي. أنا أحبك جداً، وسأشاق إليك كثيراً. احتضنها بحنان الحبيب والأخ والصديق. وكان إدي واقفاً ينتظر دوره. وقفت أمامه، ونظرت إلى عينيهِ وتفاصيل وجهه.. وقالت:

- سأترك الصمت يقول لك ما لم تقوَ الكلمات على حمل معانيه.. أحبك جداً جداً جداً، وسأظل أحبك إلى أن نلتقي يوماً ما، في مكان ما.

احتضنها، حتى باتت متيقناً بأنها لن تعود. لقد دخلت إلى هناك.. حيث لا خوف، ولا موت، ولا قلق. لفت القلادة حول معصمها، وقبضت على تلك الصديقة.

- انظر يا إدي، سأصطحبك معي حيثما ذهبت.

قطع رنين الهاتف حديثهم...



«إنه كريم» صرخت بفرح: شكرًا للإله، ألو كريم.

- صديقتي ساميحي، لقد قوت عليك.

- كريم، سأعطيك رقم آخر كلمني عليه، الهاتف قد فرغ من الطاقة.

ردن هاتف إدي، فأجابت.. إنه هو أخيراً.

- أنا سعيدة بانصالك، لقد أعددت نفسي للرحيل، وفي قلبي وجع كبير

لأنك بعيد عني ولم أستطع وداعك.

- ماذا؟ لا تذهبي أرجوك، أنا اعتذر لما بدر مني.

- لقد حيكت ضدي المؤامرات، وربما سيدخلوني السجن.

- تعالي معي أرجوك، ساميكي، سأخذك إلى ذلك البيت على الشاطئ،

وستكمل حياتنا هناك.

- ساميحي، لقد حمت أمرى. اذكرني عندما تذهب إلى هناك وتأمل

السماء وترقب النجوم، وعندما تسمع صوت البحر ينشد قصة لقاتنا.

- هل أنا وأنايتي سبب قرارك هذا؟

- لا يا حبيبي إطلاقاً. لقد نذرت لقدري، ويجب أن أعود.. التاريخ

ينتظرنى، ومسئوليتي تجاهه تؤرقني. الليلة سأحاول الهرب إلى هناك، وإن لم

أستطع، فربما نجتمعنا الحياة ثانية. اعطني بنفسك أرجوك. صلّ لي، علّ روحانا

تلتقيان من جديد، سأحبك دائماً.

قال بصوت باك:

- عسى أن يرافك الرب. سأحبك إلى الأبد أيتها الأميرة الحكيم.

وقفت تبكي بصمت، لقد أوقفتها الحياة عند حدود الاختيار من جديد.

مسح إدي وكونراد دموعها، وانطلقوا هم الأربعة من هناك إلى الغابة،

فرب ذلك الجذع..

جذع الشجرة التي وجدوها عليها.. ودعأها ورحلا...

جلست هناك وتلت صلواتها، تلك الصلاة التي تعلمتها من جدتها «صلاة اخناتون»:

(أنت يا من يُضئ المشرق بنوره، فتملأ الأرض بجمالك، أيها الجميل القوي  
الرائع العليّ فوق الأرض،

أنت في قلبي وليس في الدنيا من يعرفك غير ولدك الملك، لأنك أعطيت  
القدرة على إدراك بأسك وقوتك، تعاليت فامتدّ نورك على الأرض أيها الظاهر  
الباطن. أيها الواحد الأحد، الذي لا إله غيره، خلقت الأرض على هوائك  
أيها الواحد الأحد، يا من سوى نفسه بنفسه.. إنك صانع مصوّر لنفسك  
بنفسك، ومصوّر دون أن تُصوّر، مُرشد الملايين إلى السبل. أنت خالق الكلّ  
وتمنحهم قوتك، أنت عالّ وبعيد، لكن نورك ضاف على الأرض، تُرسل  
شعاعك فتحضّر أرض مصر، يستفيق الجميع، يرفعون الصلاة، تفتش  
الأنعام مروجها، وينتشر بك كلّ شجر ونبت، الأطير تحوم فوق سبخاتها،  
ترفع الجناح وتصلّي لك وتدبّ في الكلّ الحياة، أنت خالق الخصوبة في المرأة،  
وصانع بذور الرجد. أنت من يهب الحياة للجنين في رحم أمه، ويعطيه النفس  
الذي به يحيا. عند مولده تفتح فمه وتقسّم له رزقاً. العُصّوص في بيضته يسبق  
وهناك نمّده بهواته، فإذا كَبُرَ نَفَر قشرته وخرج يصيح بأعلى صوته، ما أكثر

صنائعك يا رب. وحدك ووفق مشيتك قد خلقت الأرض وما عليها من  
قطعان وأسراب.

في جميع الأصقاع، سوريا والحبشة ومصر. أعطيت لكل مكانه، ورسمت  
حياته وقسمت نصيبه وأيامه. قد ميزت شعوبًا بالسَّهْمِ وألوانها وطبائعها  
فجعلتها أُمَّةً مختلفة. فجرت النيل تحت الأرض، نُجْرِبُهُ وَفَقَّ مَشِيَتَكَ لِتُحْيِيَ  
أهل مصر، العالم كله بين يديك، عندما تَطْعُ على المخلوقات نجماً، وإذا  
نغرت عنها تموت، فانت الحياة وبك الحياة.)  
أنت الصلاة وأكملت مناجاة الإله:

(أيها الإله الواحد، هل أنت نفسك من يحكم هذا الكون الآن، وتُسَفِّك  
الدعاء من أجلك؟ لقد أدهشتني طبيعة خلقك، ماهيتهم وسر وجودهم.  
وتلك الأديان التي أرسلتها رحمة لهم، هل أغفلتك عنّا أم كنا عن مقصدك  
غافلين؟ هل تتظنّ عودتنا؟ هل هو خيارنا أم هي أقدارنا التي كتبها علينا؟  
إنّك تُحِبُّ من يُحِبُّك ويراك بأخيه وجاره وعدوه. إنك إله القلوب، فلماذا لا  
تروي بذور الخير وتقتلع الشرير منها قبل أن ينمو؟ هل نقاسمك سلطانك  
كي تترك لنا حرية الاختيار بين ما نزرع وما نقتلع؟ لقد أدهشتني زيارتي  
هذه، أبكتني وأضحكتني أحوال رعيتك وكانك جبل يشده كل واحد إلى  
ناحيته، ليس جأ بك بل طمعاً بما عندك. يعتقد أنه سيضلك بها تلوه الشفاه  
فتدخله قصر الأزي الذي تسكنه الجوارى والخور كي لا يشيخ ولا يضعف  
ولا يمرض. أيها الإله، تراني بعد رحلتي هذه لم أعد أؤمن بالأسماء، فانت  
واحد بذاتك مهما اجتهدوا بسميتك، لماذا نبحت عنك خارجاً وانت ساكن  
فينا وأقرب إلينا من رحلتنا بين الروح والجسد. ها هو قلبي العاشق يُدْرِك  
أخيراً أنه ليس هناك حب سوى حبك، ولا عشق سوى عشقك.. أعرف أنني  
زانية وخاطئة، سارقة وكاذبة، ولا أستطيع أن أعدك بأن أصبح ملائكة،  
لن أصبح ملائكة إلا إذا أردت أنت ذلك، وتباً لمن قال أنه يستطيع أن يرسم  
قدره بنفسه. خذ بيدي وانقذني من هوي نفسي، فك أسري، أعِدني إلى مكاني

وزماني. ضاقت بي هذه الأرض وأدماي ما شاهدت من ظلم وقتل وضلال  
وعدم مساواة ودم مسكوب. أريد أن أعود، أن أحاول تصحيح مسار تلك  
الجدور قبل أن تلتوي ونضطر لقطعها. ربّما إذا ما ترين أطفالكنا على حُب الحق  
والعدل نستطيع أن نبني مجتمعا جديدا يُبشّر بسلامك ومحبتك، فنُجِّب أجيالنا  
القادمة بعضا من هذه المآسي..)

أوشك الفجرُ على خرقِ حدود الظلام، وأرهق جدّها وروحها ذلك  
القلق وتلك الصلّة التي اجتازت حواسها إلى السماء. وضّعت القلادة في  
عقها من جديد، وقبضت على تلك الصدفة بين أناملها بقوة، أكملت صلاتها  
هناك.. إلى أن غفت...



على زجاج نافذة البرج، في ذلك المكان حيثُ كانت تُحبّ الجلوس، ألقى  
إدي رأسه، وأخذ يتأمل تلك السُفوح الخضراء..  
- «سأفتقدك يا أميرتي إلى أن تلتقي أرواحنا يوما في مكان ما. لم أرغب  
برحيلك، لكن بعد أن قرروا عزلك متجاهلين كينونتك الإنسانية، كان يجب  
أن أحميك. أحبك وأخافُ عليك، حتى من نفسي. سأحيني أرجوكِ على كلّ  
تلك الدموع التي سبّتها لك. أنا لم أستحقكِ يوما أيتها الملكة. سأصلي لك،  
طالبًا من الإله أن يرافقك في رحلتك، وأن يعيدك إلى زمانك سالمة.



أضاءت أيضا الشموع أمام صورتهما مع أوروبا، وزكّفت هناك وهي تبكي..  
- «رافقك الرب يا ابنتي الحبيبة».



فتح كونراد رسائلها التي عن هاتفه، وأخذ يقرؤها.. يضحك حيناً،  
وتدمع عيناه أحياناً.

- ربّما سأفصل من عملي لأنني قد أعدتُ لك أشياءك.. لا يهمني يا اميري،  
فأجد عملاً آخر، لكن لن أسمح لهم بأن يؤذوك، ولن أسمح نفسي إذا  
تركتك تحت رحمتهم. يا صديقتي الحبيبة.. عودي بسلام إلى بلادك، وسأصلي  
لك، وسأحبك دائماً.



تساقطت دموع عُدّي وهو يقرأ رسالتها الأخيرة: أنا راحلة عُدّي ولن  
أفتقدك، فروحك التي تؤمن بأننا قد التقينا سابقاً، وبأننا سنلتقي من جديد،  
ستكون معي وترافقني في رحلتي. لقد قرّرتُ العودة إلى عالمي، ولا أعرف أين  
سيحملني قدري. ما أعرفه أنني قد دخلتُ حياتك صدفة، أنت القائل «ليس  
هناك صدفة، كل شيء مُرتّب ومُنظّم في عالم الغيب».. أرجوك اعترني بنفسك،  
حبّ الحياة، وعش بتألفك معها. ها نحن رغم أننا لم نلتقي يوماً، ولكن روحانا  
قد عرفتنا معاً لحناً رائعتاً في عالم الغيب.

- سأحبي أنت، أرجوك. سأصلي لك، للإله الذي علمتني أن أحبه وأن  
أتواصل معه من جديد. رافقتك السلامة آبتها الأميرة.



ابتلع نديم ريقه بمرارة، محاولاً حبس دموعه وهو يقرأ رسالتها الأخيرة:  
إن رحلتك في عالم الجسد شاقة جداً يا نديم، فأنت لم تتعامل مع روحي التي  
أحبّتك. إن الأجساد مرقدتها التراب يا صديقي، بينما الأرواح خالدة أبداً،  
بروحك، ربّما نلتقي يوماً ما في ظروف أفضل. صلي لي، عدّ إلهك يستجيب.

- ساتوذاً وأصلّي، ستكون صلاتي الأولى لك بعد انقطاعي الطويل.  
سامحيني، وصلي لي أنت أيضاً.



«سنا، أختي الحبيبة.. اضطررتُ للسفر عائدةً إلى بلادي. هناك أشياء لم  
أستطع البوح لك بها. هي أشياء تخصني وحدي، فسامحيني على هذا. أحبك  
كثيراً، وأتمنى لك التوفيق في مشوار حياتك إلى أن تصلي إلى ما تبغين. أرجوك  
سامحني غيابي عنك، وصلي لي.»

- أوروبا، كيف رحلت دون أن تودعيني؟ - أكملت وهي تبكي - سامحيني  
أنت، لم أدرك أن الفرحة في  
حياتنا عمره قصير كعمر الزهور. أحبك جداً، وأسألي لك كي تصلي  
بلادك سالمة.



«يعز عليّ يا وعد أن أتركك وأنت تبكين أخانا وائل، لكن كلّ القصص  
الجميلة لها نهاية. إني عائدة إلى موطني. صلي لي يا أختي الحبيبة، وامسحي  
دموع حزنك، حتى ترفد روح حبيبتنا الغالي في نعيم الله.»  
- حرسك الله يا أختي، سأصلي لك ولروح وائل، وأنا أدرك أن قدرتي أن  
أكون وحيدة.



## النهاية

مرّت ساعاتٌ طويلة، وأوروبا غارقة في أفكارها، وملاح الحزن بادية على وجهها الجميل.

- اعتذر، هل لي أن أقطع عليك خلوتك وأشاركك تأملك هذا؟

- تفضل بكل تأكيد.. أنت ملك المكان، وأنا ضيفتك.

- لا أحب أن أسمع هذا، فكلنا ضيوف على هذه الأرض. افتحي لي قلبك يا أوروبا، وإذا كان مصيرنا أن نُكبل أيماننا معًا، فدعينا نسيرُ هذا الدرب بدأ بيد.

- لقد ترأف بي القدرُ أخيرًا، وجادت عليّ الحياة، فهل أجد في قلبك وروحك مكانًا لأسراري؟

- لم أجد يومًا تنميق الكلام ولا إغداق الوعود، لكن الحياة أعطتني نعمة الصمت والصبر والاستماع، ويسعدني أن أفتح صدري خزانة لأسرارك، أجد حواسي حراسًا عند بابها. ثقي بي أرجوك وامنجني شرف صداقتك.

- منذ سنوات، استيقظت على حقيقة مُرّة. رؤية أعلمتني بأن زيوس سيهجرنى بعد أن أنجب أولادي الثلاثة، وسيعود لزوجته هيرا، وسأبقى وحيدة مع أطفالي، الذين سيثبون في كنف آخر. واجهته فلم ينكر، رفضت مصيري، فسجنتي وعذبني. هربتُ منه ومما يتظرني.

بعد أن وجدني في إحدى الغابات بين الحياة والموت، أعادني إلى القصر، وعندما استيقظت من غيبوتي، كان يبكي قربَ سريري ندمًا. اعتذّر عما فعل، وأغدق عليّ الكثير من الحبّ والحنان، ووعدني بالأبتركني وحدي، وأن زوجته لن تتمكن من النيل من حُبنا. وبعد وُلادة أطفالنا، اعتقدتُ أننا قد نخطينا تلك الصعاب، وبأننا سنرتبهم سويًا رغم تلك الرؤية، ولكن ما كان لي أن أهرب من قدري. واليوم وأنا معك، أدرك أنه حمل لي أفضل ما عنده. «استيروس»، أيها الملك العظيم، إنني حقًا سعيدة بوجودي معك وبقدري.

- أيتها الأميرة، إنه شرفٌ لي أن أسانديك على قسوة الحياة، وأن أكون الأب الروحي لأطفالك، لكن أشعر أن هناك ما يقلقك أكثر من أطفالك ومن قدرك ومستقبلك. هذا الحزن الذي يُغلف ابتسامك ونظرة عينيك... تبقى بي أرجوك، لا أن أكون فقط سنديك، بل أيضًا صديقك الأمين.

- أنت فعلاً هكذا، وما يمنعني عن البوح هو رأفتي بك. إن صدري فعلاً مُثقل بالأوجاع والحيرة. أوشك أحيانًا على الاختناق من عبء تلك الأفكار والسؤالات التي تثقل كاهلي، وربّما تستطيع مساعدتي، ولكن كيف لي أن أرمي أحلامي عليك؟

- أأرتقولي أنني ملكٌ، وأني اهتم بأمور رعيتي؟ أنت رعيتي، وأكثر من يحتمني منها، وما ستخبريني به لن يُثقل كاهلي، بل على العكس، ربّما سيكون خيرة لأفكار جديدة أبحث عنها، وخبرة جديدة لأختبرها. سعادتي ستكتمل عندما أعرف بأنني كسبتُ ثقتك، وبأنني الحُصن الأمن لك وملجأ همومك، الذي ستريحين فيه. أرمي سفنك على مينائي، فأنا بحاجة إلى ذلك أكثر منك.



قصت عليه قصتها، ذلك العالم الغريب الذي زارته، الحياة التي مرت كأنها  
لرتمر..

- هل تصدقتي؟

- أجل أصدقك، لكن كيف عدتِ إلى هنا؟

- لا أعرف حقًا، بعد أن أعاد لي ذلك الطبيب أغراضي التي وُجدت معي،  
ومن هنا تلك القلادة الغريبة التي أعطاني إياها زيوس، ارتديتها، وغفوتُ  
بعدها، لافتح عيني من جديد وهو أمامي. كانت الكلمات تملأ جسدي، كما  
وجدتُ نفسي عندما استيقظت في ذلك المشفى. للمرة الثانية داوى زيوس  
جراح جسدي. لا أعرف إن كنت قد وصلت إلى هنا مباشرة، أم زرت عوالم  
أخرى في انتقالي!!

قالت بتوتر وحزن، وعيناها غارقتان بالدموع:

- لستُ أحلم، صدقتي. إنني أذكر كل ما حدثت معي، وكل من التقيت،  
وكل ما قرأت وسمعت وشاهدت. لقد عشتُ مرحلة صعبة من الصراع. ما  
حدثت معي أكان حقيقة.. أم أنه حلم، أم هو زيارة روحية لأحد العوالم؟ لكن  
ما يؤكد لي بأنني كنتُ هناك حقًا، تلك الصدقة التي كانت بيدي.

- وما قصتها؟

- إنها صدقة بحرية، أحضرها لي صديق من رحلته إلى إحدى الجزر. عندما  
قررتُ العودة، أخذتها معي، قبضتُ عليها بيدي بشدة، وعندما استيقظت  
كانت لا تزال في يدي.. كان جسدي في غاية لا تحدها بحار، فكيف وصلت إلى  
يدي؟ مؤكد أنني أحضرتها معي، وأني كنتُ هناك بالجسد وليس فقط بالروح.

تنهدت وهي تمسح دموعها:

- لقد أنقل كاهلي هذا السر. كنتُ أخاف أن أبوح به وأن أتهم بالجنون.  
لربكن أحد ليصدقني، وها أنا حتى الآن أعيش الأيام ببرود تام، فأنا أعرف

ما سبَّحْتُ، وكيف ستكون نهاية زيوس. أعرف ماذا ينتظرنِي، ولكن لا أعرف كيف سأدخل التاريخ الذي أرخ اسمي على صفحاته.

أسلِّك يدها بحنانٍ وقال:

- هيا أخبريني ماذا شاهدتِ؟

- كوكبُ الأرض «كايَا الحية» كانَ منظِّماً ومقسِّماً إلى دول، بمعنى رؤسائها لخدمة الشعب، الذي يعمل ويقطع من دخله القليل كي يُسدّد نفقات الدولة، التي تصرفها عليه من طب وتعليم وخدمات، فلكلِّ مواطن حقوق وواجبات. وهناك شبكةٌ أثرية، تربط كلَّ هذا الكوكب ببعضه، ثم بالكواكب والمجرات. فتلك النجوم التي نتأملها أصبحت مزاراً للرحلات الفضائية. لقد استخرجوا من باطن الأرض زيوتاً تُصدِر طاقة هائلة، تُحرِّك كلَّ هذا التقدم. للإنسان هناك حقوق، ومؤسسات دولية تحمي وجوده، هناك فلاسفة وحُكَّماء، كُتِّب وأفكار ونظريات، وهناك إله واحد اسمه «الله»، يعبدُه الجميع كلٌّ على طريقته.

- ما هذا العالم الرائع الذي يحكِّمُه الحق والعدل والمساواة؟

- ليس كذلك أيُّها الملك، فرغم أن موارد الأرض تكفي الجميع، هناك شعوبٌ جائعة، نموت دون علاج، حروب تنطفئ لشتعل أخرى، يقتلون فيها البَشَر بآلات غريبة، تُبِيد أكبر عدد منهم بثوانٍ وتحصدهم كالقمح من اليبدر. هناك دُول عظيمة، تنعم بالسلام، اسمُها العالم الأوَّل، تتحكَّم بمصائر الشعوب ويكُل مقدَّراتهم، تقودهم كالأغنام، تبقيهم برهبة الخوف من الآخر، كي يشتروا ما تصنع لهم من أسلحة، تُحرِّكهم كما نشاء، وهم يجرُّون خلفها لاهئين، هؤلاء هم العالم الثالث، حثالة المجتمع ودود الأرض، هكذا يراهم أصحاب القرار؛ رغم أن ثروات الأرض تتبع من بلادهم.

- ماذا يقصُّهم؟ ولماذا يقبلون أن يكونوا د

- إنهم أصحاب ذلك الذهب الأسود. لا يقصُّهم المال ولا العدد ولا الأدمغة، لكن تقصُّهم الكرامة والإنسانية. فنيقيا بلادنا دمَّرت وسكنها

آخرون، يصفون أيامهم في صراع وقتال على السلطة والمال، تاركين خلفهم تاريخ عريق، لو حافظوا عليه لحكموا العالم بآثره. أما بلاد كنعان، فسكنتها شعوبٌ جديدة، تُتقِن لعبة الحرب وتبكي على السلام، بعد أن ظلموا لآلاف السنين، عادوا ليُذيقوا الظلم لكل من يتجرأ على محاسبتهم. أنا أؤمن أن الأرض للجميع، لكن لنسكنها بسلام ومحبة.

- والله الذي يعبدون؟

- أتعرِّف أستيريوس، وقفتُ هناك حائرةُ أسأل نفسي.. هل هم فعلاً يعبدون الله؟ الإله الذي أشرقَ شمسهُ على كلِّ خلقه بالتساوي، خلقنا متشابهين ولرؤيُميز أحدا عن الآخر إلا بما اجتهد. الإله الواحد الذي سيرَ هذه الأفلاك والأكوان بنسبٍ دقيقة، إن اجتازت معدلاتها فنت بها عليها. وكلُّ هذا حباً ورحمةً. وها نحنُ نتقي الله فيما بيننا وليس لدينا الله، ليس عندنا كتاب يُعلِّمنا، ولا نبيا يرشدنا إليه. إننا نعبد بالفطرة.. أنساءل لماذا لا يفعل أولئك هذا، وقد أرسلَ لهم الكُتُب والرُّسل وفتحَ أمامهم أسرار الكون.

في ذلك الصندوق العجيب «الحاسوب» شاهدت نهايةً شعوبٍ كثيرة ظنَّت أنها خالدة، دمار! راطورية الإغريق وزيوس، ولادة شعوبٍ أخرى نمت من تحت ظلِّ الفقر والخوف. لقد تعلَّمتُ الكثير وقرأت الكثير. سمعتُ الموسيقى وقرأتُ الشعر والأدب والفلسفة، ملاحم هوميروس التي ستكتب قصتي، واطلعتُ على العديد من اللغات وفنون المخاطبة، التجارة والمحاسبة، التقيتُ العديد من الأشخاص، بعضهم أحببني وبعضهم أبكاني، ومن الاثنين تعلمتُ الكثير.

نظرتُ إلى عينيهِ المليئة بالدموع وسألته:

- أستيريوس هل تصدقني؟

- أصدقك أيتها الملكة، ولكنني حزينٌ على أرضنا الحية كايا، ولكن أين هي

تلك المؤسسات التي ترعى حقوق الإنسان؟

- إنها منظمة يديرها العالم الأول، ترمي الفئات للفقراء، وتُصدِر التصاريح في حال نشوب الحروب، وتُنشر الإحصائيات عن عدد القتلى والمُشردين والمعاقين خلالها، وتكثف إعادة الأعمار بعد نهايتها، تُنَدِّد وتُهدِّد وتُشيد، فموازين القوة وقراراتها في أيدي من يملكون تلك الأسلحة الفتاكة، التي يهدِّدون بها أهل الأرض وعذرهم الوحيد «الخوف من الآخر».

- يا أوروبا، أدرك الآن ماذا أراد القدر منك، فأنت لم تجتازي هذه التجربة إلا لتكوني ملكة!.. قولي لي، ماذا ستفعلين إذا وضعتُ مملكتي بين يديك؟

- سأطوّر أبجدية قدموس، وأضيف عليها ما ينقصها، سأحارب الجهل بخلق قرص عمل جديدة، لكي نعطي الرغيف بيدًا والكتاب باليد الأخرى. حينها سيُدرك الناس أن ما يُغذِّي الجُتْد يوازي ما يغذي الروح، ولن يستطيعوا أن يجيؤوا دون معرفة، وستكون حاجتهم إليها كحاجتهم إلى الخبز. سأبني نظامًا اجتماعيًا قائمًا على العدل والمساواة. سأحرّر المرأة من عبودية الخطيئة، أنقذها وأسهر على بناء شخصيتها كي لا تكون سلعة لأحد، إن لم تكن الأم مدرسة للعلم والحُب، فسوف تصبح ثمار بطنها فاسدة وتُفِيد الأرض. سأفصل الدين عن الدولة، وأمهد الأرض لمعرفة الخالق ولاستقبال رسله، سأحضهم على الشك كي يصلوا إلى اليقين، ولن تكون معرفة الله بثرًا بلا قرار تفرق فيه البشرية في ظلمات الجهل، فقط لأنها مؤمنة، فالإيمان لا يتحقق دون معرفة.. معرفة الإله، الاقتراب منه دون خوف إلى أن نجده في أنفسنا، كي يرسم كل واحد طريقه إليه.. تلك المعرفة هي التي ستقوده إلى الخير والمحبة. أريد أن أوّس مملكة ضخمة، وأسبِر القوافل عبر الأرض بحثًا عن تلك البلاد التي زرتمها، علّني أستطيع أن اجنب أهلها بشاعة تلك الحروب، علّنا إذا أنشأنا إنسانًا سويًا، نبي أوطاننا يسكنها السلام. سأبحث عن وقود الأرض، زرع الصحراء، وأورّع ما نملك على أهل الأرض بالتساوي.

- كم أنت رائعة أيتها الملكة. إنني أعشقُ روحك هذه، وأحبك كما لم يُحبك

أحد من قبل. أوروبا.. اسمحي لي أن أقدم لك مملكتي كي تحكمتيها. لقد وُلدت  
كي تكوني ملكة، وما تنبأت به المرأة في تلك الرؤية هو صحيح، ستكونين أمًا  
عظيمة، ومليكة عادلة لهذه الأرض، قولي لي.. هل هناك من سبحانه مملكتي  
هذه أفضل منك؟

- إنها أحلام يقظة استبريوس.. ربنا لن أنجح، فكل ما ذكرته أمنيات، ربما  
ستكر يومًا على أرض الواقع، فمآسي الأرض تهزني من الصميم وتحول  
دموعي دماء. أريد أن أترك مكانًا لأطفالي كي يلعبوا ويكبروا ويتعلموا ويحبوا  
دون خوف

- ستجحين، وسأكون بقربك، أرفعك إذا ما تعثرت، وأسندك إذا  
ماهويت. لن تكوني وحيدة أبدًا بعد اليوم.

نظرت إلى قرص الشمس وهي تنحني فوق مياه البحر، وابتسامة مليئة  
بالإصرار والقوة، ونظرة لا تعرف الخوف ولا الفلق وكأنها إنسان آخر، عجزته  
تجارب الحياة وشكلته من طين الأكر، وأدخلته فرن المعاناة كي يخرج منها جسدًا  
صلبًا وروحًا نابضة بالحياة، وقلب خائف بالمحبة.

.. أنا قادمة.. ستمجدين اسمي في التاريخ، وسأعبدك اسمًا للتاريخ.

سلام ومحبة...

# كايا

قالت دامعة:

سأخرج من رحم أمي.. وكيف لي أن اللمس التراب بجسدي العاري وأقدامي الحافية؟  
كيف، وأنا جنين لا يربط الحبل السري مصيره بأحدا كيف أعرف وأنا نعمة منفردة لم  
تتعلم الرقص مع اللغيمات؟ كيف أجتاز أسواري دون قراءة رموز الأبواب المقفلة؟  
كيف وأنا لا أشبهه زماني ومكاني؟

لقد قطعت حبلك السري بيدك الناعمتين، يوم قررت خوض معركتك وحيدة.. غداً  
تتعلمين فن الرقص بين أنغام الصمت.. رقص منفرد تراقبه آلاف العيون،  
وستكتشفين الرموز عندما تجيدين قراءة نفسك، وتكسين جسدك العاري برداء  
غزل بخبرة من صبر وأمل.. أقدامك الحافية ستجد لها على القمم مكاناً وزماناً  
جديدين.. ألت سر، وما كان للاسرار أن تتذمر من غموضها، في يوم تفقد سرّيتها تصبح  
لا شيء.. ستمشيين وحدك شامخة، وراءك الكثيرون.. وكلما رحل أحد، سيحل مكانه  
آخرون..

أعرف أنه قدرتي.. تحاورنا، تنازلنا وتعادلتنا.. ها نحن ننظر للرى من سينحني أولاً..

لك الوقت.. لا التزامات، لا معاهدات، ولا حروب، اختاري شعاراً جديداً اسمه السلام،  
تعلمي، الحقني كل ما قد فاتك من علم، لن تنازلك أقدارك ما دمت تتقدمين،  
فهي تحاربنا لأنها تكره أن لحوّلها فشلنا وثمره أفعالنا.. وعندما نقوى بأنفسنا،  
تسيز معنا، لأنها ستدرك هزيمتها أمام إصرارنا وإرادتنا.. إذا ما تجرأت وفتحت حربها  
يوماً علينا..

## سونيا بوماد

كاتبة لبنانية مقبلة في اللمسا، تعمل مدرسة بيانو  
بجانب عملها في المجال الإنساني في مخيمات  
اللاجوء اللمساوية عضو ناشط في مجال حقوق  
الإنسان ومناهضة العنصرية.. من لهم إصدارتها،  
"لجنة إلى الحرية"، الرصاصه تصديقة" باللغة  
الإنجليزية..

